

مصر الأخرى

التبادل الحضاري بين مصر وإيجيبت

الجزء الثالث

تأليف
محمد مبروك أبوزيد
مستشار قانوني

مصر الأخرى

التبادل الحضاري بين مصر وإيجبت

الجزء الثالث

الباحث/ محمد مبروك

رقم الإيداع: 35812/2022 مصر
الترقيم الدولي 978ـ977ـ6925ـ88ـ5

مقدمة

في أواخر القرن التاسع عشر، كان هناك أستاذا بأحد الجامعات الإنجليزية على ما أذكر هو الأستاذ "روبارتسون سميث" الذي تم طرده من الجامعة، عندما أشار بمنهج علمي أنثروبولوجي يعتمد المقارنة، إلى أن شعب بني إسرائيل (تنطبق عليه مواصفات القبيلة العربية الجنوبية، وأن بني إسرائيل ما هم إلا عشيرة من سكان جنوب غرب الجزيرة العربية، مثلت التوراة أو العهد القديم أحد متون تاريخها). ولم يستطع أحد مواجهته بالأدلة العلمية، وتم رفض مناقشته لرسالة الدكتوراة، وطلبت منه الجامعة أن يسكت احتراما لمقدسات الكنيسة حتى ولو لم تكن مقدساتها علما صحيحا. وأما الشخصية الثانية وهي التي أطلقت الشرارة الحقيقية، حيث شكك الباحث توماس لـ طومسن في كتابه " التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي" شكك في كل ما قام به المزور الكبير "وليام فـ أولبرايت" (بطل خديعة مخطوطات البحر الميت) التي أسست للوجود الإسرائيلي في فلسطين، مع ما تقدم به الباحثان إدوارد روبنسون، وهو أستاذ اللاهوت الأمريكي، بالتعاون مع القس الألماني المتحدث بالعربية، إيلي سميث، في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين. وعلى خطى هذا الباحث يسير كل من إسرائيل فلنكشتاين ونيل سيلبرمان وأقلام أخرى، لإثبات أن التوراة لا تعتبر مدونة تاريخية، وإنما أسطورية تم استغلالها في تزوير تاريخ الشرق واحتلال أوطانه وتزييف ثقافته وتغييب عقول أبنائه، لكن إلى الآن لا يريد أبناء هذه الشعوب أن يصدقوا أنهم راحوا ضحية لعبة مخابراتية صهيونية زاد عمرها عن الألفي عام !

هذه الإرهاصات الأكاديمية أسفرت عن تأسيس مدرستين مهمتين في علم آثار الكتاب المقدس، مدرسة قادها وليام أولبرايت من القدس من مكاتب المدرسة الأمريكية للدراسات الاستشراقية بين سنة ١٩٢٢ و ١٩٣٦ والتي تحول اسمها فيما بعد وفي حقبة الحكم الصهيوني إلى مؤسسة أولبرايت للأبحاث الأركيولوجية (برعاية سياسية غربية) تكريما لهذا الذي خرب أرض فلسطين وزور وطمس تاريخها وعبث بآثارها الأصلية. أما المدرسة الثانية أنشأها الأكاديمي توماس طومسون وسار على نهجها إسرائيل فنكلشتاين وسليبرمان وغيرهم، وهي تسير في الاتجاه المعاكس وتطعن في مصداقية الرواية التوراتية وأسطورة فلسطين أرض الميعاد. وهذه المدرسة ظهر لها منافس عربي انضم

إليها وتبنى الرؤية، وهي اليوم مدرسة عربية نشيطة، لكنها لم تلق الاهتمام المطلوب من الأوساط السياسية والأكاديمية ولأسباب لا نعلمها، حيث أن هذه المدرسة لو كتب لها النجاح والاعتراف والرسمية فإنها ستدفع بكهنة الأديان الإبراهيمية جميعا للمساءلة الشديدة، ومن ثم سترسم مسارا جديدا للفكر الديني والتاريخي في المنطقة برمتها. وعلى أثره سيعاد رسم معالم الهوية في منطقة الشرق.

ففي نهايات القرن الماضي اشتعلت حمى البحث عن موطن التوراة (جنوب الجزيرة العربية). بدأت بكتاب " التوراة جاءت من جزيرة العرب". وكانت هذه ربما أول نقرة على ناقوس الخطر الذي يتهدد المقولة الثابتة المتمثلة في أن أرض فلسطين هي أرض الحدث التوراتي، وأن أرض مصر اليوم هي أرض الفرعون والاستعباد والخروج الإسرائيلي. وما تطرحه هذه المدرسة الناشئة ومنذ بدايات التسعينات من القرن الماضي يعتبر أمرا خطيرا في مفهوم البديهيات والمعلوم في الثقافة السائدة بالضرورة، والتي أصبحت من الثوابت الدينية عبر قرون طويلة، هذه المدرسة العربية قلبت كل شيء، المنهج والفكر والتاريخ والجغرافيا. والذي يميز هذه المدرسة الواعدة هو تنافسها الشديد فيما بينها لتحديد مواقع المدن والقرى والوديان والجبال التي جاء ذكرها في الكتب المقدسة، ويعتمد جميعهم على أسلوب البحث المقارن. وهناك الكثير من الباحثين الهواة ينشطون على صفحات التواصل بآراء جدية تطرح المزيد من التساؤلات، لكن اقتراحاتهم لا تتعدى حد المقال أو عرض مصور على اليوتوب، وبرغم جدية ما يعرضونه، إلا أنه ينقصهم تطوير أفكارهم وتقديمها متكاملة في عملٍ بحثي متقن.

وأغلب رواد هذه المدرسة عصاميون وباحثون هواة ليسوا من أهل الاختصاص إلا حالات نادرة تنتمي للتاريخ، والغريب أن أغلبهم من غير المتضررين مباشرة من قضية اليهود! هم فقط مفكرين مهمومين بالشأن العام، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أستاذ اللسانيات اللبناني "كمال صليبي"، الذي أصدر كتابه الأول بالانجليزية ثم ترجمه للعربية" التوراة جاءت من جزيرة العرب " أحدث هذا العنوان انتفاضة عقلية في الأوساط الثقافية، وقد صدر كتابه بمقدمة يقول فيها " هذا الكتاب بحث في جغرافيا التوراة على أسس جديدة، وخلاصته أن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين بل في غرب الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر وتحديدا في بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن، وبالتالي فإن بني إسرائيل من شعوب العرب البائدة أي شعوب الجاهلية الأولى..."

ثم تبعه بعدة مؤلفات أخرى في ذات الموضوع ألقت الكثير من الأضواء في ذات البؤرة، ففتح بذلك شهية البحث لآخرين من أبرزهم وأكثرهم جدلا الباحث العراقي د.فاضل الربيعي الذي بدأ بكتابه المدهش " فلسطين المتخيلة" وقد تميز هذا الباحث على الجميع بكثرة إصداراته في الموضوع وعمقها الفكري وموسوعيتها مع تدعيمه بالعمل الميداني والبحث الأركيولوجي. وكذا المؤرخ السوري د.أحمد داوود بكتابه " العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود"، والباحث الفلسطيني د.زياد منى بكتابه "جغرافيا التوراة، مصر وبنو إسرائيل في عسير " والباحث اليمني المقيم بمصر أحمد عيد بكتابه " جغرافيا التوراة في جزيرة الفراعنة"، والأستاذ أحمد الدبش المحامي والباحث الفلسطيني الشاب بكتابه " موسى وفرعون في جزيرة العرب " وكتاب أصدره قسم الباحثين بجمعية التجديد الثقافية البحرينية بعنوان" نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء ".. ود. أحمد سعيد القشاش (السعودية) بكتابه: أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة "... هؤلاء جميعا وغيرهم أشعلوا حمى البحث عن موطن التوراة وبني إسرائيل في جزيرة العرب، وبرغم أن كثير من الناس مثقفين ومن وسط علمي لم يعتادوا هذه النوعية من البحوث التي تقلب العقول رأسا على عقب، فهي تقلب في الجغرافيا والتاريخ واللغة والأديان وعلم الاجتماع والأركيولوجيا والأنثروبولجيا والثوابت العقائدية وعلم السياسة أيضا، إلا أن كثيرا من المثقفين يتابعون هذه المدرسة بين ناقدٍ ومؤيد ومراقب في صمت، مع برود في الوسط الأكاديمي غير مبرر وتجاهل من الوسط السياسي.

وقد بدأ رحلة البحث بهذا المنهج المؤرخ اللبناني الراحل كمال الصليبي بعدة أبحاث طرح فيها رؤية جدية للمرة الأولى في التاريخ، حيث تمكن بإزميل من فولاذ أن يهدم أسطورة " فلسطين أرض الميعاد "، وتبعه الدكتور أحمد داود وزمرة من الباحثين الأجلاء. وقد قام أساس نظرية "جغرافيا التوراة في جزيرة العرب" في البدء على (منهجية دراسة التحولات اللغوية لأسماء الأماكن الجغرافية الواردة في النص التوراتي، ومقابلتها بنفس الآلية على تلك التي وجدت في بعض المناطق في جزيرة العرب، على أساس وحدة الأصل اللفظي والتراكم الكمي لتلك الأسماء في حيز جغرافي واحد) ليس ذلك فقط، بل أيضا دراسة التكوين الجغرافي وإمكانية الحركة فيه؛ أي مدى إمكانية وقوع أحداث التوراة في منطقة جغرافية دون أخرى، مع اعتماد النتائج التي توصلت إليها الأبحاث الأركيولوجية في كل منطقة. وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد مدينة غزة في جزيرة العرب في بلاد بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم، وقد نسب الأخطل الشاعر المشهور الوحش إلى غزة الموجودة في جزيرة العرب... وهناك

أيضا (نخل مُصر nahal musur) ويعني باللغة الأكدية (وادي مُصر)... علاوة على ذلك فقد قرر د.فاضل الربيعي أن أحد تلك الأسماء المتشابهة لـ مصر المذكورة في النقوش الآشورية يشير إلى قبيلة مُضر العربية من حيث أن حرف الضاد غير موجود في اللغة الآشورية والعبرية وغيرها من لغات المنطقة (فالعربية وحدها هي لغة الضاد) وغالبا ما يُنطق فيها على أنه "حرف الصاد".

هذه هي أسس المنهجية التي اتبعها الأساتذة الأوائل في كشف مصدر التوراة القادم من جزيرة العرب، لكننا هنا لن نكتفي بهذه المنهجية، بل سنحاول استكشاف أدلة أخرى لبراءة بلادنا وادي النيل من أحداث التوراة ومن أسماء قبيحة وردت بالقرآن والإنجيل والتوراة مثل فرعون وهامان وقارون، وهي بالطبع تحتاج إلى منهجية مختلفة، سنعتمد فيها على الأدوات العلمية والفكرية وعلى تحليل النصوص القرآنية والتوراتية وعلى الجغرافيا الجبتية الحالية والقديمة، والمقارنة مع جغرافيا منطقة جنوب غرب السعودية، فلا يكفي إثبات أن جغرافيا جزيرة العرب هي الملائمة لوقوع أحداث التوراة واحتضان شعب إسرائيل، إنما الجغرافيا الجبتية ذاتها تنفر بطبيعتها من بني إسرائيل وتاريخهم بحكم طبيعة الجغرافيا والمناطق والقرى والأسماء وإمكانية الحركة فيما بينها وطبيعة سكان المنطقة ولغتهم والمسميات التي يطلقونها على تضاريس المنطقة، كل ذلك يثبت أنه لا مكان لأحداث التوراة في بلادنا وادي النيل.

فاليهود يحاولون تسكين وتوطين أفكارهم في المخيلة الجبتية عبر الزمن حتى لا تستغربه الأجيال القادمة فيما بعد إذا حاولت إسرائيل أن تبني إمبراطورية من النيل إلى الفرات، فيكون حال الجبتيين أقرب للتسليم بالأمر خاصة أنهم تطبعوا على روايات الوجود اليهودي في إيجبت بعد أن نجحوا في تسميتها مصر وفي ظل مَظلمة يهودية مقابل جبروت مصري منبوذ من وجهة النظر الدينية وحتى الإسلامية؛ لأن غرس وتوطين حكاية موسى في إيجبت واليم في نهر النيل وفرعون الحاكم، غرضها الوحيد قتل الانتماء للوطن وإضعاف الارتباط بالنهر ـ دون وعي ـ وإفراغ نوبات الغضب على كل حاكم جبتي جلس على كرسي كان يتربع عليه فرعون موسى، فقد صارت القصة أنموذجا عاما لإيجبت وحاكمها ونيلها... خدمة للمخطط اليهودي..

وربما لا تبتعد كثيرا عن حكاية الهيكل المزعوم الذي استطاعت إسرائيل إقناع حكومات العالم بأحقيتها في فلسطين للبحث عن أطلال هذا الهيكل. فمن خلال هذه الحكاية الخيالية استطاع اليهود بناء دولة كاملة ! ولذلك فإن كان حلمهم بإقامة إمبراطورية من النيل إلى الفرات في

نظرنا أقرب إلى الخيال، لكن هذا الخيال إذا عاش ألفي عام قادمة، فإنه حتما سيتحول إلى حقيقة، أو جزء من حقيقة على الأقل، لأن دولة إسرائيل الحالية وهي عضو معترف به في الأمم المتحدة، كانت منذ مائة عام حلما خياليا يراود عقول اليهود فسعوا عليه وجعلوه حقيقة !

فاليهود لا يوظفون الجنود والمقاتلين في احتلال أوطان الشعوب واستنزاف ثرواتها، لأن اليهود أقلية ولا تقدر على فعل ذلك، ولا تستطيع إمكاناتها المادية تحقيق طموحاتها الكبيرة جدا في احتلال إمبراطوريات عظمى، لأنهم في هذه الحال سيبدون كما النملة التي تحاول افتراس أسد، ولذلك يلجأون إلى طريقة عمل أخرى مختلفة تماما، تعتمد على حث الأسد نفسه على أكل السم الذي أعدته النملة ببراعة، ومن هنا تبدأ العمل. وكما قلنا أن اليهود لا يوظفون جحافل الجنود والمقاتلين لتحقيق أحلامهم بل يوظفون ذكاءهم في التخطيط والتدبير لحيل توصلهم إلى غايتهم بيد الضحية نفسها !

نذكر هنا نظرية طرحها علماء البيولوجيا، وما زال الاستغراب قائما حولها، وهي ترتكز على فيروس يصيب الفئران، فيجعل الفأر يهرع بإرادته نحو القط ! إذ أنه أصابه شعور بالحنين والألفة تجاه القط ومفرزاته ومخلفاته ! فلجأ إليه، ولا يستطيع وعيه وعقله إبعاده عن هذه الحميمية التي شعر بها تجاه القط بعد أن صارت نوعا من الإدمان، بل يُفاجأ بنفسه فقط وهو داخل بلعوم القط، وفي طريقه إلى المعدة.

ويسمى هذا الفطر أو الطفيل "صائد الفئران" Toxoplasma gondii ـ أو المقوسة العنقودية بالعربية، وهو كائن طفيلي مجهري يستطيع أن يعيش في خلايا الفقاريات والثدييات والطيور، لكنه يكمل دورة حياته في القطط بشكل خاص، ويساعدها على افتراس الفئران من خلال ظاهرة غريبة تحظى باهتمام خاص من قبل العلماء، إذ إن هذا الطفيلي ينتقل للفئران فيؤثر على أدمغتها هرمونيا، ويغيّر من سلوكها، بحيث تصبح أكثر شجاعة وأقل نفورا من روائح القطط (وبالذات روائح بول القطط)، لتقع في النهاية فريسة سهلة. ربما يكون هذا هو أشهر اقتران بين مفترس وفريسته..

وهو ذات النوع من الاقتران العجيب الذي حدث بين المسلمين واليهود، فما زال المسلمون إلى اليوم وعبر قرون طويلة يطوفون حول بول اليهود ويتغنون به ليل نهار.. أما أول هذه المخلفات اليهودية

فكان خدعة المسجد الأقصى، وخدعة الإسراء والمعراج، فهذه حكايات وأساطير ألفها اليهود لاستعمالها كأدوات حربية لمحاربة الشعوب بها بدلا عن السلاح الذي يفتقدونه، وغرسوها في التراث الإسلامي ليجعلوا المسلمين بذلك يطوفون حول مخلفاتهم فيقعوا فريسة كما يقع الفأر للقط..

.. إنني كنت أتشكك يوما ما في قدراتي العقلية بسبب تشككي في أمور تبدوا ثابتة وراسخة بقوة الفهم التقليدي للمعاني القرآنية.. وأيضا بقوة ثقتي في علماء التفسير والتاريخ المتخصصين.. لكننا ما لبثنا أن اكتشفنا أنهم كتبوا الدين والتاريخ من خلال منظور توراتي بحت.. خاصة الجيل الأول من المؤرخين أمثال الطبري والمقريزي والبلاذري الذين وضعوا نواة التاريخ العربي في بلادنا وادي النيل. فقد غرسوا في بلادنا بذور تاريخية عربية يهودية فاسدة دون أن يدركوا فسادها.. وأصبح من الصعب التشكيك في حقائقهم لأن تفسيرات القرآن تساندت عليها؛ ولأن المشكك في تلك الحقائق سيبدو كالمشكك في النص القرآني ذاته لا في تفسيراته التوراتية...

فأبسط الأمور التي صارت أكثر ثباتا ورسوخا هي حكايات المسجد الأقصى والإسراء والمعراج في القدس فلسطين، وحكايات موسى وفرعون وبني إسرائيل في إيجبت، فهي قد انتقلت إلى الإسلام من باب الإسرائيليات، أي لا يوجد مصدر يخبرنا أن بلادنا وادي النيل هي تلك مصر التي وردت في القرآن سوى الإسرائيليات، ولا تقول أن عقلك يخبرك بأن مصر هي مصر القرآن، لأن عقلك هذا ببساطة لم يكن موجودا وقت أن أطلق اليهود على بلادنا اسم "مصر" بعد نزول القرآن بعشرين عاما على الأقل، وهذا ما يعني أنه وقت نزول القرآن كانت بلادنا وادي النيل اسمها " إيجبت ". وبعدما دخل العرب بلادنا توارت لغتنا الأصلية وتوارت علومها، وتوارى الاسم الوطني المحلي "كميت " وحل محله اسما جديدا جاء على أكتاف العرب هو "مصر" وصار اسما وطنيا ومحليا بدلا من كميت، وبقي الاسم الرسمي "إيجبت " على وضعه حتى الآن.

لكن الأمر ليس بهذه السهولة، إنما كانت هناك صولات وجولات رهيبة خلال عملية غرس هذا الاسم وتغيير كميت على يد اليهود بلسان العرب، وقد تعرضنا لهذه الجولات في الجزء الأول من هذا الكتاب. وفي الجزء الثالث منه نتعرض لعمق الفكر الذي جاء متعلقا بأذيال الاسم الوافد "مصر"، ونوعية الأفكار التي تم غرسها في هذا البلد على الهامش، ونوعية الفكر والغاية من هذا وذاك... ولم يكن الأمر محصورا على أرض وشعب وادي النيل الذين تعرضوا لهذه النصبابية، إنما كل شعوب المنطقة تعرضت للغش والخداع والنصب على مدار ألفي عام وأكثر، وما زالوا يعانون من ويلات هذا

الغش والخداع، وما زالت عملية التشخيص في طورها الأول.. عدا العرب، فهم أكثر من تعرض للغش والخداع والنصب من قبل أبناء عمومتهم اليهود، لكنهم غير متضررين منه بأي حال! حتى ولو كان الغش في دينهم، وما زالوا يدافعون عن أبناء عمومتهم بصلابة واستماتة. فقد تم إعادة صياغة التاريخ والتراث العربي والإسلامي بعيون توراتية حتى القاع، لكن العرب لا يشغلون أنفسهم لا بالدين ولا بالتاريخ ولا بالجغرافيا... ونتيجة لذلك تحولت مقدسات اليهود إلى مقدسات عربية ثم مقدسات دينية إسلامية استخدمها اليهود ضد المسلمين ـ غير العرب ـ مثل الأقباط والفلسطينيين والعراقيين، وساعدهم العرب في ذلك. وكان هذا هو الدافع لإجراء هذا البحث. ونختصر النتائج التي توصل إليها هذا البحث في النقاط التالية:

1- جمهورية مصر العربية الحالية ليست هي مصر الواردة في القرآن إبان أحداث موسى وفرعون، إنما ما ورد ذكره في القرآن هي قرية أو إمارة عربية في جنوب الجزيرة العربية، كان اسمها " مصر". في الوقت الذي كانت بلادنا وادي النيل اسمها " إيجبت" لكن اليهود اختاروا لنا اسم بلادنا ليصبح " مصر" ويحمل تاريخ البلدة العربية البائدة جنوب غرب الجزيرة !
2- النبي إبراهيم لم يكن له أي صلة بالعراق أو فلسطين أو بلادنا وادي النيل، بل تمت قصته كاملة في جنوب ووسط الجزيرة العربية.
3- السيدة هاجر التي اشتراها إبراهيم (ع) جارية له، لم تكن قبطية من بلادنا وادي النيل، إنما كانت من مصرايم العربية وتحديدا من عشيرة العماليق المنتشرة في هذه المنطقة.
4- يوسف (ع) لم يدخل إيجبت وادي النيل، وإنما دخل مصرايم العربية. ولم يدخل بني إسرائيل بلادنا وادي النيل ولم يروها في حياتهم.
5- اليم الذي ورد ذكره في القرآن وألقت فيه أم موسى طفلها وضربه النبي موسى فانشق ليس هو نهر النيل، ولا هو البحر الأحمر، بل هو منخفض مائي في وادي بيشة على أطراف مملكة مصر العربية القديمة في جبال السراة.
6- فلسطين الحالية ليست هي فلسطين الواردة في التوراة، ولم تشهد أي حدث من الأحداث التوارتية وهذا ما يؤكده الفشل الذريع للآن في اكتشاف أي أثر مهما كان بسيطا يدل على وقوع تلك الأحداث في فلسطين الحالية.

7- المسجد الأقصى الحالي ليس هو المسجد الأقصى المذكور في القرآن ولم يكن في الحقيقة سوى مقلب للنفايات في العصور الأقدم، وإنما المسجد الأقصى الحقيقي يقع في الوادي المقدس طوى بمكة المكرمة في منطقة العدوى القصوى المذكورة في القرآن وتبعد 25 كلم تقريبا عن مكة المكرمة ضمن نطاق الوادي المقدس طوى.

8- النبي محمد ليس هو نبي الإسراء، ولم يتحرك على ظهر البراق من البيت الحرام إلى مسجد أقصى في فلسطين، وإنما موسى عليه السلام هو الذي أسرى به ليلا مشيا على قدميه من المسجد الحرام إلى الوادي المقدس طوى كي يكلمه الله ويكلفه بالرسالة، في الموقع الذي يقع فيه الآن المسجد الأقصى بالعدوة القصوى بالجعرانة.

9- مقدسات المسلمين في فلسطين والمسجد الأقصى الحالي ما هي إلا خدعة يهودية وأوهام بنيت على أساس أن فلسطين هي ميدان أحداث التوراة. وأن مشروع المسجد الأقصى الفلسطيني هذا ما كان إلا محاولة من اليهود لتركيع المسلمين لعقيدة التوراة المحرفة كمساعدة لليهود للوصول لأهدافهم السياسية.

10- بني إسرائيل المذكورين في القرآن ما هم إلا فسيلة عربية من القبائل العربية البائدة، واللغة العبرية ما هي إلا إحدى اللهجات السامية" لغة النبي إبراهيم".

11- الملك داوود والملك سليمان ومعجزاتهم الخالدة وكذلك حروب داوود وطالوت وجالوت المذكورة في القرآن الكريم لم يكن ميدانها فلسطين بل كانت في جنوب غرب الجزيرة العربية ومكة "الأرض المقدسة".

12- معجزة الإسراء والمعراج النبوي ما هي إلا خدعة يهودية للسيطرة على أرض فلسطين. وهي إساءة مباشرة للنبي محمد وإنكار وجحود مباشر للقرآن.

13- هذه الحقائق ناقشها وتمكن من تقديم بعض الأدلة عليها بعض المؤرخين الجدد مثل كمال الصليبي وزياد منى وفاضل الربيعي والقشاش وغيرهم من علماء التوراة في الغرب ونالت هذه الأطروحات هجوما عنيفا وتعتيما إعلاميا دوليا شاملا لدرجة أن أوروبا كلها رفضت نشر كتاب

كمال الصليبي ولم تنشره سوى دير اشبيجل الألمانية. وهذه رؤوس أقلام نضعها للباحثين علهم يستعينوا بها في كتاباتهم.

المؤلف

الإسكندرية في 2019

الإضاءة السابعة عشر

موطن الأنبياء في الحجاز

1- مقام إبراهيم

بداية، نؤكد على أن أرض الحجاز (مكة وما حولها) هي مهبط جميع الديانات الإبراهيمية على وجه الأرض، لأن هذه المنطقة هي بؤرة الفساد العقائدي والفكري والأخلاقي، فالأنبياء والرسل هم أطباء للعلاج السلوكي والعقائدي، ويرسلهم الله إلى الأقوام بلسانهم حسب حالة كل مريض ونوعية مرضه لعلاجه. حتى أن الله تعالى حينما يتحدث عنهم يجمعهم في عائلة واحدة مقترنة ومتجاورة، فيقول تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿12﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿13﴾ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿14﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾15/ص.

لاحظ أن الله جمع الأحزاب الفاجرة بين قوسين في آية واحدة وهم شعب واحد منقسم إلى عشائر وأحزاب؛ (قوم نوح وقوم عاد وقوم فرعون وثمود قوم صالح وقوم لوط) وجميعهم عشائر عربية تسكن الجزيرة العربية، ومعروف أن الآرامية يتفرع عنها عربية وعبرية وسريانية وحميرية وسبئية ونبطية..إلخ. لكننا نلفت النظر إلى التناسق في جمع هذه الأقوام في قوس (الأحزاب) أي العشائر المتماثلة في إقليم جغرافي محدد يمكن أن تحصدهم صيحة واحدة، وهو ما يقتضي مبدئيا استبعاد إمبراطورية وادي النيل التي كان اسمها " كِميت " في هذا الوقت، وكذا استبعاد الإمبراطورية العراقية من هذا القوس، وكذلك الإمبراطورية الهندية؛ لأن هذه شعوب مدنية وليست عشائر وقبائل ليمكن وصفهم بأنهم أحزاب. ولم تكن درجة الفجور عند هذه الأقوام من العرب لها حدود على الإطلاق، فقد تبجحوا على الله، إذ أنهم يعرفون الحق ويجحدونه، ويأمرون بطرد نبي الله من بلدهم لمجرد كونه يتطهر ! ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ، وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ <u>مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ</u>، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ، وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ <u>قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ</u>، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ، وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾85/الأعراف

ويقول تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ﴾109/ يوسف. إن هذه الآية الشريفة تصرح بما لا يدع مجالا للتأويل أن كل المرسلين قبل محمد ﷺ كانوا من أهل القرى. والقرى هذه تقع في محيط قرية رئيسية عرفها الكتاب الكريم بـ(أم القرى)، فقال تعالى: ﴿وما كانَ ربُّكَ مُهلِكَ القرى حتى يبعثَ في أمِّها رسولا يتلو عليهم آياتِنا، وما كُنّا مُهلِكي القرى إلا وأهلها ظالِمون﴾59/ القصص.

وهناك آية أخرى تدلنا بوضوح أين تقع أم القرى المركزية ومن هو الرسول الذي بعثه الله فيها وما هو الكتاب الذي أنزل إليه ﴿وكذلِكَ أوحينا إليكَ قرآنا عربيًا لِتنذرَ أم القرى ومَنْ حولها وتنذرَ يومَ الجمعِ لا ريبَ فيهِ فريقٌ في الجنةِ وفريقٌ في السعيرِ﴾7/الشورى. وفي آية أخرى نقرأ خطابا منزلا على النبي الكريم ﴿وهذا كِتابٌ أنزلناه مُبارَكٌ مُصدِّقُ الذي بينَ يديهِ ولِتنذرَ أمَّ القرى ومَنْ حولها والذينَ يؤمنونَ بالآخرةِ يؤمنونَ بهِ وهمْ على صلاتِهم يحافِظون﴾92/ الأنعام. ومن أم القرى وما حولها من القرى تنطلق الرسالة العالمية إلى الجنس الإنساني قاطبة حول الكرة الأرضية، فقال تعالى ﴿قلْ يا أيُّها النّاسُ إني رسولُ اللهِ إليكُمْ جميعًا الذي لهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، لا إلهَ إلا هوَ يُحيي ويُميت فآمِنوا باللهِ ورسولِهِ النبيِّ الأميِّ الذي يؤمنُ باللهِ وكلماتِهِ واتّبعوه لعلّكُمْ تهتدون﴾158/الأعراف.

تدلنا مجمل الآيات أعلاه على أن مكة هي أم القرى التي بعث فيها محمد بن عبد الله ﷺ رسولا ليكون لها ولما حولها من القرى نذيرا وبلغتهم. فلابد إذن بنص الكتاب المنزل أن تكون مكة وبناتها المحيطات بها من القرى المجاورة منطلقا لكل المرسلين من الأولين والآخرين. وهي موطن بيت الله الحرام، ولا بيت سواه في المعمورة يأتيه الناس من كل فجٍ عميق. وكما ثبت لنا أن إبراهيم (ع) بعث في حوران النجدية التي تقع على مسافة نحو ٣٠٠ كيلومتر من مكة، فهي إذن قرية تابعة لمكة. فأين تقع قرى موسى وزكريا وعيسى ويحيى وداوود وأيوب وسليمان وذو الكفل وإدريس وهود وصالح وشعيب ونوح وآدم (ع).. إلخ إلى جانب كل نبي لم تقص علينا قصته؟ والإجابة أنهم كلهم بعثوا بنص القرآن في القرى وأمهم مكة، أي أن جميع المرسلين بعثوا في مكة وما حولها حصريا. ولا علاقة للقبط أو الشام أو روما أو العراق أو أي بلد آخر في الدنيا غير مكة والقرى المجاورة لها بمواقع التنزيل السماوي. فأين تقع قرية موسى (ع) في ضوء هذا الفهم الجديد القديم؟ ...

هناك مفهوم يعرفه المتخصصون جيدا وهو " المتلازمات اللفظية" Collocations وهو يعني أن تكون كلمة ما مرتبطة بمفهوم معين أو كلمتين مرتبطتين يأتيان في ذات السياق بمعنى محدد، وإذا انفصلتا عن بعضهما يصبح لكل كلمة منهما معنى في غير محله. فكلمة الإسرائيليين منذ ظهورها في المدونات التاريخية تأتي قرينة بشعب اليهود من سلالة إسحاق ابن إبراهيم، وبالتالي لا معنى ولا منطق في إطلاق كلمة إسرائيليين في مجال بعيد عن هذه السلالة، حتى وإن كانوا يهود، لأن تعبير الإسرائيليين هو تعبير عنصري يعتمد على النسب والسلالة العرقية، ويعادل في مضمونه؛ الإسماعليين والقرشيين ..إلخ. وكلمة العبرانيين والعبريين واللغة العبرية، وجميع هذه المفاهيم مرتبطة ارتباط حتمي بشعب معين ذات خصائص ديمجرافية محددة تتعلق بملامح اجتماعية وجغرافية وثقافية، ولا يجوز فصلها عنهم وإن تم فصلها فقدت معناها الاصطلاحي. وهذا شيء لا خلاف عليه.

لكنه في ذات الوقت يدفعنا إلى التساؤل بداهة إذا كان إبراهيم (ع) قد نشأ وترعرع في بلاد العراق، وانتقل منها إلى تركيا بصحبة والده ثم انتقل إلى الشام، ثم إلى وادي النيل..إلخ كما تزعم الأسطورة التوراتية، ولم يدخل جزيرة العرب، فلماذا لحقت به وأولاده من سلالة إسحاق كلمة " العبرانيين" ولماذا لحق ذات الوصف بشعوب أخرى من غير السلالة الإسرائيلية وتقع جميعها في جنوب غرب الجزيرة؟، ولماذا لحق بأولاده من سلالة إسماعيل وصف " العرب" وهو إقلاب لكلمة عبَر، برغم أن الكلمتين منشأهما اللغوي والاصطلاحي واحد " عبر وعرب " فقط بينهما إقلاب في حرف وهو شائع ومشهور جدا في اللغات الآرامية مثل كلمة " زواج" و" جواز " التي نعرفها بالعامية، وأصلهما واحد ودلالتهما واحدة حرفيا برغم إقلاب الحروف. وهكذا كلمة عبرانيين وعرب، منشأهما واحد، حدث تاريخي جغرافي واحد، فهل من المنطق القول بأن العبرانيين سلالة بشرية نشأت في العراق وانتقلت إلى الشام، بينما العرب سلالة بشرية نشأت في صحراء مكة بصورة مستقلة ؟!..

فقد خلص الباحث السعودي لؤي الشريف إلى أن اللغة العربية لهجة من لهجات الآرامية، وقال: إن من نطق باللغة العربية الحالية هو "اشمايل" أو النبي إسماعيل...وأن إسماعيل كان عبرانيا وليس عربيا، ولذلك تسمى ذريته العرب المستعربة بعد أن تزوج منهم، وجاء اسمه من دمج كلمتين "اشما ـ ايل" اللتين تعنيان "سمع الله"، وهو الذي كان يتكلم الآرامية القديمة ومن هنا بدأ الموضوع. وعندما

عاش في جزيرة العرب أصبح هناك ما يمكن تسميته لهجة جديدة وهي في الحقيقة اللغة العربية اليوم [1] . فإذا توصلنا إلى هذا الاتفاق فإن البقية كلها سيكون من السهل شرحها وفهمها.

إن هذا الفصل والعزل التاريخي لمفهوم الكلمة هو محض هراء غرسه اليهود في عقول العرب واستسلم العرب مثل الشاة لأنهم عقلية أدبية وليست علمية ولا تعرف التحقيق والتدقيق العلمي ولا تعرف التدين، فاستسلموا للروايات التي ساقها إليهم اليهود. ثم أن اللغة العربية واللغة العبرية صنوان شقيقتان متفقتان في اللفظ والمعنى ولا خلاف بينهما سوى في نطق بعض الحروف لأنهما في الأصل لهجتان متفرعتان عن لغة واحدة، أو بالأحرى هما لهجة واحدة تطورت، فكيف نصدق أن العبرية نشأت في أقصى الشمال بالعراق وتركيا والشام، بينما نشأت اللغة العربية في صحراء الحجاز جنوبا.. وفي النهاية تكون اللغتان شقيقتان توأم متماثل ! ألا يعني ذلك أنه كان بينهما ارتباط والتصاق يوما ما؟! فاللغة العربية والعبرية والسريانية جميعهم مشتقات من عائلة لغوية واحدة من اللغة الأم وهي الآرامية، حتى أن الأبجدية العبرية تشترك مع العربية في 22 حرفا وتنفرد الأبجدية العربية بستة أحرف إضافية. وهناك جذور لغوية كثيرة مشتركة بين العبرية والعربية ودون تغيير في الأحرف في بعض الأحيان ومع تحول في الأحرف في أحيان أخرى. وهناك ظاهرة مشهودة كثيرا وهي القلب اللساني الاستبدال؛ أي قلب الأحرف في الجذر المشترك بين لغة وأخرى، وكذلك بين لهجة وأخرى في اللغة الواحدة.

فإذا كان إبراهيم قد نشأ في العراق، فهذا يعني أن لغته الأصل هي الكلدانية المسمارية ولا صلة له بالعرب وإذا انتقل إلى الشام وتغيرت لغته فتكون الفينيقية لغة أهل الشام ولا صلة له بعرب الحجاز، فكيف تنشأ لغته ولغة أحفاده شقيقة للغة العرب في الحجاز؟! ثم إذا كان إبراهيم وأبناءه قد عاشوا في فلسطين فلماذا لم يتحدث لغة الفلسطينيين أو لغة أصوله الكلدانية المسمارية؟ لماذا يستقل بلغة بمفرده بين الفلسطينيين؟! وكيف كان يتحدث معهم؟

ألا يعني ذلك أن عشيرة إبراهيم وأبناءه كانت منفصلة وعاشت كعشيرة مستقلة تفرعت عنها سلالة إسحاق العبرانية وسلالة إسماعيل التي انضمت للعرب؟ ألا يعني ذلك أن منشأ هذا التوئم اللساني

1 ـ الباحث السعودي، لؤي الشريف، مقال بعنوان:" باحث سعودي: 85 بالمائة من لغة القرآن أصلها سرياني" منشور في موقع مجلة "سبوتنيك عربي"بتاريخ 26/1/2017 على الرابط التالي: https://sptnkne.ws/dvTh

يعود إلى أصل واحد هو العابر ؟! أم أنهم يقولون بأن العربية ولدت يتيمة بلا أب ولا أم في سيناء الجبتية ثم انتقلت إلى مكة! ويقولون بأن اللغة العبرية ولدت يتيمة بلا أب ولا أم في فلسطين السريانية الفينيقية! هذا بغض النظر عن التوأمة التي ما زالت ماثلة في الصفات الوراثية بين اليهود والعرب خاصة الخشم المنقاري وملامح الوجه وغيرها من الصفات الوراثية التي تثبت أنهما شقيقتان توئم في الصفات الوراثية وليس فقط اللسان واللغة. بل إن الباحث السعودي الدكتور أحمد سعيد القشاش قد تثبت من أن أصول الإسرائيليين من حيث العرق والصفات الوراثية (تحليل الحمض النووي) ومن حيث الخصائص اللسانية والاجتماعية يشتركون في كثير من الملامح مع مجتمعات جبال السراة وتهامة القاطنة جنوب غرب الجزيرة العربية وحتى اليوم، إضافة إلى التوأمة اللسانية مع هذه المجتمعات وانفصالها الكلي عن الفينيفيين والعراقيين. ما يعني أن إبراهيم (ع) ابن جبال تهامة والسراة جنوب مكة، وليس عراقيا بأي حال، لأن لغته ليست وليدة اختلاط اللغة البابلية القديمة بلغة أهل الشام.

بل إن لدينا رؤية تاريخية تثبت هذا، فالمؤرخون الذين كتبوا باللغة العربية ذكروا أن "... جميع كتابات الأمم إثنا عشر؛ العربية والحميرية واليونانية والفارسية والرومية والسريانية والقبطية والبربرية والأندلسية والهندية والصينية والعبرانية" [1].

وفي ذات الصفحة نقرأ: " قالَ ابن خلكان: روى ابن الكلبيّ ، والهيثم بن عديّ أنّ الناقل للكتابة العربية مِن الحيرة إلى الحجاز حرْب بن أميَّة، فقيل لأبي سفيان: ممّن أخذ أبوك الكتابة ؟ فقال: مِن ابن سدرة. وأخبره أنه أخذها مِن واضعها مرامر بن مرّة. قال: وكان لحِميَر كتابة تسمَّى المسند، وحروفها متصلة. وكانوا يمنعون العامة تعلمها. فلمّا جاء الإسلام لم يكن بجميع اليمن مَن يقرأ ويكتب. قلت: وهذا فيه نظرٌ، فإنّ اليمن كَانَ بها خلقٌ مِن أهل الكتاب يكتبون بالقلم بالعِبْرانيّ." ... إذن القلم العبراني موجود في اليمن منذ البداية، ولا أثر له في الشام إطلاقا، فكيف يمكن القول أنه نشأ في الشام؟ وكيف يمكن القول أنه نشأ من الخط المسماري مع الخط الفينيقي السوري، إذ هو نابت في اليمن من ذات البؤرة التي نبت فيها الخط العربي، والاثنان يتفقان في أغلبية الحروف أيضا إلا "ستة" تميز بهم الخط العربي.

[1] ـ تاريخ الإسلام للذهبي » الطبقة الثانية والأربعون ص 40 رابط:
https://library.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?indexstartno=0&hflag=&pid=480263&bk_no=936&startno=39

الدكتور كمال الصليبي أضاع ما تبقى من عمره في البحث الجغرافي واللغوي عن أصل وجذر اليهود ومهبط التوراة ليثبت أنها جاءت من بلاد العرب وليس في الشام، ألا يغني عن ذلك العنت والعناء أن يجري بحثا استقصائيا لتحليل الحمض النووي ليتأكد أن الصفات الوراثية الجينية للعرب هي ذاتها الصفات الوراثية الجينية لليهود الإسرائيليين ؟! فالشاميون الفلسطينيون وسكان سوريا جميعهم من أصول سريانية آرامية وفينيقية وملامحهم وصفاتهم الوراثية تثبت ذلك وهي مختلفة عن العرب ذوي الوجه الأسود والأنف الأفطس المنقاري، هذه الصفات الوراثية لليهود والعرب متحدة وهي مختلفة تماما عن العرق الشامي السرياني الفنيقي، فلماذا نتعب أنفسنا في البحث حول الجغرافيا واللغة والتاريخ ولدينا مصفاة الحمض النووي التي بإمكانها أن تكشف لنا الجذور والبذور والفروع والسيقان ؟!

وطبقا لما ذكرناه سابقا من أن العرب لم يكونوا أمة علم وتدوين، بل أمة بدوية نشاطها الترحال وثقافتها شفوية أدبية، ولم يكن لديهم ما يمكن تسميته بـ كوادر علمية أو فكرية أو مكتبات أو غير ذلك من أبسط أدوات العلم، وكانت عباداتهم عشوائية فوضوية بعضها وثني وبعضها بدون وبعضها ملحد وزنديق، وهناك فئات مسيحية ويهودية لكنهم أيضا عرب، أي كانت ثقافتهم الدينية محصورة في نطاق الرواية الشفوية غير المنضبطة علميا... بينما اليهود وكان مركزهم في جبال تهامة والسراة حتى اليمن يتحدثون اللغة العبرية والسريانية، وكانوا بالفعل أمة تدوين، خاصة في مسائل تخص التاريخ الديني لهم حتى وإن كانوا في الأصل عشيرة رعوية غير مستقرة وليس لديها من سمات ومقومات الحضارة لكنهم قدسوا التدوين مذ أن عرفوه .. ولما كان اليهود أمة الأنبياء بالنظر إلى أنهم أفسق الشعوب وأفسدها عقائديا، وكان الله يرسل رسله وأنبياءه حسب الحالة لعلاج الأمراض العقائدية في هذه الأمة، ولهذا ظهر فيهم أكثر من 52 نبي وأربع رسل، وتقريبا كان الأنبياء متواصلين كل منهم يسلم الراية لمن بعده لأن بني إسرائيل ما كان لهم أن يعيشوا بدون نبي وسطهم، حتى أن نبي الله موسى بعدما علمهم الإيمان والعبادة والصلاة لله الواحد وتركهم وصعد الجبل أربعين يوما وترك معهم أخاه هارون وصيا عليهم، عاد فوجدهم يعبدون العجل من دون الله !

ولما كان اليهود قد زوروا التوراة بنص كلام الله في القرآن وحرفوا الكلام عن مواضعه، فليس من المقبول أن نصدقهم إذا قالوا لنا بأن إبراهيم (ع) وُلد بالعراق وانتقل إلى الشام، وذلك ببساطة لأن القرآن قال بأن إبراهيم هو من بنى بيت الله الحرام، وقد أنكرت التوراة ذلك، فإذا كانوا قد كذبوا في أكبر معلم من معالم حياة النبي إبراهيم وهو بناء البيت الحرام، فهل نصدقهم فيما هو أدنى من ذلك ! ونحن جميعا نعلم بأن

بئر زمزم إسماعيل (ع) تقع قرب الكعبة، لكن التوراة تنكر ذلك وتقول بأنه بئر سبع في فلسطين، فهل نصدقهم في حكاية ميلاد إبراهيم في العراق وانتقاله إلى الشام؟ واليهود ينكرون أن يكون نبي الله إسماعيل هو الذبيح ويصرون على أنه إسحاق، برغم أن القرآن أوضح أنه إسماعيل، فهل نترك الحق ونتبع اليهود ! ونحن نعلم بأن واقعة الذبح والفداء كانت في جبل المروة، بينما التوراة تقول أنها في جبل مُرياح وتنكر أن يكون ذلك في مكة ! ولو صدقنا اليهود في أن جبل مورياح هو المكان الذي كان فيه فداء إسحاق حسب الرواية التوراتية، فإننا لن نعثر على مثل ذاك الجبل، داخل أو خارج مدينة القدس، بل إنه لا وجود لمثل ذلك الجبل في كل أنحاء فلسطين.

بعد أن قام فريق "السبعونية" بتشويش نقطة البداية عندما نقلوا موقع ولادة إبراهيم من مكة وتخومها إلى العراق، وتحديدا من وادي حوران النجدية إلى مدينة أور العراقية، ورحل اسم نبي الله إبراهيم في أذهان وثقافة العالم إلى محطته التالية وهي سورية. فنقرأ المقطع التالي من التوراة:" وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ، ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ. وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارَحَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ. وَمَاتَ تَارَحُ فِي حَارَانَ."(تكوين11: 30-32) وهنا نرى مدى التشابه اللفظي بين حوران النجدية وحاران المفترضة في سورية أو في تركيا أو فوق السحاب. وهذا التشابه اللفظي لم يأتِ من عدم وإنما أسقط اسم الموقع على غيره تيمنا أو عمدا. غير أن حران العربية النجدية قد حرفها مزورو التوراة بتمويع لفظها فقط بحرف من الكلمة كالمعتاد. فقد جعل اليهود خط سير النبي إبراهيم يبدأ من العراق البابلية إلى شمال سوريا التركية حيث محطة حاران، ثم جنوبا إلى فلسطين حيث مدينة الخليل، وهكذا تشكيلة سياحية مختلفة الألوان واللهجات واللغات بينما التوراة تقول صراحة عن النطاق الجغرافي لحركة إبراهيم وتنقلاته:" وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً "(تكوين11:1).

ويخبرنا الإخباريون العرب أن كاهن الإسرائيليين الذي عبر إلى الحجاز، اخترق منطقة جبال عسير قادما من جهة اليمن إلى منطقة الحجاز واستقر حول مكة المكرمة. وفي عُرف العرب، يدعى من يعبر حاجزا طبيعيا (جبال أو سهول أو وديان أو صحارى).. يسمى (العابر)، مفردة قد تكشف عن الأصل اللغوي للتسمية التي أطلقت على إبراهيم وعشيرته: العبرانيين، حيث غادر إبراهيم موطنه الأصلي جنوب غرب الجزيرة العربية حيث وقعت أحداث مطاردة النمرود له ومحاولة حرقه بعدما كسر أصنام قومه

جذاذا إلا كبيرهم، لكننا إلى الآن لا نعرف تحديدا أين كان هذا الحدث، فنذهب إلى المقريزي حيث يقول:

" النيروز: هو أول السنة القبطية بمصر، وهو أول يوم من توت، وسنتهم فيه إشعال النيران، والتراش بالماء، وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا. قال ابن وهب: بردت النار في الليلة التي ألقي فيها إبراهيم، وفي صبيحتها على الأرض كلها، فلم ينتفع بها أحد في الدنيا تلك الليلة، وذلك الصباح، فمن أجل ذلك بات الناس على النار في تلك الليلة التي رمي فيها إبراهيم (ع)، ووثبوا عليها، وتبخروا بها، وسموا تلك الليلة: نيروزا، والنيروز في اللسان السرياني: العيد. وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا، فقال: إنه أول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة، فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف، والهدايا، فاتخذته الأعاجم سنة " [1].. وهذا ما يعني بجلاء أن موطن إبراهيم كان في بلاد تتحدث السريانية وليس البابلية الأكادية العراقية.

وبعد هذا الحدث عبر إبراهيم منطقة جبال عسير إلى الحجاز. أما قصة ميلاد إبراهيم في مدينة أور في بلاد العراق ثم انتقاله إلى حاران بجنوب تركيا ثم إلى مدينة الخليل بفلسطين حيث قبره المزعوم الآن، فهي ليست سوى أساطير وكذب أشاعه اليهود لأنهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد يحاولون جاهدين طمس التاريخ الحقيقي لهم ومسح وطنهم الأصلي من الذاكرة العالمية لأنهم كرهوه ولعنوه بسبب الأحداث المؤسفة التي وقعت لهم فيه، ولم يكن آخرها أحداث السبي البابلي، حيث كان الملك البابلي قد هجم عليهم واكتسح بلدانهم ودمرها وأخذهم سبايا إلى بلاده. ثم هناك في السبي أعجبهم الجو والمناخ والحدائق المعلقة، فقرروا تغيير محل إقامة جدهم إبراهيم الذي مر عليه ألف وخمسمائة عام!

وعند البحث عن مناطق أخرى تحمل اسم حوران غير تلك التي بتركيا، نجد في الذاكرة التاريخية بعض آثار متناثرة، فينقل لنا الزبيدي قوله "(حوران) بالفتح (كورة) عظيمة (بدمشق) وقصبتها بصرى ومنها تحصل غلات أهلها وطعامهم وقد نسب إليها إبراهيم بن أيوب الشامي وأبو الطيب محمد بن حميد بن سليمان وغيرهما (و) حوران (ماء بنجد) بين اليمامة ومكة (و) حوران (بادية السماوة) قريب من هيت وهو خراب" [2]. وقد توصل بالفعل مجموعة من الباحثين [1] إلى أن هناك

---

[1])ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (1/335)

[2] ـ الزبيدي، تاج العروس، ج٣ ،ص١٦٣ ـ ٢٧٤

حوران قرب مكة وهي منطقة صغيرة تدعى اليوم بوادي حوران وتقع على حدود نجد الغربية بمحاذاة الحدود الشرقية لجبال السراة، حددوا موقعها بدقة بالغة من خلال عمليات المسح الطبوغرافي وتحديد الإحداثيات ودوائر العرض وخطوط الطول. وتبين أنها واقعة على الإحداثيات التالية: خط طول: ٤٢-٢٢-٠٤ ° شرقا ودائرة عرض ١٩-٤٦-٠١ ° شمالا . وبقياس المسافة بين وادي حوران نجد ومكة، وجد أنها تبلغ ٣٠٠كيلومتر تقريبا بين حوران حيث مسكن آباء إبراهيم الأصلي، وأما مكة فكانت معتزله ومكان إقامته لاحقا.

وما يميز حوران هذه أنها تقع على نهر كبير تسميه التوراة نهر الفرات، وعلى هذا أخذ الأمر على أن حاران الواقعة في شمال سوريا على نهر الفرات السوري هي المقصودة في النص التوراتي، وحيث استقر إبراهيم في حوران، فتقول التوراة أن الله وعده بأن يورثه أراضي وأوطان الشعوب المجاورة على امتداد آلاف الكيلومترات من وادي النيل جنوبا إلى نهر الفرات شمالا بالعراق، كما تقول التوراة: " فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ"(تكوين ١٥-18) والنهر الكبير هذا تم تعريفه في التوراة المزورة على أنه نهر الفرات المار حاليا بسوريا والعراق، وأما نهر مصر فتم تفسيره على أنه نهر النيل برغم أن نهر النيل أكبر بكثير جدا من نهر الفرات، غير أن اسمه نهر النيل وليس نهر مصر، والتوراة تحدثت في زمن كانت بلادنا وادي النيل اسمها كميت وتامري وإيجبت وليس "مصر" بأي حال، وكان النهر اسمه "أل نيل " ومعناها؛ النهر الأزرق المائي، أو النهر ذو اللون الأزرق المائي.

وقد تمّ ترتيب الوعد كما جاءت به التوراة خلف مقطع يسبقه يدل على أن إبراهيم (ع) وصل إلى حاران التي تقع قرب الفرات حين قطع له هذا الوعد، كي تبدو الصورة منطقية "وَقَالَ لَهُ»: أَنَا الرب الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكِلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا»"(تكوين ١٥-٧) ويعني ذلك أن نهر الفرات هو الذي عين أيّ حاران تقصدها التوراة وبذلك يمكن إدراج سورية إلى جانب العراق في وعد الرب لإبراهيم وابنه إسحاق ! لكن من خلال البحث أمكن الكشف عن نهر كبير آخر مغمور في وديان الجزيرة العربية واسمه أيضا الفرات أو الثراد وهو أكبر وأعظم من الفرات الموجود في سورية

[1] ـ قسم الدراسات والبحوث ـ جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية ـ كتاب نداء السراة؛ اختطاف جغرافيا الأنبياء. (راجع ص 262 إلى 268) والخرائط أرقام 29 و 30 رابط الكتاب: https://www.goodreads.com/book/show/17788799

والعراق وتركيا، بل إن اسم نهر الفرات العراقي ليس هو الأصل وإنما يحمل اسما منسوخا من الأصل على يد اليهود. فاليهود كونوا شبكة من العملاء لينتشروا في منطقة الشرق بأكملها لتبديل أسماء التضاريس واستبدالها بأسماء توراتية، وكما غيروا اسم إيجبت إلى "مصر" لكنهم لم يستطيعوا تغيير اسم النيل إلى "نهر مصر الكبير" فقاموا بتغيير نص التوراة نفسه!. أما نهر الفرات الأصلي النجداوي فيقع في بطن الجزيرة العربية وهو نهر جاف اليوم ولكن آثاره قائمة حتى الآن. ويمتد هذا النهر الأصلي قرب حوران النجدية أيضا. وبالقرب منه تقع قرية مصر التي يمر من أمامها جدول نهري هو "نهر مصر" الذي تحدثت عنه التوراة، وهذا القول ليس تكهنا ولا جزافا وإنما حقيقة كانت مغيبة عن وعينا.

وقد أشار الدكتور أحمد داوود إلى نهر الفرات هذا حيث يقول "وحينما هدد نمرود إبراهيم ـ حسب ما تقول التوراة ـ بالحرق، هرب إلى مركز العشيرة عند أبيه في" حاران" على وادي الفرات، الذي كان ينبع من بلاد غامد ويتجه شرقا ويرفد وادي كارا، ويرفد وادي كارا وادي طوى (وتلفظ طوي بالسريانية) [1] وهذا هو نهر الفرات الذي ذكرته التوراة قرب حوران موطن عشيرة إبراهيم، إذن علينا تنحية الخريطة التي رسمها اليهود لتحركات إبراهيم والبدء في كشف معالم وخيوط الخريطة الحقيقية بناءً على الحقائق المدهشة هذه، إذ تبين أن هناك حوران عربية أصلية وعتيقة غير حوران السورية المستنسخة، وأن هناك نهر الفرات الكبير الأصلي العربي غير نهر الفرات السوري...إلخ.

رحلة إبراهيم من (أوركسديم) عروق السديم إلى بيت إيل [2]:

وكان والد إبراهيم (ع) (تارح في التوراة –آزر في القرآن) هو واحد من هؤلاء الرحل من أبناء سروج، حيث استقر هو وإخوته إلى الشرق في تلك المنطقة أيضا في حقبة تاريخية معينة، فبعد أن ذهب أبو إبراهيم إلى العروق المعترضة في غرب عمان إلى جهة الخليج العربي إلى منطقة تسميها التوراة أوركسديم (عروق السديم) ـ ويسميها التوراتيون أوركلدن ـ و أصلها عروق الكدن ـ وهي المنطقة التي تسمى أيضا العروق المعترضة في الجانب الشرقي من جزيرة العرب وسكن فيها، ثم عاد برفقة والده

---

[1] ـ د. أحمد داود في كتابه : العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود:
https://www.goodreads.com/book/show/8103127

[2] ـ كلمة " أور" في العربية القديمة تعني ؛ مدينة، وكلمة "السديم" بالعربية تعني؛ الوادي. وعروق الوادي، فهي تفريعاته في منطقة جنوب الطائف إلى الشرق.

الذي اصطحبه هو وزوجته ساراي ولوط فاستقر إلى الجنوب من مكة المكرمة في منطقة تسميها التوراة (حران) ومعناها (الحران أو الحرات-الجبال البركانية الموجودة في وسط الجزيرة العربية) إلى جهة الحجاز فسكن فيها إبراهيم وأبوه وابن أخيه لوط قبل أن يأمره الله تعالى أن يرحل إلى بيت ايل (بيت الله)

ففي الواقع أن ميلاد إبراهيم كان في جزيرة العرب، وبعدما واجه عبادة الأصنام في قومه طرده أبوه آزر وحاول قومه وزعيمهم النمرود إحراقه في بلدته، فنجاه ربه ثم تركهم ونقل إقامته في منطقة ممرا شرق مكة واستقر هناك داعيا إلى الله ولم تطأ قدمه العراق ولا الشام ولا إيجبت، فحياته بكاملها كانت في البقعة الجغرافية بين الحجاز واليمن، إذ كان هو المشرف على العبادة والمكلف بأن يؤذن في الناس بالحج، فيقول ربنا جل وعلا: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ 27/الحج، فهل يعقل أن يأمره الله بالإشراف على البيت وتعميره والإشراف على شعائر الحج والعبادة وأن يؤذن في الناس بالحج بينما هو مقيم بفلسطين على مسافة 1500 كلم ! وإلا فكيف يكون مركز الدعوة الإبراهيمية في الشام، ثم يذهب ليبني مسجدا في صحراء مكة. فالتوراة مركزها الأصلي كان شبه الجزيرة وليس أرض الشام كما قيل تقليديا، وقد يبدو ذلك صادما للوهلة الأولى، بخلاف المعتقدات المتوارثة لدى الجميع. فمقام إبراهيم (ع) كان ببكة ولم يكن بالشام، فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا..﴾ 97/آل عمران...

يقول تعالى:﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾29/الحج... ويقول:﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾125/البقرة.

والمتأمل برفق في هذه الآيات سيتأكد أنها تتحدث عن حياة اجتماعية كاملة.. مجتمع كامل بمنافعه وعباداته وشعائره، وليس مجرد زيارات مكوكية لإبراهيم من الشام ثم العودة كما قال السلف أو كما تنكر التوراة أن يكون إبراهيم دخل مكة أصلا، بل إقامة كاملة قرب موقع العبادة في مكة ..! لأن الله تكلم عن إبراهيم والبيت الحرام في مكة، فهل تكون رسالته في الشام ويتجاهل الله موطن رسالته الشامية ويتحدث عن دوره في مكة ؟! إنما اليهود أرادوا نقل الخريطة التاريخية التوراتية من جزيرة العرب إلى الشام كي يستوطنوا هناك، فظلت ملامح الدعوة الإبراهيمية دليلا على مقره الأصلي، لكن العرب والمفسرين والمؤرخين نقلوا التاريخ عن اليهود وصدقوا قولهم بأن إبراهيم كان مقره وموطنه في الشام، وعلى هذا تربعت العقيدة، ما يعني أن اليهود نجحوا في تزوير التراث العربي الإسلامي هذا بنسبة 90٪، أو بقدر ما نقلوا من حياة إبراهيم وتحركاته إلى الشام، وهم تقريبا نقلوا كل حياته إلى الشام ولم يتركوا للعرب المسلمين سوى فردة كعب محفورة في حجر سموها مقام إبراهيم! وسمحوا للمسلمين بالاستمرار على اعتقادهم بأن إبراهيم هو من بنى بيت الله الحرام خلال زياراته المكوكية على ظهر البراق!

للأسف بعد رحيل النبي محمد بدأ توجيه القرآن بالبوصلة اليهودية، من خلال التفسير والتراث التاريخي وحشر الإسرائيليات. ولم يتم إعمال أدوات التفسير كاملة بمفعولها، العقل والمنطق والحس الإنساني واللغة والتاريخ. ولهذا اقتنع العرب المسلمون واكتفوا بأن "مقام إبراهيم" الوارد بالقرآن هو فقط محل حذائه المطبوع على حجر قديم ! برغم أن كل نشاطه الدعوي يرتكز في الحجاز، فالله تحدث عن محل إقامة إبراهيم ومحل الدعوة، وليس عن مقتنيات البيت أو ربما حجر من بقايا أصنام مكة يسمونه مقام إبراهيم، وفي الواقع فإن هذا الحجر المطبوع عليه أثر لقدم إنسان لا يوجد أي دليل على أنه يعود لسيدنا إبراهيم، وحتى إن وجد فما هو مصدر القدسية الدينية؟ وهل أخذتنا الغفلة إلى درجة أن نصدق أن كلام الله عن مقام إبراهيم حول البيت ينصرف إلى محل حذائه ؟!، فهل كان الصحابة يحتفظون بحذاء النبي محمد بجوار الكعبة؟!

يذكر الدكتور كمال [1] - أن الجغرافيين العرب طالما رددوا أن مقر النبي إبراهيم كان، في وقتٍ ما، في منطقة "كوثي ربّي" كما تقول التوراة، وفي نظر هؤلاء الجغرافيين أن "كوثي ربّي" هذه كانت هي كوثي العراق، والواقع أن هناك كوثي(الكوثة) وربّي (الربة) بجوار منطقة خميس مشيط بعسير

[1] ـ الدكتور كمال الصليبي ـ كتاب التوراة جاءت من جزيرة العرب

غرب جزيرة العرب. حيث هناك أيضا منطقة الشباعة التي ثبت لي أنها شبعة (أي بئر سبع التوراتية) وفي سفر التكوين أن شبعة هذه كانت من مواطن إبراهيم، أي أن تشابه أسماء المناطق هو ما أوقع الجغرافيين في هذا الخطأ ".. لكننا مع ذلك نضيف لما انتهى إليه الدكتور كمال أن كوثي هي مكة ذاتها، فمكة المكرمة لها سبعون اسما في كتب المؤرخين ومن بينها (كوثا) أما شبعة فهي بئر سبع (بالعربي) وهي بئر زمزم التي لها سبعة أسماء في ذاكرة العرب.. وفي الواقع فإن تشابه الأسماء هذا لم يكن مقصودا في ذاته، إنما اليهود أرادوا نقل الخريطة من الحجاز وزرعها في بلاد العراق بذات المسميات وطمس المسميات الأصلية، لكن هذا الخطأ استمر لأكثر من ألفي عام في كتب المؤرخين والجغرافيين، برغم أنه كانت هناك وصلات مفقودة في كثير من الأحيان مثلت ألغاز غير قابلة للفهم. لكن بإعادة تصغير وترحيل الجغرافيا التوراتية من الشام والعراق ومصر إلى منطقة عسير غرب جزيرة العرب. وهنا تتضح الأمور، فليس من المعقول أن نبي الله إبراهيم كان يسيح متنقلا في عدة دول مختلفة، ينتقل من مكة (يتحدث أهلها اللغة العربية) إلى العراق (اللغة البابلية)، ثم عبر كردستان (اللغة الكردية) إلى تركيا (اللغة التركية) ثم إلى الشام (اللغة الفينيقية) ثم إلى جنوب سوريا (فلسطين) حيث اللغة السريانية، ثم إلى شمال إفريقيا ووادي النيل (اللغة الهيروغليفية) ثم لا يلبس أن يعود إلى البيت في مكة على ظهر البراق حيث العربية ! فهم لم يبلغونا أن نبي الله إبراهيم كان يجيد التحدث بكل هذه اللغات، (برغم أن التوراة نطقت صراحة بأن أهل الأرض التي تنقل فيها إبراهيم كانوا يتحدثون لغة واحدة) ولماذا كل هذه السفريات المكوكية من دولة إلى أخرى دون فعل شيء ! فرسالته كانت هي الدعوة إلى الله وبناء البيت والإشراف عليه وتطهيره للعاكفين والركع السجود. فهذه الخريطة الدولية التي رسمها اليهود لم تكن حقيقية وإنما كانت من بنات أحلامهم، لأن الخريطة الفعلية كانت في منطقة عسير غربي جزيرة العرب، وقد تنقل النبي إبراهيم في عدة مناطق وقرى مجاورة، وهذه المنطقة كانت هي موطن النبي إبراهيم، ولم تتخط قدمه حدود جزيرة العرب بأي حال. خاصة أن الله يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾4/إبراهيم.

بينما نقلت التوراة اسم إبراهيم إلى العراق، وفصلت التوراة المحرفة رحلة الخليل إبراهيم منذ أن انطلق من أرض آبائه، حيث توضح أن إبراهيم كان من سكان العراق في عهد الدولة الكلدانية وفي مدينة " أور" تحديدا ـ وهي مدينة تقع قرب الناصرية حاليا بالعراق ـ كما جاء في سفري التكوين ونحميا: " وأخذ تارح أبرام ابنه، ولوطا بن هاران، ابن ابنه، وساراي كنته امرأة

أَبْرامَ ابْنِهِ، فخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ."(تكوين 11: 31) وقوله أيضا " وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا ."(تكوين 15:7) و" أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ الإِلهُ الَّذِي اخْتَرْتَ أَبْرَامَ وَأَخْرَجْتَهُ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَجَعَلْتَ اسْمَهُ إِبْرَاهِيمَ."(نحميا9:7) وكذلك قوله " وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مِيلاَدِهِ فِي أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ."(تكوين 11: 28)

إن هذه المقتطفات التوراتية وأخرى مشابهة لها هي ما قام فريق "السبعونية" بتزويره ليتم نقل اسم النبي إبراهيم إلى العراق وجعله عراقيا من مواليد الدولة الكلدانية. وأول ملاحظة حول هذا النص أن الدولة الكلدانية هذه لم تكن موجودة في عصر إبراهيم (ع) بل قامت في وقت متأخر جدا بعد عصر إبراهيم الذي حددوه بين 1700 إلى 1800 ق.م أي أن إبراهيم عاش قبل قيام الدولة الكلدانية بأكثر من ألف عام، حيث دامت الدولة الكلدانية ثلاث وسبعون سنة فقط (612–539 ق.م.)، فمن أين عرفت التوراة "الحقبة الكلدانية"؟! ... إن هذا الخبر المستنكر على كل حال طالما حير الكثير من الباحثين الغربيين المتخصصين في العلوم التوراتية، حتى أنهم كتبوا فيه وحاولوا تحليل المآرب اليهودية وراء هذا التزوير الفاضح وخرجوا بنتائج مختلفة منها أن اليهود كانوا يحاولون فرض وجودهم في تاريخ العراق، ومن ثم في أرض العراق.

وقد طرحت جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية في كتابها "نداء السراة- اختطاف جغرافيا الأنبياء" طرحت رؤية ثاقبة واعتمدت منهجية بحث لم تكن معهودة من قبل، إذ اعتمدت على أدوات عدة، أهمها البحث الجغرافي الميداني في هذه المنطقة، والتحليل اللغوي الدقيق للأسماء والأعلام، ثم التنقيب في التراث العربي ذاته لانتزاع الدليل من أفواه العرب وبلسانهم للتأكيد على نتائج البحث اللغوية والجغرافية. وسنحاول هنا مناقشة هذه النظرية من جوانب مختلفة ولنقارن في النهاية هل هي الأقرب إلى المنطق والمعقول أم أن التوراة هي المنطق ؟ فهل من الممكن تقصي هوية فرعون التي مازلنا نتحراها من خلال التحقيق في رحلات الخليل إبراهيم الجغرافية والتي تفنن المحرفون في هندستها حسب مبتغاهم ليؤمنوا لهم أرضا تمتد عبر القارات تحت سطوة أسطورة الأرض الموعودة "الربانية". ثم يمكن لنا بعد ذلك تعيين الأرض التي انتهى إليها الخليل وعاش فيها، وحينئذ يمكننا تحديد وطن ابنيه إسماعيل وإسحاق (ع) وكذلك موطن حفيده يعقوب وأبنائه يوسف (ع) وإخوته

الأحد عشر، ومن ثم تعيين مصر التي حمل إليها يوسف والتي هي نفس الأرض التي أقام فيها حفيده الثالث موسى في عهد فرعون، حسب فهمنا الحالي. وببساطة فإن مجرد التثبت من حقيقة أن موطن إبراهيم كان في جزيرة العرب قرب مكة وليس في الشام، فهذا سيحل كافة الألغاز التوراتية التالية، لأنه معروف أن إبراهيم عاش في مكان وتربى أولاده وأحفاده في ذات المكان، أي لن نكون بحاجة لإعادة إثبات أن إسحاق وأبنائه لم يتحركوا من فلسطين إلى مصر وادي النيل، لأن الخريطة منذ البداية قد ثبت أنها ليست في فلسطين، فما ترتب عليها بالكامل مختلف عما رسمته التوراة.

فعند النظر في نص أصلي للتوراة بـ"العبرية" السريانية":

وימת הרן על־פני תרח אביו בארץ מולדתו באור כשדים"

والكلمة الأخيرة في هذه الجملة (من اليسار) تنطق بالعبرية الأصلية هكذا:(كشديم) أو كسديم بالعربية، لأن (العبرية توأم العربية).

بينما في نص الترجمة السبعينية نقرأ: "وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مِيلاَدِهِ فِي أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ." (تكوين 11: 28)

وفي الترجمة السبعونية وردت الكلمة باليونانية كما يلي:

καὶ ἀπέθανεν Αρραν ἐνώπιον Θαρα τοῦ πατρὸς αὐτοῦ ἐν τῇ γῇ, ᾗ ἐγενήθη, ἐν τῇ χώρᾳ τῶν Χαλδαίων

فقد قام فريق "السبعونية" بتحويل "كشديم "إلى "كلدون" !. فلك أن تحكم على دقة هذه الترجمة التي بدلت ما يفترض أنه اسم علم باسم علم آخر لا صلة له به.[1] وهو ما حدث في ترجمة كلمة " مصرايم " إلى " إيجبت " !. والغريب أن كلمة كلدون لم تكن معروفة في وقت نزول التوراة، وإنما في عصر إعادة تحريرها لأن الدولة الكلدانية هذه أسسها رجل عربي اسمه الشيخ ابن كلده وحملت الدولة اسمه، وكان ذلك بعد نزول التوراة بألف عام.

ولأن خبر دخول العراق في حياة نبي الله إبراهيم غير صحيح، فقد انعكس ذلك على منقولات المفسرين والمؤرخين العرب فأخذوا يتعذرون ويبررون لليهود فضيحة مجيء الدولة الكلدانية في" التوراة المقدسة" فبدلا من مطالبة اليهود بالحقيقة ومعاتبتهم على افترائهم وافترائهم على الله جل

[1] ـ نداء السراة اختطاف جغرافيا الأنبياء قسم الدراسات والبحوث في الصادر عن جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية الطبعة الأولى 2009 – دار كيون للطباعة والنشر ص 201

وعلا كذبا، أخذ بعض المؤرخين العرب يرفع الحرج عن اليهود بزعم أنهم كانوا يعنون "بابل" عندما ذكروا "الكلدانيين" في التوراة! حيث أن الدولة البابلية تسبق الدولة الكلدانية بقرون كثيرة، فأسسوا "مخرجا شرعيا" لليهود وقاهم شر الفضيحة. بينما الكلمة في أصلها قبل الترجمة لا تنطق كلدانية أصلا، إنما "كشديم " ولأن العرب ليسو أمة علم وتدوين، فلم يفتحوا كتب التوراة الأصلية ليقرأوا أصل الكلمة وما طرأ عليها في تحريف الترجمة.

وقد انعكست هذه البلبلة والضبابية الناتجة عن التزوير على كتابات المؤرخين العرب، فأدت ببعضهم إلى نقل جميع الأقوال المتضاربة بشأن موضع ولادة إبراهيم (ع)، فيما نقل آخرون عن اليهود أقوالهم دون تعليق وسعى غيرهم للتصحيح والترجيح بحسن نية وحسب اجتهادهم، فأنتجت تبعات نقلهم للتزوير والتلفيق ثقافة وهمية في وعي الأجيال. وهذه عينة مقتبسة من أقوال مؤرخينا حول موقع ولادة نبي الله إبراهيم في كتابات المؤرخين العرب، فصاحب المنتظم قد نقل صورة عن اختلاف علماء زمانه حول البلاد التي احتضنت مولد أبي الأنبياء، فيقول "واختلفوا في المكان الذي ولد فيه فقال بعضهم ولد في بابل من أرض السواد، وقال بعضهم بالسواد بناحية كوثى وقال بعضهم ولد بالسوس من أرض الأهواز وقيل كان بناحية كسكر ثم نقله أبوه إلى ناحية كوثى وهي المكان الذي كان به نمرود وقيل كان مولده بـ"حران " ولكن أباه نقله إلى أرض بابل ."[1] ... ولهذا وجدنا فقهاءنا قد اختلفوا في كل شيء، ولم يتفقوا في شيء أبدا، جاءت جل فتاويهم مُشوهة في نطاق" اختلف العلماء"، وهناك أقوال...، والكل مباح شريطة عدم إعمال العقل على النقل... والغريب أن كل هذه الأقوال خطأ ما عدا كلمة واحدة فقط هي " حران" هي مسقط رأس النبي إبراهيم، لأن النسخة الأصلية للتوراة لم تذكر بابل ولا كلدان إنما ذكرت "حران" وكشديم. أو على أقل تقدير نخرج من هذا المقتبس بأن هناك حران عربية في جزيرة العرب نفسها غير تلك الأسماء التي غرسها اليهود في شتى البقاع.

وبالنظر إلى أن القرآن لم يذكر تفاصيل حياة الأنبياء السابقين وإنما أورد فقط لقطات ومشاهد عابرة للعبرة فقط، بعيدا عن الحشو والتفاصيل أو الحبكة الفنية التوراتية، ولم يهتم بتصحيح الموطن الجغرافي للأنبياء ولم يهتم بتصحيح التاريخ الذي زوره اليهود وقدسوا هذا التزوير في كتب التوراة.

---

[1] ـ انظر أبو الفرج، المنتظم، ج١ ،ص٢٥٩

ونعود إلى القرآن نستقي منه بعض المعاني، ونتتبع خطوات النبي إبراهيم بعد بدء بعثته في قومه والحوار الذي دار بينهم والنمرود وتحطيم أصنامهم ومحاولتهم حرقه، فالله تعالى يقول:

﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿62﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿63﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿64﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿65﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿66﴾ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿67﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿68﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿69﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿70﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿71﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾72/ الأنبياء

وهذه الآيات توضح أن إبراهيم لم ينتقل من قومه إلا بعدما دار سجال طويل بينه وبينهم حول عبادة الأوثان، وانتهوا بالاتفاق على حرقه، ونجاه الله من النار بمعجزة، ثم انتقل وابن أخيه لوطا إلى الأرض التي "بارك الله فيها للعالمين" ... ونعتقد أنه لا يشك أحد في أن الله بارك في مكة للعالمين، فهي أقدس بقاع الأرض بلا خلاف، بينما نقرأ في كتب التراث "حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين قال إلى الشام وقال آخرون بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى التي باركنا فيها للعالمين. ذكر من قال ذلك حدثني ... عن ابن عباس قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين يعني مكة ونزول إسماعيل البيت ألا ترى أنه يقول إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين. قال أبو جعفر وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر غير أنه لم يقم بها ولم يتخذها وطنا لنفسه ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنه أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين"[1].

ونلاحظ هنا أن أبو جعفر يقول: ((وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام)) ... وجميع أهل العلم هؤلاء جاؤوا بهذا

[1] ـ ابن كثير، قصص الأنبياء، ج١ ،ص١٩١

العلم من أين؟! وعلى أي أساس ؟! بطبيعة الحال جاء إليهم من كعب الأحبار لأنه هو الحبر الوحيد الذي يعلم التوراة وهو الذي انتقل من اليمن إلى الحجاز وجالس الصحابة وحكى لهم قصص الأنبياء بالطريقة التي يريدها اليهود ووفق السيناريو الذي رسمته لجنة الترجمة السبعونية في عهد بطليموس كما ذكرنا، فأصبحت النسخة المزورة للتوراة هي مصدر كعب الأحبار، وأصبح كعب الأحبار هو مصدر لكل أهل العلم ! فإذا قال الله أنه بارك في مكة، وقال كعب أن إبراهيم انتقل من العراق إلى الشام، فعلى جميع المسلمين أن يفهموا أن الأرض المباركة هذه هي التي قال كعب ! والغريب أن القرآن يقول أن إبراهيم بنى البيت الحرام، بينما تقول التوراة أن إبراهيم سكن بقرب "بيت إيل "، وبيت إيل تعني "بيت الله" فهلا سألوا كعبا أين يقع البيت الذي بناه الخليل إبراهيم ؟!

((ونحن هنا فقط نضع أوجه الصدام بين النص القرآني والتراث الذي اعتمد على حكايات اليهود وأصبح قول أهل العلم بإجماع ودون تعليل، فإذا قال أهل العلم فليصمت الجميع حتى وإن تعارض أهل العلم مع النص القرآني! والمشكلة الكبرى أن التراث الإسلامي (المرويات وتفسير القرآن) لم يعتمد على مدونات التاريخ العربي وأخبار الإخباريين العرب ،إنما اعتمد على ما جادت به نصوص التوراة المزورة، فلو كان الفقهاء في صدر الإسلام قد ابتعدوا عن اليهود واعتمدوا مصدر فقير مثل الإخباريين العرب لكان الأمر أهون من ذلك بكثير لأن هذه الأخبار تحمل كثير من الحقائق وإن كانت مشوهة، إنما التوراة تم تزويرها بعناية ووفق منهج محدد))

وإلى التراث التاريخي نعود لنعرف أين ولد إبراهيم الخليل وإلى أين سافر وأين استقر، فالروايات التوراتية تقول بأن أمه هربت به من ملك كان يقتل الأطفال فعبرت به نهرا فسمي "العابر" ! وهذا كلام لا يغني ولا يسمن من جوع لأنه ليس كل من عبر نهر يقال له العابر وإلا ما يميز إبراهيم عن كل من عبروا هذا النهر وغيره من آلاف الأنهار!، لكن تراث العرب يقول شيئا آخر.

فقد حيرت كلمة "العبري" الباحثين في علوم السلالات والألسن؛ ذلك أن العبرية كلغة أو بالأصح كلهجة، لم يكن لها وجود قبل عهد إبراهيم، ولكنها يستخدم اليوم كدلالة على دين وأمة وعرق ولغة، وهذا ما حدا بالباحث الفرنسي بيير روسي إلى أن يقول "يصعب أن نعرف العبرانيين بواسطة المكان أو الزمان أو بمعونة علم الاجتماع أو الأديان" [1] لأن

[1] ـ نقلا عن كتاب نداء السراة ، نقلا عن " بيير روسي، مدينة إيزيس .. التاريخ الحقيقي للعرب، ص٢٣)".

العبرية ببساطة صفة تنطلق على قومية كاملة بما فيها من سلالة بشرية ولغة وثقافة قومية ودين ..إلخ، ولا يمكن تفسير أصل هذه الكلمة من مجرد عبور نهر كما آلاف غيره يعبرون الأنهار.

فما من شك أن إبراهيم نفسه كان يتحدث بلسان آبائه المقيمين في حوران النجدية، الذين يتحدثون اللسان السرياني، وحتى لو كان آباء إبراهيم مقيمين في أور الكلدانية كما جاء في التوراة المحرفة [1] ، فإن ذلك أيضا يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن آباء إبراهيم لم يكونوا يتحدثون العبرية بل السريانية. فمن أين جاءت هذه اللهجة العبرية؟ وكيف أصبحت تستخدم كتعبير عن دين وسلالة وأمة ولغة؟ ! لن نجيب على هذا السؤال فهناك أبحاث متخصصة في هذا الجانب، ولكن ما سوف نتطرق إليه هو حقيقة منشأ مفردة "عبري" لأهميتها في بحث جغرافيا الأنبياء. فالتراث العربي يحوي بعض الحقائق بهذا الشأن وقد طالها التشويش اليهودي، ولكن بشيء من الغربلة يمكننا إدراك حقيقة أصل هذه المفردة. فمن التراث، قال هشام الكلبي:" ما أخذ على غربي الفرات إلى برية العرب يسمى العبر، وإليه ينسب العبريون من اليهود لأنهم لم يكونوا عبروا الفرات حينئذ". وقال محمد بن جرير" إنما نطق إبراهيم (ع) بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود، وقد كان النمرود قال للذين أرسلهم خلفه إذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانية فردوه فلما أدركوه استنطقوه فحوّل الله لسانه عبرانيا، وذلك حين عبر النهر فسميت العبرانية لذلك، وكان النمرود ببابل وقال هشام في كتاب عربة لما أمر إبراهيم بالهجرة قال إني مهاجر إلى ربي أنطقه بلسان لم يكن قبله وسمي العبراني من أجل أنه عبر إلى طاعة الله فكان إبراهيم عبراني" [2].

---

[1] ـ علما بأن كلمة " أور " ليست اسم مدينة بعينها، وإنما هي بالعبرية تعني مدينة، فنقول أور شليم : ونعنى بها مدينة شليم، ونقول أور كسديم، ونعنى بها مدينة كسديم، إنما اليهود عند تزوير التوراة لم يجدوا اسم مدينة عراقية مناسبة لغرسه في نص التوراة، خصوصا أنهم لم يقدم لهم أحد مساعدة في الجغرافيا والتاريخ العراقي القديم كما تلك التي قدمها الكاهن القبطي مانيتون بأمر بطليموس في إيجبت، فتمكنوا من غرس أسماء جغرافية معينة مثل رعمسيس ، بينما في العراق لم يملكوا أي معلومة، فاتفقوا على جعل " أور " نفسها اسم علم على مدينة معينة، وكأننا إذا بحثنا في التاريخ البابلي القديم سنجد فيه اسم مدينة بالعبرية هو "أور " ! والغريب أنهم وصفوها بأنها كلدانية برغم أن الدولة الكلدانية لم تظهر في الوجود إلا بعد ميلاد إبراهيم بألف عام ! .. وذلك كله راجع إلى أن اليهود المساكين لم يجدوا مانيتون عراقي .

[2] ـالحموي، معجم البلدان، ج٤ ،ص٧٨؛ بألفاظ مختلفة: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ـنقلا عن كتاب " نداء السراة " مرجع سابق

ونفهم من هذه المقتطفات التراثية أن المؤرخين العرب كان لديهم تصور عن هذا اللغز، فقد ذكر بعضهم حادث العبور، عبور نهر الفرات أي الثرات بمنطقة غامد، و المقصود هنا الفرات الأصلي الواقع في جزيرة العرب وليس ذاك المتعارف عليه في العراق لأن تطبيقات الخبر تعود إلى عهد إبراهيم مع ذكر بعض المؤرخين عبور إبراهيم الفرات من "حران" أي حوران التي هي جنوب جزيرة العرب. وذكر بعضهم انقلاب لغته من السريانية إلى العبرية مرتبطا بذات العبور، وأن العبور كان هروبا من النمرود، ونفهم أنه كانت هناك بابل عربية أصلية وهي تلك التي وردت إشارة إليها في القرآن غير تلك التي غرسها اليهود في العراق. ما يعني أن هذه المقتطفات في مجملها قد تمثل تفسيرا للقومية العبرية بالكامل لأنها تشمل (ظهور لغة جديدة – ودين جديد كان بمناسبة العبور. وحادث عبور أو اجتياز وادي الفرات منطقة معينة من حوران تحديدا. وبغض النظر عن الانتقال المفاجئ للسان إبراهيم (ع) من اللهجة السريانية إلى " العبرية" أي انحراف لسانه نسبيا، نفهم من التراث العربي أنه من كان يعبر الفرات في الجزيرة العربية [1] كان يوصف بالعابر وهي كلمة عربية فصحى تطلق على الرحالة العابرين إلى البرية العربية من جهة النهر. فكلمة عابر وعبري بذلك تكون مرتبطة بعبور نهر الفرات في منطقة غامد باتجاه الشمال حيث مكة المكرمة، أي مسألة هجرة محلية. ويلقي البكري الأندلسي مزيدا من الضوء على حدود برية العرب حيث يقول "وتهامة: ما ساير البحر، منها مكة والعبْر والطور والجزيرة. فالعبر: ما أخذ على الفرات إلى برية العرب" [2].

وبذلك تتضح لنا منطقة العبور التي يوصف من يعبرها بالعبراني. لذا يمكننا القول إن سكان مكة أو التهاميين عموما كانوا يطلقون على كلّ من يصل أراضيهم عابرا من برية العرب شرقا إلى الجبال حيث الأفياء والظلال والمياه غربا بالعابر أو العابري أو العبراني. وما كان نبي الله إبراهيم (ع) إلا أحد هؤلاء العابرين بالنسبة لسكان منطقة مكة حيث أتاهم غريبا مع زوجته وابن أخيه لوط (ع) وغنماتهم طالبا الإذن كي يسكن بينهم فاستقر به المقام أول أيامه في ديار الغربة تحت أشجار مملوكة لشخص يدعى نمرة في منطقة حقول عفرون بن صوحر في وادي عرفة تحديدا. ولأنه غريب مقيم في بقعة صغيرة من أراضيهم فقد أطلق عليه أهل عرفة ما يطلقونه على كل من يقدم عليهم من جهة السراة، أي نعت "عابر" أو "عبراني" أو "عبري" لتمييزه عن أهل المنطقة

[1] ـ جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج٤ ،ص٣٢٣.ـ كتاب نداء السراة

[2] ـ نقلا عن: البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، ج١ ،ص١٠.ـ كتاب نداء السراة – مرجع سابق

الأصليين. وصار هذا لقبه بينهم مختصا به وحده دون بنيه كما تنص التوراة " فأتى منْ نجا وأخبرَ أبْرامَ العِبْرانِيَّ. وكَانَ ساكِنًا عِنْدَ بلُوطاتِ ممْرا الأمُورِيِّ..." (تكوين ١٤:١٣)

ولم ترد هذه الصفة مع إبراهيم في التوراة قبل هذا الحدث، (فأبرام هو الغريب إبراهيم. ونعت "عبراني" هو النعت الذي أطلقه عليه أهل عرفة كممارسة اجتماعية متعارف عليها تطبق على كلّ من يأتيهم من جهة الجبال، ولم ينتقل هذا النعت إلى أبنائه لأنهم من مواليد مكة وليس حوران كأبيهم فلم يأتوا من وراء الجبال كما كان حال أبيهم إبراهيم، فلم نسمع "إسماعيل العبراني ولا حتى إسحاق العبراني". فقد أطلق لقب إسماعيلين على أبناء إسماعيل وإسرائيليين على أبناء إسحاق ولم يرد ذكر "عبرانيين" فيما يتصل بأبنائه لأنهم ولدوا أو تربوا في أرض الحجاز. وبدأ هذا النعت يظهر مجددا مع يوسف. لأن نعت عبراني كان ينشأ عن حالة الاغتراب وسط مجتمع يتحدث لهجة مختلفة، ونتيجة احتكاك لهجات (السريانية مع العربية المتينة) نشأت (العبرية والعربية الفصيحة)، وهو ما يؤكد أن نعت "عبري" لم يكن محصورا في بني إسرائيل أو حتى إبراهيم (ع) نفسه وإنما كان نعتا لكل من يعبر الجبال والنهر الكبير، وهو ما اتضح جليا في التوراة عينها [1].

تقول التوراة: " واجْتازَ أبْرامُ فِي الأرْضِ إلى مَكانِ شَكِيمَ إلى بلُوطة مُورَة. وكَانَ الكَنْعانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأرْضِ. وظهرَ الرَّبُّ لأبْرام وقال: «لِنسْلِكَ أعْطِي هذِهِ الأرْضَ». فبَنَى هُناكَ مذبَحًا لِلرَّبِّ الذِي ظهرَ لهُ. ثمَّ نقلَ مِنْ هُناكَ إلى الجَبَلِ شَرْقِيَّ بيْتِ إيل ونصَبَ خيْمَتهُ. وله بيْت إيلَ مِنَ المَغْرِبِ وعايُ مِنَ المَشْرِقِ. فبَنَى هُناكَ مَذبَحًا لِلرَّبِّ ودَعَا باسْمِ الرَّبِّ."(تكوين12: 6ـ8)

وهناك عدة ألفاظ واصطلاحات وردت في التوراة سنقوم بتتبعها في منطقة مكة ومحيطها وعلى القارئ أن يحكم على كثافة هذه المسميات وتواجدها في مكة مع انعدام أي أثر لها في فلسطين اليوم أو قبل التاريخ. وبداية فإن "شكيم " كلمة عربية كنعانية في الأساس وتعني النجد أو الأرض المرتفعة، كما جاء ذلك في تعريفها [2] وشكيم ورد ذكرها في رسائل تل العمارنة وتقارير تحتمس الثالث باسم شاكمي "SHAKMI" ووردت بقائمة المعارك المسجلة على جدران معبد الكرنك بقرب

[1] ـ كتاب نداء السراة – المرجع السابق ص 314

[2] ـ بموقع فلسطين الرائعة – نبذة عن مدينة نابلس

– علي الرابط التالي - palestine/nablus.htmhttp://www.qattanfoundation.org/w-

"مكتي" وقادش " فإذا كانت مقصودا بها مكة، وقادش مقصودا بها قادس التي هي مكة أيضا واسمٌ من أسمائها أو موقعة ضمن محيطها، فإن ذلك يكمل الدائرة بأن شكيم فعلا هي أرض كنعانية حجازية في محيط مكة وليست في فلسطين.. هذا بالنسبة لموقع شكيم أما بلوطات ممرا فسوف نتناوله في الصفحات التالية.

ويقول د. أحمد القشاش [1] :" ورد في التوراة في سيرة إبراهيم (ع) أنه خرج من حوران، وهو أشهر وأكبر روافد وادي بيشة [2] .. فأقام بين قادش وشور [3] أي بين قادس وهو بيت الله الحرام وبين شور فربما كان المراد به جبل ثور الواقع جنوب مكة وهو أقرب ما يتبادر إلى الذهن لأنه ورد عبريا بلفظ (שור – شور) وهو اسم الثور في اللغة العبرية أيضا والثاء العربية تقلب شين في العبرية، مثل اسم النبات المعروف (ثوم يُقلب شوم) [4] ، وكذلك كلمة " ثوْر " في البابلية تنطق "شورو"، وبالآرامي السرياني تنطق " توْرا "، وفي لغات جنوب الجزيرة تنطق "سور" [5] . وجاء في الترجمة العربية لسعيد الفيومي وهو من أشهر علماء التوراة واللغة العبرية في تاريخ اليهود (ثم رحل من ثمَ إبراهيم إلى بلد القبلة، وأقام بين رَقِم وغفار) [6] فبلد القبلة هي مكة حيث بيت الله الحرام والرقم اسم يطلق على عدد من الجبال حول مكة، وجبل الرقمتين: من أسماء الجبال داخل مكة [7] وأما غفار فهو اسم قبيلة كنانية وكان

---

[1] ـ انظر د. أحمد القشاش : كتاب أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة؛ مبحث ألفاظ من القرآن والسنة النبوية ص 330

[2] ـ ورد في التوراة بلفظ حوران وحاران مقترنا بأسماء قبائل من جنوب غرب الجزيرة العربية، كما ورد لفظ حاران وحران في المصادر العربية علما على عدد من المواقع في ساحل تهامة. وأما حوران الشام فهي على عادة اليهود في نقل الأسماء الجغرافية وغرسها في أماكن جديدة لتنتشر وتشيع ثقافتهم وتدعمهم في تثبيت مخططهم .. انظر سفر التكوين 11 /31 ، 12 /3 وسفر حزقيال 27 /23 ، و 47 /1 ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق 148/1 وتاريخ المستبصر 69 والمعجم الجغرافي لمنطقة عسير 520 /1 ـ انظر د. أحمد القشاش – مرجع سابق

[3] ـ سفر التكوين 12/1ـ6 ، 20/1

[4] ـ وقد تحير أكابر علماء الكتاب المقدس في تعيين موقع شور ، ولهم في ذلك أقوال عديدة مختلفة ومتضاربة، انظر دائرة المعارف الكتابية 572 /4 وقاموس الكتاب المقدس (شور) 360 وأطلس الكتاب المقدس 18

[5] ـ كتاب: الذات الجريحة – سليم مطر ، ص 285 وما بعدها – نقلا عن كتاب البنية الذهنية الحضارية – يوسف الحوراني – ص173ـ 178 ـ مجلة »دراسات اشتراكية ـ عدد خاص 1990 ـ دراسة داود درويش ـ ص 38

[6] ـ سفر التكوين 20/1 ترجمة سعيد الفيومي العبرية

[7] ـ انظر معجم معالم الحجاز 703ـ704 / 4

موطنها حول مكة [1] وقد استمر وجود غفار حتى صدر الإسلام في الحجاز وهذا ثابت تاريخيا. وفي موضع آخر ترجم شور إلى (الحجاز) [2].

وسكن إبراهيم في البداية بين قادش وبارد قبل أن ينتقل إلي بئر سبع، وهذه هي النصوص الوارد بها هذه الأماكن في رحلة سيدنا إبراهيم (١/٢٠ تكوين): وانْتَقَلَ إبراهيم مِنْ هُنَاكَ إلى أَرْضِ الجَنُوبِ وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ وَتَغَرَّبَ فِي جِرَارَ. وتقول التوراة أيضا: (تك١٦: ٧): فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ المَاءِ فِي البَرِّيَّةِ عَلَى العَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ ١١ .وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ابْنا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إسماعيل لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ ١٣ .فَدَعَتِ اسْمَ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعَهَا: «أَنْتَ إِيلُ رُئِي». لأَنَّهَا قَالَتْ: «أَهَهُنَا أَيْضا رَأَيْتُ بَعْدَ رُؤْيَةٍ؟» ١٤ .لِذَلِكَ دُعِيَتِ البِئْرُ «بِئْرَ لَحَيْ رُئِي». هَا هِيَ بَيْنَ قَادِشَ وَبَارَدَ.

وقادش (مكة) وشور و جرار و بارد (أماكن وأودية بمكة)،)قادش إحدى القرى أو المدن التي استقر وسكن بها النبي إبراهيم وابنه إسماعيل وأمه هاجر بالتوراة، وتقع قادش عند برية بئر سبع علي طريق شور، وبئر سبع (أو بئر لحي رئي) هي بئر ماء زمزم، وفيما حواليها تتراص (مواقع قادش وشور وجرار وبارد)، وبغض النظر عن تحديد الموقع الجغرافي بإحداثياته، إنما نحن نبحث عن إقليم تتواجد فيه هذه الأماكن بذات المسميات. هل هذه الأماكن تقع بفلسطين كما يزعم أهل الكتاب دون تقديم أي دليل أم تقع هذه الأماكن بمكة ؟ إن قادش هي نفسها قادس لتبادل الشين مع السين خاصة بين العبرية والعربية مثل اسم موشيه أو موشي العبري الذي يصحف في العربية إلي موسى، وقادس هي نفسها قدس لأن حرف الألف هنا هو حرف مد، وقادس كانت من أسماء مكة في الماضي.

- **وأسماء مكة المشهورة علي ما ذكر الأزرقي، والفاكهي، وابن ظهيرة، وقطب الدين النهروالي، والفيروز آبادي وغيرهم سبعين اسما، هي: ١ ـ مكة ،٢ ـ بكة، ٣ ـ أم القرى، ٤ ـ القرية، ٥ ـ معاد، ٦ ـ الوادي، ٧ ـ البلدة، ٨ ـ البلد، ٩ ـ البلد الأمين، ١٠ ـ حرم آمن، ١١ ـ حرم، ١٢ ـ المسجد الحرام، ١٣ ـ البيت العتيق، ١٤ ـ مخرج صدق، ١٥ ـ العروض، ١٦ ـ أم رحم، ١٧ ـ صلاح، ١٨ ـ الرأس، 19 ـ البلد الحرام ،٢٠ ـ النساسة، ٢١ ـ الباسة، ٢٢ ـ الناسة، ٢٣ ـ بساسة، ٢٤ ـ كوثا، 25 ـ أم**

[1] ـ انظر معجم قبائل العرب 890/3

[2] ـ انظر سفر التكوين 17 ،16 ترجمة سعد الفيومي العبرية

كوثا، ٢٦ ـ فاران، ٢٧ ـ المذهب، ٢٨ ـ قرية النمل، ٢٩ ـ الحاطمة، ٣٠ ـ الحرم، ٣١ ـ برة، ٣٢ ـ طيبة، ٣٣ ـ القادس، ٣٤ ـ المقدسة، ٣٥ ـ القادسة، ٣٦ ـ القادسية، ٣٧ ـ المعطشة، ٣٨ ـ الرتاج، ٣٩ ـ أم زحم، ٤٠ ـ أم صح، ٤١ ـ أم روح، ٤٢ ـ بساق، ٤٣ ـ المكتان، ٤٤ ـ النابية، ٤٥ ـ أم الرحمة، ٤٦ ـ الناشتة، ٤٧ ـ سبوحة، 48 ـ السلام، ٤٩ ـ نادرة، ٥٠ ـ النجز، ٥١ ـ الحُرمة، ٥٢ ـ الحِرمة، ٥٣ ـ قرية الحمس، ٥٤ ـ أم راحم، ٥٥ ـ نقرة الغراب، ٥٦ ـ البنية، ٥٧ ـ ناشة، ٥٨ ـ تاج، ٥٩ ـ كبيرة، ٦٠ ـ أم رحمن، ٦١ ـ السيل، ٦٢ ـ العذراء، ٦٣ ـ حرم االله تعالى، ٦٤ ـ بلد االله تعالى، ٦٥ ـ العرش، ٦٦ ـ العرويش، ٦٧ ـ العُرش، ٦٨ ـ العُرُش، ٦٩ ـ العروش، ٧٠ ـ العرشُ.

وكل اسم من هذه الأسماء له شرح ومعني في سبب تسمية مكة به ولا مجال للخوض في هذه المسألة هنا. وما يهمنا في مجال هذا البحث هي الأسماء التي وردت بالتوراة (قادش-فاران)، وقد ذكرت كتب اللغة أنَ الأسماء الأربعة: المقدسة، القادس، القادسة، القادسية هي من أسماء مكة، وهذه الأسماء تشير على الأرجح إلى معنى واحد، والباعث للتسمية هو قولهم: القادس من التقديس، لأنها تقدس من الذنوب، أي تطهّرها. وقادس هي المعنية بالقدس عند أهل الكتاب فهي مكة وليست القدس الفلسطينية وفق نصوصهم التي حرفها اليهود.

أما شور فقد قال ياقوت الحموي [1] : هو جبل قرب اليمامة (تقع بالرياض الواقعة شمال شرق مكة) في ديار نمير بن عامر .كما ذكر ياقوت الحموي موضع آخر باسم شوران فقال: "... قال نصر شوران في ديار بني سُليم ...وهي من المدينة (يقصد المدينة المنورة) علي ثلاثة أميال، قال أبو الأشعث الكندي: شوران جبل عن يسارك وأنت ببطن عقيق المدينة تريد مكة (أي هي طريق شور كما جاء بالتوراة) وهو جبل مطل علي السد مرتفع وفيه مياه كثيرة يقال لها البحيرات وعن يمينك حينئذ عير، وقال عرام: ليس في جبال المدينة نبت ولا ماء غير شوران [2] ويمكن أن يكون المقصود من شور جبل الثور الواقع جنوب مكة . وبمراجعة الخرائط التفصيلية لمدينة مكة المكرمة والطائف سنجد موقع آخر يسمي الشور يقع جنوب شرق الطائف ومكة.

---

[1] ـ ياقوت الحموي في معجم البلدان ج٣ ص ٣٧١

[2] ـ ذكر المؤرخ جواد علي أن شور وحرىب كانا من أهم المدن القدىمة لدولة قتبان الىمنىة ـ المؤرخ جواد علي في كتابه " المفصل في تارىخ العرب قبل الإسلام" ج٢ ص ٢٢٣ نشر دار العلم للملايين ببيروت طبعة ١٩٧٦م

أما بارد فهناك الباردة وتقع شمال شرق الطائف ومكة، وهناك بئر البرود ويقع جنوب غرب مكة المكرمة، وهناك قرية البارد في وادي الحار من ناحية عنس غرب ذمار.

وأما بالنسبة لجرار فقد ذكر ياقوت الحموي [1] : جرار: اسم جبل في قول ابن مقبل وذكر شعرا لابن مقبل يفهم منه أن جرار تقع بجانب الأحفار، والأحفار هي موضع من بادية العرب وهي المذكورة بالتوراة باسم البادية (بادية العرب). وذكر جرار أخري فقال: موضع من نواحي قنسرين، وجرار التي هي جرار سعد وهي موضع بالمدينة المنورة. وبشمال الخرج الواقعة شرق الرياض بالسعودية يوجد بلدة الجرارة . وهناك جرار بلدة في شلف وهي إحدي عزل مديرية العدين بمحافظة إب باليمن. وجاء بالتوراة السامرية بد لا من جرار: (الخلوص)، ويوجد شمال مكة (الخلاصة) والتي قد تعني الخلوص.

وذكرت التوراة بأن إبراهيم سكن في بئر سبع [2] بلفظ "بئر شبع " ومعروف أن الشين في العبرية هي سين في العربية، فهي بالعربية "بئر سبع"، وهو اسم من أسماء بئر زمزم، وإلى هذا الموضع أرسل زوجته هاجر مع ابنها إسماعيل، وهو ما يعرف اليوم بوادي إبراهيم، الذي قال عنه الله على لسان خليله: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾ وذكر الإخباريون والمفسرون أن الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم الكبش فداء لابنه إسماعيل، وما ثار من خلاف حول كونه إسماعيل أو إسحاق، فهذا يؤكد تواجدهما معا في مكة، وإلا ما كان لهذا الخلاف من معنى.

فعلى ما يبدو أن "المفسّرين" الكلاسيكيين، الذين جعلوا أسفار التوراة هي أساس العقيدة، بينما أصبحت آيات القرآن الكريم هي الرديف التابع لتلك الأسفار و المقيَّد بما ورد فيها، لم ينتبهوا إلى أن سفر التكوين ينصّ بكل وضوح أنه عندما توفي إبراهيم (ع)، قام إسحاق وإسماعيل بدفنه معا ! وهاكم النص مباشرة من التوراة:

And his sons Isaac and Ishmael buried him in the cave of Macphelah, which is before Mamre, in the field of Ephron the son of Zohar the Hittite[3].

---

[1] ـ ياقوت الحموي في معجم البلدان ج٢ ص١١٧ الآتي

[2] ـ سفر التكوين 17/22

[3]- Genesis 25:9 (سفر التكوين 25:9) -

والترجمة العربية لهذا النص:" ودفنه إبناه إسحاق و إسماعيل في مغارة المقفلة، التي هي قبالة ممرا، في حقل عفرون بن صوحر الحوثي"... فهل سافر البريد من الشام إلى مكة 1500كلم خلال أسابيع ليخبر إسماعيل بوفاة والده ويعود به على أجنحة البراق إلى الشام ليدفنا الوالد قبل أن تتعفن الجثة ! وهل كان مسموحا لكل أفراد العائلة بركوب البراق !

وأما بيت إيل المذكور أعلاه هو عينه موقع المسجد الحرام في بطن مكة الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل (ع)، ولكن فريق السبعونية قام بإسقاط بيت إيل على إحدى قرى فلسطين القديمة تدعى اليوم قرية "بيتين". فما علاقة بيت الله الحرام بقرية بيتين؟ خصوصا إذا تنكرت التوراة لحدث بناء إبراهيم لبيت الله الحرام، فهذا يؤكد بالنص القرآني أنهم حرفوا التوراة كليا، والغريب أن الصحابة الكرام لم يجعلوا من القرآن حاكما للتوراة رغم علمهم بتزوير التوراة ورغم إعلان القرآن بذلك، إلا أنهم صاروا ينقلون منها بنهم.. فحدث تعمير البيت الحرام لأول مرة في التاريخ بعدما طمسه طوفان نوح، هذا الحدث لا يمكن تجاهله أبدا إلا إذا تم تجاهل الدين بالكلية وتوظيف التوراة لأغراض سياسية أولى في نظرهم من الدين.

الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿26﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴿27﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾28/ الحج.

هل يبدو لكم من الآيات الواردة أعلاه أن إبراهيم (ع) عاد إلى فلسطين بعد قيامه بتطهير بيت الله الحرام، و بعد أن نذر حياته و حياة بنيه لخدمة رب البيت، حيث أصبح إماما للناس يأتون إليه من كل حدب و صوب في موسم الحج من كل عام؟ ألم يكن إبراهيم (ع)، و بعد إطالة إقامته في جوار البيت الحرام، هو القائل: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿35﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿36﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿37﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى

اللهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴿38﴾ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء ﴾39﴿/إبراهيم.

هل يوجد في الآيات السابقة أي إشارة أو تلميح إلى أن إبراهيم (ع) ترك ابنه إسماعيل في جوار البيت وعاد إلى فلسطين؟ ألم يدعو إبراهيم ربه أن يجعل ذلك البلد آمنا لذريته؟ فمن هم هؤلاء الذرية إذا؟ هل نصدق أنهم سلالة إسماعيل فقط دون إسحاق؟ و هل كان إسماعيل وحده يحج البيت دون إسحاق؟ لاحظ أيها القارئ القارئ الكريم قوله﴿ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾، فهل كلمة "بَنِيَّ" الواردة هنا تشير إلى ولد واحد فقط؟ هل كان الدعاء لإسماعيل فقط، و نسي إسحاق في فلسطين؟ لو بحثت عن تلك الآية القرآنية في جميع "ترجمات" القرآن، فستجد بكل وضوح أنها تدلّ على صيغة الجمع. و هاكم بعض الترجمات الإنكليزية على سبيل المثال لا الحصر:

1ـ ترجمة عبد الله يوسف علي:

{Remember Abraham said: "O my Lord! make this city one of peace and security, and preserve me and my sonsfrom worshipping idols.

2ـ ترجمة محمد "مرمدوك" بيكثال (Mohammad M. Pickthall):

And when Abraham said: My Lord! Make safe this territory, and preserve me and my sons from serving idols.

3ـ ترجمة محمد حبيب شاكر:

And when Ibrahim said: My Lord! make this city secure, and save me and my sons from worshipping idols.

بذلك نكون قد وصلنا إلى بينة مفادها أن مقام إبراهيم وموطنه الأصلي وأولاده جميعا،لم يكن في بلاد العراق ولا الشام إطلاقا لارتباط المسميات بالوقائع والأحداث المحلية في جزيرة العرب، مع بيان موضع التزوير في التوراة الذي تمكنوا من خلاله بدس فكرة مولده بالعراق... نعود بعد ذلك لتحسس رحلة الانتقال ذاتها وحيثياتها عله يتبين لنا مزيد من الأدلة والقناعة... فقد نجا الله نبيه إبراهيم ولوطا إلى الأرض المباركة ... ليبدأ رحلته الدعوية في هذه البقعة، فهل سافر آلاف الكيلومترات إلى العراق والشام ؟ فالمسافة بين هذه المناطق تتجاوز 1000 كيلو بين كل منطقة وأخرى، بينما الله تعالى يقول أن إبراهيم لم يسافر، وإنما فقط (اعتزل قومه)... ومعنى اعتزل أي أنه بقي في ذات الإقليم الجغرافي أي لم يخرج من نطاق جزيرة العرب بأي حال، وفي مكان اعتزاله بدأ دعوته ومن ذات المكان

خرج ليدع هاجر وطفلها بين الجبلين وعاد إلى محل إقامته، وفي ذات المكان أكرمه الله بإسحاق ويعقوب، فالله تعالى يقول:

﴿ واذْكُرْ فِي الكِتابِ إبْراهيمَ إنَّهُ كانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿41﴾ إذْ قالَ لِأبيهِ يا أبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عنكَ شَيْئًا ﴿42﴾ يا أبَتِ إنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ العِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فاتَّبِعْنِي أهْدِكَ صِراطًا سَوِيًّا ﴿43﴾ يا أبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿44﴾ يا أبَتِ إنِّي أخافُ أن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا ﴿45﴾ قالَ أراغِبٌ أنتَ عَنْ آلِهَتِي يا إبْراهيمُ لَئِن لَمْ تَنْتَهِ لَأرْجُمَنَّكَ واهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿46﴾ قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا ﴿47﴾ وأعْتَزِلُكُمْ وما تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وأدْعُو رَبِّي عَسَى ألّا أكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿48﴾ فَلَمّا اعْتَزَلَهُمْ وما يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وهَبْنا لَهُ إسْحاقَ ويَعْقُوبَ وكُلًّا جَعَلْنا نَبِيًّا﴾ 49مريم

والاعتزال هنا لا يعني هجرة دولية، بل انتقال إلى مكان آخر في ذات النطاق الجغرافي دون اختلاف في اللغة، بما يضمن القدرة على التواصل، أي أن إبراهيم انتقل من حران التي تتحدث السريانية إلى صحراء العرب التي تتحدث العربية (المتينة)، وكلتاهما (العربية المتينة والسريانية لهجات متفرعة من اللغة الآرامية الأصل المنتشرة في كل الجزيرة العربية) وهؤلاء العرب كانوا من جرهم والعماليق والكنانيين في محيط مكة، وهم أعراب بدو أقحاح وكانت لغتهم غليظة المفردات خشنة الألفاظ بما يتلاءم مع طبيعة حياتهم الاجتماعية القاسية لأنهم يحيون حياة برية صحراوية. وكانت لغتهم العربية المتينة هي العربية البدائية، ولما اختلط بهم إبراهيم وسلالته نشأت لهجتين جديدتين هما (العربية الفصيحة لغة إسماعيل وذريته وهي مشتقة من العربية المتينة نتيجة تأثرها بالسريانية– والعبرية التي تحدث بها إسرائيل وذريته وهي مشتقة من السريانية نتيجة تأثرها بالعربية المتينة)، وهذا هو سر التوأمة بين العبرية والعربية، إنما لا يمكن القول بأن إبراهيم مولود بالعراق أي يتحدث اللغة الأكادية ويكتب بالحرف المسماري، ثم عندما يأتي إلى فلسطين (اللغة السريانية) تصبح لهجة إبراهيم توأم للعربية في الحجاز !!

وهنا نتيجة غاية في الأهمية نستخلصها من مجمل الآيات وهي أن إسحاق وابنه يعقوب حجازيان، فهما من مواليد مكة أو بمكانٍ قريب منها بجزيرة العرب وليسوا في الشام، وهذا سيساعدنا فيما بعد في تحديد الموطن الأصلي لبني إسرائيل من الجذر قبل تحركهم إلى يوسف في

"مصرايم"، وإن كان الله لم يذكر إسماعيل في هذه الآية، فذلك لأنه ذكره في موضع آخر، لأنه كان أكبر من أخوه، فقد ولد إسماعيل عقب فراق إبراهيم لقومه مباشرة واعتزاله لهم، وكلمة اعتزل لا يمكن صرفها إلى السفر من العراق إلى الشام، إذ يقول جل وعلا: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿83﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿84﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿85﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿86﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿87﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿88﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿89﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿90﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿91﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿92﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿93﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿94﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿95﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿96﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿97﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿98﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿99﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿100﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ 101/الصافات

أي لم تكن الأرض المباركة للعالمين بعيدة عن موطن آبائه، وبمجرد أن نجاه الله منهم دعا ربه فاستجاب له، فـ بشره بغلام، أي لم تكن هناك رحلة سفر تتجاوز 1500 كيلومتر محملا بمتاعه وأبقاره وأغنامه وزوجاته وهو قد تجاوز التسعين من عمره انتقل خلالها من العراق إلى حاران شمال سوريا أو تركيا ثم إلى فلسطين لتصبح فلسطين هي الأرض المباركة بدلا من مكة!. ثم إن الله يقول أن إبراهيم انتقل إلى الأرض المباركة، فأي أرض هذه التي كانت مباركة قبل إبراهيم غير مكة! بل قرر إبراهيم أن يتوقف عن التواصل مع قومه ويعتزلهم بعد أن يئس من أبيه وبلغ الأمر مبلغ تهديده بالقتل رجما هذه المرة، ولم يذكر كتاب الله أي موقع آخر ذهب إليه إبراهيم غير الأرض المباركة للعالمين، وكفى بذلك دليلا على أن الشام والعراق أقحما إقحاما في رحلة إبراهيم دون أي دليل يعتد به غير قول التوراة المحرفة. ومن الملاحظات السابقة نستخلص أن إسماعيل وإسحاق ويعقوب كانوا جميعا من مواليد الأرض المباركة للعالمين، أي من مواليد مكة، فهم جميعا بمفهومنا اليوم حجازيون وليسوا من مواليد العراق أو الشام بأي حال. كما سنفهم فيما هو قادم أن الصلة كانت قائمة بين إبراهيم وموطن آبائه لقرب المسافة بين مكة ومسقط رأسه. وهناك عدة بينات أخرى على أن موطن إبراهيم كان بجزيرة العرب وأنه انتقل ولوط ابن أخيه إلى مكة وليس من العراق إلى الشام. وفيما يلي سنتعرض لبعضها.



2ـ قرية لوط (ع)

هناك آيات بينات توضح أن قرية لوط (ع) قريبة جدا من مكة، وكذلك ينبغي أن تكون. فبعدما انتقلوا جميعا من حران موطنه وموطن أبيه آزر وصلوا إلى مشارف مكة، فوجدا مصاعب في رعي الأغنام فاضطر كلاهما للافتراق، أحدهما جهة اليمين والآخر جهة اليسار. فقط لتوفير أماكن كافية لرعي الغنم وليس هجرة دولية واحتلال الإمبراطورية العراقية البابلية والآشورية والإمبراطورية العظمى في وادي النيل وما بينهما شعوب سوريا وفينيقيا والأردن ! وصل لوط إلى هذه القرية بحثا عن مراعٍ للغنم وهي تبعد عن مضارب خيام إبراهيم وليس للهجرة من دولة إلى دولة، وهو خبر أوردته التوراة نفسها حيث تقول (تكوين 13: 5ـ11):

" ولوطٌ السَّائرُ مَعَ أبرامَ، كَانَ لهُ أيضًا غَنَمٌ وبَقَرٌ وخِيَامٌ. ولمْ تحتمِلهُما الأرضُ أنْ يَسكُنَا معًا، إذْ كَانتْ أمْلاكُهُما كَثِيرَةً، فلمْ يَقدِرا أنْ يَسكُنَا معًا. فحدَثَتْ مُخاصَمَةٌ بينَ رُعاةِ مَواشِي أبرامَ ورُعاةِ مَواشِي لوطٍ. وكَانَ الكَنْعانيُّونَ والفرِزِّيُّونَ حينَئذٍ ساكِنِينَ فِي الأرْضِ. فقالَ أبرامُ لِلوطٍ: «لا تكُنْ مُخاصَمَةٌ بيني وبينَكَ، وبينَ رُعاتِي ورُعاتِكَ، لأنَّنا نحنُ أخوانِ. أليْسَتْ كُلُّ الأرْضِ أمامَكَ؟ اعتَزِلْ عنِّي. إنْ ذهبْتَ شِمالًا فأنا يَمِينًا، وإنْ يَمِينًا فأنا شِمالًا». فرفعَ لوطٌ عينَيْهِ ورأى كُلَّ دائِرَةِ الأرْدُنِ أنَّ جمِيعَها سَقيٌ، قبلَما أخربَ الرَّبُّ سَدُومَ وعَمُورَةَ، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأرْضِ مِصْرايمَ. حينَما تجِيءُ إلى صُوغَرَ. فاختارَ لوطٌ لِنفْسِهِ كُلَّ دائِرَةِ الأرْدُنِ، وارْتَحلَ لوطٌ شَرْقًا. فاعتَزَلَ الوَاحِدُ عنِ الآخَرِ."

وكما سبق وأوضحنا أن كلمة الأردن ليست هي دولة الأردن ولا نهر الأردن، بل أن أصلها كلمة "يردن"، ومعناها البراري أو السهول وهي بصيغة الجمع ومفردها يردو وتعني المخاضة، السيل المنحدر، المسيل، وليس نهر الأردن في جنوب سوريا، لأنها ببساطة لو كانت تشير إلى نهر الأردن لكان جاء وصفه هكذا بكلمة "نهر" في مرة واحدة على الأقل من مئات المرات التي أوردتها التوراة، كما تذكر صراحة نهر الفرات ونهر مصر والنهر الكبير ويم سوف وغير ذلك من المجاري المائية، إنما كلمة يردن لم تقترن بأي وصف يدل صراحة على أنها مجرى مائي أو دولة الأردن أو أي شيء من هذا القبيل سوى كلمة "عبر" والتي تعني اجتياز صحارى أو براري أو سهول أو تجمعات مائية أو جبال أو حقول..إلخ. ونلاحظ أن التوراة تقرن بوضوح بين سدوم وعمورة وأرض مصرايم جنة الرب، وكل هذا المناطق كانت جنوب مكة حيث يتغير المناخ تدريجيا وتتحول الأرض إلى جبال وسهول وأمطار موسمية، فالمنطقة غنية أصلا بالموارد الطبيعية والمعادن النفيسة والذهب يضاف إلى ذلك وفرة

الأمطار التي جعلت منها جنة، وأنعم على أهلها لكنهم كفروا بنعمة الله (عمورة وسدوم ومصرايم وقبلهم إرم ذات العماد) في ذات الموقع وتجمعهم لغة واحدة وهؤلاء هم الأحزاب الذين وصفهم الله بالتتابع والاقتران الدائم، وما كان الله ليقرن أبدا بين قرية فاجرة مثل قرية لوط أو عمورة مع شعب وادي النيل الذي يضم 10 آلاف قرية ومدينة عامرة..

لكن هكذا أرادت لجنة الكهنة السبعينية عند الترجمة لتوحي للقارئ أن لوطا من شأنه إذا وقف على قطيع غنمه أن يرى سهول الأردن وفلسطين ووادي النيل بطوله وعرضه حتى منابعه إلى وادي دجلة والفرات بالعراق! إنما يردن المقصود بها منطقة قرب بلاد زهران وهي منطقة مناسبة جدا للمراعي وبها جداول نهرية تنحدر من الجبال، وقد قرنت هذه المنطقة بكلمة " مصرايم" التي تقع بالقرب منها على سبيل المقارنة والمشابهة بين مناطق تصلح للرعي والعيش فيها، وتطلع لوط إلى هذه المنطقة على اعتبارها كـ جنة الرب وكـ" أرض مصرايم" علما بأن لوط لم ير أرض وادي النيل كي يتطلع للرعي فيها، غير أن أراضي إيجبت وادي النيل هي أراضي طمي زراعية وليست مراعي، غير أن التوراة توضح أنه لم يذهب بعيدا عن إبراهيم، وإنما فقط " فاعتَزَلَ الواحِدُ عَنِ الآخرِ. " ليفسح مجالا للرعي، ومعلوم بأنه حتى هذا الوقت في زمن التوراة لم يكن إبراهيم قد دخل إيجبت وادي النيل، ولم يدخلها لوط فكيف يقارن بين المراعي وبعضها وبين وادي النيل الذي لم يره في حياته ولو مرة ! وهذا دليل على أن مصر الإسرائيلية هذه تقع داخل المنطقة قرب مناطق رعي لوط وإبراهيم. وقد مروا عليها عند ارتحالهم من حوران جنوبا، لأن حوران تقع جنوب شرق مصرايم وبعدما اعتزل إبراهيم قومه وغادر بلد النمرود في طريقه إلى مكة عبر كل هذه المناطق ومن بينها مصرايم، وإلا كيف وصلته أخبار وادي النيل إذ كان قد نشأ في العراق وانتقل إلى جنوب تركيا ثم إلى فلسطين؟ وهو بعد لم يهاجر في رحلته المعروفة، إنما هذا النص التوراتي يتحدث عن انعزال إبراهيم ولوط قبل حدوث المجاعة التي اضطرتها للارتحال جنوبا إلى مصرايم.

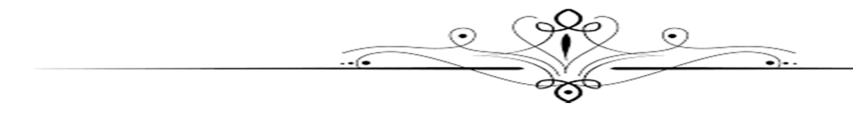
وحيث إن إبراهيم كان في عرفة فلا بد أن يكون لوط الذي اعتزله لغرض المراعي قد انتقل للسكن في أقرب قرية ممكنة من مكة، وهو عينه ما جاء في كتاب الله ﴿ وَإِنَّ لوطا لمِنَ المُرْسَلِينَ ﴿133﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وأهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿134﴾ إِلا عجوزًا فِي الغَابِرِينَ ﴿135﴾ ثُمَّ دمَّرْنَا الآخَرِينَ ﴿136﴾ وإنكُمْ لتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينَ ﴿137﴾ وبالليْلِ أفلا تعْقِلُونَ﴾ 138/ الصافات

وتذكر الآيات أن الله دمر قوم لوط، فمن هم المعنيون في الآية والذين يمرون على المدمرين صباحا وليلا؟ من الواضح أن ضمير "إنكم" عائد على المستمعين لخبر الآية حين النزول، وهم النبي محمدﷺ والعرب حوله من أهل المنطقة التي يقطنها وليس هذا الضمير مرسلا لكل مستمع أو قارئ للقرآن. فمسلمو الصين مثلا لم ولن يمروا على قرية لوط صباحا أو ليلا أيا كان موقعها، فالضمير في الآية لا يعنيهم ولا يعني أي مسلم غير أهل مكة بالخصوص وليس حتى مسلمي الجزيرة العربية لكون الآيات مكية. كما تشير الآيات بوضوح إلى أن المرور على القرية ذهابا وإيابا يتم في زمن يقلّ عن ٢٤ ساعة وذيلت الآيات بلهجة توبيخ " أفلا تعقلون"على هذا الخبر الذي كانوا يجهلون. ليس هذا فحسب بل أخبر الله تعالى أنه ترك أثرا لهذه القرية المدمرة لمن يبحث عنها ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾35/العنكبوت.

(وهذه دعوة قرآنية لضرب الأرض بمعاول علوم الحفريات والآثار فيما حول مكة على الطريق التجارية تحديدا ليتضح للمسلمين وللعالم ما طمر أئمة اليهود من حقائق جغرافية). والسبب في عدم العثور على قرية لوط حتى الآن يكمن في ثقافة توراتية محرفة شهرت سلاح "هذا من عند الله "لتحريك مسرح الأحداث وجغرافيتها ثقافيا من مكة من الأرض المباركة إلى الشام، لطمس المعالم الحقيقية للتوراة، كما قام المفسرون هم الآخرون بتفسير الآيات على ضوء الثقافة التوراتية المحرفة فصاروا دون وعي منهم يعززون التحريف والتزوير، وينحون بالقرآن نحوه، وهذا ما مثل حصن أمان للتوراة المحرفة إذ تم تحصينها بتفسيرات قرآنية تتماشى مع التوراة. وذلك ما نقرأه في بعض التفاسير "وإنكم لتمرون عليهم مصبحين أي حين دخولكم في الصباح، نزلت في قوم لوط يعني أنكم يا أهل مكة لتمرون على منازلهم في متاجركم إلى الشام، فإن سدوم التي هي بلدتهم في طريقه" ...

ويرى العلامة الطباطبائي تبرير عدم العثور على قرية لوط (ع) حتى الآن رغم دعوة الله للبحث عنها بقوله "فإنهم على طريق الحجاز إلى الشام، والمراد بالمرور عليهم، ونحن نضيف المرور على ديارهم الخربة وهي اليوم مستورة بالماء على ما قيل" (!!)... يتبين هنا أن الله جلّ وعلا أخبر العرب أنه ترك ﴿منها آية بينة لقوم يعقلون﴾ ولا يمكن أن تكون آية بينة وهي مخفية تحت الماء! فأين البيان الذي أخبر به الله إذن؟ كما أن دعوى كونها تحت الماء هو دس يهودي

أيضا بعد أن قرر أئمة اليهود إخفاء أثر هذه القرية لقربها من مكة كما أوضح الكتاب، وذلك بزرعها ثقافيا في قاع البحر الميت بالشام فينصرف بذلك الناس عن البحث عن موقعها قرب مكة، وإذا فكروا في البحث على طريق الشام قيل لهم أنها غاطسة تحت البحر الميت ![1] وربما يكون موقعها كما يقول الدكتور أحمد القشاش قرب مكة جهة الشرق منها حيث عاين مجموعات من الحجارة السوداء الغريبة عن البيئة حولها من جبال وصخور، فهي تبدو سلاسل من حجارة سوداء وكأنهم أمطروا بهذه الحجارة .



[1] ـ كتاب نداء السراة – مرجع سابق ص 220

3- بيت الله الحرام

هناك علامات لمكة في القرآن والتوراة ولكي نتأكد أن إبراهيم ارتحل من موطن آبائه إلى مكة وليس إلى الشام فلننظر في التوراة نفسها فلا بد أن نجد فيها دلالة على تزويرها، إذ لا يمكنهم طمس معالم الحقيقة كاملة بدون ترك بصمات تعين الباحثين على تتبع الحقيقة، ومنها بيت الله الحرام الذي ورد ذكره أكثر من مرة في القرآن، وهو " بيت إيل " الذي ورد ذكره أكثر من مرة في التوراة.

ولأن الخريطة التوراتية بالكامل كانت في جزيرة العرب، وفي نطاق بيت الله الحرام، ولكن اليهود قاموا بنقلها إلى الشام وإسقاط المسميات والأماكن الجغرافية على مناطق جديدة في الشام، لكن قابلهم حجر مُكعب مستعصٍ على الإسقاط في الشام أو البحث عن بديل له هناك. فإذا كانت هناك غزة في جزيرة العرب، فهناك غزة أخرى في فلسطين، وإذا كان هناك صيدا في جزيرة العرب، فهناك صيدا أخرى في فلسطين يمكن اصطيادها، وإذا كانت هناك دمشق في الشام، فهناك دمسق أخرى في جزيرة العرب، وكذلك هناك عكا أخرى في فلسطين غير تلك التي سكنتها قبيلة عك في جزيرة العرب، لأن الشعب الفلسطيني أصله آرامي انتقل من الجنوب (جنوب غرب جزيرة العرب، وليسوا عرب، لأن كلمة عرب تطلق على سكان الصحراء الحجازية الذين يتحدثون اللهجة العربية فقط) إلى بلاد الشام في هجرات متتابعة على فترات زمنية سحيقة فانضموا بذلك إلى الفينيقيين السكان الأصليين لبلاد الهلال الخصيب، إضافة إلى هجرات العرب بعد حدوث فيضان سيل العرم في اليمن وغير ذلك من الأحداث المتكررة، كانت الناس تهاجر إلى جنوب الشام، فانتقلت الثقافة المحلية والمسميات وغيرها من الأمور المألوفة في الجنوب طبعت بصماتها في الشمال، إضافة إلى ظاهرة الانتشار الوبائي للمسميات التي تبنتها التوراة على المناطق الجغرافية التي تبناها اليهود.

لكن المعلم الرئيسي وهو "الكعبة " ليس موجودا إلا في جزيرة العرب، والبقعة الوحيدة الموصوفة بأنها الأرض المقدسة والمباركة، وهذه لا بديل له في فلسطين، خاصة أن اليهود تنكروا لها ولم يريدوا الاعتراف بها في الخريطة الجديدة، ولذلك لم نجد كعبة أخرى في الشام، فقام اليهود بإسقاط الاسم محرفا على قرية في فلسطين اسمها بيتين، ليبتعدوا بذلك عن أي علاقة تكون ذات معالم طبيعية، لأنهم لو ذكروا حدث بناء الكعبة من قبل إبراهيم وإسماعيل لظهرت كل الأدلة، إذ أن كل المواقع والأحداث والإحداثيات قريبة منها. فالله تعالى يقول على لسان خليله: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي

بوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ 37/إبراهيم.

وقوله كذلك:" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ 127/البقرة. وبرغم ارتباط البيت الحرام بالكثير من الأحداث التي أرخت لها التوراة، بل إنه محور كل الأحداث إلا أنهم لم يكتفوا بطمسه من الكتاب وإسقاطه على قرية مجهولة خربة في منطقة نائية في الشام، بل أيضا اختصروا ورود ذكره في التوراة إلى عدد مرتين فقط ! فقد ورد ذكر بيت الله الحرام في التوراة بصيغة (بيت إيل (Bathel ـبيت الله، ولا يوجد في الكون بيت ظاهر ومنصوص عليه غير هذا البيت الذي تحج إليه شعوب العالم المسلمة اليوم، والذي كانت الأمم تحج إليه قبل البعثة. فهل لبيت الله ذكر في التوراة ؟ وهل استطاعوا انتزاعه من التوراة كما انتزعوه من ثقافة العالم الغربي؟ نعم لقد استطاعوا اختزال ذكر بيت الله في أحداث إبراهيم إلى مقطعين توراتيين فقط [1] .

فبعد مغادرة إبراهيم موطن آبائه بـ"حران جنوب مكة" باتجاه الأرض المباركة للعالمين يأتي أول ذكر لبيت الله وإبراهيم في التوراة في هذا المقطع "6 وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ. 7 وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ». فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. 8 ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيل وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. 9 ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالاً مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ.."(التكوين ١٢-٦،٩ (وإيل (El ـتعنى لفظ الجلالة "الله " بالسريانية و(بيت إيل (Beth-el تعني بيت الله كما يوضح لنا الطبري: "وكان يعقوب يدعى إسرائيل، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه وإيل هو الله وإسرا: هو العبد، كما قيل جبريل بمعنى عبد الله وكما: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس: إن إسرائيل كقولك عبد الله وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن

[1] ـ كتاب نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء ص 252

الأعمش، عن المنهال، عن عبد الله بن الحارث، قال: إيل: اللّه بالعبرانية [1]. أي أن إيل هو لفظ الجلالة الذي نعرفه، لكن اللسان العربي ينطقها مُفخمة ومشددة اللام (اللّه).

ويتضح من ذلك أن إبراهيم توجه من موطن آبائه إلى منطقة بيت إيل أو بالأصح شرقي الحرم المكي حيث المشاعر وكان فيها من صاروا يعرفون اليوم بالمكيين أو الحجازيين وهم من تطلق عليهم التوراة اسم "الكنعانيين" وكان اسمهم في الأصل الكنانيين. ولا يوجد أي وثيقة في العالم تنطق لفظ (الكنعانيين) غير التوراة، فكل كتب التاريخ العربي تذكر الكنانيين وقبيلة بني كنانة التي كان موطنها عند بيت الله الحرام، حتى مدونات التوراة تذكرها بلغتها الأصلية السريانية (كنانيين Cananins) لكن في النسخ التي أعيد ترجمتها للعربية تم نطقها بالعين (كنعانيين) حتى لا تصبح مدونات الإخباريين العرب دليلا على موطنهم، وتم الادعاء بأن الكنعانيين هؤلاء كانوا من سكان فلسطين وسوريا، برغم أنه لا أثر لهذا المسمى في هذه المنطقة، لكن هكذا تم استزراعه كي تنطق به كل كتب التاريخ فيما بعد وأصبح لقبا عاما لكل سكان فلسطين اليوم! وضرب إبراهيم خيامه قرب جبل يقع شرق بيت اللّه حيث بنى هناك مذبحا هو المذبح الواقع جنوب شرق بيت الله الحرام فهو مشعر مِنى، حيث المذبح القائم منذ عهد إبراهيم إلى اليوم، وهناك تقع المزدلفة، وعرفة أيضا وهي جميعا مشاعر مقدسة.

يقول الدكتور أحمد القشاش [2]: وكثيرا ما تشير التوراة إلى رحلات إبراهيم إلى أرض الجنوب، ويفسر اليهود أرض الجنوب بأنها بلاد القبط وادي النيل، برغم أن بلاد القبط تقع إلى الغرب من بلاد الشام، وبرغم أن التوراة لا تقول صراحة أنه ارتحل إلى الجنوب، بل إلى اليمن، فتذكر التوراة أنه ارتحل مرة أخرى، فسار سيرا متواليا نحو (اليَمن – תימן) وفي صيغ أخرى وردت " التيمن " و " تيمن" [3]، فهذه الكلمة

---

[1] ـ ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج١ ،ص٣٥٥) .

[2] ـ انظر د. أحمد القشاش : كتاب أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة؛ مبحث ألفاظ من القرآن والسنة النبوية ص 330

[3] ـ أثبت الباحث السعودي دكتور أحمد القشاش في بحثه بعنوان " أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة " ، وفي هذا الكتاب أثبت أن أهل السراة (أصل العبرانيين ومنبتهم الديمجرافي) ما زالوا يستخدمون ذات الكلمات والتعبيرات التوراتية، ومثال على ذلك فهم يستخدمون كلمة (بحرا) للدلالة على جهة الغرب، ويستخدمون كلمة (شاما) للدلالة على جهة الشمال، ويستخدمون كلمة (يمنا أو يمه) للدلالة على جهة الجنوب، وهي ذات التعبيرات التي استخدمتها التوراة. وبالتالي من غير المتصور أن يقف شخص في أقصى الشمال في بلاد الشام

العبرية " תימן " بمجهود بسيط على جوجل للترجمة، لا يمكن أن تخرج لنا بنتائج تتجه نحو وادي النيل أبدا وإنما " اليمن " صراحة ومباشرة، هذا غير أن كلمة " اليمن" و" التيمن " تعني: الجنوب باللغة الآرامية، وهي بالسريانية تيمنو؛ وتعني الجنوب [1] . وفي تراث العرب نجد أن كل ما وقع جنوبا عن الكعبة فهو عندهم يمن. فتذكر أنه كان مجاعة في الأرض فسار نحو الجنوب حتى بلغ أرض مصرايم، وأكرمه ملكها بعطايا جزيلة من الإبل والبقر والغنم [2]

غير أن معظم الآثار التاريخية تكاد تجمع على أن أرض وادي النيل لم تكن تعرف الإبل في زمن إبراهيم (ع)، ولا في زمن بنيه إسحاق ويعقوب، وهو الأمر الذي فطن إليه ابن خالويه من قبل حين ذكر أن الإبل لم تكن معروفة في بلاد فلسطين وأرض وادي النيل في زمن يعقوب وبنيه [3] فمن الأولى عدم معرفتها زمن إبراهيم، وتذكر جل المصادر التاريخية أن الجمل لم يعرف في تلك البلاد إلا في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد انتقل إليها من جنوب الجزيرة العربية حيث الموطن الأصلي الذي شهد استئناس الجمل

ليستخدم كلمة (شاما) للدلالة على جهة الشمال، إلا إذا كان هذا الشخص يقف بالفعل في بلاد الحجاز التي تستخدم هذه التعبيرات وما زالت.

رابط الكتاب: https://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb310714-300392&search=books

ويقول د. زياد منى أن كلمة " تيمن " تركت في النص العربي كما هي دون ترجمة !، فقط تم إضافة أداة تعريف لها ! رغم أنها غير موجودة في الأصل، لكنها ترجمت في النسخ الأخرى لتعني " جنوب" وهذا غير صحيح، لأن لفظة تيمن تعني أرض الجنوب فعلا لكن ليس أي جنوب وإنما حصرا جنوب مكة، لأن كلمة تيمن لا تستخدم في أي مكان بالعالم كدلالة على جهة الجنوب إلا في بلاد العرب. حيث يمتد إقليم عسير الذي عرف عن الإخباريين باسم " اليمن" من جنوب جوار الطائف شمالا وحتى مدينة عدن جنوبا، أما الاسم نفسه "اليمن " فيعني الجنوب/ فالتعبير العتيق " تيامنت العرب" يعني التوجه جنوبا، بينما دل العرب على ارتحالهم شمالا بالتعبير تشاءمت العرب. وتذكر كتابات الإخباريين أن العرب أطلقت الاسم اليمن على كل ما وقع جنوبا من مكة المكرمة فهو بدل من اتجاه الجنوب الجغرافي، وفي المقابل عرفت مناطق الشمال من مكة باسم الشام . و باستشارة المعاجم المختصة وكتابات الإخباريين العرب فإننا نجد الحل فورا عند البكري صاحب كتاب " معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع"، الذي ذكر أن تيمن هي أرض في شق اليمن) أي في طرف اليمن. كما أن اسم بلاد اليمن في العبرية الحديثة الصهيونية هو "تيمن "، انظر كتاب د. زياد منى " جغرافية التوراة ــ مصر وبنو إسرائيل في عسير " ص120 ـرابط كتاب زياد منى :

https://drive.google.com/file/d/0B8DAtqrPyqilZk81VTRaeUJEbDg/view

1ـ كتاب: الذات الجريحة – سليم مطر ، ص 285 وما بعدها – نقلا عن كتاب البنية الذهنية الحضارية – يوسف الحوراني – ص173ـ 178

[2] ـ سفر التكوين 9 /12

[3] ـ لسان العرب (بعر) 4/71

العربي وتأهيله حيث تمكن قدماء اليمنيين قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف عام من ترويض الجمل وإلجامه وتثبيت الرحل عليه واستخدامه في قطع الصحارى بين جنوب الجزيرة وشمالها [1] وتؤكد كثير من الدراسات إلى أن الجمل لم يدخل بلاد الهلال الخصيب إلا بعد القرن الثالث قبل الميلاد. فوجود حيوان الجمل المستأنس في قصص الأنبياء الأولين من إبراهيم وحتى يعقوب مع العلم أنه لم يكن موجودا في الحقيقة على أيامهم إلا بالحجاز واليمن وحضرموت، وغير موجود في بلاد العراق حتى أواخر العصر الأثوري ولا في تاريخ بلاد القبط القديمة حتى الغزو الفارسي، وأكدت ذلك دراسات الدكتور ألبرت الباحث الأركيولوجي التوراتي الذي أتى من أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية إلى الشرق الأوسط وقام ببعثات متكررة لدراسة عظام الحيوانات بالكربون المشع لتقدير أعمارها. وهذا ما يصنع أزمة حقيقية في علوم التوراة لأنها تزعم أن هؤلاء الأنبياء استأنسوا الجمال في بلدان أثبت العلم أنها لم تعرف الجمال.

إنما اليهود يقولون بأنه انتقل من الشام إلى بلاد القبط وادي النيل، فهل انتقل إليها بمواشيه على ظهور الحمير أو مشيا على الأقدام، وهي التي ظن العالم أنها القبط التي تبعد عن المشاعر ما يقارب ١٥٠٠كلم وتقع في جهة الشمال من مكة وليس الجنوب كما جاء في التوراة، وتقع إلى الغرب أيضا بالنسبة للشام وليس كما جاء بالتوراة، وكانت ترافقه في رحلاته هذه أغنام قصيرة النجعة ترعى وتقيل ساعات طوال! ولكي تدرك صعوبة أن يقطع المرء الصحاري والوديان بصحبة ماشية نجد في التوراة نفسها الجواب في قول يعقوب: أنت تعلم يا سيدي أن الأولاد ضعاف، والغنم والبقر التي عندي مرضعة، فإن أجهدتها في السير، ولو يوما واحدا، هلكت الغنم كلها. فتقدم مني يا سيدي، وأنا أمشي متمهلا على خطى الماشية التي أسوقها وخطى الأولاد حتى ألحق بك في سعير" (التكوين ١٣-٣٣)

ثم عاد وأقام إبراهيم إلى الشرق من بيت الله (بيت إيل) وبنى هناك مذبحا، وكان يرافقه ابن أخيه لوط، وكان لكل منهما ثروة من الماشية، فحصل بين رعاتهما خصومة، فقرر لوط أن يرحل ويسكن

[1] ـ انظر: الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى 57 نقلا عن مجلة (الأركيولوجيا الأمريكية) المختصة في الدراسات الآثارية في عددها الصادر في مايو 1983 مجلد 36/3 ص 23

بوادي الكُر (הככר –ha-kkur) إلى الشرق أيضا من بيت الله [1] ، ومعروف أن وادي الكُر يقع في مكة شرق بيت الله، فكيف قال اليهود أن إبراهيم كان بأرض كنعان بالشام؟! والجواب يقوله الدكتور أحمد قشاش؛ بأن أرض كنعان المذكورة في التوراة ما هي في الحقيقة إلا أرض كنانة، وهي قبيلة من أكبر قبائل العرب. غير أن إقامة إبراهيم شرق بيت إيل (بيت الله) وإقامة المذبح ينطبق تماما على منىً الواقعة شرق بيت الله الحرام، فهناك يذبح المسلمون إلى اليوم الهدي تأسيا بفعل النبي إبراهيم، وسمت التوراة المكان الذي نصب فيه إبراهيم خيمته شرقي بيت الله " المقام " (המקום – H-maqom) وهو ذاته التعبير القرآني العربي الذي سمى مكة والمشاعر المقدسة " مقام إبراهيم" [2] بعد إضافة حرف (الهاءـH) أداة التعريف العبرية، ومن هذا المقام انطلقت دعوة إبراهيم إلى الناس لعبادة الله وحده، وحج بيت الله الحرام، وانتقال لوط إلى وادي الكُر شرقا ينطبق على وادي الكُرّ الواقع إلى الشرق من مكة المكرمة بنحو أربعين كيلومتر، حيث ذكر النص بأنه يقع بأسفل الريدن، وهو على القلب من الريدن، وهو في العربية الجبل الشاهق الشديد الانحدار وهو ما يطابق الواقع في هذه المنطقة، فوادي الكُر ينحدر معظمه من قمة جبل شعار إحدى قمم عقبة كرا التي تربط بين الطائف ومكة [3] .

وأما الذكر الثاني والأخير لبيت الله ولإبراهيم في التوراة هو هذا المقطع الذي يشير إلى عودة إبراهيم مرة أخرى من مصرايم إلى مكة وإلى نفس المكان الذي تركه، "فصَعِدَ ابرَام مِن مِصرَايم هوَ وامرأته وكُلُّ مَا كَان لـه ولُوطٌ مَعـه إلى الجَنـوبِ. وكَان إبرَام غَنيا جِدا فِي المَواشِي والفِضةِ والذهب. وسَارَ فِي رِحلاتِـهِ مِنَ الجَنـوبِ إلى بَيـتِ إيلَ إلى المَكَان الذِي كَانت خيمَته فِيهِ فِي البَداءَةِ بَينَ بيتِ إيلَ وعَايَ إلى مَكَان المَذبَحِ الذِي عَمِله هنَاكَ أولا. ودَعا هنَاكَ إبرَام باسم الـرب)".تكوين١٣ـ١،٤)

والمنطقة التي يقع بها بيت إيل كما جاء في التوراة هو لوز "ودعا اسم ذلِكَ المَكَان «بيتَ إيلَ». ولكِنِ اسم المدينة أولا كَان لوز."(تكوين ١٩:٢٨) والحجاز حيث يقع بيت الله كانت تعرف اتفاقا بالجوز ! " أخبرني من أثق به أن جبال السراة المقاربة للطائف وهي بلاد هذيل يقال

---

[1] ـ سفر التكوين 13 /1ـ12

[2] ـ انظر تفسير الطبري 526 ، 530 /2 ، وتفسير الثعالبي 78 ، 79 /2 وأحكام القرآن لابن عربي 71 /1 ، 95 /2 وأحكام القرآن للجصاص 1/92

[3] ـ انظر د. أحمد القشاش : كتاب أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة؛ مبحث ألفاظ من القرآن والسنة النبوية ص 330

لها الجوز، وإليها تنسب الأبراد الجوزية، وهي وزرات بيض ذات حواش يأتزرون بها [1]، قال السكري: الجوز جبال ناحيتهم، ويقال: الجوز الحجاز كله، ويقال للحجازي جوزي، وينسب إلى هذه النسبة الفقيه أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي [2].

ما يعني بوضوح أنه عاد إلى منطقة الإقامة حول بيت الله الحرام. وبالنظر في الواقع نعلم أنه لا يمكن الخروج من مملكة القبط بالتوجه إلى الجنوب والسياحة في الصعيد ثم العودة إلى الشام، مما يعني أن إبراهيم ولوط (ع) قد تجولا بما لديهما من أبقار وأغنام داخل مملكة القبط قبل أن يتوجها شمالا إلى بيت إيل حيث نصب خيمته أول مرة عندما وصل هناك من أور الكلدانية إلى حاران ثم حبرون وبيت إيل التي أسقطها اليهود على قرية بيتين الفلسطينية، فيكون مجمل رحلات نبي الله إبراهيم بين آسيا وأفريقيا يفوق 3000 كلم وفق الحسابات اليهودية دون أن يدخل مكة ! فليس هناك بالطبع أي ذكر لرحلة نبي الله إبراهيم إلى مكة ولا بيت الله في خرائطهم وكأن هذه الآية ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لا تعني اليهود ولا تعني المسلمين أيضا لأنهم صدقوا على مهاترات اليهود، وحتى وإن قلنا بأن نبي الله إبراهيم هو الذي بنى الكعبة، فهل يكون ارتحل من مكة جنوبا ليصل مملكة القبط على بعد 3000 كلم شمالا ذهابا وإيابا بالغنم والبقر! والغريب أن المسلمين ما زالوا يروجون لرحلات إبراهيم (ع) اليهودية في برامج التلفاز والمناهج الدراسية والكتب التاريخية، وهذا ما يؤكد وجهة نظرنا في أن اليهود نجحوا في أن يجعلوا العقل العربي السليم يفكر ببوصلة يهودية بامتياز . فهل آن الأوان لاستيعاب حجم الكارثة الأسطورية التي سطرتها "الإسرائيليات" لنا وللعالم أجمع قبل ٢٣٠٠ سنة؟



[1] نداء السراة – مرجع سابق

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢ ،ص١٨٣

4ـ بئر زمزم

اليهود يذكرون بالفعل أن نبي الله إبراهيم أودع زوجته هاجر في صحراء فاران، وعندما عطش الطفل تفجر نبع ماء تحت قدمه، لكنهم لا يذكرون مسمى بئر زمزم، وإنما بئر شبعة أو بئر سبع ومعروف تاريخيا أن بئر زمزم من أسمائها بئر سبع، لأن اليهود أسقطوها على منطقة ما في فلسطين أسموها بئر سبع ويريدون احتلالها، برغم أن الله تعالى يقول على لسان خليله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾37/إبراهيم، لكنهم ينكرون تماما أن يكون هذا الوادي في مكة وعند البيت الحرام. أما بيت الله الحرام والأرض المباركة فلم يستطيعوا العثور على مثلها في فلسطين، فقاموا بإسقاطها قرية بيتين، وأنكروا أن يكون إبراهيم هو من بنى بيت الله الحرام أو حج إليه. وكل مسلم يعرف قصة تدفق مياه بئر زمزم تحت أقدام إسماعيل وهو طفل ببطن مكة بعد أن أعيا العطش هاجر وابنها الصغير. ويقع بئر زمزم على بعد بضعة أمتار عن الكعبة المشرفة كما هو حاله حتى يومنا هذا. فهل يوجد ذكر لحادثة إسماعيل (ع) والبئر في التوراة؟

القصة في التوراة؛ سفر التكوين21: 14ـ21): " فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الْوَلَدَ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ، وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ بَعِيدًا نَحْوَ رَمْيَةِ قَوْسٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «لاَ أَنْظُرُ مَوْتَ الْوَلَدِ». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ. فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ، وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا لَكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ. قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ. وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ. وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ".

فلنحلل هذا النص التوراتي، ونحن نعلم أن هاجر وابنها إسماعيل أسكنا (ولم يطردا أو يبعدا) عند بيت الله كما نص القرآن الكريم حيث ينقل قول إبراهيم(ع)﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ 37/إبراهيم. (هذا ما نعرفه عن نهاية رحلة خروج هاجر

وابنها من مضارب خيام إبراهيم (ع). والتوراة سوف تفصل لنا وللعالم قاطبة كيف وصل إسماعيل وأمه إلى جوار البيت وكيف نبع بئر زمزم. فاليهود يقولون أن الخليل إبراهيم "طرد" عائلته من الشام بقربة ماء وقليل من الخبز. ثم تاهت هاجر في الصحراء على مسافة نفاذ قربة الماء لتجد نفسها في منطقة بئر سبع الفلسطينية ! ونظرا لأن بئر سبع الحقيقية تقع في صحراء (فاران=مكة) فقد أسقطوا فاران هذه على شمال سيناء والعريش! وطبعا لم تذكر التوراة السبعونية أن إسماعيل وأمه هاجر وصلا إلى مكة في جزيرة العرب وأن النبي إبراهيم هو من أوصلهم وأودعهم بنفسه عند بيت الله الحرام، وأن الماء الذي روي منه يدعى بئر زمزم . لذا فإن الغرب لا يعرف هذه الحقيقة حتى اليوم، إذ قيل لهم إن هاجر وابنها تاها في منطقة تدعى بئر سبع، والتي من المفترض أنها تبعد عن موطن إبراهيم مسافة نفاذ قربة ماء.

والأمر هنا أبعد من الأفق العقلي لعقول العرب، فليس الأمر مجرد تجهيل لمقر هاجر وابنها وإنما تمويه في تيه يؤدي إلى مسخ للهوية بالكامل، وذلك لأن هاجر بالنسبة للإسرائيليين هي جارية وخادمة عند أبيهم إبراهيم وقد تضايقت منها أمهم ساراي فنبذتها بعدما أنجبت هاجر إسماعيل وبقيت ساراي دون إنجاب، ومن الطبيعي أن يتجاهل الإسرائيليون هاجر وابنها مثلما فعلت أمهم ساراي، والتجاهل هنا جاء باختصار وتشويه الحدث وتنكير موقعه وتجهيله. وعليه كان لا بد أن تكون بئر السبع في فلسطين حيث خيام إبراهيم كما قالوا للعالم حتى تكتمل دائرة الوهم العالمي، (برغم أن اليهود يعترفون أن موطن بني إسماعيل في مكة)... أما المؤرخون والمفسرون المسلمون فقد قالوا للعالم أن إبراهيم بالفعل كان مقيما بالشام كما يقول اليهود، لكنهم لا يوقفون رحلته بهاجر وطفلها عند بئر سبع الفلسطينية بل يمدونها إلى مكة وبئر زمزم، ثم إذا قيل لهم أن قربة الماء لا تكفي السفر لمسافة 1500 كلم متواصل في الصحراء، قالوا إنه ركب البراق !

والأعظم من ذلك هو أن ذاكرة العرب القدماء تحفظ حقيقة أن بئر زمزم كان يدعى أيضا بئر شبعة وهو ما نقرأه في هذا المقتبس "وفي رواية معاوية" أسماء زمزم: ركضة جبرائيل، وحفيرة إسماعيل، وحفيرة عبد المطلب وزمزم وبرة والمضمونة والردا وشبعة وطعام وشفاء [1] ... وهذه قرينة أخرى على أن بئر سبع المذكورة في التوراة والتي قالوا أنها في فلسطين وقريبة

---

[1] ـ نقلا عن كتاب نداء السراة ـ مرجع سابق – نقلا عن المحقق البحراني ـ الحدائق الناضرة ـ ج ١٧ ص ٣٤١ ،جعفر كاشف الغطاء ـ كشف الغطاء ـ ج ١ ص ١١٤ محمد الريشهري ـ الحج والعمرة في الكتاب والسنة ـ ص ١١٤ ،الشيخ

من موطن خيام إبراهيم، هي في الواقع بئر زمزم وقريبة أيضا من موطن خيام إبراهيم التي بجوار مكة وليست على بعد 1500كلم في فلسطين.

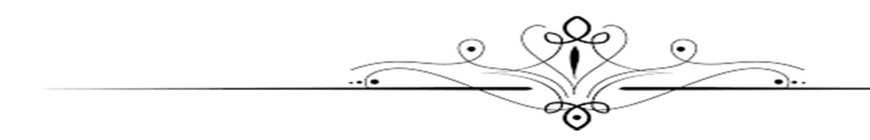
وما يهمنا هنا أن قربة ماء وخبز هما كل ما كان ضروريا لرحلة هاجر وإسماعيل باعتراف اليهود. فكم كيلومتر تقطع سيدة مشيا على الأقدام وهي تحمل قربة على كتفها وتجر طفلا بيدها قبل أن تنفذ هذه القربة؟ نقترح هنا بين ١٥ إلى ٢٠ كيلومتر حسب حجم القربة وحرارة الطقس. وحيث إننا نعلم أن هاجر وابنها انطلقا من خيام إبراهيم (ع) بصحبة إبراهيم وانتهت الرحلة بهم بجوار بيت الله، فكم هي المسافة المتوقعة من بيت الله إلى خيام إبراهيم (ع) إذن؟ 1500 كلم كما يدعي مؤرخونا ؟! أم ١٥ إلى ٢٠ كلم كما ينص العقل والمنطق؟ لقد طرح هذا التساؤل المنطقي على أئمة اليهود بعد أن عبثوا بجغرافيا الأنبياء وكان جوابهم لبني جلدتهم من العرب وبكل استخفاف واستهتار بالعقل هو التالي "وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليها من الشام أن سارة بنت عم إبراهيم (ع) شجر بينها وبين هاجر أمر، وسماء ما بينهما، فأمر إبراهيم أن يسير بها إلى مكة، فاحتملها على البراق واحتمل معه قربة بماء ومزود تمر، وسار بها حتى أنزلها بمكة في موضع البيت، ثم ولى راجعا"[1] ...

فالمنطق العقلي يقول طالما أنهم استعانوا بقربة ماء تمكنوا بها من الوصول إلى بيت الله، فهذا يحتم أن موطن إبراهيم يقع قريبا من مكة على مسافة نصف يوم كحد أقصى، وهذا ما يعني أن إبراهيم كان مقيما في أجوار مكة المكرمة. ومن الآيات السابق ذكرها نفهم أن إبراهيم اعتزل قومه في الأرض المباركة للعالمين "مكة"، ووضعية الاعتزال وليس السفر والهجرة تعني أنه انتقل إلى مكان قريب من موطن قومه الأصلي، وبعدها مباشرة رزقه الله بإسماعيل، ثم إسحاق، ثم ذهب ليودع زوجته هاجر وطفلها على مسيرة نصف يوم بقربة ماء عند البيت الحرام، وهذا دليل إضافي على أنه قريب من مكة. حيث تعلمنا من آيات سورة الأنبياء السالفة الذكر أن إسحاق ويعقوب ولدا بعد خروجه من موطن آبائه إلى الأرض المباركة للعالمين أي مكة، وهي كانت مباركة قبل

الصدوق ـ الخصال ـ ٤٥٤ ،الحر العاملي – وسائل الشيعة (آل البيت) ـ ج ١٣ ـ ص ٢٤٦ ،العلامة المجلسي ـ بحار الأنوار ـ ج ٩٦ ص٢٤٣ ،السيد البروجردي ـ جامع أحاديث الشيعة ـ ج ١٠ ـ ص ٣

[1] ـ السهيلي، الروض الأنف، ص٥٥ نقلا عن كتاب نداء السراة الذي أصدرته جمعية التجديد الثقافية – مرجع سابق.

وصول إبراهيم إليها نظرا لوجود مقر بيت اللّه بها، وليس كما يقول اليهود بأن الأرض المباركة للعالمين هي الشام نظرا لوجود أنهار وأشجار بها !.



5- موطن إقامة إسماعيل

جميعنا يعرف أن خليل الرحمن أودع زوجته وطفلها في مكة قرب موضع البيت الحرام حيث تفجرت تحت قدمه نبع ماء هي بئر زمزم، ونعلم أنه نما وعاش في هذا المكان وتجمعت حوله قبائل العرب من قبيتلي جرهم والعماليق عندما لاحظت الطير تحط على نبع الماء.. وكبر إسماعيل وعمل صيادا وراعيا وتزوج في ذات المكان. وذكرت التوراة أن إسماعيل سكن في برية فاران. وفاران هذه لم يعرف موقعها أحد اليهود في عصر الإمام الرضا حفيد رسول الله(ص) واسمه رأس الجالوت. ففهمه الإمام الرضا في حوار طويل ونقل نتيجة الحوار جملة من المؤرخين وذكروا تعريف فاران كما ذكره الرضا لرأس الجالوت، وفي الحديث ذكر أن فاران هو اسم عبراني لجبال مكة شرفها الذكر في أعلام النبوة قال "وألفه الأولى ليست همزة" . ونجد قولا أكثر تحديدا ؛ فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة، وقيل هي اسم لجبال مكة. إذا يعترف اليهود دون علم الكثير منهم أن هاجر وإسماعيل سكنا على بعد مسافة نفاذ قربة ماء عن خيام إبراهيم بمنطقة فاران أي مكة. هذا إلى جانب أن إبراهيم (ع) كان يذهب إلى ابنه وزوجته كل حين كما نقل لنا ابن كثير في تفسيره حيث يقول "وقد كان إبراهيم (ع) يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فاران وينظر في أمرهما "، ولكن كيف يمكن لرجل طاعن في السن أن يسافر مسافة 1500 كلم قاطعا صحارى ووديان شاسعة ذهابا ثم يقطع مثلها إيابا، أي ما مجموعه قد يصل إلى 3000 كيلومتر في كل زيارة على ظهر حمار أو مشيا على الأقدام!! ليتفقد أمور أسرته في مكة وهو في الشام ! أما الجواب اليهودي المستهتر بعقول العرب فكان بكل بساطة كما ينقل ابن كثير في تتمة كلامه السابق "وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعا إلى هناك في كل زيارة". والله أعلم [1].

وفاران – وإن وردت في سياقات كثيرة في التوراة تم صرفها على أنها في فلسطين ـ إلا أن الإمام القرافي يقول:" فاران مكة باتفاق أهل الكتاب" [2]، وقال ابن تيمية: " ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أنّ فاران هي مكة، فإن ادعوا أنها غير مكة، فليس ينكر ذلك من تحريفهم

[1] ـ كتاب نداء السراة – مرجع سابق ـ ص 226

[2] ـ الإمام القرافي في كتابه " الأجوبة الفاخرة " ص165

وإفكهم " [1]. وقد قال أيضا عن المنطقة حول جبل حراء في مكة:" وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم".

ومن أشهر كُتاب التاريخ المعاصر المؤرخ العالمي "ول ديورانت"، في كتابه " قصة الحضارة "، يقع هذا الكتاب في اثنين وأربعين جزءا، تحدث فيه عن تاريخ معظم الحضارات، ومنها تاريخ الجزيرة العربية، فكان مما قاله في حديثه عن الكعبة:" بناها في المرة الرابعة إبراهيم وإسماعيل ابنه من هاجر" [2]

وقد قرر عبد الحق فديارتي " أنه في الترجمة العربية للتوراة السامرية – التي نشرت عام (1851م) – ورد فيها أن (فاران) تقع في (الحجاز)، على الوجه الآتي:" سكن في برية فاران (حجاز)، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصرايم". وهذه الترجمة استمرت متداولة لوقت طويل، ولكن عندما نبه المسلمون العالم المسيحي إلى هذه النبوءة، وأنها بمثابة شهادة على حقيقة هذا النبي الكريم لأن هذا الكلام يصدق على ما جاء به القرآن، فتم تعديل الترجمة " [3].

وورد في العهد الجديد في " المزمور" (84) (5ـ10) اسم " وادي بكة "، ونحن نورد النص هنا باللغة الانجليزية، من نسخة الملك جيمس، حيث جاء فيه:

Blessed is the man whose strength is in thee; in whose heart are the ways of them Who passing through the valley of Baca make it a well…For a day in thy courts is better than a thousand"

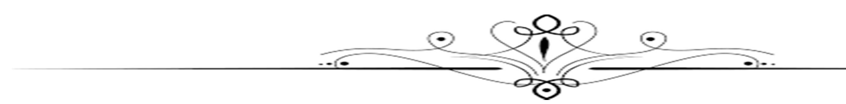
وترجمة هذا النص هي:" طوبى لأناس عِزُّهم بك، طرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي (Baca)، يصيرونه ينبوعا... لأن يوما واحدا في ديارك خير من ألف".. ومعروف أنه لا يوجد في الأرض واد اسمه (بكة) يشتمل على بيت عبادة وينبوع ماء (زمزم)، الصلاة فيه أفضل من ألف فيما سواه، سوى مكة المكرمة. وبكة أحد أسماء مكة، ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران/96. غير أن مترجمي

[1] ـ ابن تيمية في كتابه " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " 5/200

[2] ـ ينظر ول ديورانت ، في كتابه " قصة الحضارة " (13/18).

[3] ـ عبد الحق فديارتي في كتابه " محمد في الأسفار العالمية " (ص70ـ71)

ومفسري العهد الجديد حرفوا كلمة (Baca) إلى (البكاء)، رغم أن الأعلام لا تترجم إلى معاني وإنما تنقل بذات الكتلة الصوتية لها، ورغم أن هذه الكلمة لا تعنى البُكاء وإنما (بَكّة) مستقاة من الفعل العربي بكَّ أي تزاحم في الطواف، وربما إشارة لانتشار أشجار البكَا في جبال المنطقة، ولكن رغبة منهم في إفناء كل إشارة إلى شيء من معالم مكة المكرمة، فقد وقع هذا التحريف المتعمد مؤخرا.



6- زواج إسماعيل

نعود لسفر التكوين إصحاح21 لنقرأ في ثناياه:" 20 وَكَانَ اللهُ مَعَ الغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ.21 وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَايِمَ."

حيث تصف العبارات حياة إسماعيل حول بئر زمزم وفي برية فاران التي هي مكة أو جبال مكة، ثم تقول التوراة أن أمه أخذت له زوجة من أرض مصرايم !! وبسذاجة نتساءل، ألا يعني ذلك أن مصرايم هذه هي قرية قريبة من مكة ؟! فقد كانت مسألة إيداع هاجر وطفلها في هذا المكان معضلة، ومعضلة أخرى في السفر إذا قلنا أن المسافة بعيدة وقربة الماء لن تكفي وغير ذلك، فهل من المنطق أن تترك هاجر هذا المكان بعد هذا العناء وتسافر إلى إيجبت وادي النيل كي تتخذ لابنها زوجة ؟!

ثم أن هناك مواضع أخرى في التوراة تقول صراحة أن إسماعيل تزوج بامرأتين، الأولى عمليقة أي من بني عمليق وهي التي أمر إبراهيم ابنه إسماعيل بتطليقها عندما اشتكت له ضيق الحال، والثانية جرهمية أي من قبيلة جرهم ! فهل هذه هي القبائل العربية المنتشرة في جزيرة العرب والتي نعرفها جيدا، أم أنها موجودة داخل أراضي وادي النيل التي كان اسمها إيجبت؟! وسكانها شعب مدني وليس قبائل! ثم نتساءل هل كانت إيجبت في هذا الوقت اسمها "مصرايم "؟! أم أن العرب هم من أطلقوا عليها مصرايم؟! فالتوراة تنطق اسم مصرايم قبل ميلاد إسماعيل نفسه أي أن الاسم كان معروفا عند العرب الأقحاح قبل إبراهيم وإسماعيل، فهل كانوا يقصدون بها إيجبت؟! أم قرية مصرايم الآرامية الواقعة جنوب الحجاز؟! ولمن يقولون أن العرب قبل الإسلام كانوا يطلقون على بلاد القبط اسم "مصر" فهل كانوا يطلقون عليها أيضا " مصرايم" ! فكلمة مصرايم سريانية، ونطقها العربي (التالي في الزمن) مصر.

ثم هل يترك إسماعيل أمه تسافر إلى إيجبت وادي النيل كي تعود له بزوجة ! وهل يترك إبراهيم زوجته هاجر تسافر إلى إيجبت وادي النيل قاطعة مسافات شاسعة عبر الصحارى والوديان والبحر الأحمر أو خليج العقبة وخليج السويس والصحراء الشرقية مسافة 4000 كيلومتر ذهابا وإيابا !! إذ كانت الطريق كلها بين مكة والقاهرة صحارى وجبال ومسالك وعرة مليئة بقطاع الطرق والأعراب الصعاليك، فأي عقل يقبل أن تسافر امرأة بمفردها كل هذه المسافة وزوجها جالس في خيمته وابنها يتمتع بالصيد في البراري !! أم أنها هي الأخرى كانت تركب البراق !

ثم اقرأ معي من أين تزوج إسماعيل .. التوراة تقول" وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَايِمَ"(تكوين 21).. ونحن نعلم جميعا أن إسماعيل عاش في مكة أو بمحيطها، وأبناء إسماعيل عاشوا بالقرب من مكة، وصاهر إسماعيل قبائل العماليق وجرهم، والعماليق هؤلاء هم عشيرة آرامية تنتمي إليها قبيلة الفراعين العماليق التي تسيطر على إمارة مصرايم جنوب مكة .. ولهذا كان من السهل على هاجر أن تزوج ابنها إسماعيل من أرض مصرايم (أي من أهلها). ولا علاقة للأقباط بهذه القبائل والأنساب.

والسيدة هاجر العملاقة أم إسماعيل .. أطلق عليها اسم "هاجر المصرية" في الوقت الذي كان العالم أجمع سواء الرومان أو الإغريق يطلقون على بلدنا لقب " إيجبت" وكان العرب والعبرانيين يطلقون عليها " إيقبط أو قبط، فلماذا لم يطلق على هاجر زوجة سيدنا إبراهيم لقب " هاجر القبطية " مثلما أطلق على السيدة مارية زوجة رسول الله ﷺاسم " مارية القبطية " واختها سيرين القبطية، وجميع الصحابة الأقباط الذين اختلطوا بالرسول حملوا لقب قبطي وليس مصري، والسبب ببساطة أن مارية القبطية هي فعلا قادمة من " إيجيبت = إيقبط " بينما هاجر المصرية هي قادمة من مملكة مصرايم القريبة من أماكن تواجد بني إسماعيل أي في مكان بالساحل الغربي لجبال عسير. وكُتب التاريخ ذكرت أنها عملاقة أو من قبيلة العماليق، بينما التوراة وصفتها بأنها مصرية، لأن بني إسرائيل كان بينهم وبين العماليق عداء شديد وهم أبناء عمومتهم وكانوا يقطنون في مملكة مصرايم هذه وحولها، فلم يريدوا ذكر اسمهم في التوراة مقترنا باسم أبيهم إبراهيم لأن معنى ذلك أن ذكرهم سيرد غصبا في موضع مدح اقترانا باسم أبيهم، فاستعاضوا عن لقب " العمليقة" بلقب "مصرية " في هذا الموضع، لأنهم لا يحبون الاعتراف بأن أباهم متزوج من أعدائهم، فذكروا موطنها مصرايم، ومصرايم يسكنها عماليق وغير عماليق من الآراميين، بينما كتب التاريخ اليهودي ذكرت صراحة أن هاجر عملاقة، ولذلك لم يحمل أي شخص لقب مصري في هذا التاريخ سوى هاجر، ولا يوجد شخص في العالم حمل صفة مصري أو مصرية خلال هذه الحقبة الزمنية سوى السيدة هاجر، وفي الوقت الذي كانت فيه بلاد وادي النيل تسمى " كِميت وإيجبتوس وقبط "

ثم إذا انتقلنا إلى كتاب "مروج الذهب" للمسعودي [1] (وهو من أعلام كتب التاريخ القديمة) فسنجد المسعودي يقول: "فأجاب الله دعوة سيّدنا إبراهيم (ع) وآنس وحشة هاجر وإسماعيل بجرهم والعماليق بعد أن فجّر الله بئر زمزم تحت خد إسماعيل الوليد وهو يبكي عطشا ممّا جذب الطير إلى موقعهم والذي هدى بدوره جرهم والعماليق إلى ذلك المكان".

وهذا هو نفس المعنى الذي أكّده الثعلبي في كتابه المشهور "عرائس المجالس" [2] إذ يقول عن هاجر وابنها إسماعيل: " فذهب بهما إبراهيم حتى قدم مكّة، وهي إذ ذاك عضاة وسلم وسمر، وبحواليها خارج مكّة أناس يقال لهم العماليق، وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء"... ثم يعود المسعودي ليكمل القصّة ويقول: "وعندما كبر إسماعيل صاهر القبيلتين فتزوج عملاقة وجرهميّة " [3] ... وفي ذات السياق تقول التوراة في حديثها عن إسماعيل: "أنه سكن في بريّة فاران، وأخذت له أمّه زوجة من أرض مصرايم" (**تكوين**: 21ـ22)

ونستنتج من ذلك أن برية فاران هي المنطقة الواقعة فيها مكة حاليا والتي سكنها سيدنا إسماعيل قرب موضع البيت الحرام، وتجمع حوله أناس من قبيلتي العماليق وجرهم، وصاهر هو القبيلتين، أخذ زوجة له من جرهم وأخرى من العماليق، بينما تقول التوراة أنه أخذ زوجة من أرض مصرايم، (كما قالت كتب التاريخ أن هاجر عملاقة بينما قالت التوراة أن هاجر مصرية) فهل كان بالفعل زوجة إسماعيل من أرض الحضارة التي هي وادي النيل المعروفة في ذاك الوقت بـ" كِميت " وإيجبت ؟ أم أنها كانت من قبيلة العماليق التي لها وجود في بلدة تسمى "مصرايم " الواقعة جنوب مكة؟ فالعماليق لم يكن لهم وجود في أرض كِميت وادي النيل ولا شعوب شمال أفريقيا، إنما موطنهم الجزيرة العربية، وهم معروفون بالاسم هناك، وتحدثت عنهم الكثير من مصادر التاريخ العربي.

[1] ـ كتاب "مروج الذهب" للمسعودي ـ الجزء الثاني صفحة رقم 46

[2] ـ الثعلبي ـ كتاب "عرائس المجالس" الصفحة رقم 82

[3] ـ المسعودي ـ مروج الذهب ـ الصفحة رقم 47

ونقف مع أوروسيوس [1] حيث قال عن إبراهيم (ع) "و ولد له إسماعيل من جاريته هاجر العملاقة، وتزوج إسماعيل امرأة من العماليق فولدت له اثني عشر ولدا"

إذن أوروسيوس قال أن هاجر عملاقة، وأن إسماعيل بدوره تزوج عملاقة من أهل والدته، بينما التوراة تؤكد أن هاجر كانت مصرية وأنها بدورها زوجت إسماعيل من زوجة من أرض مصرايم ... وهو شيء لا يحمل أي معنى إلا أن العمالقة كان لهم تواجد داخل مصرايم العربية، وهذا سنفهمه من الاسم الخماسي لفرعون موسى نفسه (الريان ابن الوليد بان لاوذ ابن عمليق).. ثم أن ابن هشام من ناحية أخرى كان قد ذكر في كتاب الروض الأنف أن أخوال إسماعيل كانوا من الجراهمة... إذن ليس لهذا إلا معنى واحد أن هاجر (والمعروف عنها أنها كانت من مصرايم) كانت أيضا جرهمية (وهى عند أوروسيوس من العماليق).. مع ملاحظة أن كتب التاريخ أصدق أنباءً من التوراة المزورة، لأن كتب التاريخ يتم تدوينها على فترات مختلفة بواسطة أشخاص لا يعرفون بعضهم البعض نقلا عن أشخاص لا يعرفون بعضهم البعض فلا يمكن أن يكون بينهم اتفاق على الكذب، بينما التوراة المزورة اجتمع واتفق سبعون كاهنا في زمان واحد في مكان واحد في اجتماع واحد، واتفقوا جميعا على تسيير نص التوراة في وجهة دون أخرى.

وهنا تظهر تساؤلات أخرى: هل كانت أرض وادي النيل معروفة في هذا الوقت بهذا الاسم " مصرايم"؟ وهل ورد ذكر عماليق أو جرهم ناحية أرض وادي النيل كيميت- إيجبت؟ هل ورد ذكر للعماليق على جدران المعابد والأهرامات؟ فالمصادر التاريخية تؤكد أن إسماعيل تزوج من العرب (قبيلة العماليق و جرهم) وأن أمه هاجر كانت من العماليق وكانت مصريمية ! أي من أرض مصرايم التي يعود جذر التسمية لغويا إلى مصرايم ابن نوح بينما أرض وشعوب وادي النيل "كِميت- إيجبت " في هذا الوقت لم يعرفوا كلمة مصرايم هذه، ولا مصرايم ابن نوح ولا أنساب العرب واليهود هذه ! .. وكذلك الجذر اللغوي لاسم " هاجر " ليس موجودا في الهيروغليفية، بل هو اسمٌ عربي متين دون نقاش. والغريب أن هناك من الباحثين في التاريخ الجبتي يقول أن أصل كلمة "مصر " مشتق من الجذر الهيروغليفي " مجر " والتي تعني الحدود أو الحد والسور أو الحصن، ويتكهنون أن هذه اللفظة تطورت على يد جيران أرض كيميت "الكنانيين العرب" فصارت جرم أو رجم أو مصر! بينما التوراة تقول أن هاجر أم إسماعيل هي من أرض مصرايم المسماة على اسم مصرايم ابن نوح (ع)، وهذا ما يعني أن هاجر لو كانت التوراة قد

[1] ـ أوروسيوس ـ كتاب تاريخ العالم ـ الصفحة 92

وصفتها بأنها مصرية فهي يعود نسبها إلى مصرايم المشتق من اسم مصرايم ابن نوح وليس من " مَجَر" التي زعموا أنها ممكن تنقلب جرَم لتعطي اسم قبيلة جرهم ثم تنقلب مَصر لتعطي اسم مصرايم، وفي النهاية تكون اسم لإمبراطورية القبط أو كِميت وادي النيل !

وإذا كانت التوراة تقول بأن إبراهيم اشترى جارية مصرية، والمؤرخ اليهودي يوسيفوس يقول بأن هاجر جارية اشتراها إبراهيم من مصرايم وهي من قبيلة العماليق ! فهل كانت هناك تجارة عبيد في وادي النيل ؟! وللعلم فإن شعب وادي النيل لم يعرف الرق ولا تجارة العبيد، وآخر حدود هذه التجارة كانت في بلاد النوبة والسودان، حتى أن عمرو ابن العاص عندما وصل بجيشه إلى بلاد النوبة ولم يستطع فتحها عنوة تصالح مع أهلها مقابل عدد من العبيد يسلمونهم لعمرو كل سنة بدلا من الجزية، لأن العرب الأوباش كانت هذه عاداتهم منذ الجاهلية يخطفون البشر لاستعبادهم وبيعهم في أسواق النخاسة.. أما هذه النوعية من التجارة الخسيسة فلم تكن معروفة في وادي النيل، ولا شعب وادي النيل عرف تجارة الرق ولا عرف قبيلة عمليق ولا قبيلة جرهم ولا حتى اسم مصر ولا مصرايم، لأن إمبراطورية وادي النيل في هذا الوقت كان اسمها " إيجبت" على المستوى الدولي العالمي، و" كِميت" على المستوى الشعبي المحلي، وباللهجة البحرية "كيمي" وباللهجة الصعيدي" كِميت"، وشعبها كيمتيو، ولغتها رنكميت".

وكان إبراهيم بعدما انعزل عن قومه واتخذ مقاما منفردا ثم انعزل عن لوط ابن أخيه من أجل توفير مساحة للمرعى، ثم حدث جفاف في المنطقة ومجاعة فتحرك بقطعانه ومتعلقاته وخيامه وابن أخيه لوط معه انحدرا إلى الجنوب حيث وفرة الكلأ والمراعي بعيدا من منطقة الجفاف، فإذا كان الجفاف في فلسطين كما تقول التوراة حيث تزعم إقامة إبراهيم، فهل يتحرك إلى الشمال حيث لبنان ومناطق المطر والكلأ والخضرة أم ينحدر في صحراء سيناء 500 كيلومتر بغنماته التي لا يمكنها السفر في ظل الجفاف ومعها صغارها !! في الواقع إنه كان مقيما قرب مكة وقريب جدا منه ابن أخاه لوط وعندما حدث الجفاف انحدرا معا إلى " يمَن" بنص التوراة أي باتجاه اليمن جنوب مكة حيث منطقة جبال وسهول غامد (بين السعودية واليمن على البحر الأحمر) وهي منطقة غابات وبها أشجار ومراعي وأمطارها موسمية مرتان في العام، وأرضها خصبة زراعيا وبها الكثير من الجداول النهرية وهي المنطقة التي تقع فيها مصر الإسرائيلية، واشترى إبراهيم جاريتين واحدة لرعاية غنماته سماها قطور ، والأخرى لأغراض زوجته سارة سماها هاجر ، أما المشكلة الكبرى أن اليهود أقنعونا بشرف الانتساب إلى جارية اشتراها إبراهيم لحلب البقر، لكن بطريقتهم، فهم يقولون شرف لكم أن تكون زوجة نبي الله إبراهيم من

بلدكم، وفي ذات الوقت يعايرون أولاد عمومتهم العرب بأنهم من نسل إسماعيل الذي هو ابن هذه الجارية هاجر، على اعتبار أن الإسرائيليين من نسل إسحاق ابن سارة سيدة البيت، أما العرب فهم من نسل إسماعيل ابن الجارية هاجر! ومن جملة التناقضات في الرواية التوراتية هو أنها تقول أن إبراهيم عندما اشترى الجاريتين من مصرايم لم يصعد إلى الشمال حيث مقره بالشام وإنما اتجه إلى الجنوب قرب موقع شور.. وتكرر التوراة على أن شور التي هي أمام مصرايم، ثم يأتي بعد ذلك اليهود الأشاوس ليقولوا بأن آشور هذه هي بلاد الآشوريين "العراق" فكيف تكون آشور العراق أمام مصر من ناحية الجنوب!

يقول د. أحمد داوود " أن "أبرام " لقب وليس اسما ويعني "العابر" وكلا من أسماء زوجاته كانت ألقاب وصفات وليست أسماء علم شخصية. فتقول مدونات التوراة والمصادر العربية الأخرى، أن إبراهيم اتخذ زوجة هي سارة بنت هاران العربي الآرامي، وجاريتين إحداهما لسارة وهي هاجر وقد عاد بها من أرض عشيرة المصريين، والثانية للعمل في حلب المواشي والاهتمام بصناعة منتوجاتها من صوف وسمن ولبن وأجبان، وهي قطورة بنت يقظان من العشائر العربية المجاورة... إن سارة تعني السيدة والملكة وهي الزوجة وربة البيت الحقيقية التي وعدها إبراهيم بألا يتخذ معها زوجة أخرى ما دامت على قيد الحياة. أما اسمها الحقيقي فهو "فضة " أو " أساكا " كما يؤكد القاموس الكلداني، و "أساكا " تعني أيضا "فضة " أما هاجر فتعني الأجير والجارية الخادم لأن الهاء في لهجة المصريين الكنعانيين في غرب غامد كانت للتعريف، بينما لا وجود لأداة التعريف هذه في اللهجة الكلدانية الآرامية التي هي سريانية شرقية [1]. وأما قطورة فهي في القاموس الكلداني من الفعل "قطرـقطورا " ويعني قطر، عقد، شد، ربط، ضفر، جدل، ورب اللبن، جبَن ..إلخ. وهي تمثل مجمل الأعمال المنوطة بها كزوجة في بيت إبراهيم. أولئك هن زوجات إبراهيم [2]... هكذا يتعرف الدكتور أحمد داوود على أصول الموطن من خلال تحليل المسميات لغويا، فقد أكد على أن كلمة عابر هي لقب ووصف وليست اسم، وهناك نقطة أخرى غاية في الأهمية تلفت انتباهنا وهي قوله بأن اسم هاجر مكون من مقطعين (هـ ـ اجر)بمعنى الأجير أو الخادم، وحرف الهاء في اسم " هاجر" إنما هو أداة تعريف خاصة بالمصريين

---

[1] ـ وهذه ملاحظ قوية وخطيرة جدا لأن اللغة العبرية حتى اليوم تستخدم حرف الهاء كأداة تعريف تضاف لأول الكلمة، إذن هذه العلامة هي رابطة صلة بين الإسرائيليين ومنطقة غامد والسراة حيث منشأ الإسرائيليين هناك وليس في بابل التي لا تعرف حرف الهاء كأداة تعريف، وقد لاحظها كثير من الباحثين على رأسهم المؤرخ اللبناني الأستاذ د. كمال الصليبي ، والباحث السعودي د. أحمد سعيد القشاش، والمؤرخ السوري الدكتور أحمد داوود وغيرهم كثير.

[2]ـ د. أحمد داوود – كتاب العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود ص 116
https://www.goodreads.com/book/show/8103127

الكنعانيين، أي الذين يقيمون في مملكة مصرايم البائدة غربي جبال السراة، إذن فهذا يدل على أن هاجر لم تكن قبطية من بلاد وادي النيل، ولنا في هذا الحديث بقية.



7- نزاع حول البئر

ونعود إلى الاسم المثير للجدل "بئر شبع"، وتحمل هذا الاسم الآن منطقة تقع في فلسطين حسب الإسقاط الجغرافي التوراتي والذي فشل الكثير من الباحثين المعاصرين الغربيين والشرقيين في إثبات مصداقيته، حيث لا آثار ميدانية للكثير من الأحداث التي يفترض أنها جرت فيها حسبما جاء في التوراة . فأول ذكرٍ لهذا الاسم جاء في التوراة المحرفة لإخفاء أحداث موقع بئر زمزم المجاور للكعبة المشرفة كما أوضحنا سلفا. وثاني ذكر لاسم بئر شبع جاء مباشرة بعد الذكر الأول أعلاه ليشرح لنا نزاع القوم على ملكية الماء الذي تم اكتشافه في وادٍ "غير ذي زرع" على يد عائلة سريانية غريبة مستضعفة مكونة من أم وابنها نزلا ببطن الوادي حديثا. وطبعا لا بد أن يظهر إبراهيم الخليل في الصورة، فعائلته هي صاحبة البئر، ولعل إبراهيم في زياراته المتكررة– على ظهر البراق طبعا- كان راعيا لزوجته هاجر في البرية، لأنه لم يطلقها، ولم تأت هي بفاحشة، إنما هو أودعها بوادٍ بعيد عن سارة زوجته، أي أنهما لا زالا في نطاق حياة زوجية، ويأتي لزيارتها وطفلها كل فترة، وكانت عادة العرب عند الزواج بأكثر من واحدة أن يبعدهما عن بعضهما ويضع واحدة في وادٍ بعيد عن الأخرى، فإذا كان إبراهيم مقيما بالشام كما تقول التوراة، فلماذا يودعها في مكة عند البيت الحرام على بعد 1500 كلم ؟!

وعادة العرب فصل الزوجات عن بعضهن من حيث المسكن تبين لنا الغاية من إقامة هاجر بطفلها في بطن مكة، فلم يكن الأمر طردا لهاجر بطفلها الرضيع كما تصور التوراة سيدنا إبراهيم يطرد زوجته وينفيها في صحراء خالية بحجة أن زوجته سارة كانت تغار من إنجاب هاجر ! فهل كان إبراهيم سفيها لهذه الدرجة ! فاليهود لا يتورعون من تسفيه أنبياء الله لأغراض أيديولوجية، هي التقزيم من شأن العرب وجعلهم أبناء الجارية المطرودة حفاظا على مشاعر أمهم السيدة !

وهنا يتبيّن لنا مصدر هذه الخرافة السائدة والمهيمنة على العقل العربي المتخلف أن إبراهيم (ع) طرد "جاريته" وتركها تتوه في البرّية و معها ابنه إسماعيل. علما أن القرآن لا يرد فيه ذكر لاسم "هاجر" ولا وصفها جارية أو "سارة"، و لا لبئر "زمزم". وإن كُنّا نقرّ باحتمال كون النبي إبراهيم (ع) قد تزوج بأكثر من امرأة – كعادة العرب- إلا أن القول بأنها كانت "جارية" هو ترويج للبضاعة اليهودية العنصرية التي صوّرت العرب على أنهم أبناء "الجارية المصرية" و ذرّية "المتوحش" إسماعيل، في حين أنهم "عرق" نقي، كونهم ذرّية زوجه "سارة" السيدة الإسرائيلية. كما أن القرآن يقول بكل وضوح أن إبراهيم أسكن ذريته في الوادي المقدس. وشتّان بين الطرد والإسكان. والنص التوراتي يقول أن هاجر تاهت في برية "بئر السبع"

وقد اختار "الفقهاء" المسلمون أن يحوّروا في القصة قليلا، فادّعوا أن الله أوحى لإبراهيم أن يأتي الوادي المقدس الذي لا زرع فيه (موقع "مكّة" حاليا، حسب الاعتقاد السائد)، فجاء إبراهيم بإسماعيل وأمه هاجر فوضعهما هناك بأمر من الله. هل تصدّقون هذه القصة؟ كيف يأمر الله بترك طفل رضيع وأمه المسكينة وحيدين في أرض غريبة وبعيدة وموحشة فقط ليرضي رغبات سارة؟ وإذا كان موطن إبراهيم (ع) الأصلي هو الشام، كما تزعمون، فلماذا أبعد "جاريته" مسافة 1500كلم في زمن يستغرق فيه مثل هذا السفر أسابيع طويلة عبر صحراء شاسعة، مُهلكة، يصفها ابن بطوطة بأن "داخلها مفقود وخارجها مولود" ! ألم يكن من الأجدى به أن يسكنها في طرف البلدة التي يعيش فيها، أو في بلدة أخرى مجاورة في المنطقة التي يتحدّث أهلها اللسان نفسه ولديهم التقاليد نفسها والطعام نفسه؟

لذلك أقحم "الفقهاء" المسلمون في القصة أن الله قد أمر بذلك، حتى تنتفي تساؤلاتنا السابقة، فصاروا كما اليهود يقولون "هذا من عند الله"، أو من عند "السَلف الصالح" ـ نجد الجواب وبكل استخفاف واستهتار بالعقل – كما ورد في كتاب "الروض الأنف" للسهيلي يقول [1] :"... وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليها من الشام أن سارة بنت عم إبراهيم (ع) شجر بينها وبين هاجر أمر، وسماء ما بينهما، فأمر إبراهيم أن يسير بها إلى مكة، فاحتملها على البُراق واحتمل معه قربة بماء ومزود تمر، وسار بها حتى أنزلها بمكة في موضع البيت، ثم ولى راجعا ". (لاحظ كيف

[1])ـ كتاب "الروض الأنف" للسهيلي ، ص 55

أدخلوا خرافة "طرد الجارية" إلى عقيدة المسلمين، مع تحوير بسيط، فالتوراة تقول (رغيف خبزـ بئر سبع) ولما شعر السلف الصالح أن رغيف الخبز غير كافٍ للمسافة بين فلسطين والحجاز، قاموا باستبدال رغيف الخبز بمزود من التمر، و استبدلوا "بئر السبع" بـ "مكة" و وهكذا صارت إرادة الله !

فنحن على يقين أن إبراهيم (ع) لم يكن في الشام، ولم يرحل ابنه إسماعيل بعيدا، ولم تحفر "زمزم" بأجنحة الملائكة لإطفاء ظمأ طفل تركه والده في فلاة قاحلة لكسب رضا سارة الغيورة، بل على الأرجح أن البئر كانت موجودة هناك أصلا، أو أن إبراهيم (ع) هو من قام بحفرها و تحديدها بنفسه. وهذا هو معنى "الإسكان"، أي أنه وفر لهم سبل العيش براحة، و بقي هو نفسه برفقتهم، حيث كرس ما تبقى من حياته ومن ثم حياة أبنائه لخدمة بيت الله، لكن اليهود طردوا بيت الله ذاته من دينهم، فهلا يطردون زوجة أبيهم ! أما الكارثة فهي العقلية العربية المتخلفة التي قبلت هذا الكلام واعتبروا أنفسهم أبناء جارية مطرودة من بيت سيدها !

ولعله في زياراته المتكررة لعائلته ببطن الوادي، زم البئر وشيده ليأتي من يعتدي من الحجازيين ويدعى ملكية البئر المكتشف. ومعروف لنا كمسلمين أن إسماعيل نما وعاش حول البئر، وهو بئر زمزم في مكة قرب الكعبة، ولكن التوراة تتحدث عن ذات البئر وتنكر كونه واقعا بجوار الكعبة لأنها مضطرة تفصح عن وجود إبراهيم في الصورة بصفة مستمرة وهذا غير مستساغ مع القول بإقامته في الشام مع الاعتراف بأن البئر في مكة، فالتوراة وصفت لنا ما حدث بشكل منطقي ومقبول في حوار بين إبراهيم (ع) وشيخ حجازي يدعي أبو مالك بعد اكتشاف البئر مباشرة، فنقرأ في (سفر التكوين، 21):

" فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ .وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ .وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ . وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ .وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ أَبِيمَالِكَ وَفِيكُولَ رَئِيسَ جَيْشِهِ كَلَّمَا إِبْرَاهِيمَ قَائِلَيْنِ: «اللهُ مَعَكَ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ صَانِعٌ .فَالآنَ احْلِفْ لِي بِاللهِ ههُنَا أَنَّكَ لاَ تَغْدُرُ بِي وَلاَ بِنَسْلِي وَذُرِّيَّتِي، كَالْمَعْرُوفِ الَّذِي صَنَعْتُ إِلَيْكَ تَصْنَعُ إِلَيَّ وَإِلَى الأَرْضِ الَّتِي تَغَرَّبْتَ فِيهَا .«فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «أَنَا أَحْلِفُ .«وَعَاتَبَ إِبْرَاهِيمُ أَبِيمَالِكَ لِسَبَبِ بِئْرِ الْمَاءِ الَّتِي اغْتَصَبَهَا عَبِيدُ

أبيمَالِكَ .فقَالَ أبيمَالِكُ: «لمْ أعلمْ مَنْ فعلَ هذَا الأمْرَ. أنتَ لمْ تخبرْنِي، ولا أنَا سَمِعْتُ سِوَى اليَوْمِ .«فأخَذَ إبْرَاهِيمُ غنمًا وبقرًا وأعطَى أبيمَالِكَ، فقطعَا كِلاهُمَا مِيثاقًا .وأقامَ إبْرَاهِيمُ سَبْعَ نِعَاجٍ مِنَ الغَنَمِ وحْدَهَا .فقَالَ أبيمَالِكُ لإبْرَاهِيمَ: «مَا هِيَ هذِهِ السَّبْعُ النّعَاجِ التِي أقمْتَهَا وحْدَهَا؟ « فقالَ: «إنكَ سَبْعَ نِعَاجٍ تأخُذُ مِنْ يَدِي، لِكَيْ تكُونَ لِي شَهَادَةً بأنِّي حَفرْتُ هذِهِ البئرَ .«لِذلِكَ دَعَا ذلِكَ المَوْضِعَ «بئرَ سَبْعٍ»، لأنهُمَا هُنَاكَ حَلفَا كِلاهُمَا .فقطعَا مِيثاقًا فِي بئرِ سَبْعٍ، ثمَّ قامَ أبيمَالِكُ وفِيكُولُ رَئِيسُ جَيْشِهِ ورَجَعَا إلَى أرْضِ الفِلِسْطِينِيِّينَ .وغَرَسَ إبْرَاهِيمُ أثْلًا فِي بئرِ سَبْعٍ، ودَعَا هُنَاكَ باسْمِ الرَّبِّ الإلهِ السَّرْمَدِيِّ. وتغرَّبَ إبْرَاهِيمُ فِي أرْضِ الفِلِسْطِينِيِّينَ أيَّامًا كثِيرَةً. (تكوين 14:21ـ34)

ونلاحظ هنا في الجملة 33 " وغرس إبراهيم أثلا في بئر سبع، أي في ذات نبع الماء الذي ارتوى منه ابنه إسماعيل، ما يعني أن إبراهيم كان مقيما بالمنطقة وقام بزراعة الأشجار فيها، ونعرف أيضا أنه لم يجلب شجر الأثل هذا من الشام وإنما من جنوب مكة لأن أشجار الأثل لا تنموا إلا في هذه المنطقة وبكثافة. ثم في الجملة التالية 34 " وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياما كثيرة" وهذا ما يعني أن مقر إقامته ليس في أرض الفلسطينيين، وإنما هي بلد غربة بالنسبة له، وذهب إليها كزيارة وليس عودة إلى أرض الوطن، وأرض الفلسطينيين هذه هي منطقة قريبة من مكة إلى الجنوب تسكنها عشيرة فلشتيم، والتوراة العبرية الأصلية تذكرها هكذا "فلشتم" وهي واقعة بالقرب من أرض المصريين المنحدرين من عشيرة كنانة ولهذا سميت أرضهم باسمهم مصر أرض الكنانة، وهي مصر يوسف فيما بعد وتقع في جنوب غرب الجزيرة العربية على سواحل البحر الأحمر... ونلاحظ أن الحديث بكامله يدور حول بئر زمزم (بئر سبع) مع تجاهل تام لبيت الله الحرام، كي يوحي للقارئ أن بئر سبع هذه كانت في صحراء تقع في أرض الشام ولا علاقة لها ببيت الله الحرام. ومن خلال الحوارات التي دارت بين إبراهيم وأبي مالك حول البئر أو اعتداء عبيد أبي مالك على البئر والمصالحة و وزراعة الشجر وغير ذلك من الأعمال تؤكد بذاتها أن إبراهيم كان مقيما بالقرب من الكعبة، وأن أبي مالك شيخ عشيرة الفلشتم هذه كان مقيما أيضا بالقرب من البئر وليس في الشام على بعد 1500 كلم، وإلا فلماذا يترك الشام برمتها ويأتي قاطعا كل هذه الصحارى ليشارك إبراهيم في بئر وعنده مئات الآبار في الشام ! خصوصا أن فلسطين بها آلاف الآبار وينابيع المياه ومجاري الأنهار الموسمية لأن فلسطين بلد مطيرة وغزيرة المياه مقارنة بصحراء الحجاز القاحلة.

إذا الذي سمى البئر المكتشف بئر سبع هو إبراهيم نفسه بعد أن أجرى عليه عمليات حفر وتحديد. ولا بد لمفردة فلسطين بمعنى موقع بالشام أن تدخل في الصورة لنقل إبراهيم والأحداث التي دارت حوله إلى الشام لعلة سوف تتضح لاحقا. وليس عجبا أن يذكر العدد ٧ ملازما لاسم بئر مجاورٍ للكعبة، فالعدد ٧ ملازم للعديد من مناسك الحج والعمرة ومنها سعي هاجر ٧ مرات وراء السراب قبل أن تكتشف الماء، فعلى ما يبدو أن المنطقة حملت ماركة السبع سبعات في كل الثقافات واللغات، ولا يوجد منطقة غيرها يحمل كل هذه السبعات.

وتذكر لنا التوراة أن إبراهيم سكن فعلا بئر سبع فتقول عن المنطقة التي انطلق منها ورجع إليها بعد أن أخذ إسحاق للذبح "ثُم رَجَعَ إبراهيم إلى غُلامَيهِ فقاموا وذَهبوا مَعا إلى بئرِ سَبع. وسَكَنَ إبراهيم فِي بئرِ سَبع"(تكوين٢٢-١٩) وبئر سبع التي أقام فيها إبراهيم هذه هي عينها مقام إبراهيم الذي تحدث عنه القرآن الكريم، والفرق هو أننا نقول بئر سبع يسمى اليوم بئر زمزم ومن قبل سمي ركضة جبرائيل، وحفيرة إسماعيل، وحفيرة عبد المطلب وبرة والمضمونة والردا وشبعة وطعام وشفاء ويوجد هذا البئر ببطن مكة وهم يقولون بالشام وبفلسطين... وهنا عين التحريف وعين غفلة المسلمين. وما الموقع الموجود اليوم بفلسطين إلا اسم تمَ نسخه هناك عمدا بعد تزوير التوراة [1].

ولهذا تنكر التوراة تماما مكة والبيت الحرام وتنكر أن إبراهيم بنى البيت الحرام، وعاش بالقرب منه وتنكر بئر زمزم لأنه مرتبط بمكة والبيت، وفي كل موضع تعمد إلى الاستخدام الأسماء النادرة وغير المشهورة عند العرب أو تستخدم النطق العبري منها، ومع ذلك تظل معالم مكة بارزة بوضوح في النص التوراتي، وطالما حاول اليهود طمس الخريطة التوراتية الحقيقية فكان لابد من طمس معالم مكة فيها حتى يبدوا للناس أن الخريطة في فلسطين، فما كان يصلح أن ينقلوا بئر زمزم إلى فلسطين رغم وجود البيت في مكة، فنقلوا اسم البئر واسم البيت إلى فلسطين ومع ذلك تظل الجغرافيا التوراتية ناطقة بحقيقتها .



[1] –للمزيد حول بئر سبع راجع كتاب نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء – ص 230

8ـ مضرب خيام إبراهيم

عرفنا حتى الآن أن إبراهيم جاء من موطن آبائه وضرب خيامه على مسافة قريبة جدا من بطن الوادي الذي يحتضن الكعبة المشرفة والذي كان يعرف ببئر شبعة. وعرفنا أن إبراهيم أسكن زوجته الثانية هاجر وطفلها إسماعيل عند بئر سبع (زمزم)، وعاد هو إلى مضارب خيام زوجته الأولى. فأصبح بذلك لإبراهيم مسكنان، مسكن لكل زوجة، ولكن أين كانت مضارب خيام زوجته سارة تحديدا؟.. تقول التوراة (سفر التكوين13): فَصَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، وَلُوطٌ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ. وَكَانَ أَبْرَامُ غَنِيًّا جِدًّا فِي الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. وَسَارَ فِي رِحْلاَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ، بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ، إِلَى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَهُ هُنَاكَ أَوَّلاً. وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ." .. وفي موضع آخر تقول التوراة: فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ، وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. (تكوين13: 18) .. في هذا النص عدة معالم يمكننا التعرف عليها ضمن "مقام إبراهيم"، أخصها أن " الكنعانيين" كانوا مقيمين في هذه الأرض، حيث نقل إبراهيم خيامه إلى "بلوطات ممرا " التي في "حبرون"، نتناولها تباعا فيما يلي:

1ـ بلوطات ممرا ـ Mamre

استمرت إقامة إبراهيم عند بلوطات ممرا إلى أن اعتزله لوط وذهب شرقا إلى سدوم ثم عاد من هناك، وما تلا ذلك من أحداث من ضمنها النص التالي الذي يوضح مكان إبراهيم (ع) "فأتى من نجا واخبَرَ أبرام العبراني .وَكَان سَاكِنا عِندَ بَلوطَاتِ مَمرَا الأَمورِي أخِي أشكُولَ وأخِي عَانِرَ. وَكَانوا أصحَاب عَهدٍ مَعَ ابرام."(تكوين ١٤: ١٣).. وسنتغاضى حاليا عن مفردة "حبرون" في المقتبس الأول فهي أداة تحريف ظاهري، ولننظر في موقع ممرا التي سكنها إبراهيم (ع). وكلمة " بلوطات " تعني أشجار البلوط، وهي لشخص يدعى ممرا حيث وردت مفردة ممرا في التوراة كاسم لشخص" لَيسَ لِي غَيرَ الَّذِي أَكَلَه الغِلمَان. وأَما نَصِيب الرجَالِ الَّذِينَ ذَهَبوا مَعِي: عَانِرَ وَاشكُولَ وَمَمرَا فَهم يَأخُذونَ نَصِيبَهم"«تكوين١٤-٢٤) وهذا الاسم، أي

ممــرا، هــو تحـوير لاسـم موقـع مهـم علـى حـدود وادي عرفـة والمشـعر الحـرام يـعـرف اليـوم بـ"نمـرة " وبه اليوم مسجد كبير يسـمى مسـجد نمـرة والذي به وإلى جانبه تحتشد جموع مليونيـة مـن الحجـاج سـنويا يـوم عرفـة. وقـد أقيم هذا المسجد على الموقع الذي أقام فيه إبـراهيم (ع) كمـا أكـد الـتراث العربـي:"عـن أبي بصير أنه سمع أبـا جعفـر وأبـا عبـد الله يـذكران أنـه لما كـان يوم التروية قال جبرائيل لإبراهيم (ع): تروه من الماء فسميت التروية ثم أتى منىً فأباته بها ثم غدا به إلى عرفات فضرب خباه بنمـرة دون عرفـة فبنـى مسجدا بأحجار بيض وكان يعرف أثر مسجد إبراهيم حتى أدخل في هـذا المسـجد الذي بنمرة حيث يصلي الإمام يوم عرفـة فصـلى بهـا الظهـر والعصـر[1]. وممـرا هذه لا وجود لها اليوم بفلسطين ولكن الادعـاء هـو أنهـا كانـت موجودة علـى مسـافة مـيلين إلى الشمال من حبرون. وحبرون هي اليوم-حسب الادعـاء اليهـودي- مدينـة الخليل [2].

وتـروي التـوراة حـدوث أمـر عظـيم بينمـا كـان إبـراهيم سـاكنا قـرب بلوطـات نمـرة حيـث تقول التوراة (تكوين18:1ـ13): " وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا. وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ». فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ». وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟» فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟"

---

[1] ـ انظر الكليني، الكـافي ،ج٤ ،ص٢٠٧؛ المحقـق البحرانـي، الحـدائق الناضـرة، ج٦١ ،ص٣٥٠؛ محمـد صادق الروحاني، فقه الصادق (ع)، ج١١ ،ص٣٥٧.

[2] ـ للمزيد، انظر كتاب : نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء – ص 231

(وجوهر هذا الخبر التوراتي قد جاء خبره في كتاب الله القرآن الكريم فيقوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿24﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿25﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿26﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿27﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿28﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿29﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾30/الذاريات. ما يهمنا هو أنه ثبت في التراث العربي أن إبراهيم أقام مضاربه بنمرة وما يحيطها من أشجار وزروع في ذلك الزمان وهذه الأخبار موجودة في التوراة ولكن بصورة مشوشة. وجميع أحداث التجلي الرباني حدثت بالقرب من موضع مسجد نمرة. لأن هذه الأحداث الجليلة ما كانت لتمر دون أن تترك أثرا في الذاكرة العربية على المستوى الشعبي، ولذلك نجد مسجد نمرة ووادي إبراهيم، وكل حدث وقع مع إبراهيم (ع) ترك أثره في ذاكرة العرب وصار ذا قدسية واحتفظ بمكانه، بينما في فلسطين لا نجد أي أثر للخريطة المزروعة هناك إلا شاهد قبر وضعه اليهود ليدعوا زورا أنه قبر فلان أو غيره من الأنبياء، دون أن يترك أي أثر في الذاكرة الشعبية الفلسطينية. وللتعرف على حبرون حيث (بلوطات ممرا أو نمرة) التي قالت التوراة أنها في حبرون حيث أقام إبراهيم مضارب خيامه، سنبحث عن حبرون في مكة المكرمة بعدما ثبت أن حبرون التي في فلسطين ما هي إلا مدينة حديثة حملت اسما قديما ولا علاقة لها بالخليل إبراهيم [1].

[1] ـ ومن المفاجآت التي أثارها مؤرخو العصر الحديث في تاريخ الأديان في محاولة البحث عن حقيقة مدينة "ديبان" أهم مدينة تكرر ذكرها في مختلف الأسفار بوصفها أول مدينة قام اليهود بغزوها واحتلالها على أرض كنعان والتي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر 1200 ق.م أي في العصر البرونزي، فقد كشفت الحفريات التي قامت بها بعثة جوستا الشتروم و شارل كلاسيكوف عام 1950م في حفريات العصر البرونزي بأرض فلسطين عن آثار في موقع مدينة "ديبان" ترجع إلى العصر البرونزي مما أكد أن المدينة أنشئت حوالي عام 800 ـ 750 ق.م و لم تكن موجودة عند دخول يوشع بن نون أرض فلسطين في القرن العاشر قبل الميلاد كما ورد في مدونات التوراة. وقد شجعت تلك المفاجأة بعض بعثات الآثار الحديثة في التحقيق بمدن العصر البرونزي التي وردت أسماؤها في قصص غزو العبرانيين لأرض كنعان التي قاموا باحتلالها بدأ بالبحث عن موقع مدينة (حبرون / الخليل) وحبرون هو الذي أرسل موسى بعض رجاله للاستقصاء ودرس الوسائل التي سيدخلون بها إلى المدينة ثم دخلوها بعد إتمام الاستطلاع كما ورد في سفر يوشع (30:1) و سفر القضاة (10:1) فإذا بالحفريات تثبت أن تلك المدينة لم يكن لها وجود وقت دخول يوشع بن نون وقومه، وإنما يرجع تاريخ إنشائها إلى حوالي عام 800 ـ 750 ق.م ! و هناك موقع ثالث لم يكن له وجود على أرض فلسطين في عهد "النبي موسى" ألا و هو مدينة (جيشان) أو (جيشون) التي ورد ذكرها في سفر القضاة (4 ـ5) والتي كشفت الحفريات أنها هي أيضا لم تكن موجودة في العصر البرونزي و يرجع تاريخ إنشائها إلى عصور متأخرة!. وتستمر الاكتشافات الأثرية لتثبت كل يوم أن المدن التي ورد ذكرها بالتوراة لم تكن موجودة في فلسطين وقت وقوع أحداث التوراة وإنما وجدت

2ـ حبرون:

إن بلوطات نمرة أو ممرا حيث بني مسجد إبراهيم لاحقا تخليدا لموقع إقامته كانت تقع ضمن أو قرب حقل تعود ملكيته لشخص آخر يدعى عفرون بن صوحر الحثي الحجازي كما ورد في التوراة عند ذكر خبر شراء إبراهيم أرضا ليدفن جثمان زوجته سارة، حيث نقرأ " وَكَلَّمَ عِفْرُونَ فِي مَسَامِعِ شَعْبِ الأَرْضِ قَائِلًا: «بَلْ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ إِيَّاهُ فَلَيْتَكَ تَسْمَعُنِي. أُعْطِيكَ ثَمَنَ الْحَقْلِ. خُذْ مِنِّي فَأَدْفِنَ مَيْتِي هُنَاكَ». فَأَجَابَ عِفْرُونُ إِبْرَاهِيمَ قَائِلًا لَهُ: «يَا سَيِّدِي، اسْمَعْنِي. أَرْضٌ بِأَرْبَعِ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ، مَا هِيَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَادْفِنْ مَيْتَكَ». فَسَمِعَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ، وَوَزَنَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ الْفِضَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي مَسَامِعِ بَنِي حِثَّ. أَرْبَعَ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ جَائِزَةٍ عِنْدَ التُّجَّارِ. فَوَجَبَ حَقْلُ عِفْرُونَ الَّذِي فِي الْمَكْفِيلَةِ الَّتِي أَمَامَ مَمْرَا، الْحَقْلُ وَالْمَغَارَةُ الَّتِي فِيهِ، وَجَمِيعُ الشَّجَرِ الَّذِي فِي الْحَقْلِ الَّذِي فِي جَمِيعِ حُدُودِهِ حَوَالَيْهِ، لإِبْرَاهِيمَ مُلْكًا لَدَى عُيُونِ بَنِي حِثَّ، بَيْنَ جَمِيعِ الدَّاخِلِينَ بَابَ مَدِينَتِهِ. وَبَعْدَ ذلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَأَتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ أَمَامَ مَمْرَا، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَوَجَبَ الْحَقْلُ وَالْمَغَارَةُ الَّتِي فِيهِ لإِبْرَاهِيمَ مُلْكَ قَبْرٍ مِنْ عِنْدِ بَنِي حِثَّ."(تكوين 23: 13ـ20)

يتضح أن عفرون هو شخص عربي حجازي من بني حث، وأن حقل عفرون هي المزارع والحقول الممتدة أمام أشجار نمرة حيث أسكن إبراهيم الخليل سارة وبها يوجد جثمانها في مغارة جبلية حسب النص التوراتي. حيث نجد أن مسجد نمرة يقع في وادي عرفة في ظهر المشعر الحرام، وسميَ هذا المسجد بهذا الاسم نسبة إلى جبلٍ صغيرٍ اسمه نمرة يقع في وادي عرفة بالقرب من جبل عرفات، وليس هناك مكان يعرف باسم حبرون لا في الماضي ولا في الحاضر! ثم كيف اختفى اسم عرفة من التوراة وهو الذي ينبغي أن يكون ضاربا في الذاكرة الإنسانية لعلاقته بآدم؟ ويزداد التشويش مع إصرار التوراة على أن ممرا تقع في" حبرون" أو خبرون كما تلفظ سريانيا، وهو ما جاء في النص التوراتي أعلاه "ممرا التي هي حبرون". وقد تكرر هذا الإصرار مرارا في التوراة المحرفة وبنفس الصياغة مع دخول اسم آخر في الصورة ألا وهو "أربع" كما نقرأ في هذا المقطع التوراتي "وَجَاءَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى مَمْرَا قَرْيَةِ أَرْبَعَ (الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ (حيث تغرب إبراهيم وإسحاق"

في عصور متأخرة، كما هو الحال مع الدولة الكلدانية التي ذكرها الكهنة عند صياغة التوراة برغم أنها لم توجد إلا عام 600 ق.م أي بعد أحداث التوراة بأكثر من ألف عام. وهو ذات الوضع مع مدينة حبرون التي ذكرتها التوراة باعتبارها أحد المدن الفلسطينية في عصر الخليل برغم عدم وجودها.

كما نجد نفس الإصرار في هذا المقطع "وَمَاتَتْ سَارَةُ فِي قَرْيَةِ أَرْبَعَ (الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ (فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَى إِبْرَاهِيمُ لِيَنْدُبَ سَارَةَ وَيَبْكِيَ عَلَيْهَا " [1].

ونفهم تلقائيا هنا أن النص تم تطعيمه خلال عمليات التحديث والترجمة أكثر من مرة، بمجرد أن نقرأ كلمة "التي هي" فهذا يعني أن الاسم الوارد بعدها لم يكن موجودا وإنما تم إضافته والإسقاط عليه في جغرافيا جديدة، وبالتالي فالبحث في الجغرافيا الحقيقية يكون على الاسم الوارد قبل عبارة "التي هي" أما التوظيف الاستيطاني بالطبع سيكون منصبا على الاسم الوارد بعد عبارة "التي هي"، لأن اليهود مهما قالوا (مصرايم التي هي إيجبت) فلا يمكن أن يقتنع عاقل بأن مملكة وادي النيل العظمى كان اسمها مصرايم في عهد إبراهيم (ع) ثم أصبحت " إيجبت " في عهد بطليموس، ثم عادت "مصر" في عهد ابن العاص !

فبعد احتلال فلسطين في عام 1967م أنشأ الاحتلال الإسرائيلي فيها أول مستوطنة في الضفة الغربية وهي (كريات أربع)، ثم تمت زراعة بؤر استيطانية داخل البلدة القديمة عملت على التضييق على سكان البلدة القديمة من أجل طردهم منها والاستيلاء على عقاراتهم. وهؤلاء المستوطنون هم من أكثر الصهاينة تطرفا وعنصرية ويقومون تحت حماية الجيش بمضايقة أهل البلدة بشتى الوسائل كي يرحلوا عنها. وسبب هذا الاحتلال الاستيطاني هو اعتقاد الصهاينة أن الخليل هي حبرون التوراة "قرية أربع" التي اشترى فيها إبراهيم مغارة المكفيلة ليدفن فيها زوجته سارة والتي يعتقد الكثيرون أن هذا المغارة موجودة تحت المسجد الإبراهيمي بالخليل. لكن لم يتساءلوا؛ كيف توجد المغارة تحت المسجد، وهي كانت في حقل عفرون، ثم إن الكشف الإشعاعي للمنطقة جيولوجيا من شأنه ببساطة أن يكشف ما إذا كانت هذه التربة بها مغارة أو أنها لوح صخري مصمت أو غير ذلك، لكن الادعاء والزعم هو سيد الموقف عند اليهود، طالما كان يكفيهم لاحتلال مساحات جديدة.

ففي سنة 2011 أثار قرار من اليونسكو يعتبر المسجد الإبراهيمي ومسجد بلال بن رباح مواقع تراثية فلسطينية، فغضب الساسة ورجال الدين الصهاينة الذين اعتبروا القرار نفيا لارتباط الموقعين بالقصص التوراتية وبالتالي نفيا لحق الصهاينة فيها. وبالمقابل لم يصدر أي رد علمي من علماء الآثار الإسرائيليين على القرار وهنا سأقتبس جملة من دراسة للمركز الألماني للدراسات الأمنية بعنوان علم

[1] ـ كتاب : نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء ص 237– مرجع سابق

الآثار والصراع الإسرائيلي الفلسطيني، تقول: "علماء الآثار المختصون متفقون على أن قبر الآباء في الخليل محض خيال" وذلك ببساطة يعلمه اليهود تماما لكنهم يحاولون توظيف نصوص دينية أو تاريخية بطريقتهم لاحتلال أوطان الشعوب وفي ذات الوقت يعملون على طمس الملامح الأصلية الضاربة في عمق التاريخ كي تفسح المجال لأكاذيبهم. يقول عالم الآثار الإسرائيلي "أفيس غورون" المسؤول عن الحفريات في سيناء بين عامي 1978 و 1982 "أن موشي دايان كان يعطي الأوامر بالتدمير الكامل للمواقع الأثرية بعد سرقتها بحيث يستحيل تقويم الأهمية التاريخية لهذه المواقع " ويقول موشيه دايان في كتابه " الحياة مع الكتاب المقدس": لم أكن سعيدا بإسرائيل التي أستطيع أن أراها وألمسها فقط، لكني أتوق لإسرائيل الآيات الخالدة وأسماء الكتاب المقدس، وأردت أن تصبح ملموسة أيضا"

I Was not contnt only with the Israel I could see and touch. I also longed for the Israel of timeless verses and the biblical names and I wanted to give tangibility to that too

" **Moshe Dayan**, **Living with the Bible** (**Jerosalem;1978**) **60** "

يقول فريق الباحثين في كتاب نداء السراة [1] :" إن ما تدعيه "السبعونية" وبناتها من ترجمات قائمة اليوم هو أن حبرون مدينة أو قرية بالشام، أما نحن فنقول إن الحقول والمزارع والأشجار كانت تسمى وتعرف بأسماء أصحابها كما كان الحال مع أشجار نمرة. وتقع الأرض التي كانت تحوي أشجار نمرة ضمن مزارع أو حقول عفرون بن صوحر الحجازي . فماذا كانت تسمى تلك الحقول حسب النظام القائم للتعرف على الأراضي ما دمنا نعلم أن صاحبها كان يدعى عفرون؟ أليس من المفترض أن تعرف تلك الحقول بحقول أو مزارع عفرون؟ إنها تسمية تفرض نفسها على الأرض حسب نظام التسميات القائم آنذاك... فوجدنا أن التوراة تذكر فعلا أن هناك أرضا تدعى عفرون لفظا في أحد أسفارها، وإن هذه الأرض تقع ليس من قبيل الصدفة أو الاتفاق جنب بيت الله "بيت إيل"، حيث يجب أن تكون نظرا لحقيقة نزول إبراهيم بوادي عرفة شرق بيت الله حيث كان عفرون يسكن وسط حقوله، وذلك ما نقرأه في أخبار بني إسرائيل كما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني الذي نصه "وطارَدَ أبيّا يَرُبعام وأخَذَ مِنْهُ مُدُنًا: بيْتَ إِيلَ وقراها، ويَشانَةَ وقراها، وعفْرُونَ وقراها."(أخبار الأيام الثاني ١٣:١٩).

[1] ـ الباحثين في كتاب : نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء – مرجع سابق ـ ص 238

ولو نظرنا في الخرائط لنرى أين أراد أئمة اليهود لعفرون أن تقع ميدانيا في فلسطين سنجد أنهم أسقطوها على مقربة من بيت إيل على قرية فلسطينية تسمى طيبة ولك أن تتساءل لماذا يفعلون ذلك؟ لماذا يريدون نقل مسرح مكة والمشاعر إلى فلسطين؟ ولماذا يريدون إخفاء اسم عفرون المعروف وتصحيفه إلى حبرون الذي أسقطوه في فلسطين بعيدا عن منطقة مكة؟ هل يريدون بذلك طمس اسم عرفة أم أن هناك أسبابا أخرى سوف تكشفها الأيام لنا؟ وحبرون التوراتية هذه لا وجود لها سوى كون المغارة التي اشتراها الخليل إبراهيم تقع داخل مزارع عفرون بقرب منطقة تسمى (حبري بالعربية، وهي حبرون بالعبرية) ... فالغاية من وراء كل ما حدث من عبث بأسفار التوراة كانت هي احتلال أراضٍ جديدة، كما حدث وتحققت أمنياتهم مؤقتا في عام 1947 بإعلان قيام دولة إسرائيل، وما حدث في عام 1967 باحتلال شبه جزيرة سيناء الجبتية. ولذلك لا يمكن أن نجدهم ينطقون اسم بلد ما بلفظها الأصلي المعروف، وإنما ينطقونه بلفظ آخر اتفقوا على غرسه في منطقة ما في فلسطين، حتى يصبح بذلك مختلفا عن أصله المكي العربي، ولو دققنا النظر سنلاحظ أن التوراة ذكرت "بيت إيل وقراها" وهي إشارة إلى بيت الله الحرام وما حوله من قرى أي منطقة مركزية وحولها قرى صغيرة تلحق بها، بينما أسقطوا "بيت إيل" على قرية صغيرة خربة في فلسطين، فهل يستقيم القول" بيت إيل وقراها "؟!.

وهذا ليس مستغربا في العقلية العربية برمتها (السلالتين معا)، فالإسرائيليين هم فسيلة من الجنس العربي، وهم إخوة العرب الإسماعيلين ومنهم قريش، وجميع هؤلاء يفكرون بذات العقلية لأنهم نبتوا من نسيج ذهني واحد ولهم طبيعة اجتماعية واحدة. فليس اليهود وحدهم الذين لا يتورعون عن استخدام دينهم في نهب أموال الناس واحتلال أوطانها، بل إن العرب أيضا فعلوا ذات الأمر بحذافيره؛ إذ بعد وفاة النبي محمد (ع) انطلق الصحابة العرب لاحتلال أوطان جميع الشعوب المجاورة لهم بمبررات دينية، ليس فقط احتلال فلسطين، وإنما جميع الشعوب المجاورة، وقام عمر بن الخطاب بتأسيس دولة اعتمادا على بيت المال الحرام، فكل مصادر الدخل القومي لهذه الدولة كانت قائمة حصرا على عوائد السبي والسلب والنهب وأسواق النخاسة خلال ما عرف دينيا بحقبة الفتوحات الإسلامية، وحتى ظاهرة السبي برغم أنها جريمة ضد الإنسانية، وليست من شرف المحارب خطف الأبرياء المدنيين والعزل، إلا أن العرب استطاعوا تحويرها بجعلها حق شرعي، واحتفظ بها البخاري في باب خاص بعنوان" من ملك من العرب رقيقا فباع وسبى وهادى وفادى وجامع"، رغم وضوح النص القرآني في التعامل بإنسانية وتسامح مع أسرى الحروب، وبرغم أن السبايا يختلفون عن الأسرى لأن الأسير هو فرد مقاتل معتدي يحمل سلاح، أما السبايا

فهم فتيات ونساء وأطفال مدنيين عزل يتم خطفهم لاغتصابهم (وطئهم بلغة العرب) جنسيا ثم بيعهم في أسواق النخاسة. وفي النهاية يقولون أن ذلك دين وشرع من عند الله !

وطالما استطاع هؤلاء الصحابة الهيمنة على عقولنا وإقناعنا بأن ممارساتهم الإجرامية هذه كانت دين وشرع من عند الله، بل وجهاد من أجل الله!، فلا نستغرب أن ينجح إخوانهم الإسرائيليين في استغلال دينهم في اغتصاب حقوق الناس واحتلال أوطانهم بمقولة "هذا من عند الله". بل إن الإسرائيليين تميزوا عن الصحابة العرب بأنهم لم يمارسوا السبي والاغتصاب، ولم يفتتحوا أسواق نخاسة للفلسطينيين في تل أبيب. ولا نستغرب أيضا إذا تحول أحد هؤلاء الإسرائيليين إلى صحابي أصبح جليل ونقول عقب ذكر اسمه عبارة " رضي الله عنه".! ألا يعتبر ذلك التزوير في دين الله نظيرا لما أحدثه الإسرائيليين في التوراة؟ فكلاهما – الإسرائيليين وإخوانهم العرب- حرفوا الكلم عن مواضعه، وكلاهما استخدم دينه في احتلال أوطان الشعوب، العرب وقفوا على آية الجزية واعتبروها أداة لنهب الشعوب وفرض الإتاوات على الناس كما عمل العصابات وقطاع الطرق، وأما الإسرائيليين فقد وضعوا خريطة خيالية تعطيهم الحق في احتلال أراضي الناس لكن دون فرض جزية. أما نحن فقد خضعنا للتزوير والتضليل مرتين، الأولى مرحلة التزوير الذي أدخله الإسرائيليين في التوراة، وانتقل إلى الإسلام من باب الإسرائيليات، والثانية مرحلة التزوير الذي أدخله الصحابة العرب على الإسلام وبذات القدر ودون اختلاف عن إخوانهم الإسرائيليين، فكلاهما يجيد تزوير الأديان بذات الأدوات (تحريف الكلم عن مواضعه).

وخلاصة القول هو أن عفرون بن صوحر الحثـي صاحب الحقـل الـذي سـكن فيـه إبراهيم، وقد حمل الحقل اسم صاحبه كما عادة العرب، وتم تصحيف اسمه وترحيله من مكة ليصبح اسم لمدينة تقع في الشام ليرافق نبي الله إبـراهيم في عمليـة ترحيلـه القسـري إلى الشام. وذلك من خلال إجراء بعض التحويرات الطفيفة. كمـــا أن المتـــدبر في النصـــوص التوراتيـــة أعـــلاه يجـــد أن العبـــث باســـم عفـــرون والأحـداث المحيطـة بـه لم يكـن التعـدي الوحيـد الـذي تعـرض لـه عفـرون بـن صـوحر الحثي الحجازي بل تم الاستيلاء على كامل أرضـه أيضـا في وعـي العـالم بعـد مماتـه . فقد احتاج الخليل إلى قطعة أرض أو مغارة تكفي لدفن جثمان زوجته، وهـو ما طلبه من عفرون صاحب الأرض.

أما كهنة "السبعونية" المهووسون بالاستيلاء علـى أراضـي وأوطان الشعوب، فكان لـهم رأي آخر حيث ارتأوا أن القبر كان بحاجة إلى حقل عفرون كله بما يحوي. وهـذا مـا نقـرؤه في ترجمات التوراة

التي بين أيدينا اليوم والتي تنص على أن عفرون باع كل ما يملك لإبراهيم كي يدفن جثمان سارة حيث تنص التوراة أن إبراهيم لم يكتفِ بالمغارة فحسب بل "فوَجَبَ حقلُ عِفْرونَ الذي في المَكْفيلةِ التي أمَام مَمرا، الحقلُ والمغارةُ التي فيهِ وَجميعُ الشجرِ الذي فِي الحقلِ الذي فِي جميعِ حدوده وحواليه لإبراهيم مكان لدى عيون بني حِث بين جميع الداخلِين باب مدينتِهِ. وبَعدَ ذلِكَ دفنَ إبراهيم سارةَ امرأتَه فِي مَغارةِ حقلِ"(التكوين: ١٧-١٩: ٢٣) وهذا يعني أن عفرون اضطر أن يرحل للبحث عن مسكن آخر كما هو الحال مع الفلسطينيين اليوم، حيث كان مسكنه في الحقل الذي باعه بما يحوي إلى الخليل ليواري جسد سارة في إحدى مغاراته الجبلية.. تدبر في هذه الصفقة العجيبة بين زعيم يملك الأرض وغريب يطلب موضعا في هذه الأرض لدفن جثمان زوجته! تدبر كيف باع المالك وهو شيخ المنطقة كل ما يملكه بما في ذلك مسكنه للغريب من أجل قبر! بينما كان المالك يعرض على إبراهيم دفن زوجته دون مقابل في بادئ الأمر. فهل تلمس أي تشابه بين الأمس واليوم فيما يخص منهجية الاستيلاء على أراضي الأفراد بل الشعوب بعد أن يطوي الموت الشهود والشخصيات المعنية ليبقى بين الناس كلام مزور منسوب إلى السماء يصب في مصالح أجيال المزورين؟!

ونقرأ في سفر التكوين بعدما أرسل إبراهيم مساعده إلى موطن آبائه ليأتي بزوجة لابنه إسحاق، تقول التوراة: 10 ثمَّ أخذَ العَبْدُ عشرَةَ جِمالٍ مِنْ جِمالِ مَوْلاهُ، ومَضَى وَجميعُ خيْراتِ مَوْلاهُ فِي يَدِهِ. فقام وذهَب إلى أرامِ النَّهْرَيْنِ إلى مَدينةِ ناحورَ.(سفر التكوين 24:10 إلخ)

وعند تمحيص الدليل التوراتي المذكور يدل على أن ما تشير إليه باعتباره آرام (ءرم) كان موجودا في الواقع في غرب شبه الجزيرة العربية. و" آرام النهرين " (ءرم نهريم) مستحيل أن تكون بلاد ما بين النهرين، أي العراق، بل قرية النهارين وهي اليوم من منطقة الطائف جنوب الحجاز، وبالتبعية، حينما أرشد إسحاق نفسه ابنه يعقوب بأن يختر زوجة من ذات الموطن، تقول التوراة:... وأوْصاهُ وقال لهُ: «لا تأخُذْ زَوْجةً مِنْ بَناتِ كَنْعانَ. 2 قم اذهَبْ إلى فدّانِ أرام، إلى بَيْتِ بَتوئِيلَ أبي أمِّكَ، وَخُذْ لِنَفْسِكَ زَوْجةً مِنْ هُناكَ، مِنْ بَناتِ لابانَ أخِي أمِّكَ.(التكوين 28: 2 إلخ). و" فدان آرام " (فدن ءرم) كانت هي قرية الدفينة جنوب الحجاز، وليست مكانا في بلاد ما بين النهرين. وكذلك فإن أسماء أخرى تربطها العبرية بهذه الكلمة (آرام) مثل " بيت-لحوب" و " آرام –صوبة" وحتى دمشق "ذا- مسق"، هذه الأماكن موجودة في منطقة جيزان غرب الجزيرة العربية ... ولفظة " إرم " الواردة في القرآن الكريم التي وردت كاسم مكان

تماثل تماما في أحرفها الساكنة كلمة آرام التوراتية التي تكتب أيضا ءرم، وينسب القرآن الكريم هذا المكان إلى " ذات العماد " ولعلها اليوم قرية العماد في مرتفعات زهران جنوب الطائف، حيث ما زالت هناك آرام محلية في مدينة الطائف ممثلة في قرية (أريمة) "ءريم ".. و" بيت رحوب " و " آرام صوبة " هما اليوم إما رحاب في منطقة الطائف والصابة على مقربة منها في وادي أضم، أو هي رحاب المسماة "رحاب المعتمة " والصوبة في منطقة رجال ألمع . ولا يمكن في الواقع البحث عن الامتداد الكامل الذي كان موجودا لأرض آرام في غرب شبه الجزيرة العربية ".[1]

هكذا يستخدم الدكتور كمال أدواته وأنامله الدقيقة في البحث عن أصول أسماء المدن والقرى والممالك الواردة في التوراة ويربطها بتلك المشار إليها في القرآن، ويبحث عنها بالبوصلة والمجهر تحت قدميه فيجد الخريطة التوراتية التي كانت منذ ثلاثة آلاف عام ما زالت موجودة بحرفيتها ودون أي تغيير عبر آلاف السنين، إلا ما كان في بعض الأحرف نتيجة الانتقال من العبرية والسريانية إلى العربية، حيث كانت هذه المناطق فيما قبل يسكنها العبرانيون مع الآراميين، وبعدما تشتتوا وتفتت شملهم، اندمج بعضهم في العربية واندمج العرب فيهم، فتحولت المنطقة إلى اللهجة العربية وبقيت أسماء القرى والوديان والجبال منحوتة باللغة التوراتية القديمة.

إنما اليهود (ومعهم علماء الآثار والمستشرقين التوراتيين يصرون على قراءة مدينة (النهارين) على اعتبار أنها بلاد الرافدين أي العراق، وهذا مستحيل تصوره إلا على وجه المجاز الشعري فقط خدمة للصهاينة، وذلك ببساطة لأننا لو عدنا إلى حقبة الاحتلال الهكسوسي لبلادنا وادي النيل سنجد أن الملك أحمس الأول قد طرد الهكسوس وتتبعهم وانتقم منهم في بلادهم، والتي يرجح جميع المؤرخين القدامى والمعاصرين بأنها جزيرة العرب، لكننا سنتأكد الآن من أن الهكسوس هؤلاء ما هم إلا أجداد الصحابة العرب، وذلك من خلال التعرف على منطقة النهارين ذاتها، فليس من المتصور أن ينجح الملك أحمس في طرد الهكسوس ثم نجده ينتقم منهم باحتلال أراضي النوبة جنوبا وبلاد العراق أقصى الشمال الغربي! بل هو تتبعهم داخل منطقة الحجاز بعبور البحر الأحمر بسفنه والوصول إلى قرى مكة والطائف وجنوبها حيث منبع الهكسوس. ولدينا السيرة الذاتية لأحد قادة جيش الملك أحمس الذي شارك في هذه العمليات، وكان اسمه أحمس أيضا.

---

[1]ـ د. كمال سليمان الصليبي – المرجع السابق

وقصة حياة «أحمس بن أبانا» تركها لنا مدونة علي جدران مقبرته بمدينة الكاب، وهو أحمس بن إبانا كان قائدا في الجيش المصري، وعمل تحت قيادة الملوك سقنن رع الثاني وابنه البكر "كاموس" وابنه الثاني أحمس الأول وأمنحتب الأول وتحتمس الأول، وقد سجلت سيرة الضابط أحمس بن إبانا على جدران مقبرته بمدينة الكاب كما سجلت أيضا معلومات هامة عن الأسرة السابعة عشر والأسرة الثامنة عشر. وكان الملك يحارب الهكسوس فقرر أحمس أن يلتحق بالجيش الجبتي بقيادة سقنن رع الثاني لمحاربة الهكسوس، وبعد استشهاد سقنن رع تاعا الثاني وابنه كامس استمر أحمس بن إبانا في الجيش والقتال تحت إمرة أحمس الأول، وكان له دور بارز في معركة أواريس، وكان الملك أحمس معجبا ببراعته في القتال ومساعدته للجنود غير القادرين على التدرب بسهولة، كما شارك في حصار شاروهين تلك البلدة التي تقهقر إليها الهكسوس، وتحت إمرة أمنتحتب الأول حارب أحمس بن إبانا النوبيين ومنح الكثير من الذهب والخدم لشجاعته في مقاتلتهم. وخلال حكم تحتمس الأول الفاتح شارك أحمس بن إبانا في حملة بحرية ضد قبائل البدو، ثم لحق بعدها بتحتمس في حملة قام بها إلى نهرينا وصولا إلى نهر الفرات، ومنحه تحتمس لقب أمير البحر. فهل من المتصور أن يخرج الملك أحمس من حالة الاحتلال ووقوع نصف مملكته تحت حكم الهكسوس، ويطردهم من بلاده وفي ذات الوقت يقفز هو إلى احتلال بلاد النوبة وبلاد العراق ! إن هذه القراءة الخرافية للتاريخ والآثار جعلت من منطقة (نهارينا أو النهارين جنوب الطائف، ونهر فرت جنوبها) جعلتهما في بلاد العراق كي تتماشى القراءة التاريخية للآثار مع النص التوراتي حتى ولو كان خرافيا، لأنه لا يعقل أن يخرج أحمس من حالة الاحتلال تحت الهكسوس إلى أن يقوم هو باحتلال نصف العالم انتقاما من الهكسوس، بل ربما ما حدث هو أنه تتبعهم في بلادهم (الحجاز حتى وصل إلى الطائف ومنطقة النهارين ونهر فرت جنوب غرب السعودية)

بينما القراءة التوراتية للآثار تجعلنا في وادٍ آخر خرافي بلا معنى، ولنتابع معا هذه القراءة العجيبة:

يقول الضابط البحري «أحمس» بن «أبانا»: أيها الناس إني أتكلم إليكم جميعًا، وأجعلكم تعرفون الإنعامات التي نلتها، وكيف أني قد كُوفِئت بالذهب سبع مرات أمام أهل الأرض قاطبة، وكذلك بالخدم، وكيف أني قد مُنِحت أراضي شاسعة جدًا؛ لأن اسم الرجل الشجاع يمكث في الشيء الذي فعله، وأنه لن يُغمر (اسمه) في هذه الأرض إلى

الأبد.. لقد نشأت في مدينة "نخب" (الكاب الحالية)، وقد كان والدي جنديًا لملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم «سقنن رع» واسمه «بابا» بن «رعنت»، وقد انخرطت جنديًا بدلا منه في سفينة الثور الوحشي، في زمن سيد الأرضين، صادق القول «نب بحتي رع» (أي: الملك أحمس) حينما كنت شابًا، ولم أكن قد اتخذت لي زوجًا، بل قضيت ليالي في سرير بحار، وعندما أسست منزلا (أي: تزوجت) نقلت على ظهر السفينة المسماة «الشمالية»؛ لأني كنت شجاعًا، وكنت قد اعتدت مصاحبة الملك على الأقدام، في خلال أسفاره إلى الخارج في عربته، وعندما جلسوا أمام مدينة «أواريس» (حاصروها) أظهرت شجاعة، وأنا على قدمي في حضرة جلالته، وعلى ذلك رُقيت إلى السفينة المسماة «الظهور» في «منف».

وعندما بدءوا الحرب على الماء في القناة «بزدكو أواريس» أسرت أسيرًا وأحضرت يدًا، وقد أعلن ذلك لحاجب الملك، ومن أجل هذا أعطيت ذهب "نجمة الشجاعة". وقد أعيد القتال في هذا المكان، وقمت بأسر أسير آخر هناك، وأحضرت يدًا؛ فأعطيت «ذهب الشجاعة» ثانية، وعندما حاربوا في مصر في الجزء الجنوبي من هذه البلد (أي: أواريس) أحضرت أسيرًا حيًا، وعبرت به الماء(فرع نهر النيل بالشرقية)؛ لأنه كان قد أسِر في الجهة التي فيها المدينة، وحملته معي في الماء إلى الجهة الأخرى، وقد أعلن حاجب الملك بذلك. وتأمَّلْ: لقد كُوفِئت بـ"ذهب الشجاعة" من جديد، ثم ساروا بعد ذلك لنهب «أواريس»، وقد أحضرت من هناك أسلابًا: رجلا واحد وثلاث نساء، أيْ مجموع أربعة رءوس، وقد أعطانيهم جلالته خدما؛ ثم حاصروا بلدة «شروهن» ثلاث سنوات، وعندما اقتحمها جلالته أحضرت من هناك غنائم: امرأتين ويدًا، وقد مُنحت «ذهب الشجاعة»، وتأمَّلْ فإن غنيمتي قد أعطيتها خدما.

((إلى هنا وتبدوا ترجمة النصوص معقولة ومنطقية جدا، لكن بعد ذلك تبدأ خرافات اليهود اللعب في عقول علماء الآثار لتحييد القراءة بعيدا عن العقل والمنطق!))

ففي القراءة التوراتية، يقول الضابط: والآن عندما ذبح جلالته «منتيو» ((آسيا ؛ دلالة على انتصاره على الهكسوس القادمين من أسيا)) صعد جنوبًا إلى «خنت حن نفر» (بلاد النوبة)

ليقضي على بدو «بلاد النوبة»، وبدأ جلالته مذبحة عظيمة فيهم، وبعد ذلك أحضرت من هناك غنيمة: رجلين على قيد الحياة وثلاث أيدٍ، وقد كُوفِئت بالذهب من جديد. انظر! فقد أعطيت أمَتيْن، وأقلع جلالته شمالا وقلبه فرِح (بما أوتِي) من شجاعة وفوز؛ لأنه استولى على الجنوبيين والشماليين. وبعد ذلك جاء «آتا» صاحب الجنوب إذ ساقه حتفه، و أرباب الوجه القبلي مستولون عليه، وقد وجده جلالته في «تنتاعا» (مورده)، وأحضره جلالته أسيرًا حيًا، وكذلك أخذ كل قومه غنيمة باردة، وبعد ذلك أحضرت محاربين أسيرين من سفينة «آتا»، وأعطيت خمسة رءوس وجزءًا من الأرض مساحته خمسة «أرورا» في مدينتي، وقد كُوفِئ كل الأسطول بمثل ذلك. ثم أتى ذلك الخاسئ المسمى «تيتي عن» وقد جمع العصاة معه، فذبحه جلالته وقضى على بحارته، وبعد ذلك أعطيت ثلاثة رءوس وخمسة «أرورا» في مدينتي.

وحملت على الماء ملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم «زسر كارع» (أمنحوتب الأول)، عندما كان متجهًا جنوبًا إلى «كوش» ليوسع حدود مصر، وقد قضى جلالته على ذلك النوبي البدوي في وسط جيشه، وأحضره إلى كميت في الأغلال، ولم يفلت واحد منهم، ومَن أراد الفرار ألقِي أرضًا وصار كالعدم؛ والآن كنت في مقدمة جيشنا، وقد حاربت بكل شجاعة، ورأى جلالته شجاعتي، وقد أحضرت يدين وقدّمتا لجلالته، وعندما ذهبوا ليبحثوا عن قومه وماشيته أحضرت أسيرًا حيًا وقد قدّم لجلالته، وحملت جلالته في يومين إلى كميت من بئر «حراو» وكُوفِئت على ذلك بالذهب، ثم أحضرت سيدتين غنيمة خلافا للائي قدَمتهن لجلالته، وقد رُقيت إلى وظيفة محارب للحاكم (لقب حربي). وقد حملت على ظهر الماء ملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم «عا خبر كارع» (تحتمس الأول)، عندما كان صاعدا جنوبًا إلى بلاد النوبة ليقضي على العصيان في كل الأراضي؛ وليطرد المغِيرين من الأقاليم الصحراوية، وقد أظهرت شجاعة في حضرته في المياه المضطربة، وذلك بجعل السفينة تقتحم الشلال، وعلى ذلك رُقيت ضابطا بحريًا. وقد سمع جلالته أن ... وصار جلالته غاضبًا عند ذلك كأنه فهد، وأرسل جلالته

سهمه؛ وقد لصق أول سهم في عنق التعس، وهؤلاء العصاة كانوا ... وارتبك عندما صل جلالته، وقد أقيمت هناك مذبحة لمدة ساعة، وأحضر قومهم أسرى. ثم انحدر جلالته في النهر نحو الشمال، وكل أراضيه الأجنبية في قبضة يده، ورأس ذلك الخاسئ النوبي البدوي منكس في مقدمة سفينة جلالته (الصقر) ونزلوا في «الكرنك».

وبعد ذلك قام (جلالته) بحملة إلى بلاد «رتنو» ليغسل قلبه (أي: لينتقم) من كل البلاد الأجنبية، فوصل جلالته نهرينا (أي: بلاد النهرين) وقد وجد جلالته ذلك الخاسئ عندما كان ينظم قواته، وقد أحدث بينهم مذبحة عظيمة، وكان الجنود الأسرى الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته يخطئهم العد وكنت في مقدمة جيشنا، وقد رأى جلالته كيف كنت شجاعًا، وقد غنمت عربة بجوادها، وكان الجندي الذي فيها أسيرًا حيًا، وقد قدمت هذه لجلالته، وكُوفِئت بالذهب من جديد، وإني قد أصبحت مقعدًا ووصلت إلى سن الشيخوخة، ولكن العطف الذي أظهر لي كان مثل العطف الأول ... إني أضطجع في القبر الذي أقمته لنفسي في الأرض العالية (الجبانة)

ونلاحظ بوضوح في هذه القراءة التوراتية المغرضة للسيرة الذاتية لهذا الضابط، أنها انتقلت بالقارئ من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق ومن البر إلى البحر ومن النوبة أقصى الجنوب إلى العراق أقصى الشمال الغربي، وهذا مستحيل تحقيقه في فترة قياسية، لأن الإمبراطورية في هذا الوقت كانت ضعيفة حتى أنها لم تقو على صد الهكسوس (العرب) فهل تقوى على هزيمتهم وهزيمة النوبيين والهجوم على الشاميين والعراقيين البابليين واحتلال بلادهم في نفسٍ واحد ثم تعود للانتقام من الهكسوس! ما هذه القوة الخارقة ! وأين كانت حينما استمر الهكسوس محتلين أرض الوطن طيلة مائة وخمسين عاما كان الجيش يتردد إقداما وإحجاما أمام الهكسوس؟! وهل سجل العراقيون احتلال جيشنا لبلادهم؟!.. في الواقع هناك تناقضات كثيرة جدا تبدأ من كون الهكسوس عرب من جزيرة العرب (آسيا) فما علاقتهم بالنوبيين؟ وهل وقعت الإمبراطورية في لحظة بين فكي كماشة من الشمال والجنوب فكسرتهما معا واحتلت بلاد الجنوب وبلاد الشمال حتى العراق ! ثم أي سفينة هذه التي تقتحم الشلال(جنوبا) بينما الهكسوس على الأبواب الشمالية؟! ثم يعود جلالة الملك لينتقم من البدو الأسيويين !! وأي بدو هؤلاء الذين نجدهم في النوبة ؟!

إننا ببساطة لو خلعنا عباءة اليهود عن عقولنا وأعدنا قراءة نصوص أجدادنا بحرية وحيادية عقلية، سنكتشف أنهم فقط استطاعوا هزيمة الهكسوس في الشرقية (عاصمتهم أواريس) وتتبعوا ذيولهم حتى عقر دارهم داخل الجزيرة العربية، وأعادوا سكان هذه المناطق (البدو الأسيويين وفق مفهوم أجدادنا عنهم) إلى ظل السيادة الجبتية، وانتقم الملك منهم هناك ووصل إلى منطقة النهارينا ونهر فرت في بلاد غامد جنوب غرب الجزيرة العربية، وليس بلاد النهرين حتى أن كلمة (نهرين) غير موجودة في الهيروغليفية ولا في البابلية القديمة، إنما هي موجودة حرفيا إلى قرب نهر الفرات في جنوب غرب الجزيرة، وما كان الملك الجبتي باستطاعته مهاجمة (كوشيين) في النوبة ثم العودة إلى مطاردة بقايا الهكسوس في الشمال، بل إن الكوشيين الذين تسميهم التوراة (النوبيين) ما هم إلا عشيرة (الكوشيين) العربية التي تقطن مناطق جنوب غرب الجزيرة العربية حيث ذهب جلالة الملك وانتقم منهم في عقر دارهم، وما كان الضابط البحار هذا لعبر بسفنه نهر النيل باتجاه الجنوب، إنما هو عبر الخليج والبحر الأحمر باتجاه الجزيرة العربية لتصفية بقايا عدو واحد هو (الهكسوس العرب البدو الأسيويين)، ولم تكن وجهته ثلاث جبهات مشتتة ومتفرقة ما بين (الهكسوس البدو – الكوشيين النوبيين البدو – سكان بلاد النهرين العراقيين) فهذا مستحيل إلا في العقلية التوراتية الخرافية التي تسيطر على أفكارنا ومواردنا الثقافية.

بل إن هناك سقطة خطيرة وقع فيها جميع الكهنة السبعين مزوري التوراة؛ وقد ظهر ذلك حينما جمعت نصوص التوراة بين (موطن آباء إبراهيم الذي أراد أن يخطب لابنه إسحاق منهم وبين إرم النهارين وبين لابان، حينما قالت: «لا تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ. 2 قُمِ اذْهَبْ إِلَى فَدَّانَ أَرَامَ، إِلَى بَيْتِ بَتُوئِيلَ أَبِي أُمِّكَ، وَخُذْ لِنَفْسِكَ زَوْجَةً مِنْ هُنَاكَ، مِنْ بَنَاتِ لاَبَانَ أَخِي أُمِّكَ.(التكوين28:2إلخ). وفي موضع آخر من سفر التكوين نقرأ - ثُمَّ أَخَذَ الْعَبْدُ عَشَرَةَ جِمَال مِنْ جِمَالِ مَوْلاَهُ، وَمَضَى وَجَمِيعُ خَيْرَاتِ مَوْلاَهُ فِي يَدِهِ. فَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى أَرَامِ النَّهْرَيْنِ إِلَى مَدِينَةِ نَاحُورَ.(تكوين 24:10 إلخ)

وهذا ما يعني مرة أن موطن آباء إبراهيم عند إرم النهرين (التي جعلوها في بلاد العراق) ومرة هي في شمال إفريقيا حينما قالت (من بنات لابان) واللوبيين هؤلاء قد عرفتهم التوراة المزورة في مواضع أخرى بأنهم شعوب شمال إفريقيا وسكان ليبيا مقابل عشيرة الكوش التي قالت التوراة أنهم شعوب السودان والحبشة! وقالت أنهم اتحدوا مع فرعون مصرايم كي يهجموا على أورشليم) فهل أن (لابان ؛ اللوبيين) هم بالفعل شعوب الشمال الإفريقي الذي ذهب إسحاق ليتزوج منهم، وفي ذات الوقت هم في موطن آباء إبراهيم

في بلاد حاران جنوب تركيا ؟! وفي ذات الوقت تقع لابان في شبه جزيرة سيناء حيث وقف موسى ليخطب في القوم خطبة الوداع ؟! فتقول التوراة (تثنية1): "هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ مُوسَى جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، فِي الْبَرِّيَّةِ فِي الْعَرَبَةِ، قُبَالَةَ سُوفٍ، بَيْنَ فَارَانَ وَتُوفَلَ وَلاَبَانَ وَحَضَيْرُوتَ وَذِي ذَهَبٍ. أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ حُورِيبَ عَلَى طَرِيقِ جَبَلِ سَعِيرَ إِلَى قَادَشَ بَرْنِيعَ".

وما نفهمه من هذا النص أن موسى (ع) ألقى خطبته على مسامع بني إسرائيل في مكان يبعد عن (جبل حوريب –طور سينا) مسافة أحد عشر يوما، وهذه المسافة قطعوها سيرا على الأقدام أو ركبانا، وفي كافة الأحوال بسرعة متوسطة 20كلم /يوم، خلال 11 يوم فتكون المسافة بين 200كم و 250 كلم تقريبا من جبل حوريب على طريق جبل (سعير بالعبرية) و(عسير بالعربية) إلى النقطة التي توقفوا فيها فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، فِي الْبَرِّيَّةِ فِي الْعَرَبَةِ، قُبَالَةَ سُوفٍ، بَيْنَ فَارَانَ وَتُوفَلَ وَلاَبَانَ وَحَضَيْرُوتَ وَذِي ذَهَبٍ، وهذه المناطق قد حددها الدكتور كمال الصليبي جنوب مكة وفي أنحاء عسير وجبال السراة جنوب غرب السعودية.

فمسمى لابان عربي آرامي من قبل جزيرة العرب ولا يوجد في العراق البابلية إطلاقا، وبخاصة لو عرفنا أن زوجة إبراهيم (ع) وهي سارة بنت هاران العربي الآرامي القح... في الواقع لم يكن موطن آباء إبراهيم وآباء زوجته سارة إلا في جنوب مكة، ولم يكن لابان هذا وعشيرة اللوبيين إلا جنوب مكة، ولم تكن إرم النهرين إلى جنوب الطائف جنوب شرق مكة، وما كانت مصرايم إلا جنوب مكة والطائف، ولم تكن أورشليم إلا جنوب كل هؤلاء في جزيرة العرب، وفي نطاق إقليمي واحد. إنما مزوري التوراة يجعلون من إبراهيم مقيما في فلسطين ويخطب زوجة لابنه إسحاق من بلاد النهرين بالعراق ويخطب لابنه إسماعيل من بلاد "إيجبت" وادي النيل !

نعود إلى نصوص التوراة؛ حيث تقول: فَحَدَثَتْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِي لُوطٍ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ حِينَئِذٍ سَاكِنِينَ فِي الأَرْضِ ((تك 13: 7)، لنقف على أمر الكنعانيين هؤلاء الذين اخترتهم التوراة لتغرس باسمهم شعب خرافي غير موجود بالتاريخ، بينما هم قبيلة بني كنانة (الكنانيين) القاطنين بمكة.

3ـ الكنعــانيون Canaanities:

يكاد اسم الكنعانيين يكون أكثر الأسماء تكرارا في التوراة المحرفة خصوصا ضمن ما ورد عن أحداث إبراهيم والأقوام التي نزح إلى ديارها، وهم كما نطرح هنا يجب أن يكونوا حجازيين لا كما أشاعت التوراة بأنهم شاميون وذلك لمعرفتنا أن إبراهيم نزل بنمرة في وادي عرفة حيث كان يقطن تلك المنطقة آنذاك مع من تسميهم التوراة بالكنعانيين "وَاجْتَازَ إِبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بلوطة مورة. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ."(التكوين ١٢:٦) هذا إلى جانب أن التوراة نصت على أن سارة دفنت بأرض الكنعانيين "وَبَعْدَ ذلِكَ دَفَنَ ابراهيم سارة أمراته فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَة أَمَامَ مَمْرَا (الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ) فِي أَرْضِ كَنْعَانَ". فمن هم الكنعانيون؟ وأين هم من عرفة ونمرة ومكة؟

يقول د. كمال الصليبي:" إن أصل مفردة كنعان هو "كنن" أو "قنن" وذلك حين تلفظ بدون تصويت، كما كتبت التوراة السريانية"حيث يقول "النسبة Kananites هي إلى مكان اسمه "كنن" أو "قنن" (من دون تصويت، أو ربما "كنعن" أو "قنعن"). و"القنانة" هي اليوم قرية بأقصى جنوب بلاد بني مالك من منطقة الطائف، عند الحدود بينها وبين سراة زهران"[1] . ما يهمنا من كلام الصليبي هو أن كنن الوارد ذكرها في التوراة السريانية يمكن أن تلفظ صوتيا كنعان وهو ما انتشر في العالم، كما يمكن أيضا أن تلفظ قنان، وجميع هذا من الأصل الذي كان معروفا في بلاد الحجاز حيث كانت قبيلة كنانة وفروعها. ولكن كيف لم يلتفت الصليبي إلى أن كنن Kananites يمكن أن تصوت أيضا كنان والتي إليها ينسب الكنانيون، وهذا التصويت هو أقرب مما اقترح، والكنانيون قبائل عريقة بالحجاز ويسكنون منطقة محاذية لمكة تدعى كنانة[2] .

ولكن أين كان يسكن الكنانيون تحديدا؟ نحن نعلم أن إبراهيم سكن في عرفة وفي نمرة تحديدا حيث تذكر التوراة الكثير من الأحداث بين إبراهيم وبنيه والكنعانيين. فهل كان الكنانيون بعيدين عن عرفة ومنى ومزدلفة حيث كان إبراهيم مقيما؟ ما يقوله الكثير من

---

[1]ـ كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ص١٣٢ .

[2]ـ حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، خريطة رقم ٥٩ . نقلا عن كتاب نداء السراة؛ اختطاف جغرافيا الأنبياء ص242 انظر خارطة رقم٢٢

المؤرخين هو إن الكنانيين تركوا وراءهم اسمهم وهو يعرف إلى اليوم بـ "خيف بني كنانة" كما هو متوقع ويقع قرب مكة وذلك ما يؤكده الحموي" [1].

هؤلاء هم الكنانيون في تراث العرب وهذه شواهدهم وأراضيهم إلى يومنا هذا. فأين يوجد الكنعانيون؟ وأين أثرهم؟ أين هؤلاء الذين ملأ ذكرهم التوراة تهميشا وقدحا وتسقيطا؟ لقد أشاعت جغرافيا التوراة خبرا مفاده أن الكنعانيين هم سكان سورية القديمة، ولكن الآثار والشواهد في منطقة سوريا وفلسطين والأردن لم تشر إلي أي وجود لهذا الاسم هناك إطلاقا، فلا يبق إلا الأقاصيص والحكايات النظرية في كتب التوراة.

ويلقي المؤرخ السوري د. أحمد داوود مزيدا من الضوء على لغز الكنعانيين الشاميين بقوله "كيف يجرى طمس هوية الشعب العربي السوري صاحب هذه الأرض منذ عشرة آلاف عام قبل الميلاد على الأقل لتحل محله تلك العشائر العربية الكنعانية التي لا ذكر لها خارج مدونات التوراة في الوقت الذي يعترف فيه العرب والأجانب على السواء أن هذه التسمية لم تعرفها أية دولة أو جماعة في تاريخ سوريا القديم، وإنها حسب تعبير موسكاتي، مصطلح اتفق عليه العلماء وأخذوا به (ومن المستحسن أن يعالج في المستقبل تاريخ سوريا وفلسطين، أو سوريا بمعناها الواسع، وهو اصطلاح موفق أخذ به الجغرافيون على أنه موضوع واحد دون أية حدود صناعية، وهنا لا حاجة إلى اصطلاحات كلفظ الكنعانيين)، ويؤكد لنا الدكتور على أبو عساف في كتابه (آثار الممالك القديمة في سوريا) قائلا:" والواقع أن أيا من هذه الدول لم تصف نفسها بالكنعانية أو الآمورية) وفي الوقت الذي وضع فيه سانخو نياتن كتابه (تاريخ فينيقيا) في تسعة أجزاء في حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد أي في زمن موسى (ع) لم يذكر فيه (كنعان وكنعانيين)، وفي الوقت الذي نرى فيه هيرودوت يتحدث عن (السوريين) أو الفينيقيين لم يورد ذكر (كنعان) مرة واحدة [2].

إذن فلفظ كنعان وكنعانيين كما بين أحمد داوود هو مصطلح غريب على الشام وأهل الشام القدامى ولم يرد في غير التوراة. وهذا يفسر لنا لماذا وقع التناقض بين ما هو قائم في وعي وثقافة الناس وبين ما هو ثابت في الوثائق القديمة والآثار الميدانية. كما يوضح لنا عمق العبث والتعدي

---

[1] ـ الحموي، معجم البلدان، ج٢ ،ص٤١٢ .

[2] ـ أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، ص١٨٤

على تواريخ الأمم من أجل ترتيب مسرح الأحداث ليتوائم مع مصالح قومية تستند دعائمها إلى أطروحة الأرض الموعودة. فـ " الكنعانيون " هو لفظ بديل للكنانيون، وقد اخترعه اليهود وغرسوه في التوراة في كل موضع ورد فيه الأصل Cananin ، وادعوا أنهم احتلوا أرض الكنعانيين، فإذا سأل الناس من يكون هؤلاء الكنعانيين؟ رد اليهود بأنهم كانوا القوم الذين استعمر اليهود أرضهم، أي أنهم ذابوا وذهبوا ولم يعد لهم أثر ! وكل هذا كان لمجرد تشويه المعالم الديمجرافية التي من شأنها فضح الموطن الأصلي لليهود، فلو قالوا أنهم صراحة يقصدون الكنانيين، لكان الرد بأن الكنانيين موطنهم مكة.

ومع ذلك فهناك سقطات توراتية تركت ذيولا تدل بوضوح على موطنهم المجاور للكنعانيين، ومن ذلك تقول التوراة عن الإسرائيليين وعبادتهم لأصنام العرب الكنعانيين، في الإصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء: " أَنْتُمُ الَّذِينَ تَرَكُوا الرَّبَّ وَنَسُوا جَبَلَ قُدْسِي، وَهَيَّأْتُمْ مَائِدَةً لِلإِلهِ جاد، وَمزجتم الخمر للإلهة مناة " .. لكن في الترجمة تم طمس أسماء أصنام العرب المعروفة مواقعها جيدا، فجاءت الترجمة: " أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة، وملأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة.. " (إش 65: 11.) وفى ترجمة الكتاب المقدس في الشرق الأوسط سنة 1995م تحت كلمة السعد الأكبر: لجاد وهو المشتري، وتحت كلمة السعد الأصغر: مَنى وهو الزهرة. وفى ترجمة 1995م بلبنان: "ونسيتم جبلى المقدس. وهيأتم مائدة للإله جاد، ومزجتم الخمر للإلهة مناة " والتعليق عندهم هكذا: جاد ومناة إلهان عند الكنعانيين...

ومعروف للقارئ أن هذه الآلهة للعرب كانت في الحجاز حول مكة. كان الصنم " مناة " من أصنام العرب قبل الإسلام، قال ابن الكلبي في حديثه عن أصنام العرب " فكان أقدمها كلها مناة، وقد كانت العرب تسمى عبد مناة و زيد مناة وكان منصوبا على ساحل البحر ناحية المشلل بقديد، بين المدينة ومكة، وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله. وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له... ومناة هذه هي التي ذكرها الله تعالى حين قال: ومناة الثالثة الأخرى [1].

إذن الإله " مناة " هو إله الكنعانيين (توراتيا) وهو إله العرب الكنانيين الحجازيين... ولم يرد أي ذكر للإله مناة أو غيره من آلهة العرب في الشام، بل جميعها معروفة كثقافة وتاريخ في منطقة

[1] ـ انظر كتاب الأصنام، لابن هشام الكلبي، رابط الكتاب : https://www.goodreads.com/book/show/6664595

الحجاز، ولكن نظرا لأن النص التوراتي نقل موطن إبراهيم والكنعانيين ومعهم الإله " مناة " إلى الشام، ووطنت التوراة ثقافة الشعوب على هذا النسق، وهذا ما أوقع الدكتور طه حسين في مأزق عند دراسته لعرب الجاهلية، فقد استبعد أن يكون مناة معبودا في عرب الحجاز الجاهلية [1] وأن يكون مقام إبراهيم في الحجاز بناءً على نص التوراة بأن مناة وكنعان كانا في الشام. لكن النص القرآني كان واضحا ومباشرا في خطابه للعرب الحجازيين عن جاهليتهم وعبادة الآلهة الثلاث ؛ اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

وأما المشكلة الخطيرة تكمن في أن الإسرائيليين يزعمون وجود شعب اسمه " كنعان" وأن الإسرائيليين زاحموا الكنعانيين في الأرض واستوطنوا وشيدوا الهيكل والممالك، ومن ثم يسرع الفلسطينيون إلى نسب أنفسهم لشعب كنعان هذا الساكن الأصلي القديم كمحاولة لربط أصولهم وأنسابهم بالأرض من الجذر في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، وبمرور الوقت وتزايد الاستيطان الإسرائيلي في المنطقة سيخرج اليهود بالحقيقة وهي أنه لا يوجد شعب اسمه كنعان وإنما قبيلة بني كنانة وموطنها ومكانها الأصلي في الحجاز ومكة، وعلى الفلسطينيين أن يرحلوا إلى موطن آبائهم ويتركوا الأرض لليهود !

وخلاصة هذا الفصل أن إبراهيم الخليل كان موطنه ومقره في مكة، وهي بيت العبادة، حيث أمر برفع القواعد من البيت وأن يؤذن في الناس بالحج، وقد تنقل في أكثر من مكان حول الكعبة، واستقر في منطقة ممرا وأقام مشاعر الحج، ودعى الناس جميعا، وعرفنا أنه ليس من المنطقي أن يدعي الناس للحج حول بيت الله ويستثني أولاده ومنهم إسحاق أو يعقوب (إسرائيل) الذي هو جد الإسرائيليين، لكن اليهود اليوم يتنكرون إلى شريعة جدهم إبراهيم ويقطعون أي صلة به بمكة والبيت الحرام، بينما كانت هي مقره الدائم، وقد تنقل على فترات مختلفة ناحية الجنوب خلال فترات الجفاف والمجاعات التي ربما حدثت في أرض الحجاز كالعادة، فانتقل جنوبا باتجاه اليمن ووصل قرية مصرايم التي تقع في سهول وجبال السراة جنوب غرب الجزيرة العربية، وأكرمه حاكمها وأجزل له العطاء من الغنم والإبل التي لم تعرفها بلاد القبط في هذه الحقبة، وخلال تواجده فيها اشترى جاريتين قطور وهاجر، الأولى لخدمة زوجته ساراي، والثانية لخدمة مواشيه وأغراضه هو، في الوقت الذي لم تعرف فيه بلاد القبط تجارة العبيد، ولا كان اسمها مصرايم كما تقول التوراة.

[1])ـ "أورد الدكتور طه حسين هذه الفكرة في كتابه الشعر الجاهلي ".



الإضاءة الثامنة عشر

مصر يوسف

كما تأكدنا في الإضاءة السابقة أن إبراهيم (ع)كان موطنه قرب الكعبة المشرفة، ولم يكن بالشام إطلاقا، بل كانت دعوته وتحركاته كاملة في النطاق الجغرافي لإقليم الحجاز، بداية من تركه موطن النمرود في "أور " شرقي جبال السراة إلى موطن جديد مع آبائه في حاران غربي جبال السراة التي تقع على البحر الأحمر قرب حدود السعودية واليمن، ثم انتقاله إلى منطقة ممرا أو نمرة في مكة، ثم ارتحاله إلى الجنوب حيث مصرايم في وقت الجفاف والقحط وهي قريبة من موطن آبائه حاران، وعودته بكثير من الأغنام والإبل ومعه جاريتين هاجر وقطور. ثم إيداعه زوجته هاجر وطفلها إسماعيل في موضع البيت، ثم توجيه الله له ببناء البيت ورفع قواعده، ثم الخلافات التي حدثت حول البئر مع أبي مالك واتفاقهما معا، وكانت زياراته مستمرة لزوجته هاجر وطفلها في موطنهما الجديد ببطن مكة، ولا يوجد أي منطق يقول بأن إبراهيم كان مقيما بالشام وبإمكانه مباشرة كل هذه الأحداث التي وقعت بمكة، لكن اليهود كي يقتلعوا خريطة التوراة من الحجاز إلى الشام، قاموا بإسقاط المقدسات، فمحو أي ذكر لبناء الكعبة أو بئر زمزم، وبرغم أن التوراة صريحة في الحديث عن الكعبة "بيت إيل "وهي باللسان العربي "بيت الله" إلا أنهم قالوا أن بيت إيل ليس هو بيت الله وإنما قرية فلسطينية غير معروفة على الخريطة، وقالوا أن بئر سبع الذي انفجر بمعجزة تحت قدمي إسماعيل، إنما هو قرية بئر سبع الفلسطينية حتى وإن لم يكن هناك بئر، وأما برية فاران التي هي مكة، قالوا إنها منطقة بالتأكيد في سيناء قرب خليج السويس أو قرب العريش، أو بجوار قرية بئر سبع التي عاش فيها إسماعيل ووالدته.

لكننا نتساءل؛ إذا كان إبراهيم الخليل قد انتقل من حوران أو حاران حسب الصياغة اليهودية بصحبة ابن أخيه لوط وزوجته ساراي فقط إلى ممرا أو نمرة حسب الصياغة اليهودية، وكان – بنص التوراة – يرتحل ارتحالا متواليا تجاه الجنوب، تقول التوراة في (سفر التكوين13): 1 فصَعِدَ أبرام مِنْ مِصْرايم هوَ وامْرأتُه وكُلُّ ما كَانَ لهُ، ولوطٌ مَعَهُ إلى الجنُوبِ. 2 وكَانَ أبرام غَنِيًا جِدًا فِي المَواشِي والفِضَّة والذَهَبِ. (وهنا نعرف أن إبراهيم تحرك من مصرايم إلى الجنوب)، فإلى أين ذهب!! فلو كانت مصرايم هي إيجبت لكان معنى خروجه من مصرايم باتجاه الجنوب أي أنه ذهب إلى السودان وإثيوبيا ! فلماذا وما الغاية من هذه التنقلات الغريبة ؟! ولماذا استخدمت التوراة الفعل " صعد " ؟ فهل من يتحرك من القاهرة إلى أسوان يصعد سلسلة جبال السراة مثلا ؟! في الواقع هو لم يكن في بلاد وادي النيل وإنما

كان في قرية مصرايم ابن نوح وخرج منها باتجاه حوران جنوبها شرق جبال السراة لزيارة أهله وعشيرته هناك، ومن هناك عاد إلى مكة.. لكن التوراة بعد تزويرها لن تفصح عن ذلك أبدا.

وفسر لنا اليهود دينهم – كما العرب بأنه ارتحل وقت حدوث المجاعات، وذات مرة دخل مصر وأجزل له حاكمها العطاء من البقر والغنم والإبل...إلخ مما تشتاق إليه العقلية اليهودية، وقالت التوراة أنه من مصرايم ارتحل إلى الجنوب تجاه شور أو قرب شور التي هي أمام مصر، لكن لم يفسر لنا اليهود وجهتهم وغايتهم من هذا الارتحال الجنوبي إذا كان حاكم مصرايم قد أجزل له العطاء، فلماذا لم يعد مباشرة إلى موطنه في ممرا ؟! لماذا ارتحل إلى الجنوب من مصرايم ؟! ولماذا تجاهلت التوراة تحديد اسم المنطقة التي ارتحل إليها؟! ولماذا تجاهلت غايته من هذا الارتحال الجنوبي؟! ... ولماذا كان إبراهيم الخليل عاقا لوالديه إلى هذه الدرجة التي تصل إلى مرحلة الفجر في الخصومة ؟! فإذا كان قد اختلف مع والده بسبب إصراره على عبادة الأصنام، وغادره إبراهيم ودعا له قائلا: سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿47﴾/مريم . فلماذا امتنع عن زيارته ولو مرة؟! ولماذا لم يحضر جنازته وتأبينه طالما تعهد بالدعاء له؟! ولماذا امتنع عن زيارة والدته وأشقائه وأهله ؟! .. بالطبع كان إبراهيم الخليل خليلا للرحمن وليس من شأنه الفجر في الخصومة، بل وليس من شأنه الخصومة أصلا، إنما كان الخليل يزور أهله ووالده ووالدته وإخوته باستمرار خلال عمليات الارتحال المتوالية إلى الجنوب التي ذكرتها التوراة كثيرا دون أن توضح سببا لذلك.

أما المشكلة التي واجهت اليهود هي أن أهله كانوا يسكنون في حوران وهي جنوب مصرايم غرب جزيرة العرب، وبالتالي إذا أفصح اليهود عن زيارات إبراهيم لأهله في حوران الواقعة جنوب مصرايم، لانهارت بذلك الخريطة المرسومة يدويا باعتبار حوران في جنوب تركيا، فليس من المنطق إذا كان الخليل يسكن فلسطين أن يجمع في زيارة واحدة بين حوران شمالا وإيجبت وادي النيل جنوبا، ولأن نصوص التوراة تجمع بين الهدفين في زيارة واحدة، مصرايم العربية في جنوب ممرا وأهله في حوران جنوب شرق مصرايم، فكانت مصرايم غرب جبال السراة بينما حوران إلى الشرق من جبال السراة، ولذلك استخدمت التوراة الفعل "صعد"، ويوضح د. أحمد داوود أن إبراهيم لم يكذب بشأن زوجته وإنما الفرق جاء بسبب اختلاف اللهجة ومعاني الكلمات بين عشائر الشرق (موطن إبراهيم حوران) وبين الغرب (منطقة جبال السراة التي بها مصرايم) إذ أن كلمة حتو في القاموس الكلداني تعني أخت، قريبة، صديقة، خليلة، عشيرة، نظيرة، راهبة، فسارة كانت قريبته وعشيرته أي زوجته

فعلا، ولم يفهم منها المصريون في الغرب إلا معنى الأخت الذي استبقته اللهجة العربية وحده حتى اليوم، ولم يكن هذا كذب من إبراهيم كما جاء بأحد الأحاديث الموضوعة. [1]

فاضطر اليهود إلى تجاهل زيارات الخليل لأهله، أو تجهيل ارتحال إبراهيم إلى الجنوب، لأن القارئ بذلك سيفهم أن أهله جنوب مصرايم وليس في جنوب تركيا، واضطروا كذلك إلى تجهيل اسم المنطقة، فقالوا أنه ارتحل إلى الجنوب وقصفوا ذيل النص واكتفوا بهذا الحشو الذي لا قيمة له.. فاليهود عمدوا إلى طمس كل ما هو ديني فعلي في التوراة والإبقاء فقط على كل ما يمت للمال بصلة ويحقق المصالح المادية بغض النظر عن القيم، وهكذا نجح اليهود في تجفيف التوراة من هدفها ورسالتها العقائدية. لأن بني إسرائيل أحفاد إبراهيم لم يكونوا يشبهونه في خصائصهم الوراثية، وإنما كانوا استنساخا من والده هو.

فاليهود مصرون على أنه بعد رفض إبراهيم لوثنية نمرود و قومه في " أور الكلدانيين" التي أسقطوها على بابل العراقية، حاول الملك نمرود إحراقه فنجا من النار وانتقل مع بعض أهله إلى " حاران " مسقطة على جنوب تركيا على بعد مئات الكيلومترات". ثمّ جاءه الأمر الإلهيّ بالانتقال إلى " أرض كنعان " مسقطة على فلسطين، حيث تقول التوراة، (تكوين 15:18):" لنسلك أعط هذه الأرض من (نهر مصريم) إلى النهر الكبير (نهر فرت) ". وفهم اليهود بأن نهر مصريم هذا هو نهر النيل، وأن نهر فرت هو نهر الفرات بالعراق برغم أن النهرين يتفرعان من نهر واحد رئيسي! وعلى اعتبار أن لوط وإبراهيم كانا يقفان على هضبة رملية في بئر سبع ويطلان ببصرهما على البراري والمراعي من نهر النيل إلى نهر الفرات بالعراق وقاما باقتسام هذه المساحات لنسله ! هذه هي العقلية الإسرائيلية ! وهي لا تختلف قيد أنملة عن العقلية العربية من نسل إسماعيل، ففي الواقع فإننا نرى أن سلالة إبراهيم خليل الرحمن هي أفسد السلالات على وجه الأرض وعلى وجه الإطلاق، وبفرعيها تحديدا الفرع الإسماعيلي العربي والفرع الإسرائيلي العبري، فكلاهما لديه ذات الخصائص الفكرية، وكلاهما عقلية تحترف النصب بالأديان والاحتيال على الشعوب بفكرة القدسية الدينية للأماكن والأفكار والذكريات، وكلاهما يحترف احتلال عقول الآخرين قبل احتلال أوطانهم ومص دمائهم باسم الدين.

[1] ـ كتاب الدكتور أحمد داوود: كتاب العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود ص 99

فالفرع الإسرائيلي أدخل الكتاب المقدس " التوراة " في مجزرة تم خلالها خضه وعجنه وطبخه ليأكلوا به الشعوب، أما الفرع الإسماعيلي فلم يزوّر كتاب الله "القرآن" وإنما زوّر تفسيره، واستخدم حرفته اللولبية في البلاغة والقدرة على طي وثني ومط ولي الكلمات وتأويلها وتوليدها لاستخدام الدين وسيلة حربية يحتلون بها أفكار وأوطان الشعوب وينهبون ثرواتهم بالمرة، فالصحابة العرب الكرام لم يختلفوا عن إخوانهم الإسرائيليين حينما وظفوا آيات القرآن – خاصة آية السيف وآية الجزية – في حصد أرواح الشعوب المجاورة لهم ومص دمائهم بحجة أن الجزية فرض على كل غير مسلم وحق لكل مسلم وأن السبي حق لكل مسلم بينما هي في واقع الأمر محض إتاوات يفرضها قطاع الطرق والبلطجية والعاطلين عن العمل لتأمين مصدر دخل سخي لهم. وقد تعرضنا لهذا الجانب في كتابنا " غبار الاحتلال العربي". وتوقفنا على الآية رقم 123 من سورة التوبة التي تقول" يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة، وعرفنا أن الصحابة العرب قاموا بتوظيفها لغويا لتعني (الذين يلونكم= الذين يتلونكم في الجوار) وبذلك اشتغلت الجيوش لتحصد الدماء البريئة بالدور ... بينما الآية تقصد قتال معنوي ونضال المنافقين الذين يقفون تحت لواء المؤمنين (يلونكم=يقفون تحت لوائكم).

نعود إلى الفرع الإسرائيلي.. إلى بلوطات ممرا حيث مسكن إبراهيم.. ومن هناك أرسل زوجته الثانية هاجر مع ابنه إسماعيل إلى صحراء " فاران " المسقطة على شبه جزيرة سيناء " بحسب أطلس أوكسفورد للكتاب المقدّس، و بحسب التراث الإسلاميّ فهي مكّة، وبحسب بعض المحققين من رجال التوراة فهي مكة، وبحسب أكفأ مترجم عربي للتوراة(سعيد الفيومي) فهي مكة أيضا... المهمّ في الموضوع أنّ " فاران " هذه في نظر اليهود لا يصح أن يقل بُعدها عن ممرا عن مئات الكيلومترات أيضا ! وكان إبراهيم وفقا للتوراة المزورة يزور ابنه " إسماعيل " من وقتٍ لآخر في شبه جزيرة سيناء وهو قد تجاوز المائة من عمره... آلاف الكيلومترات التي كان يقطعها ذهابا و إيابا ! وبعد انتظارٍ طويل رُزِق بابنه " إسحاق " من زوجته ساراي ... وإسحاق تزوّج و رُزِق بتوأم " عيسو " و " يعقوب " ... وكان عيسو مولعا بالصيد بينما كان يعقوب راعيا ...

وأما المفاجأة أنه في أحد الأيام خرج عيسو للصيد في البرّيّة .. وصادف أن كان نمرود نفسه ملِك أور العراقية الذي حاول إحراق إبراهيم خارجا للصيد أيضا، فكمُن له عيسو وقتله، وحين عثِرَ على جثة نمرود حُمِلت إلى بابل ودُفِنت فيها ! على اعتبار أن عيسو خرج من فلسطين مقر أبيه إسحاق

ليصطاد فجذبه الهوى إلى دولة العراق بالشمال حتى تقابل مع ملكها النمرود الذي خرج للصيد أيضا فقنصه عيسو! بينما الحقائق تتكلم عن نفسها؛ إذ أن عيسو ابن إسحاق كان في مكة، والتي تقع على الجنوب الشرقي منها أور قصديم حيث مقر النمرود بمواجهة حوران مقر آباء جده إبراهيم بجوار بابل العربية الأصلية غير بابل التي أطلق اليهود اسمها على العراق تزويرا للتاريخ والجغرافيا. بذلك تكون القصة قد اقتربت من الحقيقة وابتعدت عن الأسطورة.

وعندما أحسّ إسحاق بدنوّ أجله استدعى ابنه يعقوب ليُبلغه وصيّته و أهمّ ما جاء فيها: لا تتزوج من بنات كنعان .. اذهب إلى " حاران " إلى بيت بتوئيل أبي أمك واتخذ لنفسك زوجة على ما يروق لك ... ونفذ يعقوب وصيّة أبيه وسافر إلى " حاران " وبقي هناك حوالي 15 سنة وتزوج بابنتي خاله .. ! فهل من المنطق أن تكون حاران هذه مجرد محطة على خط سير إبراهيم في جنوب تركيا!! فإبراهيم نصح ابنه إسحاق بالزواج من بيت أمه، وهو بدوره نصح ابنه يعقوب بالزواج من ذات البيت من حاران، فكيف تكون حاران هذه محطة عابرة!! ثم كيف يقضي 15 سنة في خطبة ابنة خاله؟! وهكذا كالعادة لدى اليهود كل رقم يتم ضربه في 10، فلو كانوا يسكنون في مغارة، تصبح في التوراة مملكة بمفهوم اليهود، ولو كانت قرية بحجم ملعب كرة السلة، تصبح في مدونات التوراة دولة بحجم إيجبت، ولو كانت المسافة واحد كيلومتر، تصبح في التوراة عشرة كيلو، ولو كانت مائة كيلو، تصبح في التوراة ألف كيلوا كي تكسب مساحات جديدة ينتفع بها أبناء إسرائيل ! فهذه سمات وخصائص جينية لبني إسرائيل وأنا أعذرهم في ذلك لأنهم لا يستطيعون أن يمنعوا أنفسهم من الكذب. كما لا يستطيع أشقائهم العرب أن يمنعوا أنفسهم من قول الشعر والزجر والتنابذ بالألفاظ والتلاعب بالمعاني؛ لأن ذلك مغروس في دمائهم.

على كل حال كانت غايتنا هي التأكيد على أن سيناريو الأحداث لا يمكن أن يعطي إقامة لإبراهيم في فلسطين التي تبعد عن مكة 1500 كلم صحارى ووديان وجبال وهو قد ضرب في التسعين من عمره، أما تفسير زياراته المتكررة لزوجته هاجر وطفلها بمكة أو شبه جزيرة سيناء على ظهر البراق كلما احتاج الأمر، فهذه وسيلة مواصلات لم تكن موجودة تحت الطلب، فأقصى ما كان لدى العرب هو الحمار، وإن طالت المسافة يكون الجمل، ولهذا أطلقوا عليه سفينة الصحراء.. وبالطبع كان إبراهيم وابنه إسحاق مقيمين في ذات البقعة الجغرافية، واستمر إسحاق وأنجب ابنه يعقوب في ذات الموطن في تخوم مكة، ويعقوب أنجب أولاده الأحد عشر ويوسف (ع) نبي مثل أبيه وجده.

ورحلة يوسف (ع) تبدأ منذ طفولته ونعومة أظافره إذ كان (ع) أحب أبناء يعقوب إلى نفسه، وفي صبيحة أحد الأيام استيقظ يوسف من نومه وأخبر أباه بأنه رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدان له. كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾4ـ6 سورة يوسف.

وفي يوم من الأيام أمر يعقوب ابنه يوسف بأن يذهب في البرية لتفقد إخوته حيث يرعون الغنم، تقول التوراة (تكوين12:37ـ17):" ومضى إخوته ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم [1].فقال إسرائيل ليوسف: «أليس إخوتك يرعون عند شكيم؟ تعال فأرسلك إليهم». فقال له: «هاأنذا». فقال له: «اذهب انظر سلامة إخوتك وسلامة الغنم ورد لي خبرا». فأرسله من وطاء حبرون فأتى إلى شكيم. فوجده رجل وإذا هو ضال في الحقل. فسأله الرجل قائلا: «ماذا تطلب؟» فقال: «أنا طالب إخوتي. اخبرني «أين يرعون؟». فقال الرجل: «قد ارتحلوا من هنا، لأني سمعتهم يقولون: لنذهب إلى دوثان». فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم في دوثان".

ولو تساءل القارئ ببديهية حول سيناريو هذا الأحدث سيتوقع تلقائيا أن الإخوة ذهبوا ليرعوا الغنم على مقربة من القرية، ثم تحولوا إلى منطقة أخرى قد تبعد كيلوا كحد أقصى تستطيع الغنم قطعه أثناء الرعي ومعها صغارها، وأن الأب يعقوب طلب من ابنه يوسف أن يذهب ليتفقد إخوته في منطقة الرعي فأخبره رجل أنهم انحرفوا في اتجاه دوثان، فذهب إليهم فأوقعوا به في البئر وأوثقوا رباطه وانصرفوا.. (ومثل هذا التصرف البري يؤكد وجهة نظرنا في بني إسرائيل والتشخيص النفساني للعقلية والسلالة، فبرغم أنهم أبناء نبي(يعقوب) وأحفاد نبي (إسحاق) الذي هو ابن نبي ورسول(إبراهيم الخليل) وإخوة نبي(يوسف) إلا أنهم لم يتورعوا من قتل أخيهم بدم بارد دون حتى أن يكون وقع عليهم أي ضرر منه، فقط كونه أفضل منهم مكانة وأنظف عقلاً وأطهر...) كما كان يفعل أبناء عمومتهم العرب إذ

[1])ـ هي شكيم التي حددنا موقعها في تخوم مكة، وهي تلك التي وردت " شاكمي " في رسائل تل العمارنة ، وضمن جداول معبد الكرنك أيضا " Shakmy "

كانوا يقتلون بناتهم ويدفنونهم أحياء بلا ذنب ! إلى هذه الدرجة من الفساد الفكري وصل أبناء وأحفاد الأنبياء ! سبحان الله، فالعائلة كلها أنبياء ويخرج منها أفسد خلق الله.. فلم يحدث في التاريخ أن اقتتل إخوة لمثل هذا سبب تافه أبدا، وإن توقعنا أن يحدث مثل هذا الكيد بين زملاء أو جيران لكن من المستحيل أن يصل إلى هذه الدرجة بين الإخوة، فأكثر ما يمكن هو المكيدة أو الوشاية لكن لا تصل إلى درجة التصفية بدم بارد والنصب والاحتيال على الوالد بذبح خروف وصب دمائه على قميص أخيهم ليثبتوا لوالدهم أن ذئبا أكله، بينما هم ترأفوا بحاله وقاموا ببيعه في أسواق النخاسة للانتفاع بثمنه ! فمثل هذه التصرفات لا يمكن أن نجدها في أجدادنا قدماء الجبتيين بناة الأهرام والمعابد والحضارة، فالعقلية العربية مختلفة جذريا، وأرض الحجاز هي مهبط جميع الديانات السماوية بسبب هذا الكفر والنفاق والفجر الأخلاقي والفساد الفكري والسلوكي، فكان من الطبيعي أن تأتي الرسالات علاجا سماويا في موضع المرض...

إنما اليهود كي يقتلعوا الخريطة من مسرح أحداثها الأصلي في مكة، قالوا بأن إبراهيم كان مقيما في فلسطين، وأن ولده إسحاق وابنه يعقوب كانا مقيمين أيضا بالشام... ومعنى هذا أن يعقوب أرسل الفتى يوسف من حبرون (المسقطة على الخليل) إلى شكيم (المسقطة على نابلس) مسافة ثمانين كيلومترا ليطمئن على إخوته الذين يرعون المواشي!، وعندما لم يستدل على إخوته سأل رجلا فقال له أنهم في دوثان أي عند عرابة قرب جنين أي على مسافة عشرين كيلومترا أخرى !! ومنطقيا الرقعة الجغرافية التي يمكن أن تحدث فيها قصة كهذه هي أصغر بكثير من الرقعة التي تم إسقاطها على فلسطين بين الخليل وجنين، لأن الرعاة يبنون خيامهم ويرعون مواشيهم في المناطق المجاورة لهم، وبالتالي فحبرون وشكيم ودوثان في التوراة هي مناطق قريبة جدا من بعضها البعض وهي حتما ليست الخليل ونابلس وجنين الفلسطينية، وإنما قرب مكة، حيث هناك تتجسد حقائق التاريخ والتوراة.

وما يؤكد ذلك أن سيدنا يوسف التقطه المديانيون وباعوه لقافلة تجارية من الإسماعيليين (العرب المقيمين في مكة) في طريقهم التجارية، حيث كان إخوة يوسف قد وضعوه في البئر، فالتقطته قافلة العرب التجارية في طريقها إلى مملكة مصرايم جنوبا وقاموا ببيعه لوزيرها (إطفير أو قطفير)((اسم عربي آرامي وليس هيروغليفي) وخصوصا لو عرفنا أن منطقة عسير (التي تقع داخلها مملكة مصرايم) كانت مركزا تجاريا أو محطة رئيسية على خط التجارة الدولي القادم من اليمن إلى الشمال حتى بلاد القوقاز في هذا العصر، فقد كانت تربط خطوط التجارة البرية والبحرية في آن

على البحر الأحمر، القوافل والسفن الواردة من جنوب جزيرة العرب وشمالها وأوسطها، ومن البحر الأحمر ومن إيجبت وادي النيل وشمال إفريقيا ووسط وجنوب إفريقيا وبلاد الحبشة عبر مضيق باب المندب وجنوب جزيرة العرب وبلاد الهند من الجنوب عبر المحيط الهادي... ومعروف أن قوافل العرب التجارية كانت بين اليمن والشام تتوزع موسميا على عدة مراكز تجارية، ومن المنطقي أن تكون قافلة الإسماعيليين الخارجة من مكة باتجاه اليمن قد التقطته في طريقها إلى مصرايم وقامت ببيعه هناك بثمن بخس لأنهم كانوا فيه من الزاهدين، أما اليهود فيحاولون غرس مسرح الأحداث في الشام ومنها إلى إيجبت وادي النيل، لكن كيف ذلك! فخطوط التجارة بين الشام ومكة واليمن، فلو كانوا قد التقطوه في طريق العودة من الشام، فمن المنطقي أن يبيعوه في مكة حيث سوق عكاظ أو في اليمن حيث سوق مُضر ومصرايم ومصرن اليمنية، إنما كيف لهذه القافلة تتجه لبيعه في بلاد إيجبت وادي النيل وهي ليست واقعة على طريق تجارتهم وليس بها سوق للنخاسة ! بل إن الخدم في قصر رمسيس وتحتمس كانوا يحصلون على أجورهم بصورة دورية محددة ودقيقة، وكانوا خاضعين لنظام قانون إداري يعادل في ضبطه قانون الخدمة المدنية الصادر عام 2017م.

تقول التوراة (تكوين37 :25ـ28): ثم جلسوا ليأكلوا طعاما. فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد، وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا، ذاهبين لينزلوا بها إلى مصرايم. فقال يهوذا لإخوته: «ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه؟ تعالوا فنبيعه للاسماعيليين، ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا». فسمع له إخوته. واجتاز رجال مديانيون تجار، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر، وباعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضة. فأتوا بيوسف إلى مصرايم. " ... " والمصرايم هذه هي مصرايم الواقعة جنوب غرب السعودية في منطقة عسير، أي أن الحادث بمجمله لم يخرج عن نطاق الجزيرة العربية بأي حال. في هذا الوقت كانت بلاد وادي النيل اسمها الدولي " إيجبت"، وأما صفاتها المحلية على المستوى الوطني كِميت وتاوي وتامري و إديبوي، وفي عهد بطليموس كان اسمها الدولي " إيجبت" ما زال راسخا، ولما شرع الكهنة اليهود في ترجمة التوراة من السريانية إلى اليونانية، قاموا باستبدال كلمة " مصرايم " إلى إيجبت" كي يتوهم القارئ أن القصة حدثت في إيجبت، وفي ذات الوقت لاقت الفكرة قبولا لدى بطليموس لأهداف ترويجية، حيث كان بطليموس يطمح في أن تكون إيجبت مركزا تجاريا عالميا فوافق على فكرة تقديس اسمها في أول كتاب مقدس.

ولو كان مسمى "مصرايم" معروفا في هذا الوقت لما كان هناك حاجة إلى ترجمته إيجبت لأن اليهود بعد ذلك لما نزل القرآن ونطق اسم مصرايم العبرية " مصر " باللسان العربي، قام اليهود بترجمتها "مصر" في نسخ الترجمات العربية بدلا من إيجبت التي تمت في الترجمة الأولى. ولأنهم شعروا أنه من المستحيل إقناع الشعب اليهودي والمسيحي في هذا الوقت بأن كلمة إيجبت ليست صحيحة وأنها محشورة في التوراة عمدا بدلا من مصرايم، وفي الوقت ذاته من المستحيل على اليهود أن يتمكنوا من تزوير القرآن بيد العرب الذي نطق الاسم باللسان العربي "مصر" فقرروا الاعتراف بالاسمين معا والحفاظ عليهما معا، ولهذا ظل إلى اليوم بلاد وادي النيل اسمها المحلي "مصر" واسمها الدولي " إيجبت " في ذات الوقت برغم أنك لو تساءلت عن أصل كلمة إيجبت يقولون لك تسمية يونانية أصلها إيجبتوس وورد هذا الاسم في مسرحية هوميروس الأسطورية، ولو سألتهم عن مصدر كلمة "مصر" يقولون لك بأنه جاء نسبة إلى مصرايم ابن حام ابن نوح الذي بنى الأهرامات، فما علاقة أسطورة هوميروس الإغريقية بمصرايم ابن نوح الذي جاء من جزيرة العرب ! لا يوجد أي رابط ولا صلة بين الاسمين المعروفين لذات الدولة وذات الشعب.

لكن اليهود حاولوا الحفاظ على الاسمين كي لا يكون ذلك مصدرا للطعن في التوراة التي ذكرت إيجبت والقرآن يذكر مصر والتوراة السريانية تذكر مصرايم. وكان السبيل الوحيد لليهود أن يحببوا الأقباط في هذه القصة من خلال روايات قصص الأنبياء وقصة سيدنا يوسف الموصوف بالجمال الخارق والتعاطف معه نتيجة اتهامه ظلما وتحرش امرأة العزيز به من فرط جماله، وهكذا من الحكايات النبوية التي يعشقها الناس دون تدبر وحذر من الخيوط العنكبوتية التي غرسها اليهود فيها والمآرب الأخرى من وراء ترويج مثل هذه القصص. هذه القصص الدينية المتعلقة بيوسف ويعقوب كلها قصص جعلت المتدينين يعتبرون المدينة القديمة منف من أكثر الأماكن قدسية بالنسبة لهم وأكثرها إلهاما حيث قصر العزيز وسجن يوسف ليؤمنوا بحقهم الديني في الأرض ولغرس قدم تاريخية لهم في موضع قدم نبيهم وليكسبوا التعاطف معهم باعتبارهم إنما ينادون بحق نبي وذكرى نبي! برغم أنهم مشهورون عبر تاريخهم بأنهم قتلة الأنبياء، فهم يكرهون العبادة ويكرهون الأنبياء لكن لا مانع من استخدام أسمائهم للترويج واحتلال أراضٍ جديدة تظللها أسماء هؤلاء الأنبياء.. وعلى كل حال نحن لا نكره يوسف (ع) كونه نبي إسرائيلي لكن لا نقبل أن يتم احتلال وطننا باسمه.

فقدر ورد في القرآن ذكر عن بلدة اسمها "مصر" وأرسل الله نبيه موسى إلى حاكمها الطاغية "فرعون" وفي تفسير القرطبي لكلمة فرعون" فِرْعَوْن " قِيلَ إِنَّهُ اِسْم ذَلِكَ الْمَلِك بِعَيْنِهِ وَقِيلَ إِنَّهُ

اسْم كُلّ مَلِك مِنْ مُلُوك العَمَالِقَة مِثْل كِسْرَى لِلْفُرْسِ وَقَيْصَر لِلرُّوم وَالنَّجَاشِيّ لِلْحَبَشَة وَإِنَّ اِسْم فِرْعَوْن مُوسَى قَابُوس فِي قَوْل أَهْل الْكِتَاب وَقَالَ وَهْب اِسْمه الْوَلِيد بْن مُصْعَب بْن الرَّيَّان وَيُكَنَّى أَبَا مُرَّة وَهُوَ مِنْ بَنِي عِمْلِيق بْن لَاوذ بْن إِرَم بْن سَام بْن نُوح عَلَيْهِ السَّلَام..." وهذا ما يعني أن فرعون الوارد ذكره في القرآن ينتمي بنسبه إلى قبيلة العماليق (وفقا لكلام العرب الذي نقلوه عن اليهود "أهل الكتاب") ووفقا للقرآن أن فرعون كان حاكما لبلدة نطق اسمها "مصر"

في سورة يوسف تفسير الطبري: الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: { وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْر لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعنَا أَوْ نَتَّخِذهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُف فِي الْأَرْض وَلِنُعَلِّمهُ مِنْ تَأْوِيل الْأَحَادِيث وَاللَّه غَالِب عَلَى أَمْره وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاس لَا يَعْلَمُونَ }، يَقُول جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَى يُوسُف مِنْ بَائِعه بِمِصْرَ, وَذُكِرَ أَنَّ اِسْمه قِطْفِير . 14535 ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن سَعْد, قَالَ: ثَنِي أَبِي, قَالَ: ثَنِي عَمِّي, قَالَ: ثَنِي أَبِي, عَنْ أَبِيهِ, عَنْ اِبْن عَبَّاس, قَالَ: كَانَ اِسْم الَّذِي اشْتَرَاهُ قِطْفِير وَقِيلَ: إِنَّ اِسْمه إِطْفِير بْن رُوحِيب, وَهُوَ الْعَزِيز, وَكَانَ عَلَى خَزَائِن مِصْر, وَكَانَ الْمَلِك يَوْمَئِذٍ الرَّيَّان بْن الْوَلِيد, رَجُل مِنَ الْعَمَالِيق . كَذَلِكَ: 14536 ـ حَدَّثَنَا اِبْن حُمَيْد, قَالَ: ثَنَا سَلَمَة, عَنْ اِبْن إِسْحَاق . وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي بَاعَهُ بِمِصْرَ كَانَ مَالِك بْن ذُعْر بْن ثُوَيْب بْن عَنْقَاء بْن مِدْيَان بْن إِبْرَاهِيم.

أي أن مصر التي دخلها يوسف (ع) كانت من بلاد العرب وأصلها مصرايم وفقا للتوراة ومصر وفقا للقرآن، وحكامها عرب من قبيلة العماليق تحديدا، وكان حاكمها يحمل لقب "الملك"، كان حاكمها في عهد سيدنا يوسف اسمه الريان ابن الوليد، وأما رئيس الوزراء "عزيز مصر" فكان اسمه" إطفير أو قطفير، والحديث في تفسيرات العرب يدور حول العماليق بأسمائهم وأنسابهم العربية! وليس سقنن رع وأحمس ورمسيس أو مرنبتاح وأبسماتك..إلخ من ملوك أرض كميت وادي النيل ! وهناك فرق بين نسب العماليق ونسب القبط، وبين أرض العماليق وأرض القبط "كِميت" .. والعرب أهل أنساب بارعون فيها.. فكيف يمكن الجمع بين العماليق والقبط؟ غير أن بلاد القبط في هذا الوقت لم تعرف مسمى مصر أو مصرايم، وكان العماليق يتحدثون اللهجة العربية والآرمية وموطنهم جزيرة العرب، بينما القبط يتحدثون الهيروغليفية، وموطنهم أرض وادي النيل المعروفة باسم " كِميت "!

وعندما حلت سنوات القحط والجوع بأرض "حبرون"[1] ، فأرسل يعقوب عشرة من أبنائه ليشتروا طعاما من "مصرايم" فانطلقوا على حميرِهِم ! ونتساءل هنا؛ إذا ضرب الجوع والجفاف أرض فلسطين فأولى بأهلها أن يشتروا الطعام من جيرانهم في الشام، لا أن يُضطروا لاجتياز صحراء سيناء لشرائه ! وعلى ظهور الحمير ! فالحمير ليست وسيلة مواصلات بعيدة المدى، ولا يمكنها اجتياز مسافات شاسعة من فلسطين إلى القاهرة بأي حال، لأنها ستموت في صحراء سيناء من الجوع والعطش، ولأنها لا يمكنها حتى حمل ما يكفيها من غذاء ومياه للشرب، بل إن حمولة الحمار ذاتها لا تكفيه لقطع هذه المسافة، فكيف يأتي إلى إيجبت ليحمل الحبوب والقمح وكيف يحمل غذاءه هو طوال هذه المسافة الصحراوية الخالية من الحياة، غير أن الحمير تغطس حوافرها في الرمال ولا يمكنها حمل كميات لمسافات كهذه، كما يقول د. أحمد داوود، بل إن الجمل وحده هو سفينة الصحراء كما قال العرب، لكن الكارثة أن خطوط التجارة بين إيجبت وفلسطين كانت بحرية بالكامل وليست برية بأي حال.

فخطوط التجارة كانت تمتد من الإسكندرية مرورا بدمياط وبورسعيد وحيفا وحتى موانئ لبنان، وهذا خط بحري واحد يمر على جميع هذه المدن والمحطات البحرية، لأن الملاحة أسهل وأرخص وأأمن بكثير من الطرق البرية، لأن الصعاليك العرب كانوا يتصيدون القوافل التجارية. وبوجهٍ عام لم يكن أجدادنا في حاجة إلى تجارة برية دولية أو بعيدة المدى وكانت تجارتهم داخلية قصيرة المدى بين المدن والقرى والمراكز الحيوية لا أكثر، ولهذا فإن التجارة البحرية كانت هي المسيطرة على كل سواحل البحر المتوسط، وحتى في الداخل كانت الملاحة النهرية هي المسيطرة لوفرة مياه النيل وتشعب المجاري المائية وكثرة فروع النيل، فكيف ليعقوب أن يرسل أبناءه بالحمير لقطع كل هذه المسافة بريا ! بل إنه حتى خط التجارة بين إيجبت وجزيرة العرب ربطه أجدادنا الجبتيين بالبحرين من خلال خط الملاحة من البحر المتوسط عبر نهر النيل إلى منف حيث الميناء النهري الرئيسي في البلاد، ومنه حفر أجدادنا قناة سيزوستريس من ميناء منف إلى السويس للربط بين البحر الأبيض والبحر الأحمر...

وإضافة لذلك كانت الملاحة النهرية تمتد من ميناء منف النهري الرئيسي إلى أقصى الشرق عبر الفرع البيلوزي الذي كان يمتد إلى الإسماعيلية وبورسعيد حاليا، وكان هناك ميناء نهري في مدينة أواريس (عاصمة الرعامسة –الأسرة الثامنة عشر) في محافظة الشرقية حاليا وكان في مرحلة ما منافسا لميناء الإسكندرية قبل أن تصبح عاصمة للبلاد... ما يعني أن خط التجارة البحرية ممتد بين

[1]) هي حقول عفرون التي سبق وحددنا موقعها في تخوم مكة حيث موطن خليل الرحمن إبراهيم.

منف وفلسطين عبر طريقين الأول بحري من الإسكندرية مرورا برشيد ودمياط وبورسعيد إلى حيفا وحتى الإسكندرونة في لبنان، والثاني يبدأ من الإسكندرية عبر النهر إلى ميناء منف ومنه عبر الفرع البيلوزي إلى أواريس ومنه إلى الفرما ثم العريش أي على حدود فلسطين يلتقي مع الخط البحري الرئيسي. أما رحلة أبناء يعقوب على ظهور الحمير سبع مرات ذهابا وإيابا من فلسطين إلى الفيوم لجلب الحبوب والغلال فهذا مستحيل إلا في مخيلة يهودية تنتشر انتشارا عنكبوتيا، لأن الواقع أن الرحلة كانت من تخوم مكة حيث يقيم يعقوب وأبنائه إلى مصرايم الواقعة جنوب مكة، وليس من فلسطين إلى الفيوم على بعد 800 كيلومتر طرق متعرجة وخطرة، كما قال اليهود بأن خزائن يوسف التي أعدها للغلال كانت بالفيوم ! وأن يوسف استضافهم وربط حميرهم على البوابة وقال لهم "ادخلوا إيجبت إن شاء الله آمنين" !!

ونتساءل أيضا للتدليل على كذبهم المفضوح، فهم يقولون بأن المجاعة حدثت في فلسطين فتحرك أبناء يعقوب إلى وادي النيل لجلب الغلال، وكانت وفرة الغلال على كلامهم في وادي النيل ليس بسبب غنى وخصوبة هذه الأرض بل لنجاح سياسة يوسف في التدبير وتفادي المجاعة بتخزين الغلال في صوامع أي أن المجاعة كانت في فلسطين ووادي النيل إيجبت في ذات الوقت، وكل ما حدث أن الفلسطينيين لم يحسبوا حساب لهذه المجاعة بينما يوسف أعد لها جيدا وجمع الغلال خلال فترة الخصب والوفرة، ما يعني ويؤكد أن البقعة بكاملها تعرضت لنوبة جفاف وقحط خلال سبع سنوات متصلة، فهل فلسطين ترتبط ببلاد وادي النيل جغرافيا ومناخيا ؟!

جميعنا يعرف أن وادي النيل إيجبت هي بلد إفريقية تغذيها شبكة فروع نهر النيل، وأن شبه جزيرة سيناء هي منطقة واقعة تبع قارة أسيا وهكذا كل بلاد الشام، ومعروف أن رزق بلاد وادي النيل يعتمد على مصدر وحيد ليس هو المطر وإنما نهر النيل القادم من أعلى جبال إثيوبيا، وهذه الأمطار تحدث نتيجة اصطدام الرياح الشرقية الجنوبية العابرة للبحر الأحمر محملة بالسحاب فتصطدم بجبال إثيوبيا حيث تتراكم المياه في بحيرة فيكتوريا العظيمة وينزل الفيضان قاطعا مسافة 6 آلاف كيلومتر خلال عشرة أيام حتى يصل أسوان، وهذا هو المصدر الوحيد لبلاد وادي النيل.

بينما فلسطين تعتمد على مصدرين مباشرين متوازيين هما الأمطار والأنهار؛ ونظرا لأن الأمطار وهي محلية تتساقط مع مرور الرياح الغربية الشرقية العابرة للبحر المتوسط على التضاريس الفلسطينية، أي في اتجاه معاكس للرياح الشرقية الجنوبية عبر البحر الأحمر والتي هي مصدر مياه

النيل، وهي تختلف عن الأنهار التي مصدرها الرئيسي نهر الأردن القادم من أقصى الشمال وشبكة فروعه، ونوجزها فيما يلي؛

أولا: الأمطار: تعتبر الأمطار المصدر الرئيسي للمياه في فلسطين، فعليها يتغذى الخزان الجوفي والمجاري المائية المختلفة، حيث يتم الاعتماد عليها في ري مساحات واسعة من الأراضي الزراعية. وتمتد فترة سقوط المطر في فلسطين من شهر سبتمبر(أيلول) إلى مايو(أيار)، وتبلغ الذروة ما بين شهري نوفمبر(تشرين الثاني) وأبريل/ نيسان،(عكس الحال تماما في وادي النيل حيث تكون ذروة الفيضان في أول يوليو من كل عام) ونتيجة لذلك تعرف ظاهرة الجريان السطحي في أراضي فلسطين، ويقصد بالجريان السطحي مجموعة الأودية والسيول والجداول المائية سواء الدائمة منها أو الموسمية. وبالنسبة لقطاع غزة الجنوبي، فيعتبر وادي غزة أهم مناطق الجريان السطحي في قطاع غزة ويصل طوله إلى 8,5 كلم، ويشكل حوضا تبلغ مساحته 3600 كلم^2.. وينقسم الجريان السطحي في فلسطين إلى الأنهار والسيول والبحيرات والمياه الراكدة.

ثانيا: الأنهار:

1- شبكة أنهار البحر المتوسط وتضم الأنهار التالية: نهر وادي القرن ـ وادي المفشوخ ـ نهر النعامين ـ نهر المقطع ـ نهر الزرقاء ـ نهر وادي الخضيرة (المعجز) ـ نهر اسكندرونة ـ نهر الفالق ـ نهر العوجا ـ نهر صفد .

2- شبكة انهار الغور: وتضم الأنهار التالية: وادي نهر الأردن ـ مجموعة نهر الدان الذي ينبع من فلسطين، وهو أكبر فروع نهر الأردن ـ مجموعة نهر بانياس الذي ينبع من سوريا ـ مجموعة نهر الحاصباني الذي ينبع من لبنان ـ وهناك مجموعة رابعة هي ينابيع نهر بريغيت ـ كما توجد مجموعة روافد لنهر الأردن وهي: نهر اليرموك، بالإضافة إلى مجموعة من الأودية التي ترفد نهر الأردن من الجانب الشرقي في الأردن.

ثالثا: السيول:

السيل عبارة عن مياه تتجمع في وادي مائي خلال فترة أو فترات ولمدة يختلف طولها وقصرها تبعا لكمية المياه المسببة للسيول وهي الأمطار بالدرجة الأولى، وتعد السيول في فلسطين من أكثر الظواهر المائية السطحية انتشارا. ومن الأودية التي يتجمع فيها المياه: وادي شوباش في منطقة جنين، وادي عمود في الجليل المنتهي في بحيرة طبرية، ووادي العوجة رافد الأردن، وأودية أخرى تنتهي في

البحر الميت. وهناك أودية ضمن شبكة البحر المتوسط مثل: وادي غزة، ووادي الحسى، وفي الجنوب وادي جرافي أكبر أودية النقب.

رابعا: البحيرات والمياه الراكدة:

وتضم هذه البحيرات والغدران والمستنقعات والبرك وخزانات المياه المختلفة

المياه الجوفية: هي المورد الرئيسي للمياه في فلسطين ومصدرها مياه الأمطار، فهي عبارة عن الكميات المتسربة من مياه الأمطار إلى التكوينات الجيولوجية في باطن الأرض. وتقدر نسبة مياه الأمطار المتسربة بحوالي 30٪ من إجمالي الأمطار الساقطة. ويتم الاستفادة من المياه الجوفية عن طريق الآبار أو عن طريق الينابيع الطبيعية. وتقدر كمية المياه العذبة والمتجددة في الخزان الجوفي بحوالي 1000 مليون متر مكعب، وهو ما يعادل 55٪ من المياه العذبة في فلسطين. وتنقسم هذه التجمعات المائية إلى أحواض أهمها الحوض الغربي، ويمكن تقسيمه إلى حوضين رئيسيين هما: الأول ـ حوض العوجا(التمساح) . والثاني ـ حوض الخليل (بئر السبع) أما الأحواض الشمالية الشرقية، وتعرف باسم حوض نابلس وجنين، وتنقسم إلى قسمين: الأول ـ حوض نابلس وجنين وجلبون: الثاني ـ حوض تعنك وجلبون: ويضم تكوينات القدس وبيت لحم والخليل، وهي متصلة وتشكل وحدة مائية واحدة [1].

وبالنظر إلى أن أراضي فلسطين تعتمد على مصدرين مختلفين من المياه هما الأمطار والأنهار. وبما أن الأمطار وهي محلية تتساقط مباشرة مع عبور رياح الغرب فوق البحر المتوسط لتضع أثقالها على التضاريس الفلسطينية مباشرة، وهي تختلف في معدلاتها عن المصدر الآخر الاحتياطي وهو الأنهار التي تجري إلى فلسطين من بلدان أخرى، وأهمها نهر الأردن، ويتكون عند التقاء ثلاثة روافد هي بانياس القادم من سوريا واللدان القادم من شمالي فلسطين والحاصباني القادم من لبنان مشكلا نهر الأردن العلوي... إضافة إلى الخزانات الجوفية وهي رصيد يجعل فلسطين محصنة تقريبا من الجفاف.

وهذه المنظومة حتما تختلف عن المصدر الوحيد لبلاد وادي النيل والذي هو نهر النيل القادم من أعلى جبال إثيوبيا نتيجة اصطدام الرياح الشرقية العابرة فوق البحر الأحمر. أي أنه إذا حدثت مجاعة في إيجبت وادي النيل، فمن المستحيل وقوعها في فلسطين في ذات التوقيت وعلى مدار سبع سنوات

[1] ـ المصدر : مركز المعلومات الوطني الفلسطيني (الهيئة العامة للاستعلامات)

متواصلة، لأن ذلك معناه أن المجاعة شملت قارتين كاملتين، بما فيهما بلاد الشام كاملة (لبنان وفلسطين وسوريا والأردن والعراق مرورا بشبه جزيرة سيناء ووادي النيل مرورا وحتى دول حوض النيل العشرة التي تعتمد جميعها على نهر النيل وباقي دول وسط وجنوب إفريقيا التي تعتمد على بحيرة فيكتوريا، وهل من المعقول أن تحدث مجاعة بشعة بهذا الشكل تمتد من جنوب ووسط إفريقيا إلى فلسطين والأردن وسوريا، ولا تذكرها أي مصادر تاريخية سوى رحلات حمير بني يعقوب التي قيل أنها جاءت لجلب الغلال من بلدة اسمها مصرايم ؟! فأجدادنا الأقباط كانوا يسجلون كل شيء حولهم، وكان لديهم دقة متناهية في الملاحظة حتى أنهم سجلوا أبعد الأحداث الفلكية النادرة مثل كسوف الشمس وظهور الشعرى اليمانية لمدة خمس دقائق كل عام في صباح اليوم الأول من شهر توت أي وقت وصول الفيضان إلى الجندل الأول بأسوان، وذات مرة حدث أن ضربت البلاد عاصفة شديدة فسجلوها بدقة، فهل تحدث مثل هذه المجاعة الحارقة في طول البلاد وعرضها، ولا يدونها إلا عشيرة بني إسرائيل !

وعلى كل حال كانت فلسطين إقليما مستقلا عن وادي النيل تماما بل ملتصقا وتابعا لإقليم الشام جغرافيا ومناخيا، وتعتمد على منظومة مستقلة للري ومتنوعة بين موردين رئيسيين هما الأمطار المباشرة والمجاري النهرية، وبجوارها سوريا التي تعتمد على نهر الفرات ومنابعه في جبال تركيا إلى الشمال، فهل معنى ذلك أن المجاعة شملت قارتين كاملتين ! هل تمتد أسباب المجاعة من جبال إثيوبيا إلى جبال أتاتورك !، بل من الطبيعي أنه لو حدثت مجاعة في وادي النيل يظل فلسطين وسوريا في مأمن عنها، غير أن فلسطين إقليم ساحلي يعتمد على مياه المطر القادمة من البحر المتوسط، وبالتالي لا يتصور أن يحدث جفاف في السحابات العابرة من الشمال باتجاه الشرق عبر البحر المتوسط لتمطر على فلسطين، مع جفاف موازي للسحاب العابر من الشرق إلى الغرب عبر البحر الأحمر ليمطر على جبال إثيوبيا ! ...

وكل ما في الأمر أن عشيرة إسرائيل كانت مقيمة في تخوم مكة والحجاز وهي منطقة صحارى مجاورة لقرية مصرايم وكل المنطقة أو الإقليم تعرض لنوبة جفاف اضطر بني إسرائيل للانتقال استجابة لدعوة يوسف المقيم في مصرايم، وفي النهاية بعد وفاة يوسف ونفاد أموالهم وعدم قدرتهم على شراء الغلال اضطروا لبيع أنفسهم لفرعون حاكمها في النهاية (كما باعوا أخيهم يوسف ... فالله تعالى انتقم منهم بأن جعلهم يبيعون أنفسهم بإرادتهم لفرعون كي يطعمهم مجانا ويعملوا عبيدا عنده)، إنما

من المستحيل أن تستمر سنوات المجاعة في وادي النيل والشام عدد محدد من السنوات على التوازي وعلى التوالي لأن الوضع المناخي لكلاهما مختلف تماما، ومنابع المياه مختلفة تماما...

ثم أن اليهود يقولون أنهم سافروا ذهابا وإيابا بين فلسطين ومصر خلال وقت وجيز جدا والحمير لا تصلح لنقل أحمال في هذه المسافات لأن الحمولة نفسها لن تكفي غذاء الحمار الذي يحملها، بل إن قدرة الحمار على الحمل لا تكفي أن يحمل مؤنته هو للسفر من الأقصر إلى الشام في صحراء قاحلة تتيه فيها الجيوش .. بل إن قوله تعالى:﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ تؤكد أنهم يعيشون في ذات الإقليم وليس بينهم مسافة 1000 كيلو طرق متعرجة وإلا فكيف يسأل ! ثم هل يصف الله إمبراطورية تحتمس بأنها قرية ! فالفقهاء والمفسرون الإسلاميون طالما تحدثوا عن بلاغة القرآن الإعجازية في استخدام الألفاظ وتوظيف المعاني بما يفوق قدرة العقل البشري على استيعابها، لكن عندما يقول الله في القرآن مرة أنها كانت مدينة ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ ومرة أنها قرية ﴿و اسأل القرية التي كنا فيها﴾ لن يقف فقهاء اللغة العربية على هذه المعاني طالما أن اليهود قالوا لهم بأن القرية هي إمبراطورية تحتمس، وأن المدينة هي مدينة "منف " عاصمة إمبراطورية الأقباط العظمى، وبرغم أنها كان اسمها منف وليس مصر ولا مصرايم، إلا أن العقل العربي قد خضع لتأويلات اليهود للقرآن خضوعا مازوخيا غريبا.

غير أننا لو تدبرنا القرآن في قول الله تعالى على لسان يوسف بعدما استقر شأنه في مصرايم واستدعى إخوته، قال: ﴿ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي..﴾100/ يوسف. فهل كانت الشام وفلسطين بدو ! برغم كل هذه الأنهار والجداول النهرية وحقول الزراعة ! أم أنهم بالفعل كانوا مقيمين في الحجاز ؟ فمنطقة الحجاز هي الصحراء الوحيدة في الجزيرة والتي يسكنها البدو العرب.

والأغرب أن التوراة ذاتها ذكرت سهوا في أحد مقاطعها مفردة مصريم في سياقها الحقيقي أي بمعنى العشيرة أو القبيلة، فتقول التوراة (زكريا ١٤:١٨) " وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ لاَ يَصْعَدُ مِنْ قَبَائِلِ الأَرْضِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ لِلْمَلِكِ رَبِّ الْجُنُودِ، لاَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ مَطَرٌ. 18 وَإِنْ لاَ تَصْعَدْ وَلاَ تَأْتِ عشيرة المصريين وَلاَ مَطَرٌ عَلَيْهَا، تَكُنْ عَلَيْهَا الضَّرْبَةُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الرَّبُّ الأُمَمَ الَّذِينَ لاَ يَصْعَدُونَ لِيُعَيِّدُوا عِيدَ الْمَظَالِّ"... وعند تتبع لفظ "مصر" الوارد في المقطع أعلاه في النسخة الأصلية

السريانية للتوراة نجده ينطق سريانيا "مصريم" بمعنى أن المقصود هو مصر موسى ويوسف التي وردت في هذا المقطع بوصفها عشيرة من بين القبائل والعشائر المطلوب منها أن تصعد إلى أورشليم، وليست مملكة القبط العظمى. بينما مترجمي "السبعونية" قد أدرجوا مصريم الواردة في المقطع أعلاه ضمن حملة التزوير حيث حرفت من مصريم إلى القبط، وصار النص الأصلي (عشيرة المصريين) والنص اللاتيني (family of Egypt) وخرجت جميع الترجمات الغربية المعاصرة مؤصلة هذا التحريف الفاضح، فهل كان الشعب القبطي القديم عشيرة ؟! أو قبيلة ؟! أو family كما نقرأ في الترجمات الغربية المعاصرة:

"And it shall be ،that whoso will not come up of all the families of the earth unto Jerusalem to worship the King ،the LORD of hosts, even upon them shall be no rain. And if the family of Egypt go not up ،and come not ،that have no rain; there shall be the plague, wherewith the LORD will smite the heathen that come not up to keep the feast of tabernacles [1]

ويدل ذلك على أن مصريم المنعوتة بوصف القبيلة في الأصل والترجمة هي عينها مصر موسى ويوسف والمجاورة لأورشليم، والمفروض أن أور شليم مقر للعبادة بالنسبة للعشائر المجاورة لها ومن بينها عشيرة المصريين. فهل كانت إمبراطورية القبط التي تحمل اليوم اسم" جمهورية مصر العربية" توصف بالـ عشيرة ؟! أو قبيلة ؟! أو family أيام سليمان وداوود ؟

يقول د. أحمد داوود أن مصر هي بالكلدانية "مصري" أي بلهجة بني المشرق، وبلهجة الكنعانيين في جبل غامد " مصرايم" وتعني المصريين أو عشيرة المصريين، وهي تقع على تلة أو ربوة في نبعة ماء ويجري فيها وادي سيلي ينضب في الصيف وينحدر إلى الغرب باتجاه البحر الأحمر ويدعى وادي مصريم أو وادي شيحور، وهناك عشرات المواضع في التوراة التي تؤكد أن مصر المقصودة إنما هي قرية أو بلدة عشيرة المصريين من أبناء حام. تقول التوراة " وعشيرة مصر إن كانت لا تصعد.." ويكفي هنا أن نذكر قرب المكان حيث كان إخوة يوسف يذهبون ويعودون من القرية مرات متتالية، لجلب القوت، لأن أخاهم يوسف كان قائما على الخزائن يبيع الحبوب، وطلب منهم أن يعودوا

[1] ـ **زكريا** 14ـ18

إليه بأخيه الصغير دون أن يعرفهم بنفسه، وعادوا إلى أبيهم بهذا الطلب وجاد لهم أبوهم بالصغير فقال يهوذا لأبيه أنا أضمنه من يدي تطلبه .. إنه لولا أنا تلبسنا لكنا الآن قد رجعنا مرتين "[1]

وليست صدفة أن نجد التعبير الذي استخدمه أحمد داوود في وصفه الجغرافي الدقيق لقرية مصرايم، هو ذاته الذي استخدمه القرآن الكريم في قوله ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ قال ابن زولاق: الربوة لا تكون إلا بمصر [2]. أو هي التعبير الذي استخدمه سابقا يوحنا النقيوسي، بأنها كانت عبارة عن أيكة، مدينة كثيفة الأشجار والخضرة يمر شرقيها نهر ثم تحول إلى غربيها، وهذا في التعبير الإسلامي ينطبق على وصف "الجنة"، حيث يقول تعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿265﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾266/البقرة

ونعيد هنا تأكيد الانسجام اللغوي عندما تساءل المفسرون عن حوار يوسف مع امرأة العزيز وتعجزهم اللغة عن الفهم فيقولون أنها لغة أهل السراة جنوب غرب الجزيرة ! وذلك لأن لسان أهل منطقة السراة وتهامة وحوران ومصرايم كان سريانيا. وهذا ما نفهمه من كلام المؤرخين عن كلمة "هيت لك" التي وردت في القرآن العربي المبين وفي سورة يوسف (ع) تحديدا في قوله تعالى:" وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ...﴾23/يوسف. والصديق يوسف كما هو معلوم هو ابن حفيد الخليل إبراهيم (ع). فيقول صاحب تفسير الطبري: "حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن عمرو عن الحسن هيت لك قال كلمة بالسريانية أي عليك [3] كما أكد ابن كثير نفس الخبر فقال "وكان الكسائي يحكي

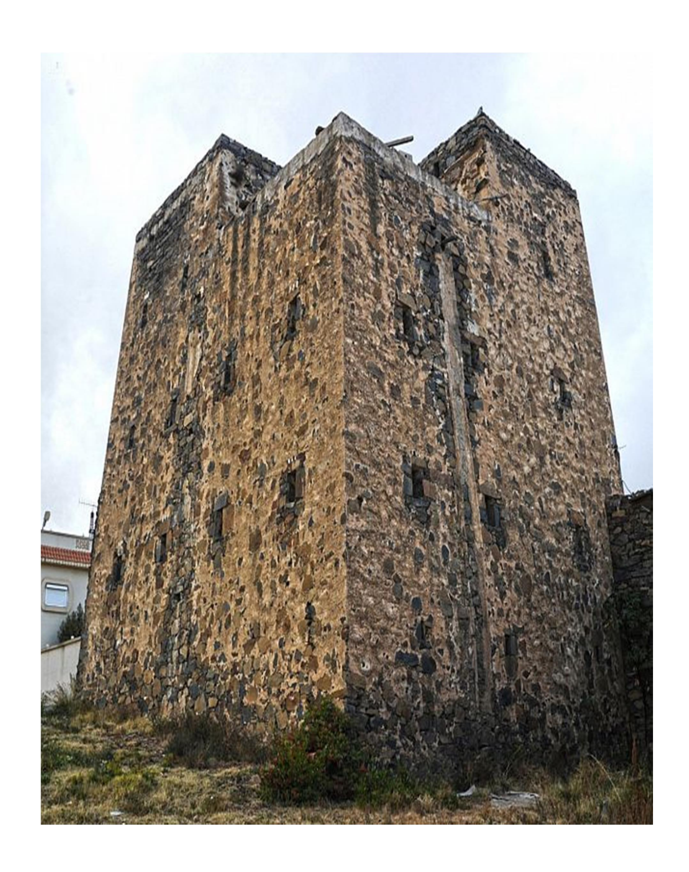
[1] ـ كتاب الدكتور أحمد داوود ص 99

[2])ـ جلال الدين السيوطي ـ كتاب "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة" ج1 ص 9

[3] ـ الطبري، التفسير، ج١٢، ص180

هذه القراءة يعني هيت لك ويقول هي لغة لأهـل حوران وقعت إلى أهل الحجاز ومعناها " تعال "، وقال أبو عبيدة سألت شيخا عالما مـن أهل حوران فذكر أنها لغتهم [1] ...

وعلى كل حال، هذا التباين الجغرافي والتباين في التضاريس والمناخ يؤكد حتما أن يعقوب وأبناءه كانوا مقيمين في ذات الإقليم المناخي الذي تقع في نطاقه بلدة مصرايم تلك، فلو رجعنا لحقيقة أن يعقوب كان مقيما في تخوم مكة، وأن يوسف ابنه كان في مصرايم الواقعة جنوب مكة، فهذه المنطقة تقع داخل ذات الإقليم المناخي ولو بمعناه الواسع، وبالتالي إذا حدثت مجاعة في منطقة جبال عسير حيث تقع مصرايم، فحتما ستمتد آثارها إلى مكة والمدينة والطائف بلا شك. لأن منطقة مكة ومحيطها ليست منطقة زراعة وإنما رعي فقط، وأما الزراعة فهي في منطقة عسير جنوبها حيث الجداول النهرية والخضرة والزراعة، وما زال هناك الأهالي يحتفظون بالحبوب والغلال في صوامع مبنية من الطوب اللبن كما كان عهد يوسف، وتعتبر هذه المنطقة هي مصدر الحبوب بالنسبة لكل المناطق المحيطة بها خاصة الحجاز ومناطق الرعي الصحراوي. وكما تبدوا صور المدينة، هذه هويتها العمرانية، وتتميز بارتفاع المباني الطينية منذ قديم الأزل.



[1]ـ ابن كثير، التفسير، ج٢، ص٤٧٥؛ وبألفاظ مختلفة: البخاري، الصحيح، ج٥ ، ص٢١٧ ، ٢٨٠

حيث كان أهالي المنطقة وما زالوا يقيمون المباني على هذه الطريقة من الطين بعد حرقه وتجفيفه، ولهذا قال فرعون " فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ "﴿38﴾/القصص، أما قدماء الأقباط في وادي النيل فكانوا يستخدمون الأحجار الصلبة والجرانيت في البناء وبأساليب وتقنيات هندسية متقدمة جدا حتى بمعيار عصرنا، وهذه حضارة مختلفة تماما وكليا، وكانت مسألة بناء مخازن الغلال والحبوب بالنسبة لهم شيئا أساسيا منذ آلاف السنين قبل الميلاد، لكنهم لم يكونوا يرتفعون بالبناء، بل غالبا ما تكون عبارة عن مصاطب ترتفع قليلاً عن الأرض، أو تكون أبيار محفورة في الأرض ويتم تجليدها بأسوار وتغطيتها وتكون في مناطق جافة في الضفة الغربية لنهر النيل ولها سجلات سنوية خاصة بها وحسابات وجرد دقيق تم رصده على البرديات، وهذه المخازن كان لها تقسيم هندسي وحسابات وميزانية وطاقم عمل كان أكثر عبقرية مما استطاع يوسف فعله في مجاعة مصرايم، لأنه حتى إمكانات يوسف كانت محدودة بحدود إمكانات المجتمع ومباني الطين والطبيعة الجبلية...

بل إن المدهش هو " الصوامع بئر العبد " حيث تم اكتشاف أربع صوامع لتخزين القمح فيها ومخزن تصل قدرتها التخزينية إلى أربعين طنا من القمح على أرضية ثلاثة صوامع في منطقة بئر العبد، تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد.. وقد تم اكتشاف صوامع القمح بواسطة بعثة جامعة بن جوريون بقيادة البروفسور اليعازر داروين اثناء احتلالهم لسيناء من عام 1972_1982 م.. وتم الكشف عن مطامير لتخزين الحبوب في مدينة الفيوم ويبلغ عددها 165 مخزنا يعود تاريخها إلى الألف الخامسة قبل الميلاد (النبى إبراهيم (ع) 1700 قبل الميلاد، وحفيده يوسف بعده)

وهنا صوامع الغلال التي وجدت في معبد الرمسيوم بالأقصر، هي من أشهر الصوامع في إيجبت والعالم القديم، والتي حدثت بها أول مظاهرة عمالية مسجلة في التاريخ في عهد رمسيس الثالث، حيث قامت المظاهرات والاحتجاجات حين صرخ العمال المحتجون "لا نجد ما نأكله.. إن عرش الملك اهتز". واستمرت صوامع الرمسيوم لمدة 1500 سنة حتى الغزو الروماني لمصر، وهناك غيرها صوامع بمحافظة الشرقية. ومع تقدم الكشوف الأثرية تبين أن الصوامع كانت مهمة أساسية لكل ملك يحكم البلاد، وكان يتم إنشاء صومعة بجوار كل معبد حسب التقسيم الإداري للإقليم يتم تجميع القمح فيها، وصومعة مركزية للجيش والحكومة، ويعود تاريخ أقدم هذه الصوامع إلى سبعة آلاف عام، لكن الغريب

أنه بعد كل ذلك تعم الأساطير، وتصبح كل صومعة من هذه الصوامع تحمل اسم " صوامع النبي يوسف" ! حتى ما هو أقدم من يوسف بخمسة آلاف عام !

فما قام به يوسف في مصرايم خلال هذه المجاعة لم يكن معجزة إطلاقا، بل كانت حكمته فقط في مسألة تأويل حلم فرعون الذي رأي سبع بقرات سمان تأكلهن سبع عجاف، وقال له بأنه ستأتي سبع سنوات بالخير الوفير يتحقق خلالها فائض في الغلال ويجب تخزين هذا الفائض وليس بيعه، بل تخزينه والاحتفاظ به لسبع سنوات جفاف ستأتي بعدها. أما موضوع إنشاء المخازن وتدبيرها فلم يكن معجزة، بل جاء بنفس الطريقة التي كان يتبعها أهل هذه البلد في تخزين الحبوب، وكانت وما زالت عادتهم أن يقيموا صوامع طولية مرتفعة من الطين يقسمونها طبقات، وبها فتحات في مستويات مختلفة بحيث يغلق سقف الصوامع بعد ملئها ويبدأ سحب الغلال من أسفل من هذه الفتحات حسب الحاجة والطلب، وتساهم هذه الصوامع في حفظ الغلال من الحشرات والرطوبة.

وهناك نقش أثري جدير بالتنويه له [1]، فقد ذكر "ابن هشام" أنه وجد باليمن مقبرة مفتوحة نتيجة للطوفان أخرجت منها رفاة امرأة لفت حول عنقها أشرطة من اللؤلؤ، خواتم مرصعة بالأحجار الكريمة ووضعت، كما وجدت لوحة عليها نقوش ترجمها "جون فوستر" كما يلي:

"باسم الله، إله حمير: أنا تاجة (Tajah) ابنة ذو شنار (DHU SHEFAR) أرسلت وكيلي إلى يوسف.

ولما تأخر في العودة إلي أرسلت إليه وصيفتي. ومعها مكيال من الفضة ليرده إلى مكيال من دقيق.

ولما عجزت عن الحصول عليه أرسلتها بمكيال من الذهب.

ولما عجزت عن الحصول عليه أرسلتها بمكيال من لؤلؤ

ولما عجزت عن الحصول عليه أصدرت أمرا بطحنها.

ولما لم أجد أي فائدة منها كان مصيري الدفن هنا.

فإلى كل من يسمع عني، هلا رثى لمصيري

وإلى أي امرأة تفكر في التحلي بحلية من زينتي.

أن تلقى الميتة نفسها التي لقيتها.."

[1] ـ وورد أشارات كثيرة عن هذا النقش بمصادر عديدة ومنها كتاب " ملوك حمير وأقيال اليمن" ص 74 لمؤلفه نشوان بن سعيد الحميرى اليمني

هذه النقوش السالفة تنتمي إلى زمن يوسف، وهي تؤيد تماما ما جاء في القرآن من القحط الذي أهلك عددا من الأقوام في تلك العصور. ما ذكرته عن نص اللوحة قام بترجمته "جون فوستر" .. وذكر "ابن هشام" كيف تم العثور عليها. وهذا أيضا تأكيد على وقوع الجفاف والمجاعة في النطاق الجغرافي الواحد لجزيرة العرب، وليس إقليمين جغرافيين ومناخيين مختلفين (وادي النيل إفريقي جنوب البحر المتوسط – وفلسطين إقليم أسياوي شرق البحر المتوسط.

وهذه اللوحة لها دلالات خاصة .. فلا يعقل أن ترسل امرأة وصيفتها بمكيال من الفضة.. ثم أرسلتها بمكيال من ذهب.. ثم أرسلتها بمكيال من لؤلؤ .. إلا أن تكون مصر التي يقيم فيها يوسف كانت قريبة منها في اليمن.. على الأقل مسيرة عدة أيام لا شهور .. وهو ذاته المنطق مقبول إذا ما قيل أن إخوة يوسف وأبيه يعقوب كان موطنهم شمال مصرايم بمكة وانتقلوا من هناك على ظهور الحمير إلى مصرايم حيث يوسف ومخزن الغلال، وننوه هنا أن موقع مصرايم متاخم لموقع إرم ذات العماد جغرافيا، كما جاء الاثنين مترافقين في النص القرآني.

وبمجرد حدوث شح في الغلال بدأ السكان يتوافدون على يوسف مدير المخازن ليشتروا منه الحبوب، وكان من بين هؤلاء إخوة يوسف (ع)... عرف يوسف إخوته وصفح عنهم ودعا جميع أهله ليسكنوا بأرض المصريمين. وفعلا قدموا وسكنوا أرض مصرايم، وطلب يعقوب من الملك أن يقيم بأرض تكون فيها مرعى، فوافق الملك فاختار يعقوب الإقامة في منطقة " جاسان " (الاسم ليس له وجود في الهيروغليفية). بعدها بـ 17 سنة مات يعقوب وكانت وصيته أن يدفن بجوار أبيه و جده في مغارة " المكفيلة " في " حبرون ـ عفرون" في محيط مكة، وفي الطريق عبروا منطقة براري توقفوا للعزاء والبكاء، فسميت المنطقة بـ" آبل مصرايم" لكثرة المصرايميين بها ثم أكملوا صعودهم إلى حبرون التي هي حقول عفرون بمحيط مكة حيث مغارة المكفيلة ليدفن يعقوب مع آبائه وأجداده إبراهيم وسارة (ع) .[1]

[1] ـ المشكلة فهي لدينا نحن المسلمون أننا صدقنا بالفعل أن إبراهيم دفن زوجته في مغارة اسمها مكفيلة في أرض فلسطين وقدسنا ذلك المكان الذي زعمه اليهود وأطلقنا عليه اسم " الحرم الإبراهيمي" كذبا ليزداد قدسية لصالح اليهود! ثم نعود بعد ذلك لننكر حقوق اليهود في الحرم الإبراهيمي! كيف ذلك ونحن نستمد قدسيته من ذكرياتهم ؟! هم يغرسون مقدسات دينية كاذبة لنا في كل مكان ونحن نروي ونزرع ونبتلع الطعم فيأتون لاحتلال أرضنا، بينما مغارة المكفيلة هذه في الحجاز في منطقة (حبرون-عفرون) ولا وجود لها في فلسطين وهذا ما يعني أن الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل ما هو إلا وهم تمسكنا نحن به لصالح اليهود، فكلما قدسنا مكانا باسم مدفن إبراهيم،

غير أننا نقرأ في التوراة أن الجمهور شيع جثمان يعقوب بكل إمكانات الإمبراطورية القبطية من طيبة أو الأقصر إلى فلسطين (مسافة أكثر من 1000 كيلومتر) قاطعا صحراء سيناء بين الجبال والرمال وجميعهم تركوا البلاد بلا أمن ولا حراسة ! حيث نقرأ في (سفر التكوين 6:50ـ10): " فقام يوسف و تجهز مع إخوته لنقل جثمان أبيهم إلى أرض كنعان كما أمرهم. وأصدر فرعون بيانا أمر فيه أبناء مصر جميعا بتكريم يوسف عن طريق المشاركة بجنازة يعقوب، و تقديم آخر فروض الاحترام إليه. واستجاب أبناء مصر بأعداد كبيرة لرغبات الملِك، وصعد مع يوسف وإخوته جميع عبيد فرعون وأعيان بيته وأعيان أرض مصر والأمراء والأشراف وكلّ من يتبع لأهل بيت يوسف. وحمل بنو يعقوب النعش الذي رقد عليه جثمان أبيهم كما أمرهم، و قد جعِل على النعش صولجان وتاج مُذهبان . وتبعت جيوش مصر جثمان يعقوب مُشاة وخيّالة، ومعهم حرس فرعون الشخصي وحرس يوسف أيضا . وحدث عندما بلغ موكب الجنازة بيدر " أطاد " الذي في عبر نهر الأردن، أنهم توقفوا عنده وأقاموا مناحة و ندبوا ندبا عظيما ".

{ لاحِظ أنّ يوسف و إخوته و كلّ أهله ومُعظم المصريين وكلّ عبيد فرعون وأعيان بيته وأعيان أرض مصر والأمراء والأشراف وجيوش مصر وحرَس فرعون الشخصي وحرَس يوسف أيضا . كلّ هؤلاء خرجوا في جنازة يعقوب ! ... ترَكوا البلاد بلا جيوش ـ بلا رجال ـ بلا أمراء ـ بلا عبيد وذهبوا لتشييع يعقوب ! ثمّ أيّ خليلٍ هذه التي للوصول إليها من إيجبت وادي النيل يتوجّب عبور نهر الأردن!، فالطريق من الأقصر إلى سيناء حيث الفرما والعريش مباشرة إلى قطاع غزة والخليل، لكن تقع بيدر أطاد عبر نهر الأردن في الطريق بين الأقصر والخليل !! .. وكما أوضحنا سلفا أن أصل الكلمة ليست نهر الأردن وإنما يردن، وهي بصيغة الجمع ومفردها يردو أي برية أو منطقة سهلية وهي الواقعة على سفوح جبال عسير غربا في الطريق إلى الشمال حيث مكة.

تقدست بذلك حقوق اليهود في هذا المكان قبلنا تاريخيا، بينما في الحقيقة هو وهم تاريخي خيم على عقولنا واستفاد منه اليهود بالأرض، فهم ينفخون في تاريخهم نفخا عظيما حتى صار كل حدث فيه مثل البالون الضخم، بينما نحن نعظم ونقدس ونبجل دون مناقشة، ففي هذه المرة قالوا لنا أن نبي الله إبراهيم كان موطنه في الشام فصدقناهم وتركنا كتاب الله القرآن الذي قال أن مقام إبراهيم كان بمكة، وفي المرة القادمة سيقولون لنا بأن نبي الله محمد كان مقره في الهند، ونحن نتبعهم خطوة بخطوة حتى إذا ما دخلوا بنا جحر ضبٍ دخلناه !.

بعد موت يعقوب بـ 63 سنة مات يوسف و تبعه إخوته واحدا تلو الآخر، وكذلك مات الملك وتسلم ابنه الحكم و دارت الأيام على بني إسرائيل فأصبحوا عبيدا للمصرايمين، حيث كانوا في هذه الفترة يعيشون في منطقة جاسان ويرعون أغنامهم هناك، ويشترون الحبوب والغلال من مخازن مصرايم، ولما نفدت أموالهم استبدلوا حيواناتهم بالحبوب، فأخذ فرعون منهم الأغنام والأبقار مقابل الغلال حتى نفدت أغنامهم وأبقارهم، فعرضوا على فرعون أن يشتريهم بطعامهم أي يستعبدهم مقابل أن يعطيهم الطعام مجانا، فقبل فرعون ودخل بني إسرائيل مرحلة الاستعباد حيث ذاقوا خلالها الأمرين.. فهم الذين طلبوا العبودية مقابل ملء بطونهم. وكان يستعبدهم في البناء من الطوب اللبن، وكانت لهم طريقة في صنع هذا الطوب حيث يقومون بخلط التبن بالطين ليتماسك وهكذا يعدوه.

نقرأ (سفر الخروج5: 16) التِبْنُ لَيسَ يُعطى لِعَبيدِكَ، واللّبْنُ يَقولونَ لنا: اصنَعوهُ! وهُوذا عَبيدُكَ مَضرُوبونَ، وقَدْ أخطأ شَعبُكَ». وبلغ الأمر بفرعون أن أصدر قرارا بإعدام كلّ المواليد الذكور لبني إسرائيل بعدما أخبره أحد المنجمين بأنه سيخرج منهم نبي ينتزع ملكه، أو ربما تحدثت بذلك امرأة من بني إسرائيل عن نبوءة مأمولة لهم، فكان ذلك سببا في اضطهادهم وإذلالهم، ولما كان يقتل كل الأطفال الذكور دون الإناث، فخشي قومه أن ينتهي بذلك نسل العبيد، فأمر بالقتل عاما والإعفاء عاما، وكان عام الإعفاء هو الذي ولد فيه هارون، وعام القتل هو الذي ولد فيه موسى، فاضطرت والدته لوضعه في تابوت ووضع التابوت في اليم كما نعلم.

وهذه التصرفات البشعة غير الإنسانية لم نجد لها مثيل في العالم، فالقتل والذبح وارد ،لكن بشأن الكبار، أما مجزرة جماعية للأطفال فهذه لم تحدث ولا يمكن أن تحدث دون ثورة، إلا في السلالة العربية، حتى أن عادة قتل البنات كانت مشهورة عند العرب حتى قبل الإسلام، فهذه السلالة البشرية اجتمع فيها الكفر والنفاق والجبروت وادعاء الألوهية، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، ليس فقط النمرود الذي أعد نارا عظيمة وحشد حولها قومه ليحرق نبي الله إبراهيم، وصاحب الأخدود الذي وضع المؤمنين في خندق وصب عليهم الزيت وأحرقهم، وقوم لوط الذين نكحوا بعضهم دون النساء، وقوم وعاد وثمود وصالح وغيرهم، فالسلالة العربية بكاملها هي أفسد السلالات البشرية على وجه الأرض، وهؤلاء الإسرائيليين هم أفسد شرائح هذه السلالة، ولذلك اختصهم الله عز وجل بأكثر عدد من الأنبياء لإصلاح نفوسهم المعوجة المريضة. وهذا ما أشار إليه الشيخ الشعراوي.

بينما كان أجدادنا الأقباط أكثر الشعوب إنسانية، ويكفيهم شرفا من بين شعوب العالم القديم أنهم لم يعيشوا حياة برية همجية كغيرهم وإنما عاشوا حضارة إنسانية، وقدسوا رموز الرحمة والعدالة التي تخيلوها في صورة الإلهة "ماعت" إله الحق والعدل. فهم كانوا يتغنون ليل نهار بحكمتها القائلة بأن " العدل والحق أساس الملك "، بينما نحن اليوم في قمة التطور والرقي نرفع شعار "العدل أساس الملك " على واجهات المحاكم.. هم أدركوا أن العدل غير كافٍ لأنه قد يكون عدلا ومساواة في الظلم، فاشترطوا أن يكون" العدل والحق أساس الملك ". ويكفيهم شرفا أنهم أول من توصل إلى عقيدة البعث والخلود بعد الممات ... بالفطرة والحس الإنساني النقي ودون أنبياء.

والمؤكد هو أن مصر يوسف وموسى هذه تقع في الجزيرة العربية وفي جنوب مكة تحديدا. ولكن الثقافة "السبعونية" المزورة تمكنت، بدعم من السلطة السياسية آنذاك، من الانتشار في العالم القديم وامتدت إلى العالم المعاصر بعد تثبيت جغرافيا وهمية لحركة الأنبياء أضلت الإنسانية حتى اللحظة، فلم يستطع اليهود خداع إخوانهم العرب فقط أو الأقباط والفلسطينيين والعراقيين فقط، بل استطاعوا خداع العالم أجمع بتقديم كتاب مزور والادعاء بأنه كتاب مقدس... وهذه أكبر وأبشع خدعة في التاريخ.

إن المتتبع لترجمات التوراة المعاصرة والتي تشكل ثقافة شعوب العالمين الشرقي والغربي فيما يتعلق بتحديد نهر النيل كموقع جغرافي لأحداث موسى (ع) وفرعون، يلحظ كيف تم إسقاط اسم النيل على أحد الأنهار التوراتية في ثقافة الناس إلى اليوم. "فالسبعونية" لم تذكر النيل كاسم لنهر القبط أو لأي نهر آخر في أي حدث من أحداث الأنبياء، وإنما تذكر في ترجماتها "نهر" فقط من غير إضافة اسم "النيل" إلى الترجمة ومثال على ذلك ما جاء في هذا النص التوراتي "السبعيني" في نسخته اليونانية:

□γ□νετο δ□ μετ□ δ□ο □τη □μερ□ν Φαραω ε□δεν □ν□πνιον. □ετο □στ□ναι □π□ το□ ποταμο□"

ومعناه بالعربي: وَحدَثَ مِنْ بَعْدِ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأى حلْمًا: وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ النَّهْرِ" (تكوين ٤١: ١)

وهذا نقل أمين لما جاء في التوراة السريانية بهذا الخصوص، أي أن لجنة الكهنة السبعين نقلت النص عن السريانية إلى اليونانية بدقة وأمانة، ولم تدخل عليه أي عملية تزوير، لكن كهنة

العصر الحديث وجدوا أن السبعونية وقعت في خطأ حينما نقلت هذا النص بأمانة وأنه بذلك ينقصه بعض التزوير لاستدراك الخلل، ما يعني أنه لا مفر من استمرار نهج الكهنة السبعين في التزوير حتى اليوم لاستدراك ما فات السلف! ولذلك نجد اليوم ترجمات توراتية بلغات حية قرر محرروها إضافة اسم النيل إلى أنهار التوراة تطوعا مثل ابن عباس، ومن غير أي مرجع تاريخي "كالسبعونية" المحَرفة والمعتمدة لديهم. ونسبت هذه الإضافة تلقائيا إلى السماء بعد إخراج هذا النص المعدل تحت اسم التوراة المقدسة. ففي ترجمة عربية أخرى لنفس النص أعلاه يقرأ الناس معلومة توضيحية أكثر تحديدا بعد إضافة اسم النيل إلى النهر: "وبعد انقضاء سنتين رأى فرعون حلما، وإذا به واقف بجوار نهر النيل" [1].

وإن هذه الإضافة التي قد تبدو سطحية في ظاهرها ترسخ في ثقافة الإنسان المعاصر المشوشة أصلا وتوجهها بما لا يحتمل الشك إلى أن الأحداث التاريخية قد وقعت جغرافيا في بلاد القبط وعلى نهر النيل تحديدا وليس على أي نهر آخر في أي بلد آخر من بلدان العالم. أما بالنسبة للإنسان الغربي فقد تم التكفل بأمره أيضا، وذلك بتوفير ترجمات تغذية بثقافة محرفة ومشوشة تزيده بعدا عن الحقائق وقربا وانسجاما مع العقلية اليهودية. فمرة يجد اسم النيل مضافا إلى نهر التوراة ومرة أخرى يختفي، وذلك حسب اجتهاد أو تحريف الجهة التي وفرت له الترجمة. فعلى سبيل المثال يمكننا استعراض ترجمة نفس النص التوراتي المذكور أعلاه في مجموعة من ترجمات التوراة المنتشرة في العالم الغربي اليوم، كما يلي

في ترجمة نموذج الإنجيل الأمريكي ١٩٠١ تظهر مفردة نهر مجردة من إضافة النيل

(ASV) And it came to pass at the end of two full years, that Pharaoh dreamed: and ،behold ،he stood by the river. [2]

بينما في ترجمة الإنجيل باللغة الإنجليزية المبسطة ١٩٦٥ أضيف اسم النيل إلى النهر

[1] ـ سفر التكوين ٤١: ١ ترجمة دار الكتاب المقدس الدولية:
http://www.ibs.org/bibles/arabic

[2] -The American Standard Version of the Holy Bible http://ebible.org/bible/asv/Genesis.htm

(BBE) Now after two years had gone by ،Pharaoh had a dream; and in his dream he was by the side of the Nile. [1]

ثم اختفى اسم النيل من ترجمة إنجيل الملك جيمس

(KJV) And it came to pass at the end of two full years, that Pharaoh dreamed: and, behold, he stood by the river. [2]

ثم ها هو يختفي من ترجمة الدربي الفرنسية

(FDB) Et il arriva ،au bout de deux années révolues, que le Pharaon songea, et voici, il se tenait près du fleuve[3].

ثم يظهر في ترجمة لوثر الألمانية

(GLB) und nach zwei Jahren hatte Pharao einen Traum ,wie er stünde am Nil [4].

وبهذه الطريقة دخل نهر النيل العظيم إلى صفحات التوراة ليصير نهرا ملعونا في نظر العالم، في بلد ملعون في نظر التوراة التي يؤمن بها العالم أيضا، لكن اليهود كانوا أكثر دهاءً من الجميع، فلم يبدأوا عمليات الإدخال التوراتي هذه من باب التب واللعن على فرعون وإنما من باب مدح يوسف الصديق (ع) في مدينة مصر التي تم إسقاطها على مدينة منف وبها قصر العزيز الذي أكرم يوسف الصديق وأحسن مثواه.



[1] - The Bible in Basic English Genesis، Chapter 41
http://bible.christiansnite.com/bibles.cgi?v=bbe&b=Ge&c=41

[2] - Gen 41:1 King James Version of the Bible http://www.cforc.com/kjv/Genesis/index.html -

[3] - BIBLES http://www.theophilos.sk/lib01.htm -

[4] - - BIBLES http://www.theophilos.sk/lib01.htm

الإضاءة التاسعة عشر

مصر موسى

بعدما رأى فرعون في منامه أن طفلاً سيولد من بني إسرائيل وسيكون سببا في خراب مملكته . وكلنا نعرف تفاصيل وصول موسى (ع) إلى قصر الفرعون وتربيته هناك. وما نريد الوقوف عليه هو أصل اسم موسى، فأصله سرياني بمعنى "المنتشل" أي أنه اسم على مسمى، وهذا ما يؤكد أن آل فرعون كانت لغتهم هي السريانية وليست الهيروغليفية بأي حال. وهذا دليل على أن مصرايم فرعون هذه كانت في جنوب غرب جزيرة العرب حيث تنتشر اللغة السريانية، وهي منطقة مليئة بالجداول النهرية التي تنحدر من أعالي جبال عسير باتجاه الشرق والغرب، حيث ألقت أم موسى طفلها فألقاه اليم بالساحل والتقطته ابنة فرعون...

بينما يقول ليوتاكسل [1] :"... كان قصر فرعون في ممفيس" بحري النيل الأوسط " والمسافة بين ممفيس وجاسان التي استوطنها اليهود، تبلغ أكثر من ثمانين كيلو مترًا.. ولكن الأميرة ظهرت على أي حال، وفي الوقت المناسب، فكل شيء في الكون يقع وفق مشيئة يهوه التوراتي... أن يهوه نفسه أرسل ابنة فرعون لتستحم على بعد ثمانين كيلو مترًا من قصر أبيها، وكان قبل ذلك قد جعلها تتجاوز خوفها من التماسيح والجواميس النهرية".... والأغرب من ذلك أن اليهود يقولون بأن الله سها أن يمدح الأميرة الشجاعة نظير شجاعتها وسباحتها 80 كلم في النهر ومصارعة التماسيح حتى تصل إلى الطفل ! ثم يقولون صحيح أن جاسان التي يسكنها اليهود ليست واقعة على النيل ولكن النيل يصل إليها بفروعه، بمعنى أن تابوت الطفل سار عكسيا من الفروع الصغيرة إلى النهر نفسه ! وعلى اعتبار أن فروع النيل الصغيرة التي تسير 80 كلم بعيدا عن المجرى الرئيسي للنيل بها ساحل كما يقول تعالى: ... فليقه اليمُ بالساحل" !

ونستعين هنا بمبحث أجراه الباحث السعودي الدكتور أحمد القشاش [2] حول طبيعة هذا اليمَ، فنقل عن الزهري قوله:" اليمُ: البَحر، وهو معروف، وأصله بالسريانية فعربته العرب، وأصله يَمّا. ويقع

[1] ـ موقع الأنبا تكلا هيمانوت : https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/577.html

[2] ـ د. أحمد سعيد القشاش بحث بعنوان ألفاظ جغرافية من القرآن والسنة النبوية منشور بمجلة الجامعة الإسلامية ، وهو من كتاب له بعنوان التاريخ الجغرافي في القرآن والتوراة ص 434 إلى 442

اسم اليم على ما كان ماؤه مِلحا زاعقا، وعلى النهر الكبير العذب الماء" [1] . واليم من الألفاظ القرآنية التي وردت في ثماني مواضع مختلفة من القرآن، وجميعها في قصص موسى (ع)، واليم لفظ عربي أصيل ورثته السريانية والعبرية من اللسان الآرامي القديم، الذي تفرعت منه لهجات شتى منها السريانية والعبرية والعربية، وما زال الناس إلى يومنا هذا من أهل السراة يسمون مياه الغدران والبرك والبحيرات التي تتكون عقب هطول الأمطار يسمونها (الجَمّ) سواء كانت صغيرة أو كبيرة أو جارية أو مستنقعة، ومنهم من يطلق لفظ الجَمّ والجَمّة على مياه البئر أو العين إذا اجتمع وكثر بعد أن يُستقى ما فيها [2] . وليس لفظ الجَمّ إلا اليَمّ نفسه...

ويرى الباحث د. أحمد القشاش أن اليَمّ الوارد في الآيات لا يعني بالضرورة بحرا مالحا ولا نهرا جاريا، إنما يدل على الماء الكثير الحائر في منخفض من الأرض على هيئة بحيرة من المياه العذبة، وكذلك في المناطق القريبة من البحر الأحمر والتي تصب فيها الأنهار والجداول المنحدرة من جبال السراة تغلب عليها طبيعة المستنقعات أو البحيرات، وهو معنى الجَمّ في لهجات كثير من أهل تهامة، ولا سيما القبائل التي تسكن حرة كنانة في تهامة عسير إلى شمال جازان وهي المناطق التي عاش فيها موسى (ع)...".

ما يعني أن استخدام كلمة اليَمّ مشهور وشعبي حتى اليوم في منطقة تهامة عسير بكثافة وورد في قصة موسى أيضا ثماني مرات. ويميل الباحث إلى تعريف اليَمّ بأنه منخفض متسع من الماء سواء كان جاريا أو راكدا في بركة أو بحيرة وليس شرطا أن يكون متحركا، ويرجح ذلك لأن ماء النهر الجاري إذا وُضع فيه التابوت فسوف يسوقه في الغالب إلى الأمام مبتعدا عن الأعين تبعا لجريان المياه، أما مياه البحيرة، فهي كالبحر تندفع أمواجها في الغالب إلى الضفة حاملة معها التابوت حيث كان يسكن آل فرعون كما قال تعالى﴿ فليُلقِهِ اليمّ بالساحِل﴾ فالتقطه آل فرعون. وقد جاء في نصوص التوراة أن أم موسى وضعته في اليم وبقيت أخته واقفة ترقبه حتى رأت إحدى بنات فرعون تنتشله من الماء (سفر الخروج 2ـ10 /2):

י וַיִּגְדַּל הַיֶּלֶד, וַתְּבִאֵהוּ לְבַת-פַּרְעֹה, וַיְהִי-לָהּ, לְבֵן; וַתִּקְרָא שְׁמוֹ, מֹשֶׁה, וַתֹּאמֶר, כִּי מִן-הַמַּיִם מְשִׁיתִהוּ.

---

[1] ـ **تهذيب اللغة (أيم)** 460 /15

[2] ـ **انظر: البيان في لسان زهران ص** 60 ، **وكتاب الموروثات الشعبية ص** 73/2

وترجمة النص بالعربية: " فيكبر الولد فتأتي به إلى بنت فرعوه، ليكون لها ابنا، فتدعو اسمه موشى وتقول لأني من المياه مشَيته ".

وذكر هذا النص تعليل لاسم موسى، وهو أن بنت فرعون أسمته مُشَى، لأنها مشته من على سطح الماء، وما زال الفعل (مُشَّ) مستعملا عند أهل السراة حتى اليوم، كقولهم (مُشّ ما على هذا الماء ثم اشرب) أي أزل ما على سطحه من أوراق متساقطة مثلا ثم اشرب. وفي هذا دلالة واضحة على أن الماء حمله بهدوء ولطف إلى الضفة المقابلة أو إلى ناحية من اليمّ قريبة دون أن يغيب عن نظر أخته... أي لم تكن عملية صراع مع الجواميس النهرية والتماسيح في نهر النيل وعلى بعد 80 كلم من القصر الملكي بالأقصر كما يقول الكتاب المقدس !

وليست المشكلة أن اسم موسى يعني " المُنتشَل " هو من أصل سرياني، أو أن كلمة " اليَمّ " هي من أصل سرياني ما زال مستعملا حتى اليوم في منطقة سراة غامد، أو أن ابنة فرعون حينما سبحت 80 كيلوا في فروع اليم كانت تتنهد السريانية، بل علينا البحث عن البلاد التي كانت تتحدث السريانية لأن أجدادنا الأقباط كانوا يتحدثون الهيروغليفية، وبلدنا في عهد رمسيس لم يكن اسمها مصرايم وإنما " كِميت وتامري وتاوي وإيجبت"، وجميع هذه الكلمات لها أصول وجذور هيروغليفية، بينما شخصيات قصة موسى ومسرح أحداثها بالكامل يأتي بكلمات جميعها سريانية مثل موسى ومصرايم وفرعون وآسيا وهارون وقارون ويم وطور وسينا وحوريب!

أما ترجمة "يم سوف" الواردة في النص التوراتي إلى "البحر الأحمر" فهذا محض خبل عقلي قبله المسلمون كي تكون بلدهم مسرحا لأحداث التوراة ! فكما سبق أن كلمة سوف تعني الحلفاء أو البوص، وهذه النباتات لا تنمو في البحار المالحة بأي حال، وأما كلمة "بحر القلزم" فهي تعني بحر الموت والفناء، وهذا الاسم أطلقه اليهود على البحر الأحمر في غفلة من سكان المنطقة، لأنه لا توجد أي علاقة بين البحر الأحمر ومعنى الفناء والابتلاع، فهو بحر لا يختلف عن كل بحور الدنيا. إنما اليهود أرادوا أن ينحتوا له اسم من قصص التوراة التي يريدون تسكينها في المنطقة عنوة، ونسوا أن باقي المسميات التوراتية الواردة على جغرافيا وتضاريس المكان هي مشتقة أساسا من اللغة السريانية ما يعني أن أهل المنطقة التي دارت فيها أحداث التوراة كانوا يتحدثون السريانية.

وبعد بلوغ موسى مرحلة الشباب خرج من القصر لزيارة أهله، و هناك علِمَ بخبر آبائه وأصله ونسله، وحين خرج من عند أهله رأى مصريا يضرب أحد العبيد الإسرائيليين، فاتجه نحوهما وقتل المصري، ولما أحس بأن أمره انكشف هرب خارج البلاد .

التلمود يقول أن موسى وصَل إلى إمارة الـ"كوشيّين" حيث كان ملكها " قيقانوس " يقود جيشه لمحاربة " الآشوريّين " الذين ثاروا عليه ورفضوا دفع الجزية. وصادف موسى الملك قيقانوس وجيشه أثناء رجوعهم فانضمّ لهم، وأقام بينهم 9 سنواتٍ ذهب بعدَها إلى " مِديَن " .. بينما يفسر لنا اليهود أن المقصود بإمارة الكوشيين هذه هي الحبشة ! وأن الآشوريين هم العراقيين القدامى! على اعتبار أن موسى كان مقيما في قصر الملك القبطي بمدينة منف على رأس الدلتا ولما هرب اتجه جنوبا إلى الحبشة التي هي عدة دول مجمعة (السودان والصومال وإثيوبيا وإريتريا وجيبوتي)، وعلى اعتبار أن هؤلاء الحبشيين كانوا في حرب مع العراقيين أقصى الشمال ويحصلون منهم الجزية ! بيمنا الأقباط راقدون تحت السهام التي تعبر ودولتين تتحاربان من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ! ثم أي حبشة هذه التي تفرض على العراق دفع جزية ؟! ولماذا لم تفرض على الأقباط بالمرة وهم في طريقها !... في الواقع اليهود يعرفون الحقيقة لكنهم يستحون القول بأن هؤلاء الآشوريين والكوشيين والمصرايمين ما كانوا إلا عشائر تسكن قرى جبلية في أدغال منطقة عسير الواقعة جنوب غرب الجزيرة العربية، وكانت لكل عشيرة إمارة باسمها وكانت الإمارات تسطوا على بعضها من حين لآخر. وكانت العشائر الثلاث تقع متجاورة في شكل مثلث رأسه مصرايم جهة الغرب ورأسين جهة الشرق هما عشيرة كوش وعشيرة أشور، وجميع هذه العشائر تتحدث لغة واحدة وإن تفرع منها عدة لهجات لكنها مفهومة للجميع، فلم ينتقل موسى من وادي النيل (اللغة القبطية قديما " رمن كِميت") إلى الحبشة (اللغة الحبشية القديمة) إلى العراق (اللغة البابلية) ثم إلى مدين حيث اللغة السريانية.

بينما انتقل موسى من مصرايم إلى مدين مباشرة، حيث يقول تعالى القرآن: قال الله تعالى: {فخرج منها خائفا يترقب } أي: فخرج من مصرايم من فوره على وجهه لا يهتدي إلى طريق ولا يعرفه قائلا: { ربِ نجني من القوم الظالمين ﴿٢١﴾ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴿٢٢﴾ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان..}23/القصص. وفي التوراة فإنَ بريّة مدين تقع في أرض " رفيديم " (باللفظ العبري بينما اليهود يفسرون أن برية مدين هذه تكون هي منطقة مدين التي أطلقوا اسمها في دولة الأردن شرق خليج

العقبة أقصى الشمال على حدود الشام بحسب أطلس أوكسفورد للكتاب المقدس، وفي ذات الوقت فإن رفيديم هي العراق ! وفي ذات الوقت نجد رفيديم داخل شبه جزيرة سيناء الجبتية! فكيف تكون مدين داخل العراق وفي ذات الوقت داخل الأردن ؟! [1].

خرج نبي الله موسى من مصرايم إلى مدين وتحدث مع فتاتا يثرون بطلاقة، ودون وسيط ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ...﴾23/القصص. وهذا ما يؤكد أنه يتحدث لغتهم السريانية ويفهمهم ويفهمونه دون مترجم، بينما لو كان في بلاد القبط وادي النيل فهو بالطبع يتحدث الهيروغليفية ولن يتمكن من الحديث مع فتاتا مدين اللتان تتحدثان السريانية، ويقول تعالى في القرآن الكريم﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا.. ﴾25/القصص. ولم تصطحب معها مترجم أيضا، ورفض موسى أن تمشي أمامه وطلب منها أن تلقي له بحجرٍ في الاتجاه، وهذا ما يؤكد عدم وجود مترجم معهم وأنهم كانوا يتواصلون بذات اللغة، أي أنهم جميعا (مصرايم وكوش وشور ومدين) كانوا قرى متقاربة مع بعضها من ذات القومية وتتحدث لغة مشتركة وفي نطاق إقليم جغرافي واحد.

وبعد وصوله أرض " مِديَن- مديان " وحديثه مع يثرون كاهن مديان، حيث يقول القرآن إن والد الفتاة اشترط عليه أن يأجره ثماني حجج ليقوم بتزويجه من ابنته ﴿... قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾27/القصص. وقد فسر المفسرون كلمة حجج بأنها سنوات لكن الواقع أنها عدد مرات حج إلى بيت الله الحرام بناء على ما يقوله القرآن الكريم، وكلمة حجج هنا كناية عن السنوات التي يتم فيها الحج وليست مرادفة لكلمة سنة. وهذا ما يؤكد أن مديان التي عاش فيها موسى حتى تزوج كانت قريبة من مكة بيت الله الحرام حيث يحج إليه كل عام كما كان جميع أنبياء الله، لأن الله تعالى لا يستخدم لفظا دون معنى، فلماذا استخدم القرآن لفظة "ثماني حجج " في حين أن العرب لا تقول على السنة حجة إلا إذا كان مقصودا بها رحلة الحج ذاتها باعتبارها هي المميزة للسنة وليست دلالة على سنة فلكية عادية لم يحدث فيها رحلات حج.

---

[1] ـ قِصة وصول موسى إلى بلاد الكوشيين و كل تفاصيلها لا ترد في التوراة ، فهي " مِنشاه " = تراث شفاهي يهودي ، ترِد في التلمود فقط .

وكلمة مديان مهما اختلفت لهجاتها حسب أنواع قبائل مديان فمدلولها واحد في النهاية، وكلهم أحفاد مديان ابن إبراهيم من قطورة. تخبرنا التوراة [1] : عَادَ إِبْرَاهِيمُ فَأَخَذَ زَوْجَةً اسْمُهَا قطورة، فولدت له: زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمَدَانَ وَمِدْيَانَ وَيِشْبَاقَ وَشُوحًا. وَوَلَدَ يَقْشَانُ: شَبَا وددان. وَكَانَ بَنُو ددان: أَشُّورِيمَ وَلَطُوشِيمَ وَلأُمِّيمَ. وَبَنُو مِدْيَانَ: عَيْفَةُ وَعِفْرُ وَحَنُوكُ وَأَبِيدَاعُ وَأَلْدَعَةُ. جَمِيعُ هؤُلاَءِ بَنُو قطورة. وَأَعْطَى إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ. وَأَمَّا بَنُو السَّرَارِيِّ اللَّوَاتِي كَانَتْ لإِبْرَاهِيمَ فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِهِ شَرْقًا إِلَى أَرْضِ الْمَشْرِقِ، وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ".

أي أننا لا بد أن نستبعد مقدما أن تكون هناك بلد اسمها مدين أو مديان قبل إبراهيم (ع) وأبناءه إسماعيل وإسحاق، فسلالة إبراهيم هي التي بدأ منها لفظ الإسرائيليين (أبناء إسحاق) والإسماعيليين (أبناء إسماعيل) والمديانيين (أبناء مديان)، والأشوريين (أبناء أشوريم) [2] ، والإسماعيليين كما نعلم سكنوا موطن أباهم وأمهم هاجر في بطن مكة حول بئر زمزم، ثم ارتحلوا إلى الشرق، فإسماعيل سكن في الشرق ولم يغادر، وجاء ذكر الإسماعليين في سفر القضاة إذ حاربهم الاسرائيليون الذين كانوا يطلقون عليهم اسم (بني الشرق)، وذكروا في سفر إشعيا باسم (شعب قيدار) ..وقيدار هي أرض الشرق، واجتاح الملك البابلي فيما بعد نبو ـخذ نصر جزيرة العرب وانتصر على الإسماعيليين أو بني قيدار أو بني المشرق [3] .

بينما المديانيين انحدروا في أرض مجاورة واستقروا عند بئر حمل اسمهم وصارت المنطقة تسمى أرض مديان، ونطقها القرآن بالعربية الفصحى "مدين" وإلى الغرب منهم حيث كانت تعيش سلالة إسحاق في تخوم مكة. وكان الذين التقطوا يوسف من البئر هم الإسماعيليين وباعوه للمديانيين

---

[1] ـ في (سفر التكوين25: 106)

[2] ـ كلمة أشور و آشوريين التي تطلق الآن على الإمبراطورية البابلية القديمة ، لم تكن موجودة قبل عهد إبراهيم (ع)، بل ظهرت في الوجود مع ظهور اسم أشوريم ابن إبراهيم، وتناسل وتعددت أجياله حتى صاروا عشيرة كما الإسماعيليين والمديانيين، وأما الإمبراطورية البابلية فكان عندهم إله مسمى " أشاور " وكانت عبادتهم متطورة إلى حد ما مثل الجبتيين القدماء، حيث كان أشاور إله ملائكي غير منظور، كما كان الحال عند الجبتيين القدماء، بينما عشائر العرب كانوا وثنيين ماديين يعبدون أصنام ويجسدون الإله، ولما ظهرت دعوة إبراهيم لتوحيد العبادة ونفي فكرة الوثنية والتجسيد ، والانتقال إلى عبادة الله الواحد الصمد (غير المنظور) كان أبناءه وسلالته في حالة متأخرة من العبادة ويرفضون التخلي عن فكرة الوثنية المجسدة للإله، واستمرت هذه الخصلة في العرق الإسرائيلي حتى أنهم طلبوا من موسى أن يطب من ربه أن ينزل إليهم ويجلس معهم إن كان موجودا في السماء، أي أن فكرة المادية المجسدة كانت ما تزال مغروسة في نفوسهم !

[3] ـ معجم الحضارات السامية ص598

أولاد عمومتهم في طريقهم إلى السوق، والمديانيين باعوه في مصرايم. وبعدما تحسنت أوضاعه استدعى عشيرته من (حبرون ـ عفرون) فانتقلوا جنوبا إلى مصرايم حيث تم استعبادهم فيها بعد وفاة يوسف.

إذن هذه ثلاث عشائر متجاورة، وبالتالي لو تصورنا هذيانا أن إسحاق كان مقيما في فلسطين وأن أبيهم إبراهيم صرف أبناء السراري (إسماعيل ومديان) أبناء هاجر وقطور إلى الشرق، فمن المتصور أن الشرق هذا يكون على مسافة 1500 كلم جنوبا في مكة ؟! أم أن المعنى يتسق مع المنطق إذا كان إسحاق في مكة وإسماعيل ومديان شرقي مكة ؟ وإذا تصورنا أن يعقوب كان مقيما بأبنائه في فلسطين كما يقول اليهود بأن إخوة يوسف طرحوه في الجب فالتقطه الإسماعيليون وباعوه للمديانيين الذين كانوا في طريقهم إلى لمصرايم، فكيف تجتمع العشائر الثلاث على طريق (فلسطين –القاهرة) ! فوفقا لكلام اليهود أن إخوة يوسف كانوا يرعون الغنم وطرحوه في الجب في فلسطين، فكيف اكتشفه الإسماعيليون وهم مقيمون في مكة ! والذين اكتشفوه من الإسماعيليين لم يكونوا تجار كي نقول أنهم كانوا في تجارتهم بالشام وتقابلوا مع تجارة أبناء عمومتهم المديانيين في الشام أيضا، وإنما القافلة التجارية هي فقط للمديانيين، ولا يمكن أن تلتقي بالإسماعيليين المقيمين إلا إذا كانت القافلة في تخوم مكة. وهذا في مجمله يحتم أن يكون موقع جب يوسف في متناول الإسماعيليين أي قريب من مكة، وأثناء عبور قافلة المديانيين إلى مصرايم اشتروه منهم، وهذا ما يعني أن المديانيين كانوا بالقرب من مكة لأنهم لو كانوا مقيمين في الأردن الحالية ففي طريقهم من فلسطين إلى القاهرة كيف يمرون على الإسماعيليين في مكة ؟! أم أن القافلة تاهت في الدروب فوجدت نفسها في مكة كما تاه موسى في البراري فوجد نفسه في شرم الشيخ !... إننا ينبغي أن نقتلع الأفكار والتصورات التي غرسها اليهود في عقولنا بأزاميل من فولاذ، ولا بد أن نعترف بأن اليهود تغلبوا علينا وتلاعبوا بعقولنا قرون طويلة جدا، غرسوا بذور ثقافية فاسدة في عقول أجدادنا فلا ينبغي أن نترك هذه البذور تزهر وتثمر مجددا، وإلا تحولنا في النهاية إلى كائنات تفكر بعقول يهودية.

نعود إلى مديان الواقعة في تخوم مكة، وحيث يقع جبل حوريب طور سيناء الذي يقع في برية سينا، تقول التوراة أن موسى كان يرعى غنم حميه كاهن مدين في أرض المديانيين، والمديانيون كما هو في التوراة هم من أبناء السراري الذين دفعهم إبراهيم شرقا، بينما أبقى إسحق في أرض كنعان. إن الأرض التي يرعى فيها المديانيون هي إذن شرق الأرض التي يرعى فيها إسحق في أرض

كنعان. وإذا كان الكنعانيون مستقرون في مكة، فهذا يعني أن مدين إلى الشرق من هذا المكان. فكيف يستقيم هذا مع الهزيان اليهودي الذي جعل الكنعانيين في فلسطين، والمديانيين في الأردن، و سيناء كلها على حدود إيجبت وشمال البحر الأحمر! والإسماعيليين شمال سيناء الجبتية ! وفي الوقت ذاته في مكة !. وفي الواقع من الوارد أن تغير العشائر أماكنها حيث الخضرة والكلأ والمراعي، لكنها في النهاية تظل في ذات الإقليم الجغرافي، ولا ترحل في صورة الهجرة إلا في حال السيول الجارفة مثل سيل العرم أو الطوفان، وفيما عدا ذلك تظل مواقعها على حالها.

ففي العصر الحالي هناك مدين بالأردن، وهناك مدين بالسعودية على بعد 170كلم من تبوك، وهناك مدين باليمن، ولا يشترط أن تكون مدين الأصلية في موقع محدد من هذه الثلاث، بل إن الخريطة القديمة قد تتزحزح بعض الشيء كما تزحزحت أو بادت وذابت مملكة مصرايم القديمة ومملكة أورشليم ويهوذا وغيرها. وقد تأخذ مناطق جديدة مسميات قديمة حفاظا عليها، ولذلك نجد أكثر من مدين وأكثر من طور وأكثر من وادي طوى، وأكثر من يم، فالمنطقة بالكامل مليئة بهذه المسميات ومن الصعب تحديد الموقع الأصلي بدقة، خاصة أن المواقع الأصلية معظمها أبيدت، فأهل مدين الأصليين أبادهم الله بالزلزلة.

يقول الدكتور أحمد داوود [1] ؛ كان يخترق شبه جزيرة العرب من الجنوب إلى الشمال خط القوافل التجاري الدولي الذي كان أهم شريان اقتصادي في العالم القديم، كان هذا الخط يصعد من عدن جنوبا ، ثم يمر في منطقة خميس مشيط ، و يصعد موازيا لوادي بيشة إلى سفوح منطقة غامد و زهران، و هناك، جنوب غرب العقيق يتفرع منه فرع مع وادي الثرات (الفرات في شبه جزيرة العرب)... بينما يتابع الخط الرئيسي صعوده شمالا إلى منطقة مكة، فتيماء ، فبصرى الشام ، فدمشق، حيث يذهب فرع إلى تدمر، ثم يتابع طريقه مع خط الحرير الذاهب إلى الصين ، ومن دمشق يصعد شمالا إلى إيبلا ، حلب ، الأناضول ، ثم إلى بلاد اليونان. ولما كانت شبه جزيرة العرب قد قطعت شوطا بعيدا في عملية التصحر فقد تحولت سهوبها الممتدة من شرق السراة إلى جنوب العراق، إلى برية قاحلة تتخللها وديان وواحات تجوبها جماعات من البدو الرعاة. كانوا ينتهزون الفرص للسطو على القوافل المحملة

[1] ـ د. أحمد داوود : كتاب " العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود "
https://www.goodreads.com/book/show/8103127

بتلك السلع النفيسة وكان ذلك من شأنه أن يهدد أمن الاقتصاد التجاري لكل من الدولتين الكبيريين في سوريا ووادي النيل.

وقد ذكرت التوراة أصحاب الأيكة مرات عديدة، وأنهم قوم مدين، ومدين هو ابن إبراهيم (ع)، ويقول اليهود أنهم سكنوا صحراء النقب في فلسطين، وقد لجأ إليهم موسى عندما فرّ من إيجبت، وبقي عندهم أربعين سنة، وتزوج إحدى بناتهم، كما تذكر التوراة أنهم تحالفوا مع العمالقة وغزو بني إسرائيل. وذكر القرآن الكريم أنّ قوم مدين كانوا بالقرب من قوم ثمود، وأن الله بعث لهم النبي شعيب، وأن سيّدنا موسى لجأ إليهم وصاهرهم، وذكروا باسم قوم مدين، وأصحاب الأيكة في مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾84/هود.

ودعا نبيّ الله شعيب أصحاب الأيكة إلى الإيمان بالله، وترك الغشّ والنصب الذي يمارسونه، ولكنهم لم ينصتوا إليه ولم يتبعوه، فحذّرهم من عذاب أليم، وهلاك من الله، كما لاقى قوم ثمود، ولوط، وصالح والأحزاب من قبلهم، ومع ذلك لم يستجيبوا بل وصفوه بالضعيف، فأخذهم الله بالصيحة، وقد قص الله تعالى قصتهم في أكثر من موضع باسم أصحاب الأيكة: «وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ»، و«كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ"، وقوله: " وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ»، وقوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ". ويقول تعالى: " وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ "، إلا أنهم استمروا في غيهم، ورفضوا دعوته، حتى نزل قضاء الله فيهم، قال تعالى: " وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ"94/هود. فقد ابتلى أنّ الله قوم شعيب بالحر الشديد فلم يكن يروي عطشهم ماءٌ ولا ظلا ولا طعاما، فخرجوا من ديارهم ورأوا سحابة ظنوها ستقيهم من الحر، ولما اجتمعوا تحتها، بدأت تثير عليهم الشرار، ثم جاءت الصيحة، نتيجة إشراكهم بالله وعبادتهم الأيكة، وتطفيفهم المكيال، ونجّى الله شعيبا ومن آمن معه.

ويقول د. أحمد: " بالنسبة لأرض " رفيديم " و بريّة " مدين ": لقد فسِّرت كلمة (رفيديم) بمعنى (الرافدين) !، و صارت في التزوير الاستشراقي والصهيوني تعني نهري دجلة والفرات، ثم أطلقت الكلمة على العراق الحالية التي صار يطلق عليها اليوم إحدى التسميتين التوراتيتين: ما بين النهرين ، وأرض

الرافدين. أما الحقيقة فهي أننا لو فتحنا القاموس الكلداني لوجدنا أن كلمة (رفيديم) تعني: البياعين ؛ الكيالين. وهي من (رفيدو) و تعني: الميزان ؛ القبّان ؛ ميزان الأشياء الثقيلة. وكان يقصد بهم جماعة المديانيين على خط قوافل التجارة الدولي الذي يمر قرب العقيق في جزيرة العرب، فيبيعون لتلك القوافل احتياجاتها من الزاد و المؤن لسفراتها الطويلة، وقد اشتهروا بجشعهم واستغلالهم، ومن الكلمة جاءت الرفادة والسقاية في الحج. ثم إن أولئك الجماعة من المديانيين هم أصحاب الأيكة من أهل مدين الذين ذكرهم القرآن الكريم، وأرسل الله لهم شعيبا ليهديهم وليضع حدا لجشعهم واستغلالهم لحاجات الآخرين، يقول تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾85/ الأعراف ... إن أولئك المديانيين البياعين (رفيديم) هم إذن في أرض مدين ابن إبراهيم عند طرف جبل سعير حيث طور سينا (جبل العليق) عند وادي طوى (المحتفظ باسمه حتى اليوم) قرب العقيق شرق غامد و زهران من شبه جزيرة العرب ". ونلاحظ أن التوراة دائما ما تستخدم مصطلحات قديمة جدا إما من العربية المتينة أو من السريانية، أو من اللغة الآرامية الأم أو من اللهجة العبرية، ذلك لأن العرب والعروبة حديثة العهد، وهي خاصة بالأعراب البدو المتجولين في الصحارى.

ومن هذا التحليل اللغوي التاريخي الدقيق نفهم أن أهل مدين كانوا عشيرة تقيم بأحد النقاط الواقعة على خط التجارة الدولية وتستغل حاجة القوافل وتفتئت عليهم، وفي الوقت ذاتها يمارسون مهنة العرب الأصلية وهي السطو على القوافل العابرة. لكن بالنسبة للموقع الجغرافي لهذه العشيرة، فما زلنا في ريبٍ من الأمر، فقط نتفق أنه على خط التجارة الدولي الموازي لساحل البحر الأحمر في جزيرة العرب. ولم يتبين بعد على وجه الدقة ما إذا كان شمال أو جنوب مكة. وربما ما يفك هذا الإرباك الذهني هو قول المقريزي:" ومن كُور القبلة قرى الحجاز وهي: كورة الطور وفاران، وكورة راية والقلزم، وكورة إيلة وحيزها، ومدين وحيزها والعونيد والحوراء وحيزها..." [1]. وفيما بعد يضيف المقريزي حقيقة أخرى أكثر وضوحا فيقول: ".. أن موسى حارب هنالك العرب، مثل طسم وجديس

[1] ـ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) 1-4 ج1 ص 139 الناشر: دار الكتب العلمية على الرابط التالي: https://tinyurl.com/bdhe27ve

والعماليق وجرهم وأهل مدين حتى أفناهم جميعا، وأنه وصل إلى جبل فاران، وهي مكة، فلم ينج منهم إلا من اعتصم بملك اليمن أو انتمى إلى بنى إسماعيل، وفي ثلثي الشهر الباقي من هذه السنة ظعن القوم في برية الطور بعد أن نزلت عليهم التوراة.." [1].

وتقول التوراة (سفر الخروج 3:1) وأمَّا مُوسَى فكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فسَاقَ الغَنَمَ إِلى وَرَاءِ البَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ.. وَظَهَرَ لَهُ مَلاكُ الرَّبِّ بِلهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَيْقَةٍ. فنَظَرَ وَإِذَا العُلَيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالعُلَيْقَةُ لمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ." فهل من المتوقع أن يسوق موسى غنماته في برية مديان إلى ما وراء الجبل فيقطع مئات الكيلومترات من الأردن أو تبوك إلى جنوب سيناء الجبتية ؟! فهذا الكلام معناه أن جبل حوريب أو طور سينا يقع داخل برية سينا الواقعة داخل مدين ذاتها، لأنه ليس من المتوقع أن ينحرف بالغنم مئات الكيلومترات عن موطنه، ويقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس:"جبل سينا هو أعلى جبل في منطقة مدين"

Mount Sinai is the highest of mountains in the region of city of Madian

وهذا ما يبدوا منطقيا وفق رواية التوراة على اعتبار أن موسى كان يرعى الغنم في برية مدين، لكن هذا الكلام غير دقيق أيضا، لأن القرآن قطع الصلة بين مدين والطور، وربطها بشيء آخر مختلف تماما عن مهمة رعي الغنم. الله تعالى يقول في القرآن " فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور..." فلا الطور يقع في مدين ولا في شبه جزيرة سيناء الجبتية حاليا، إنما يقع بالتماس مع وادي طوى على بوابة الأرض المقدسة، حيث قضى موسى ﴿الأجل﴾ وهو ثماني حجج، وسار بأهله خارجا من البيت الحرام حتى وصل الطور آنس من جانبه نارا.. تلقى موسى الرسالة وأمره الله بأن يخرج ببني إسرائيل من مصرايم ويأتي بهم ليعبدوه على هذا الجبل وليدخلوا الأرض المقدسة، والتي كان يسكنها قوما جبارين هم "العماليق"(مكة). ونزل الوحي إلى موسى مرتين؛

الوحي الأول: هو الذي كلف به موسى بحمل الرسالة، وما بعث به إلى فرعون وبني إسرائيل، أثناء عودته إلى مصرايم بعد خروجه من مدين. فيقول تعالى:"فلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

[1] ـ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص 1242

﴿29﴾ فلمَّا أتاها نوديَ مِن شاطِئِ الوادِ الأيمَنِ فِي البُقعةِ المُبارَكةِ مِنَ الشَّجرةِ أن يا مُوسَى إنِّي أنا اللهُ ربُّ العالمينَ﴾ 30/القصص. وأما الوحي الثاني: هو الشريعة الجديدة التي كُتبت في الألواح لبني إسرائيل، بعد خروجهم من مصر في الطريق إلى الأرض المقدسة، وكلا الوحيين كان في ذات المكان، الأول على الشاطئ الأيمن لوادي طوى أي على سفح الطور، والثاني تلقي الألواح على الطور نفسه.

ونقف هنا في الوادي المقدس والجبل المقدس وعلى بوابة الأرض المقدسة والأرض المباركة، حيث الأسماء ذاتها لا يعرف أحد موقعها الجغرافي وقت نزول القرآن، اليهود فقط هم من يعلمون موقعها لكنهم ينكرونه ويخفون الحقائق، لأن الحقائق من الممكن أن تكشف عن دور الكعبة في الديانة الموسوية بينما هم اتبعوا نهج إنكار الكعبة تماما وقطع صلتهم بها، كما قطعوا صلة الخليل إبراهيم بها من قبل، فمن المتوقع أن موسى كان في طريقه إلى حج بيت الله الحرام (الأجل كان ثماني حجج.. فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله..﴾ وعند دخوله الميقات الوحيد لأهل مكة (مكان الإحرام بوادي طوى) وهو بوابة الأرض المقدسة، حيث تجلى الله لموسى في هذه البقعة المباركة، فلا يوجد بقعة مباركة في العالم غير مكة، ولكن لأن اليهود يحاولون إنكار بيت الله الحرام من الديانة بالكلية، وبالتالي إنكار فريضة الحج، ولذلك قالوا مرة أنه انحرف بالغنم خلف الجبل فتجلى له الرب، وحين نقول لهم أن معنى ذلك أن موسى كان لا يزال داخل مدين نفسها يرعى غنمه، يقولون لا هو كان في طريقه إلى الشام في ليلة ظلماء ممطرة باردة وحط بأهله خلف الجبل والتمس نارا... وإذا سألنا لماذا خرج من مدين تجاه الشام تحديدا ؟ لماذا لم يعد إلى أهله في مصرايم؟ يقولون أنه كان متوجها إلى الأرض المقدسة المباركة بالشام ! وإذا سألنا ما سبب قدسية الشام يقولون أن بها أنهار وأشجار وثمار !! ثم بعد مرور ألف عام يقولون لا هي مقدسة لأن سليمان بنى فيها هيكله ! أي أن الشام استمدت قدسيتها من الهيكل، فكيف كانت مقدسة قبل أن يدخلها موسى الذي هو جد من جدود سليمان ؟!

لكننا نتساءل، إذا كان الله تعالى قد استوقف موسى أثناء سيره وقال له ﴿إنكَ بالوادِ المُقدّسِ طوى﴾ ألا يعني ذلك أن قدسية هذا الوادي ثابتة قبل مسير موسى إليه ؟! من المفترض لو كان سبب القدسية هو تجلي الله لموسى في هذا المكان والزمان، لكان الحديث عن القدسية جاء تابعا للمأمورية باعتبار القدسية هي ذكرى اللقاء مع الله، إنما الله تعالى بدأ حديثه مع موسى بتنبيهه لقدسية المكان، وهذا ما يعني أن قدسية المكان سابقة على اللقاء.

فقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ فلمّا أتاها نودِي مِن شاطِئِ الوادِ الأيمَنِ فِي البُقعةِ المُبارَكةِ مِنَ الشَّجرةِ﴾ ثم يقول جل وعلا في موضع آخر: ﴿فلمّا أتاها نودِي يا موسَى إنِّي أنا ربُّكَ فاخلَعْ نعلَيْكَ إنّكَ بالوادِ المُقدَّسِ﴾ ونلاحظ هنا أن الأسلوب خبري (تقريري وليس منشئ بأي حال)، فالله تعالى يخبر موسى بأمر محقق وثابت سابقا، وهو أنه دخل الوادي المقدس، ولم يخبره بأن دخوله الوادي تسبب في قدسيته. فهل كانت حركة نبي الله موسى عشوائية متخبطة كما يهذي اليهود بأنه خرج بغنماته من مدين الأردن متوجها إلى الشام فضل طريقه في ليلة مظلمة ممطرة بتاردة فوجد نفسه في شرم الشيخ جنوب محافظة سيناء وعلى ارتفاع 2600 متر فوق جبل صخري كما يقول اليهود!

إذن قدسية المكان سابقة على الزمان، ولنتساءل عن أي مكان سبقت قدسيته هذا الزمان ؟! فإلى هذا التاريخ لم تكن التوراة قد وُجدت بعد، ولم تكن بعثة موسى قد شرعت، ولم يكن هناك أي مقدسات على وجه الأرض تخص موسى، فالمقدسات السابقة جميعها من عهد إبراهيم، فهو الذي بنى البيت الحرام وعمر أودية مكة، وأودع ابنه إسماعيل وزوجته حول البئر وتجمع حوله الأعراب، وبدأ يرفع القواعد من البيت، ما يعني أنه لا يوجد قدسية لمكان في العالم إلا مكة الأرض المباركة المقدسة، وطالما كان خطاب الله لموسى قد بدأ بتذكيره أنه في الأرض المقدسة المباركة (وهي التي بارك فيها للعالمين وليس اليهود وحدهم)، إذن هو كان في مكة وعلى مدخلها، الذي هو الوادي المقدس طوى، الميقات الوحيد لإحرام أهل مكة.

وفيما يلي من قصة موسى وبني إسرائيل سنتأكد أن الحديث عن القدسية كان حديثا عن مكة، ذلك لأن موسى جمع قومه وشد عزمه لدخول الأرض المقدسة (بيت المقدس ـ البيت الحرام) ووقفوا على بوابة هذه الأرض المقدسة ولم يدخلوها، فمنذ متى بدأت قدسية هذه الأرض؟ إذا كانت هي المرة الأولى لبني إسرائيل أن يدخلوها، فما سبب القدسية فيها وهم لم يدخلوها ولم تقع لهم أي معجزات سابقة فيها، فهذا يؤكد أن قدسية الأرض كائنة قبل عهد موسى وقومه وهي منذ عهد إبراهيم وقبله حيث بيت الله العتيق. أما لو قلنا كما قال اليهود بأن موسى وقومه كانوا يحاولون دخول فلسطين، فما هو سبب قدسية أرض فلسطين قبل أن يدخلها موسى ؟ هل وقعت فيها معجزات وتجلى الله فيها ؟! كيف ذلك وموسى لم يدخلها من قبل؟! وكان اسمها "إيلياء" في الوقت الذي كانت مكة اسمها (مكة – بكة – قادس – قادش ـ القادس – المقدس – المقدسة..إلخ)

على كل حال، فوقت نزول القرآن لم يكن أحد من العرب يعلم الموقع الجغرافي لطور سينا والوادي المقدس غير اليهود القدامى، ولما سأل العرب المسلمين عن موقع الأرض المقدسة، قال لهم كعب الأحبار أنها بالشام ! ولما سألوا عن الوادي طوى والطور، قال لهم كعب أن مكانه في بلاد القبط!! في شبه جزيرة سيناء مرة ومرة أخرى قال لهم أنه جبل المقطم ! وواقعيا لا توجد هذه الأماكن ولا المسميات في بلاد وادي النيل، ولا يمكن أن نعثر على كلمات مثل (وادي – طوى – سينا ـ سينين– جبل – حوريب ..إلخ) في الهيروغليفية، إنما هي من جذور لغوية عربية متينة، وهكذا كل الأسماء الواردة في التوراة إما سريانية وإما عربية متينة ولا تمُت بصلة إلى الهيروغليفية، فمجرد البحث في المواقع الجغرافية فهو غير كافٍ، وإنما لا بد من بحث وتحليل جذور الكلمات ومعرفة مدلولاتها وأصلها اللغوي ومنشأها ومنبتها وهل هي هيروغليفية أم آرامية سريانية، فجميع الكلمات والأسماء الواردة بالتوراة (أسماء القرى والمدن والأشخاص...إلخ جميعها بلا استثناء مشتقة من جذور سريانية ولا توجد فيها كلمة واحدة تحمل أي معنى في الهيروغليفية، ما يعني أن المجتمع والأرض والطبوغرافيا والديموغرافيا والتاريخ كان سريانيا. ألا يكفي ذلك دليلا على أن الجغرافيا التوراتية بكاملها كانت في بلاد العرب الذين يتحدثون العربية والسريانية والعبرية المشتقة جميعها من الآرامية ؟!

خصوصا أننا لو بحثنا في كل هذه الأسماء الواردة في التوراة في قصة موسى تحديدا، فلن نجدها في العربية ولا الهيروغليفية، برغم وقوعها في القلب من بلاد العرب، لكنها جميعها من جذور سريانية وآرامية أصلية، وذلك ببساطة لأن سكان المناطق هم من يطلقون المسميات على التضاريس الجغرافية حولهم، وبما أن اللغة العربية – أو بالأحرى اللهجة العربية. هي حديثة العهد ولم تكن موجودة في صيغتها الفصيحة سوى منذ عشرين قرنا تقريبا، إذ كان كل سكان المنطقة في قديم الزمان يتحدثون الآرامية، وتطورت فتفرعت عنها اللهجة السريانية التي عمت أغلب أنحاء الجزيرة حتى الشام، ثم تفرعت الحميرية والعبرية والعربية في آن واحد، العبرية كان يتحدث بها العبرانيون وهم البدو الجبليين وبني إسرائيل، وأما العربية فقد تحدث بها الأعراب العماليق والجبابرة الصعاليك والمطاريد وبدو الصحراء، ثم تطورت على لسان إسماعيل فصارت العربية المتينة، ثم تطورت على لسان قريش فصارت العربية الفصيحة التي نزل بها القرآن، ما يعني أن أسماء الجبال والأودية والتخوم هي أقدم عهدا من ميلاد اللغة العربية، وهذا ما يجعلنا نجد في مكة مسميات سريانية وآرامية برغم أنها يسكنها عرب، لأن هذه المسميات وجدت قبل أن يوجد العرب في المنطقة.

إنما الأسماء التي تم غرسها لاحقا في بلاد وادي النيل مثل" جبل الطور وجبل موسى وعيون موسى وحمام فرعون ومقام النبي هارون وبحيرة قارون ...إلخ هذه الأسماء لم تكن موجودة في زمن موسى، وإنما أطلقها اليهود لتفعيل مخططهم السياسي بنقل جغرافيا التوراة من جزيرة العرب وأدغال عسير إلى بلاد وادي النيل. فجبل سيناء الذي عليه دير سانت كاترين هو خطأ شائع بدأ من القرن الرابع الميلادي، فأول من وقف أمام جبل نكرة ومبهم تماما مثل غيره مئات الجبال في الصحراء وأطلق عليه هذا الاسم " طور سينا " كانت هي الملكة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين وهي التي أطلقت عليه جبل موسي في البدء، في القرن الرابع وتقريبا سنة 325 م، وذلك نظرا لأن اسم جبل سينا ورد حرفيا في التوراة، فقامت بإطلاقه على الجبل تيمنا أو تخمينا أن يكون هو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى بعد أن تنبأ بذلك أحد العرافين اليهود...

أما إخواننا المؤرخين فيذهبون مذاهب شتى في تفصيل وتأصيل كلمة سيناء ويختلقون لها جذر لغوي هيروغليفي مرة وبابلي مرة وفارسي مرة وعربي مرة، على اعتبار أنها مشتقة من إله القمر الذي كان يعبده الأشوريون (البابليون) أو على اعتبار أن سين تعني قمر وضوء القمر يلمع في صخور الجبال في هذه المنطقة (وهذا يتناقض مع وصف الله للجبل بأنه طور لأن كلمة طور تشترط وجود أشجار وخضرة على الجبل).. وهذا لا علاقة لها بالموضوع لا من قريب ولا من بعيد، لأن الأشوريين لم يعبدوا إله القمر في شبه الجزيرة كي يطلقوا اسمه على الجبل والمنطقة إنما هم عبدوه في بلادهم بابل.. وأما قولهم أن سيناء في المعني العربي هي مشتقة من اسم إله القمر سين لأن في منطقة سيناء القبطية كان يعبد تحوت إله القمر المصري، فهذا محض خبل عقلي لأن وقت عبادة إله القمر تحوت كان اسمه تحوت وليس سين، فما علاقة تحوت بـ" سين" أو سيناء العربية ؟ أو سينا العبرية ؟! وفي عصر موسى كانت شبه الجزيرة اسمها بياو، وتعني: أرض المناجم، أيضا كان اسمها في الهيروغليفية " توشيرت" أي أرض الجدب والعراء، وهي بالفعل أرض صحارى وجبال صخرية، وكان بها طريق حورس الحربي ومناجم النحاس والمعادن والفيروز.

ويقول المؤرخ الفرنسي "إميل لودفغ " أن شبه جزيرة سيناء ورد اسمها في قوائم مانيتون وبرديات وثائق معبد منف باسم " أرض الأبواب السبعة " ولكل اسم باب من أبوابها السبعة اسم مرتبط بطابع خاص وكان أول اسم أطلق على أرض سيناء (إيب جبتاه؛ أي بوابة قلب الإله) وهو أول اسم لهذه الأرض يطلق عليها عام 9500ق.م

1 ـ ثم أطلق عليها اسم " (بوابة بياو – أي بوابة أرض المناجم) مع بداية عصر الأسرات

2ـ وأطلق عليها تحتمس الثاني (باب قلعة الدفاع عن أرض الإله)

3ـ وأطلق عليها رمسيس الثاني (بوابة مقبرة الغزاة)

4ـ وأطلق عليها سنوسرت الثاني عندما قام بحفر قناة سنوسرت اسم (أرض السلام) تيمنا بعلاقة إيجبت بشعوب العالم بعد حفر القناة.[1] .

وأما الأصل الحقيقي فهو اسمها "بياو " الذي كان معروفا خلال عصر الدولة القديمة والوسطى، أما الدولة الحديثة فأطلقت عليها "خاست مفكت" أي أرض الفيروز أو دومفكات أي مدرجات الفيروز، إنما مسمى "سينا " فلا يمكننا العثور عليه في أي مدونات بردية أو أثرية قديمة، وإن أمكننا العثور في اللغة الهيروغليفية على لفظة " سنينا " وكانت اسم بلدة جنوب وادي النيل كائنة بجهة ههيا شرقي هربيت ووردت في النصوص القبطية باسم " Pcenetai ـ بسانتاي"، وتعني كما ذكر إقلاديوس نبيل (ضياع البخت)... " [2] أي لا صلة لها بالعبرانية والسريانية التي تعني شجر العوسج، أما تحايلات اليهود وغير ذلك الكثير من التكهنات في محاولة لجعل اسم سينا موجودا في تضاريس المكان بطريقة نابعة من الوطنية القبطية المحلية، ومنفصلة عن اللغة والثقافة العبرية، فكل ذلك ليس حقيقة وإنما حيلة فقط لإثبات أن التوراة جاءت على اسم مكان موجود ولم يخترعه اليهود في وقت متأخر.

وغير ذلك من تكهنات المؤرخين التي تأتي على هوى اليهود أو بإيعاز غير مباشر منهم، بينما الحقيقة تتحدث عن نفسها، فأول من أطلق مسمى سيناء في هذه المنطقة هي الملكة هيلانة، وكان دون همزة فقط (سينا) كما ورد حرفيا بالتوراة، ولم تشتق اسمه من إله القمر الأشوري ولا البوذي، وإنما اقتبسته من التوراة (السريانية) استجابة لرغبة الكهنة السبعون الذين زوروا التوراة ووضعوا خريطة تحركات موسى وفرعون في إيجبت بدلا من مصرايم، حتى أن كلمة سينا (دون همزة) لها معنى واضح جدا في اللغة السريانية.. وبعد ذلك بدأ إنشاء دير سانت كاترين تبركا بالموقع المظنون، وهذا

---

1 ـ خالد عكاشة – كتاب "سيناء أرض المقدس والمحرم". على الرابط التالي: https://tinyurl.com/mrxj7csu

2 ـ سامح مقار ناروز ـ كتاب " اللهجة العامية وجذورها الجبتية". على الرابط التالي: https://tinyurl.com/ysvt66nz

يؤكد الحميمية المسيحية في اعتناق التوراة واعتبارها "أم الكتاب"، وما هذه الظنون إلا نتاج خطط صهيونية رسمها الكهنة السبعون في عهد بطليموس 282 ق.م فشاع بين الناس أن إيجبت هي بلد موسى ويوسف وفرعون خاصة بعدما توارت النسخة الأصلية للتوراة التي تذكر مصرايم. وبما أن المسيحيون يؤمنون بالإنجيل والتوراة، فقد صدقوا على كلام اليهود وآمنوا زورا أن هذا الجبل الصخري المقفر هو الطور المسمى في التوراة (جبل سينا أو جبل حوريب)، وأن المسافة بجواره من المحتمل أن تكون هي وادي طوى، وعلى هذا الأساس تم بناء دير سانت كاترين تبركا وتيمنا بالمكان والمسمى !

وببساطة كي نصدق اليهود في قولهم بأن جبل موسى أو الطور أو حوريب هذا يقع في شبه جزيرة سيناء الجبتية، فهذا يحتم علينا تكذيب القرآن صراحة وإنكار قوله جل وعلا " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ " لأن هذه الآية تقول صراحة أن إبراهيم (ع) أودع هاجر وطفلها إسماعيل عند بيت الله الحرام، أما التوراة فتقول أن إبراهيم أودع هاجر وطفلها في سيناء الجبتية ! فإذا قلنا مع اليهود أن طور سينين ووادي طوى يقع في شبه جزيرة سيناء الجبتية فهذا معناه أننا نقول –كما اليهود- بأن هاجر وطفلها عاشا في شمال سيناء في منطقة العريش، وليس كما قال الله " عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ " .. ولأن اليهود يعلمون أن موقع إقامة هاجر وطفلها يقع في ذات النطاق الجغرافي مع الطور والوادي المقدس طوى، فهم إذا نقلوا موقع الطور من السعودية إلى سيناء الجبتية فينقلون معه موقع إقامة هاجر وطفلها إسماعيل، وينقلون بيت الله الحرام إلى قطاع غزة في قرية اسمها بيتين. وبالتالي علينا إعادة تصحيح الوضع بأن نعيد هاجر وطفلها إلى مكة، فيعود تلقائيا الطور والوادي إلى قرب مكة وفي تخومها، لأن الخريطة هي رقعة واحدة.

ونتيجة انتقال الجغرافيا بمسمياتها من جزيرة العرب إلى سيناء الجبتية أصبح هناك تناقض واضح في المسميات، وذلك نجده في عدة كلمات منها (جبل – طور – سينا – سينين – حوريب – طوى).. يقول د. أحمد داوود: " لو أننا عدنا إلى النص التوراتي المنقول عن النص السبعيني اليوناني إلى العربية القديمة بكتاباتها المختلفة. لوجدنا أن الكلمة هي (طورو سيني) وأن كلمة (سيني) في القاموس الكلداني العربي هي اسم جمع للمذكر والمؤنث وتعني العليق، العوسج. ولسنا بحاجة للتأكيد على أن دقة التعبير في القرآن الكريم هي جزء من إعجازه اللغوي المذهل، لقد أورد القرآن كلمة (سينين) في صيغة الجمع ملحقا إياها بصيغ الملحقات بجمع المذكر السالم لأن المقصود بها اسم جمع فعلا وهو العليق أو العوسج . إن (سينين) هي جمع (سينية) و (سينينية) وتعني شجر العليق، ويندر استخدامها إلا

في صيغة الجمع فقط. وهكذا فإن عبارة (طور سينين) القرآنية تعني أيضا جبل العليق وليس جبل صخري في صحراء سيناء الجبتية ". وفي كل الأحوال هذا الجذر اللغوي لا وجود له في الهيروغليفية، إنما موجود في العربية بفروعها المختلفة. ثم أن كلمة طوى ليست موجودة أيضا في الهيروغليفية، يقول د. أحمد داوود: " أما (وادي طوى) فيعني في العربية القديمة والحديثة وادي الصيام أو الصائمين"، أي ليس له اشتقاق أو جذر في الهيروغليفية...

ويرجح البعض أن جبل النور بمكة قد حمل اسمه من "السنا " وهو اسم علم مؤنث عربي، هو شعاع الضوء الساطع الذي يدخل من الكوة. والفعل منه: سَنا البرق: أي لمع وأضاء. وورد ذكره في القرآن: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ الآية 43 /النور: معناه: الضوء اللامع الساطع، ولهذا قيل بأن جبل سينا هو جبل النور بمكة المكرمة قرب الوادي المقدس طوى. ليس باعتبار أن سينا مشتق من السنا والتي تعني النور وإنما اسم النور مستقى من النور الذي تجلى به الله على الجبل، أي صار ذلك اسما بديلا للطور الذي تنمو عليه شجيرات السينا.

غير أن ظاهرة تعدد الأسماء غير موجودة إلا ببلاد العرب، فنجد لمكة 70 اسم، العرب يستخدمون مجموعة مسميات والسريان يستخدمون مجموعة أخرى والعبرانيين يستخدمون مجموعة أخرى وهكذا كل عشيرة حسب لهجتها، ومن هنا وجدنا العرب تقول الطور، والعبرانيين يقولون جبل حوريب، العرب تقول مكة والعبرانيين يقولون فاران. وهذا ما يؤكده النص القرآني والتوراتي الذي قال: (فساق الغنم إلى ما وراء البرية حتى أفض إلى جبل الله حريب فتجلى له ملاك الرب في لهيب نار من وسط العليقة.."). والتوراة استخدمت عبارة (جبل سينا) في مواضع أخرى بدلا من جبل حريب. وهو ما يتوافق لغويا مع النص القرآني الذي استخدم كلمة وطور سينين، لأن جبل حوريب = طور سينين، وأصلها " سينا " بدون همزة، لكن القراء باللسان العربي عند تنقيط القرآن اختلفوا في لفظها فبعضهم وضع لها همزة وبعضهم تركها على وضعها السرياني بدون همزة في آخرها، وهذا ما يؤكد في كل الأحوال أن تسمية سينا توراتية من الجذر حتى وإن طورها العرب إلى سيناء.



حتى أن كلمة سينين جاءت بصيغة الجمع، ما يعني أن الجبل مغمور بهذا النوع من الشجر، كما أن جبال مكة مغمورة بأشجار البكا، ولهذا حملت المنطقة اسمها من أشجار جبالها البكا، فقام اليهود بتحريف كلمة (البكا) في التوراة لتصبح (البكاء) ! المهم أن يبتعدوا عن مكة بأسمائها وصفاتها المعروفة. في حين أن كل جبال سيناء الجبتية صخرية ولا نبات فيها ولا بكا ولا عوسج، والشجرة الوحيدة التي تنمو في الجبل المسمى "جبل موسى" بشبه جزيرة سيناء الجبتية، هي شجرة عليق فعلا، لكنها ليست شجرة موسى، بل شجرة زرعها اليهود في هذا المكان لإثبات قدم تاريخية لهم، والغريب أنهم يحتفون بقدسيتها ويدعون السياح لزيارتها، على اعتبار أنها الشجرة الوحيدة من هذا النوع في المنطقة بالكامل، وأنها غير قابلة للزراعة والإنبات في المنطقة ! فهذا ما يؤكد أنها غريبة على تربة المنطقة وأنها لم تنموا بشكل طبيعي من ذكر وأنثى وليس لها حبوب لقاح أو ليس لها من نوعها في المنطقة بالكامل، ما يؤكد أنها مزروعة بمفردها في المنطقة، في الوقت ذاته الذي وصف الله الجبل بصيغة الجمع فقال" طور سينين" والمفرد سينية، ما يعني أنه مغمور بشجر العوسج، التوراة أيضا ذكرت الجبل بصفته بصيغة الجمع فقالت "جبل حوريب " أي جبل الغابة.



أما الكارثة فهي أن الله تعالى يقول أن الشجرة على شاطئ الوادي الأيمن في وادي طوى، أي في سفح الجبل بشاطئ الوادي، بينما اليهود الكاذبون قد زرعوا هذه الشجرة اليتيمة فوق قمة الجبل ! وعلى ارتفاع شاهق ! ويقولون للناس كذبا أنها شجرة موسى المقدسة وأن الله تجلى على هذه الشجرة ! أما مصيبتنا نحن تكمن في أننا نحتضن هذه الأكاذيب في بلادنا ونقدس ما قدسه اليهود.

ونلاحظ في الآيات أن الله تعالى استخدم كلمة الطور تحديدا في كل المواضع التي تخص سيدنا موسى، فلماذا لم يذكر كلمة جبل في مرة واحدة ؟ لماذا لم يخلط بينها وبين كلمة جبل كما دمج بين كلمة يم وكلمة بحر؟ ... ذلك لأن كلمة الطور ليس اسم لجبل كما نفهم .. ولكن تعني نفسها الجبل الأخضر ويمكن إطلاقها على أي جبل به خضرة .. فمثلا بدل ما نقول " جبل الجلالة " يمكننا أن نقول " طور الجلالة " كما قال الله "طور سينين"، لكن هذا مشروط بكون جبل الجلالة مغطى بالخضرة والشجر.. فالجبل الذي به خضرة يطلق عليه لقب "الطور " بينما الجبل الصخري يطلق عليه لقب "جبل " ويمكنك فتح خريطة جنوب السعودية لتري هذا الاستخدام اللغوي الأصيل هناك، حيث وجود عدد مما يطلق عليه لقب" الطور " فأهل تلك المنطقة الخضراء بالقرب من آبها وجيزان ووادي بيشه يطلقون على جبالهم لقب " الطور " كبديل عن كلمة جبل، بل إن اسم الشهرة الخاص بمنطقة عسير "مملكة الجبال الخضراء" . وهذا الواقع لا يمكن مقارنته بجبال سيناء

الصخرية جميعها. وعليه فأن إطلاق كلمة الطور كاسم لجبل صخري لهو خطأ فادح .." فكيف يمكنني قول جبل الجبل " .. فطور سينين هو جبل أخضر..

ويلاحظ هنا أنه عندما يذكر الله قصة لقائه مع سيدنا موسي بالوادي، أي وادي طوي، فإنه غالبا ما يحدد المكان بقوله " من جانب الطور الأيمن " وهذا ما يعني أن هناك طور أيسر ويمكن طور شرقي وطور غربي..إلخ، فالوادي واقع في منطقة جبلية، لكن طور سينين الذي كلم الله عليه موسى هو الطور الأيمن في وادي طوى، وبالطبع هذا الطور ليس هو جبل الطور في سيناء ذا الاسم المستعار.

ونقرأ في موقع "طريق الإسلام": كلمة الطور وردت في القرآن (10) مرات، (8) منها بلفظ (الطور) معرفة بألـ التعريف، بمعنى الجبل، وواحدة بلفظ (طور سيناء) {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ}20/المؤمنون، وواحدة بلفظ (طور سينين) بنفس المعنى السابق، {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينَ}2/التين. وسيناء وسنين لغة إذا لم تمنع من الصرف، أي لحقها التنوين جرا ونصبا فإنها تعني كثرة الشجر، وإذا منعت من الصرف كما هو الحال هنا فهي اسم، والكلمات (طور وسيناء وسينين) ألفاظ سريانية، ومما تقدم نستطيع القول بأن (طور سيناء) اسم لجبل معروف لبني إسرائيل، بمعنى (جبل الغابة) وهو في الحقيقة، اسم الجبل الذي أوحيَ بجانبه إلى موسى، حسب تسمية التوراة له، وقد عرف هذا الجبل من خلال القرآن، بأنه ينبت التين والزيتون [1]. إضافة إلى أن الجبل مغطى بشجر العوسج أي العليق ومن هنا أخذا اسمه "طور سينين"، بينما الجبل المسمى " جبل موسى " أو جبل الطور " في إيجبت الآن، فلا ينبت تين ولا زيتون ولا هو مغطى بالعوسج، إنما هي فقط شجرة يتيمة مغروسة دون أم ولا أم ولا أشقاء من جنسها !

أما لو فتحنا معجم المعاني الحديث بعد تزوير المعاني، نجد أن كلمة سينين: (اسم(، سينا ؛ شبه جزيرة في مصر مثلثة الشكل تربط إفريقيا بآسيا، وهي غنيّة بالمعادن والبترول، ذات أهميَّة تاريخيَّة وسياسيَّة ودينيَّة)!... فهل كانت سيناء إيجبت تعرف هذا الاسم وقت نزول القرآن ؟ بالطبع لا ولكنها حملت الاسم من التوراة فكان اسمها " سينا " حتى القرن السابع ميلادي، وبدخول العرب حملت اسمها من القرآن فأصبحت "سيناء " وحملت الدولة اسمها أيضا من القرآن فأصبحت مصر، وبعد ذلك جاءت

[1] ـ مقال بعنوان تاريخ وجغرافيا بني إسرائيل في القرآن – منشور على موقع طريق الإسلام رابط المادة:
http://iswy.co/euo5l

المعاجم لترسخ الوضع على ما هو عليه، دون البحث في الأصول. فحمل هذا الجبل اسم الطور بعد موسى بألف عام وحملت شبه الجزيرة اسم سينا من هذا التاريخ أيضا، وعلى هذا فيسقط الاستدلال بالمسمى الحديث إذا كان الغرض إسقاطه على مصطلحات وأماكن وردت في آيات مقدسة.

وكما نلاحظ في الآية السابقة أن الشجرة المقدسة التي أضاءت بنور الله شجرة زيتون وليست عليقة، بينما الصحابة وكبار المفسرين اعتنوا بأقوال اليهود أكثر من التدبر في كتاب الله، فقال بعضهم أنها شجرة عوسج، وبعضهم قال أنها شجرة عليق، وبعضهم قال أنها شجرة عناب، وقيل سمرة، وقيل أنها شجرة الغرقد ! وقيل أنها شجرة شوك...(والغريب أن هذه الأشجار جميعها لا توجد واحدة منها في بلادنا وادي النيل طولا وعرضا، إنما هي في الجزيرة العربية حصرا)

ففي تفسير الطبري نقرأ: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) قال: الشجرة عوسج. قال معمر، عن قتادة: عصا موسى من العَوْسج؛ والشجرة من العَوْسج. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض من لا يتهم، عن بعض أهل العلم إِنِّي آنَسْتُ نَارًا قال: خرج نحوها، فإذا هي شجرة من العُلَّيق، وبعض أهل الكتاب يقول: هي عَوْسجة.

وأما في تفسير البغوي نقرأ:)في البقعة المباركة) لموسى، جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا . وقال عطاء: يريد المقدسة (من الشجرة) من ناحية الشجرة، قال ابن مسعود: كانت سمرة خضراء تبرق، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت عوسجة. قال وهب من العليق، وعن ابن عباس: أنها العناب(

وفي تفسير ابن كثير والطبري؛ قال ابن جرير: "حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام، سمرة خضراء ترف" [1] **.. لكنهم لم يجدوا من يسألهم أين رأوا الشجرة التي نودي منها موسى في جزيرة العرب !! فكما هو واضح أن العرب جعلوا من علوم أهل الكتاب قاعدة معرفية للقرآن، يتم تفسيره في ضوئها ...**

[1] **ـ موقع تفسير القرآن:** http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary-qortobi-katheer-baghawy-saadi/sura28-aya30.html

لكن الشجرة التي تجلى إليها الله ذاتها لم تكن شجرة شوك عوسج كما قال اليهود، وإنما كانت شجرة زيتون مباركة في سفح الجبل. والغريب أن الله يقول لنا في القرآن أن شجرة الزيتون هي المباركة، أما شجيرات العليق فهي فقط تنمو على الجبل بكثرة، وقد حمل الجبل اسمه منها ولقبه وصفته، بينما اليهود قاموا بزرع شجرة عليق فوق جبل صخري نكرة في سيناء الجبتية وأطلقوا عليه جبل موسى وقالوا أن هذه هي الشجرة ! فصدقهم المسلمون وتجاهلوا القرآن الذي يقول أنها شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية...

يقول تعالى:﴿ آنسَ مِنْ جَانِبِ الطورِ نارًا ﴾٢٩/القصص،﴿وماكُنْت بجانِبِ الطورِ..﴾٤٦/ القصص، ﴿وطور سينين﴾ 2/ التين ـ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ﴾٢٠المؤمنون، وقال جل وعلا: ﴿والتين والزيتون ، وطور سينين﴾ التين ـ ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾52/مريم.. قال تعالى:﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾35/ النور.. وقال أيضا: فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴿30﴾ القصص.



الإضاءة العشرين

خروج بني إسرائيل من مصرايم

1ـ يوم الزينة ـ النيروز

بعدما وصل موسى من مدين إلى مصر في أدغال جبال عسير، سعى بالأمر الإلهيّ إلى فرعون ودعوته لعبادة الله والخروج بقومه بني إسرائيل والتوجه إلى الجبل لعبادة الله على هذا الجبل وأداء شعائر الحج.. ولما تكبّر فرعون وامتنع عن الاستجابة، تواعد هو وموسى على اللقاء يوم الزينة...

قال الحافظ أبو القاسم على ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق ابن عباس، قال: إن فرعون لما قال للملأ من قومه: إن هذا الساحر عليم، قالوا له: ابعث إلى السحرة فقال فرعون لموسى: يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت فتجمع أنت وهارون وتجتمع السحرة، فقال موسى: موعدكم يوم الزينة. قال: ووافق ذلك يوم السبت في أول يوم من أيام السنة وهو النيروز، وفي رواية: أن السحرة قالوا لفرعون: أيها الملك واعد الرجل، فقال: قد واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الأكبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم، قال: والنيروز أول سنة الفرس هو الرابع عشر من آذار"مارس" وفي شهر برمهات، ويقال: أول من أحدثه جمشيد من ملوك الفرس وإنه ملك الأقاليم السبعة، فلما كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا وسماه نوروزا في اليوم الجديد" [1].

ويذكر الدكتور جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: "النيروز عيد شهير من أعياد الفرس من أصل "نو" بمعنى جديد، و"روز" بمعنى يوم، أي: أول يوم من السنة الإيرانية الشمسية" [2] وفي المصباح المنير وتاج العروس نقرأ في معنى النيروز:"النيروز: اسم أول يوم من السنة عند الفرس وعند نزول الشمس أول الحمل وعند القبط أول توت كما في المصباح مُعرّب نوروز أي اليوم الجديد"

ويقول الدكتور سليم نجيب: كان المصريون من أيام الفراعنة يحتفلون بعيد النيروز الذي أدخله الملك ماناوش في عهد الأسرة السابعة أو الثامنة، وكان الاحتفال بهذا العيد يستمر سبعة أيام، وكلمة النيروز مشتقة من الفارسية وتعني "اليوم الجديد" [3]. ومن الواضح أنه نقل من " التاريخ الخرافي لمصر"، وأول ملاحظة هو أنه نقل عن الفارسية، أما الثانية، هو ذكر عهد " ماناوش"، وخمّن أن

1ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

2ـ المجلد التاسع ـ الفصل الحادي والخمسون.

3ـ الأقباط عبر التاريخ – الجزء الثاني – د.سليم نجيب.

يكون من أبناء الأسرة السابعة أو الثامنة اعتباطا.. لكننا لو عدنا إلى الجذر اللغوي للاسم فلا نجد له أي وجود في الهيروغليفية، إنما هو موجود في العربية القديمة. وبذلك يكون أصل تسمية العيد أجنبية وأصل اسم الملك المنسوب له أيضا أجنبي عن بلادنا. والملاحظة الثالثة أنه في عهد الأسرة السابعة والثامنة كان أجدادنا القدماء في مطلع الحضارة، وكانوا في عصر قوة وعزة، ومعروف أن الشعوب في عصور القوة والعزة الحضارية لا تقتبس عادات من غيرها وإنما تبتكر هي ما يناسبها تعبيرا مباشرا عن ذاتها، ولا تعتمد على تقليد الآخرين، فحتى لو كان عيد النيروز موجودا لدى الفرس لمناسبة ما خاصة بالملك الفارسي، فما الداعي إلى نقله إلى إيجبت وجعله بمناسبة (شم النسيم أو عيد الربيع أو عيد النيل، برغم أن مسمى " النيروز " لا يوجد له أي أثر على الجداريات والمعابد.

وقال د.سعيد الملط: " وكان المصريون في عصر الفراعنة يحتفلون بهذا اليوم إكراما لنهر النيل. وقد اعتبر هذا العيد عيد الربيع الذي تبدأ بعده زيادة مياه النهر الذي يستكمل مياهه في الخريف أو أواخر الصيف. ولعل هذا هو ما يفسر لنا السبب في أن الجبتيين جميعا بغض النظر عن دياناتهم كانوا يشاركون في الاحتفال بهذا العيد "[1]. ونلاحظ هنا أنه يتحدث عن عيد " شم النسيم " (عيد الربيع) في شهر أبريل من كل عام ثم يخلط بينه وبين عيد النيل (حابي) الذي يحتفل فيه القدماء بفيضان النيل ويلقون في النهر سمكة الأطم. لكنه لم يلاحظ أن أعياد أجدادنا كانت ثقافة وطنية نابتة من الذات من الداخل، أي عيد الربيع اسمه بالهيروغليفية (شم النسيم) وعيد النيل (حابي)، فما علاقة ذلك بكلمة نيروز التي لا وجود لها في الهيروغليفية!.

ويقول المقريزي في موضع آخر، قال:" وأخبرني بعض مشايخ الكتاب قال: وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما، وأقل وأكثر ليكون ذلك سببا لتأخير افتتاح الخراج على أهله... وأمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما. وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية: ... واستمر الأمر حتى قام المعتضد، فاحتذى ما فعله المتوكل في تأخير النوروز، غير أنه نظر فإذا المتوكل أخذ ما بين سنته، وبين أول تاريخ يزدجرد، فأخذ المعتضد ما بين سنته، وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد، ظنا أن إهمالهم أمر الكبس من ذلك الوقت، فوجده مائتي سنة، وثلاثا وأربعين سنة، حصتها من الأرباع ستون يوما وكسر، فزاد ذلك على النوروز في سنة، وجعله منتهى تلك الأيام، وهو من خردادماه في تلك السنة،

1ـ أعياد مصر بين الحاضر والماضي – د. سعيد محمد حسن الملط – ص 25.

وكان يوم الأربعاء، ويوافقه اليوم الحادي عشر من حزيران، ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكبس شهوره إذا كبست الروم شهورها " .[1]

ثم يقول المقريزي:" وقال القاضي السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة أبي عمرو عثمان بن يوسف المخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج: والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لأن السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم، ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون أدار الخراج عند إدراك الغلات من كل سنة، ووافقها السنة القبطية، لأن أيام شهورها ثلثمائة وستون يوما ، ويتبعها خمسة أيام النسيء وربع يوم بعد تقضي مسرى، وفي كل أربع سنين تكون أيام النسيء ستة أيام، لينجبر الكسر" .[2]

وهنا يتحدث المقريزي عن إشكاليات ضبط التقويم، وتقديم وتأخير، وعملية الكبس، بإضافة يوم كل أربع سنوات، أو إضافة 11 يوم للسنة القمرية كي تتوافق مع التقويم الشمسي ومواعيد الحصاد كل عام، وقد احتار العرب بين الأخذ بالتقويم الفارسي والسرياني والقمري والقبطي والرومي. وهكذا كانت حياتهم كلها فوضى في فوضى واختلاف وتناقض في الآراء والأقوال كما آراء الفقهاء على المذاهب العشرة، لم يتفقوا في شيء، وإن اتفقوا في كلمة، نجد كل مذهب منهم ينحت لها لفظة مختلفة عن الآخر للتعبير عن ذات المعنى، فلم يتخذ العرب تقويما محددا وثابتا يمثل الهوية العربية، ويكون صحيحا، بل اعتمدوا على التقويم القمري المعوق واستمروا في عمليات تكميل وتعديل من التقاويم الأخرى، فجميع علومهم ومعارفهم مقتبسة عن غيرهم ! والتقويم القمري هذا هو نظام خاص بالمجتمعات البدائية جدا أو المجتمعات البدوية التي تعتمده في السير ليلا في الصحارى، فهو الأنسب لهم.

وهكذا ينقل المؤرخون شذرات عن النيروز الذي هو يوم الزينة، وقد جمع المقريزي العشرات من روايات المؤرخين والإخباريين دون تحقيقها ودون الوقوف على أصل النيروز هذا، فنجده في موضع يقول أنه عيد القبط يتراشون فيه بالماء ويشعلون النار، وأنه أول السنة القبطية الشمسية، وتارة يقول أن النيروز هو عيد فارسي الأصل، كما تبعه د. جواد علي في ذلك، وتارة أخرى نجد الخلفاء

[1] ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (1/344)

[2] ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (345/1)

العرب ذاتهم يستخدمون النيروز كموعد لجمع الحصاد والخراج، ويقومون بتأخيره وتقديمه حسب المصلحة... فما هذا الأمر ؟!

من الواضح أن النيروز هذا هو الكريسماس في عصرنا، أي رأس السنة الشمسية، وقد حمل ذات الاسم تقريبا في أكثر من شعب، حتى وإن اختلف الاسم فقد تحدث المقريزي عن رأس السنة بوصفه (نيروز) في كل شعب، سواء كان الأقباط أو الفرس أو الروم أو العرب أو السريان، دون تحديد لخصوصية هذا الاسم ومعناه ونشأته. مرة قال أنه يوم الزينة ويوافق يوم السبت في أول يوم من أيام السنة وهو النيروز، ومرة قال أنه فارسي ومعناه اليوم الجديد، وهو أول سنة الفرس هو الرابع عشر من آذار"مارس"، ومرة قال أنه قبطي، وفي شهر برمهات.

ثم يعود المقريزي ليقول: النيروز: هو أول السنة القبطية بمصر، وهو أول يوم من توت، وسُنتهم فيه إشعال النيران، والتراش بالماء، وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا. قال ابن وهب: بردت النار في الليلة التي ألقي فيها إبراهيم، وفي صبيحتها على الأرض كلها، فلم ينتفع بها أحد في الدنيا تلك الليلة، وذلك الصباح، فمن أجل ذلك بات الناس على النار في تلك الليلة التي رمي فيها إبراهيم (ع)، ووثبوا عليها، وتبخروا بها، وسموا تلك الليلة: نيروزا، والنيروز في اللسان السرياني: العيد. وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا، فقال: إنه أول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة، فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف، والهدايا، فاتخذته الأعاجم سنة.[1]

وفي هذا المقتبس ندرك بجلاء سبب تعليل المقريزي لعيد النيروز برش الماء وإشعال النيران، فالعيد أصلا مستمد من حادثة نجاة إبراهيم من النار التي أعدها النمرود وقومه، فإذا كان اليهود يزعمون أن النمرود وإبراهيم كانوا في كلدان العراق، فهل كان العراقيون يتحدثون السريانية ؟! بالطبع لا ولكن الكذب يمشي على بطنه ولا أقدام له، فكان لا بد أن يفلت لسان أحد الكذبة وينطق بالحق كما نقل عنه ابن وهب، حتى أن القرآن الكريم في هذا الموضع تحدث عن إبراهيم قائلا " فراغ إلى أهله" وكلمة راغ ليست عربية وإنما سريانية ومعناها بالعربي: رغب[2]. غير أن (كلدان) هذه لم تكن موجودة في عصر إبراهيم (ع) إنما ظهرت بعده بألف عام. فإبراهيم كان من أهل حوران جنوب

[1] ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (1/335)

2 ـ من مجلة دراسات اشتراكية ـ عدد خاص 1990 ـ دراسة داوود درويش ـ ص 38

غرب الجزيرة، وهي موطن النمرود وهناك حدث الحريق الذي نجا منه إبراهيم بمعجزة، ونتيجة المعجزة التي حدثت أمام أعين الناس جميعا فقد جعلوا هذا اليوم عيدا يتكرر كل عام، يشعلون النيران ويطفئونها بالماء لأنها ليست مثل نيران إبراهيم التي تبخروا بها أول مرة ولم تحرقهم. ومن المنطقي أن يذاع الخبر في منطقة جنوب غرب الجزيرة كلها، لينتقل إلى أهل مصرايم، وإلى جميع العشائر في المنطقة.

واعتبر الناس ذلك العيد رأسا للسنة، لأنهم لم يكن لديهم نظام تأريخ أو تقويم، وكانوا يؤرخون بالحدث الضخم، فيقولون سنة من يوم كذا أو خمس سنوات من الطوفان، وهكذا، فأصبح حادث إبراهيم ونجاته من النار بهذه المعجزة يوما للتأريخ ويحتفلون بعودته كل عام. وعندما جاء موسى لفرعون وتواعدا، كان من المنطقي أن يكون الموعد يوم الزينة أي يوم عيد النيروز، وكان موافقا ليوم السبت عندهم. ولو دققنا النظر حتى في تسمية " يوم السبت" فهي ليست موجودة في اللغة الهيروغليفية، إنما هي تسمية آرامية (عربية قديمة وسريانية) حيث كانوا يقسمون الأسبوع إلى سبعة أيام (كان أجدادنا الأقباط يقسمون الأسبوع عشرة أيام، وكان هناك انفصال تام بين الحضارات والثقافات) أما عند السريان الآراميين كان أن اليوم الأول من أيام الأسبوع هو الأحد، وكلمة " أحد " بالسريانية تعني " واحد" (قل هو الله أحد= الواحد)، وأما اليوم الثاني: الاثنين، والثلاثاء والأربعاء والخميس، واليوم السادس كان الجمعة، وقد أطلق عليه بعض الشعوب اسم يوم الاجتماع حيث كان الناس يجتمعون ويقومون بأداء الفرائض والصلوات، عدا قريش كانت تسميه يوم العروبة، ثم تغير اسمه إلى الجمعة ونزل الإسلام فأقره على هذا الوضع، وذكرته التوراة كثيرا باسم (يوم الاجتماع) الذي أصبح يظنه اليهود أنه يوم السبت فقاموا بتقديس السبت بناء على ذلك، أما يوم السبت فهو اليوم السابع وله صفة أخرى وهو يوم الراحة من كلمة (سبات ـ النوم). و في اليوم السابع والأخير في العد وهو يوم الوقوف (سبات) كان يوم السبت موافقا ليوم الزينة "النيروز" الذي تواعد فيه موسى وفرعون وأصبح بذلك هذا التاريخ (معجزة إبراهيم، ومعجزة موسى) هو رأس السنة السريانية، أي أنه من العبث البحث عن يوم الزينة ويوم " السبت" والنيروز في اللغة الهيروغليفية أو الثقافة الجبتية.

أما بشأن قول المقريزي: (النيروز: هو أول السنة القبطية بمصر، وهو أول يوم من توت، وسُنتهم فيه إشعال النيران، والتراش بالماء، وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا). فهذا الكلام يحمل دليل

كذبه في ألفاظه وحروفه، ليس كذب المقريزي، وإنما كذب من وضعوا المدونات التاريخية التي نقل عنها المقريزي، وقد تم ذلك خلال مرحلة الدمج والتبادل التاريخي التي تعرضنا لها سابقا، ونلاحظ آثارها بجلاء هنا حيث الدمج بين السنة القبطية وأول يوم من توت وفي ذات الوقت عادة رش الماء وإشعال النار ! المقتبسة من معجزة إبراهيم (ع). وأما قوله (وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا) فالعيد كان فعلا من مواسم المصريين قديما، ولكن ليس القبط، إنما المصرايمين العرب الذين يتحدثون السريانية، ثم أصبح فعلا عيدا لدى المصريين حديثا حيث دخل أول مرة في العهد الفاطمي على ما قيل. ولما في المصرايمين العرب ولم يعد لهم ذكرى ولم يبق من أثرهم إلا قرية المصرمة أو وادي مصريم وقرية قطوف المصرية، بينما أصبح هناك إمبراطورية عظمى تحمل اسم مصر، فانتقل كل تراث القديمة إلى الحديثة وأصبح كأنه تراث قديم لها هي وليس لقومية أخرى بائدة ! فمجرد أن حملت الاسم حملت معه تاريخه كاملا وهذا منطقي في نظر العامة، خاصة أن المفكرين والمثقفين في هذا العصر المظلم كانت أرقى مستوياتهم الفكرية تعادل فكر عامة الناس في عصرنا، ولهذا كان من السهل على اليهود أن يخدعوا العالم كله.

ولما توسعت الدولة العربية، وانتشر الصحابة العرب في كل البلاد وحكموها ونظموا خراجها، ومعروف أن العرب أمة جهل وليست أمة علم وتدوين، فقد اتخذوا من رأس السنة السريانية (الشمسية) مواقيت لجمع الجزية والخراج والإتاوات، حيث أن التقويم الشمسي هو الذي يتوافق مع مواعيد الزرع والحصاد، ومن هنا أطلق العرب على كل رأس سنة " نيروز " بغض النظر عن أصله وفصله، حتى وإن كان يبدأ في شهر "أذار السرياني (مارس) " أو في شهر توت (القبطي) (يوليو) أو في شهر أبريل الفارسي، المهم أن أي رأس سنة عندهم يصبح اسمه نيروز. وهكذا دخل المقريزي في متاهة دون القدرة على تحقيق الأمر، لدرجة أننا وجدناه في كل كتبه ومصادره يستخدم وصف "الأقباط" ما عدا الخبر الذي نقل فيه أصل عيد النيروز وعادة إشعال النار والتراش بالمياه، استخدم في هذا الخبر وصف "المصريين" وهو يقصد الأقباط، بينما الخبر يتحدث عن المصريين (سكان مصرايم الواقعة جنوب غرب الجزيرة) لكن في عصر المقريزي لم يكن قد تبقى أي أثر معلوم يميز هذه المصرايم عن بلاد القبط بعدما حملت مسمى " مصر" فانتقلت إليها أخبار مصر العربية البائدة.

على كل حال كان موعد النيروز هذا هو يوم الزينة الذي اختاره فرعون ليتحدى موسى، وأعلن الخبر حتى يستعد السحرة ليوم الزينة الذي هو النيروز، وقد أوضحنا عدم وجود أي صلة للأقباط

الجبتيين بهذا النيروز لا من حيث الجذر اللغوي ولا من حيث الحدث والمناسبة، ما يعني أن موسى كان في بلد النيروز وهي ذاتها المنطقة التي كان فيها إبراهيم حيث بدأ إحراقه في منطقة حوران التي تتحدث السريانية، ثم توسع خبر معجزة النار التي لم تحرق، ومن هنا انتشر الاحتفال بعيد النيروز إلى القبائل والعشائر المجاورة حتى وصل مصرايم .. والغريب هنا أن المغفلين يحتفلون بمناسبة (دعوة إبراهيم إلى توحيد العبادة ومعجزة نجاته من الحريق) ويجعلون منها مناسبة للاحتفال السنوي (دون أن يؤمنوا بإبراهيم ورب إبراهيم !) بل يتخذون من الحادثة وسيلة للترفيه والمرح ! وهذه طبيعة العقلية العربية بامتياز حتى يومنا هذا.



2ـ الخروج والغرق

بدأ موسى بمعجزاته وآياته، حتى آمن كثير من ملأ فرعون بإله موسى واتبعوه. فتوعدهم فرعون بالعذاب وتعقبهم إلى النهر. وقد جاء ذكر كلمة " اليم " في القرآن سبع مرات فقط وجميعها خصصت لقصة سيدنا موسي، فعندما ولد موسي وضعته أمه في" اليم"، قال تعالى﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ...﴾، وقال أيضا ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ..﴾39/طه، وفسره المفسرون على أن اليم هو نهر النيل بعدما قام الكهنة في عهد بطليموس بتزوير ترجمة التوراة وتغيير كلمة اليم إلى نهر النيل، برغم أن الله كان من السهل جدا أن يسمي نهر النيل باسمه كما سمى الطور باسمه وسينا باسمها ووادي طوى باسمه، ومكة باسمها، فلماذا يتجاهل اسم نهر "النيل" ويستخدم وصف غير موجود لا في الوقع العملي ولا في اللغة الهيروغليفية !.. ولكنه تعمد استخدام اسم " اليم " لكونه كلمة سامية وعبرية وعربية في نفس الوقت ومستخدمة في الواقع العملي كاصطلاح شائع بكثافة في منطقة مسرح الأحدث.. ويمكنك أن تسأل أي سعودي من أهل الجنوب عن كلمة اليم سيقول لك أن معناه "النهر" وتستخدم تلك الكلمة في المنطقة المشتركة اليوم بين اليمن والسعودية أي منطقة جبال عسير ووادي بيشة وآبها، خاصة أنها منطقة مليئة بالجداول والأنهار المنحدرة من قمم الجبال، وعادة ما تتجمع في مجاري عريضة، وتكون بحيرات ومناطق تجمع موسمية.

وعندما أغرق الله فرعون في اليم.. قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾40/القصص، فسر المفسرون كلمة اليم على أنها البحر الأحمر.. وعندما نسف موسي العجل الذي عبده بني إسرائيل نسفا في اليم فسره المفسرون على أنه جدول بصحراء سيناء. ويخبرنا الكتاب المقدس (تثنية9:21)"وأما خطيتكم العجل الذي صنعتموه فأخذته وأحرقته بالنار ورضضته وطحنته جيدا حتى نعم كالغبار ثم طرحت غباره في النهر المنحدر من الجبل " ويقول اليهود هذا الجبل الذي هو جبل سانت كاترين حاليا في سيناء. ولكن لا يوجد أي نهر هناك ! أليس هذا كافيا لهدم أسطورة التوراة في سيناء وجبل الطور ودير سانت كاترين الجبتية ؟! فلا يمكن أن نعثر على نهر منحدر من هذه الجبال في سيناء خلال العصر الحديث ولا حتى القديم، فعصر موسى

كان عام 1200 ق.م تقريبا ولا يوجد أي أثر لأي نهر جاف حتى في هذه المنطقة، بل هي كلها وعلى مدار تاريخها عبارة عن صحراء وجبالها صخرية لامعة ! ولا يمكن العثور على أثر لمجرى مائي يتفق في الوصف مع البحر الأحمر ونهر النيل على السواء. وكل ذلك ما هو إلا محاولات ترقيع جغرافيا أحداث تاريخية توراتية ولهذا فسر المفسرون كلمة اليم ثلاث معاني مختلفة تماما والهدف هو ربط هذه الكلمة بدولة " إيجيبت " ..

يقول الأستاذ محمد حافظ [1] ؛ لو اتفقنا أن معني اليم هو معني واحد ويعني فقط جدول مائي.. فهذا يبسط الأمور كثيرا .. فالجداول النهرية على اختلافها تنحدر من الجبال إلى السهول فتصنع وديان تستقر حولها تجمعات سكنية زراعية ورعوية وشبه مدنية، وأثناء جريانه إلى السفوح والسهول يمر بمصرايم التي هي مملكة فرعون وبها بني إسرائيل، وفي النهاية تتلاشى بعض هذه الأنهار في البراري وبعضها يلتقي ليصب في مجرى نهري واسع يسمى " النهر الكبير" فأم موسي ألقت موسي في جدول منحدر.. والتقطه آل فرعون من ذات الجدول عند مروره أمام قصر فرعون.. وعند خروج بني إسرائيل تبعهم فرعون وغرق عند نقطة لقاء الجدول بالنهر الكبير الذي تتجمع فيه الجداول المنحدرة من جبال عسير، واسمه هكذا "النهر الكبير" كما ورد بالتوراة تمييزا له عن أنهار صغيرة بالمنطقة وإلا ما حصل على صفة "الكبير" .. وهذا الأمر مذكور بوضوح في التوراة .. وهو أن فرعون غرق عند "فم الحيروث " أي منطقة بداية تشكل النهر الكبير عند تلاقي أكثر من جدول نهري صغير.. وتلك نقطة لقاء الجدول بالمصرف العمومي أو النهر والمجرى العمومي تسمي الحيروث.. ويستدل على ذلك أنه بعد أن غرق فرعون وجنوده في فم الحيروث وفقا للتوراة .. كان من السهل جدا على بني إسرائيل والذين كانوا على الجانب الآخر من فم الحيروث أن يروا جثث جنود فرعون تطفوا على سطح المياه، وأيضا يمكنهم أن يروا الشاطئ الآخر حيث كان يقف فرعون وجنوده مترددا هل يتابع الهاربين من أهل إسرائيل أم يتوقف (هكذا ذكرت التوراة)..

فأن يري شعب بني إسرائيل فرعون وجنوده على الجانب الأخر من المياه .. يعني أن تلك المياه كانت ذات حيز محدود بحدود إمكانات الرؤية البصرية .. وليس عريض كثيرا مثل عرض البحر الأحمر أو خليج السويس الذي يصل عرضه إلى 12 كيلومتر عند أضيق نقطة منه وهي منطقة الأدبية

[1] ـ نقل مع التصرف عن الباحث محمد حافظ: من منتدى محاورات المصريين: https://www.egyptiantalks.org/invb/topic/6904.

على خليج السويس.. الذي يدعي اليهود أنهم عبروه وأنه أنشق من أجلهم.. فليذهب أحدهم اليوم ويقف على شاطئ خليج السويس في سيناء وينظر باتجاه الغردقة والقصير أو العين السخنة، ليحدد لنا كيف يرى ميناء الأدبية من سيناء على بعد 12 كلم ... فالواضح من نصوص التوراة أن الحاجز المائي الذي عبروه كان في نطاق الرؤية البصرية، أي في حدود 500 متر وحتى كيلومتر واحد، وهذا ما قد يتناسب فعليا مع مجاري الأنهار خاصة في مناطق التجمع مثل " فم الحيروث".

وبذلك يمكن فهم لماذا أطلق القرآن كلمة اليم على النهر الأول الذي ألقت فيه أم موسى طفلها، لأنه كان عبارة عن جدول مائي منحدر، وفي المرة الثانية ذكره بكلمة "البحر" وصفا للمنطقة التي غرق فيها فرعون وجنوده، وهي متسعة وملتقى عدة جداول ولذلك يصلح معها وصف بحر، لأن كلمة بحر تعني الماء المتسع الذي يمكن الإبحار فيه، فالله تعالى وصفه مرة بأنه يم ومرة بأنه بحر وكلاهما وصف سائغ لغويا مع نهر كبير يعد ملتقى وتجمع لعدة جداول نهرية، لكن اليهود يتحايلون ليثبتوا أن البحر الأحمر هو اليم الذي قال عنه الله ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ...﴾40/القصص، وأما في المرة الثالثة حيث كسر موسى التمثال وألقاه في اليم، فهو جدول صغير من تلك الجداول النهرية المنحدرة في السهول. وكل ذلك لا يمكن العثور عليه في سيناء ولا أرض وادي النيل.

غير أن التوراة أوضحت بجلاء أن أم موسى ألقت طفلها في اليم وليس في "نهر مصريم الكبير" التي ذكرتها في مواضع أخرى عديدة، لكنها عند الحديث عن موسى حينما ألقته أمه في النهر لم يرد ذكر لنهر مصريم الكبير هذا وإنما اليم، فهل يمكن مع ذلك اعتبار أن اليم هو نهر مصريم الكبير ويكون هو نهر النيل ؟! هذا ما يعني أن " نهر مصريم " في وعد " يهوه " لإبراهيم لم يكن نهر النيل الذي في شمال شرق أفريقيا، وإلا لماذا استخدمت التوراة مسمى نهر الفرات كاسم علم لهذا النهر واستخدمت للنهر الكبير مسمى اليم ولم تستخدم مسمى "النيل"؟! فكان المنطقي طالما ذكرت الفرات باسمه أن تذكر النيل باسمه، خصوصا أنه أكبر وأميز من نهر الفرات وجاء وصفه أكثر من مرة بنهر "مصريم الكبير" أو النهر الكبير، إنما أن تذكر يم نكرة ويتم تفسيرها مرة على أنها نهر النيل ومرة على أنها البحر الأحمر ومرة على أنها جدول نهري في جبال سيناء ! وكل هذا ولم يرد اسم " النيل" صراحة؟ فلماذا جاء اسم الفرات إذن؟

ولكن لأن اليهود لم يصل ذكاءهم إلى الدرجة التي يفنى معها وعي الآخرين، فهم من غبائهم لا يعلمون أن تسمية " نهر النيل" هي تسمية عربية خاطئة وقد بدأت فقط بعد دخول العرب إيجبت على يد ابن العاص، لأن كلمة نيل تعني نهر بالهيروغليفية، فكيف يمكن القول " نهر النهر " ! فأجدادنا الجبتيون القدماء كانوا يستخدمون كلمة نيل بمعنى نهر وجمعها: نيلو، لأن النهر كان يتفرع إلى سبعة فروع أو أكثر عند رأس الدلتا، وعندما دخل اليونان إيجبت نطقوها "نيلوس" كعادتهم أن يضيفوا مقطع "اوس " لنهاية كل كلمة .. وبعدما دخل العرب أضافوا كلمة "نهر " العربية لكلمة نيل التي تعني نهر بالهيروغليفية، فصار نهر النيل أي نهر النهر (عربي هيروغليفي) إنما اليهود يستخدمون المسميات المعاصرة على علاتها دون أن يعلموا أن بها أخطاء لغوية من الممكن أن تكشف كذبهم. فمن المستحيل أن يستخدم الله تسمية خاطئة مثل كلمة " نهر النيل " هذه التي حشرها اليهود في التوراة... والغريب أن أكبر الجهات المتضامنة مع اليهود في هذا الكذب والتدليس هو الأزهر الشريف، على اعتبار أن مصر ورد ذكرها بالقرآن وأن اليم هو نهر النيل ولم يدركوا أن ذلك محض تفسيرات كعب الأحبار التي دسها للصحابة العرب خدمة لشعب إسرائيل، فصار الأزاهرة يفكرون بعقول صهيونية على مدار أربعة عشر قرنا من الزمان وكأن اليهود غرسوا نطفة في عقولهم وما زالت تنمو ...

يقول قاموس الكتاب المقدس أن رعمسيس اسم مصري قديم معناه "ابن رع" إله الشمس، وقيل أيضا إن معناه "رع قد خلقه" وهو اسم مدينة في أخصب بقاع مصر (تك 47: 6)، ومنها انطلق بنو إسرائيل في رحلة خروجهم من أرض مصر [1]، حيث تحركوا من رعمسيس إلى سكوت. وهذه المنطقة (اسمها جاسان) هي التي سكنها بنو إسرائيل بأمر من فرعون. وكانت "رعمسيس" إحدى مدينتين (مسكنوت) بناهما بنو إسرائيل لفرعون، والمدينة الأخرى هي "فيثوم" (تل المسخوطه – وتضيف الترجمة السبعونية مدينة ثالثة هي "أون" أو هليوبوليس بالقرب من القاهرة). وكلمة "مسكنوت" العبرية مشتقة من فعل بمعنى يسكن أو يستقر، وجاء عنهما في سفر الخروج أنهما كانتا "مدينتي مخازن" (خروج1:11)، الغريب أن مدينة أون بالقاهرة هي هيليوبوليس وهي مركز عبادة الإله رع ولا يوجد بها أي آثار تدل على كونها مخازن بل هي مدينة مقدسة للعبادة وكانت مقر العبادة للوجه البحري، أما الأغرب هو أن بني إسرائيل العبيد كانوا يعجنون الطين ويخلطونه

[1] ـ خروج 12: 37، عدد 33: 3 و5)

بالتبن ليستخدمونه في بناء المخازن، أما مدينة أون المقدسة فجميع معابدها ومسلاتها مبنية بالحجر الجيري والجرانيت ! أي حضارة ليست من جنس العرب العماليق والإسرائيليين.

ولمن يصرون على رغبة الإسرائيليين في تسكين الخريطة التوراتية في مملكة وادي النيل، ويقولون بأن العبور لم يكن عبور البحر الأحمر، بل عبور نهر النيل من الضفة الغربية إلى الشرقية، حيث غرق فرعون في نهر النيل أيضا.. لكن إذا كان الله قد أمر موسى بأن يتحرك بقومه ثلاثة أيام ليتعبد عند الجبل، فهل تكفي الأيام الثلاثة لقطع مسافة تزيد عن الألف كيلومتر من محطة الأقصر أو أي منطقة واقعة غرب نهر النيل إلى جبل في جنوب سيناء يقع في رأس مثلث سيناء !، أي أن المشي كان من حافة نهر النيل ثم عبر الصحراء الشرقية إلى منطقة السويس ثم مرورا تجاه الجنوب على طول خليج السويس ليتعبدوا عند فم الخليج على جبل موسى ! فالخليج طوله 314 كلم من داخل سيناء والجبل واقع عند بداية الخليج في رأس شبه جزيرة سيناء، مع الوضع في الاعتبار أن المسيرة شبه رعوية لأن بني إسرائيل كانوا يحملون متاعهم وأطفالهم وغنمهم وبقرهم وإبلهم ..إلخ. ومعنى ذلك أنه لو لم يحدث غرق لفرعون وعبور البحر لكان موسى وقومه مأمورين بالسير طبيعي ثلاثة أيام من مقر فرعون إلى جبل موسى ليتعبدوا فيه، تقول التوراة أيضا عن الأمر الذي أمر الله موسى وهارون أن يفعلوه في مصر (وتقولون لفرعون الرب إله العبرانيين التقانا فالآن نمضي سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا)(خروج 3ـ18 و 19) فهل يمكن قطع كل هذه المسافة من نهر النيل إلى العين السخنة شمالا ثم جنوب سيناء أكثر من ألف كلم خلال ثلاثة أيام !

في سفر الخروج 15:22 - فكان الإسرائيليون نازلين عند «« يم سُوف»» (اللفظ العبري و معناه بحر البوص أو الحلفاء)، لكنه يُترجم خطأ عن اليونانية " بحر القلزم = بحر الموت أو الفناء "ويكون المقصود به البحر الأحمر!، و السبب واضح .. إذ لا ينمو البوص على شواطئ البحر المالح بالدرجة التي تجعله يحمل اسمه منه، إنما البوص ينمو على ضفاف الجداول النهرية، ولهذا تم تنحية الاسم واستخدام وصف هو بحر القلزم، وعلى هذا الأساس تم إطلاق مسمى بحر القلزم على البحر الأحمر بعد عصر موسى، وابتلع الجميع الطعم الإسرائيلي بهدوء، ولم يتساءل أحد كيف يمكن تسمية البحر الأحمر ببحر الموت؟! على اعتبار أن فرعون مات فيه؟ وهل كان اليهود في المنطقة شعب ذا قيمة وسمعة لدرجة أن بحر عظيم مثل هذا يحمل اسمه من حدث وقعة في تاريخهم؟! بينما البحر يضم مجموعة شعوب كاملة شرقه وغربه؟! فلا البحر الأحمر ينمو به بوص ولا حلفا، به هو ملئ بالرمال

الصفراء والبيضاء والشعب المرجانية ومياهه صافية جدا، ولا ينطبق عليه مسمى " يم سوف" كما ورد بالقرآن والتوراة، إنما هم اعتادوا توزيع المسميات التوراتية على المناطق التي يطمعون في احتلالها وغرس قدم تاريخية لهم فيها طالما كان أصحاب الأوطان مغفلين وعاجزين عن الدفاع عن قوميتهم. وهذا كله تزوير، لأننا لو بحثنا الجذر اللغوي للكلمة " يم " فهي قد وردت في القرآن والتوراة بذات اللفظ (يم) وهذه الكلمة من جذر لغوي آرامي أصيل أي موجودة في اللهجة العبرية والسريانية والعربية، فما علاقتها بـ" النيل " التي هي من أصل هيروغليفي؟! إن مجرد تكرار ذات الاسم في لغتين مختلفتين بذات الكتلة الصوتية، فإن ذلك ليس له أي معنى واحد، هو أن هذه الكلمة اسم وليست صفة، اسم لمجرى مائي معين، ومعروف باسم " اليم ".

يقول د. كمال الصليبي أن بني إسرائيل خرجوا من مصر جنوب غرب الجزيرة العربية إلى اليمن " وبعد أن أذن المصريون للعبرانيين بالخروج من أرضهم، حاول هؤلاء أن يتجهوا نحو اليمامة عن طريق الخماسين بوادي الدواسر، فوجدوا هذا الطريق مقفلا أمامهم، فاتجهوا من جوار الخماسين نحو الجنوب في محاولة ثانية للوصول إلى اليمامة عن طريق وادي حبونا، ولحق بهم المصريون إلى هناك ليمنعوهم من الخروج عن هذا الطريق أيضًا، ولكن العبرانيين كانوا قد تمكنوا من الخروج من هناك قبل وصول المصريين. وكان الطقس ممطرا آنذاك على ما يبدو، وفوجئ المصريون وهم في طريق عودتهم من وادي حبونا بسيل عظيم أهلك أعدادا منهم.. وكان موسى على علم بالأمر، فلم يستمر في الاتجاه بشعبه نحو اليمامة.. فاتجه بهم جنوبا من بلاد بام إلى داخل اليمن. ثم عرج بهم نحو الشمال حتى وصلوا إلى منطقة جيزان بأرض تهامة"[1]

غير أنه عندما عبر موسي اليم هو وبني إسرائيل وبعد أن غرق فرعون في فم الحيروث.. مر موسي وبني إسرائيل مباشرة على ديار العرب. لأنه لا يوجد عبادة أصنام في سيناء وإنما كان المعبود هو إله القمر " تحوت"، بل إن عبادة الأصنام معروفة بكثافة في شبه جزيرة العرب. وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿138﴾ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾139/الأعراف. فهل كان يوجد أقوام أو مجتمعات تعبد الأصنام في شبه جزيرة سيناء في المسافة الواقعة بين العبور وجبل

[1] ـ خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص262، 263

موسى جنوب سيناء؟ كيف وأنهم هم أنفسهم يقولون بأن كلمة سيناء تعني إله القمر ! أم أنهم يخترعون تأويل حكائي وهمي لكل موقع يسهل لهم عملية تسكين الجغرافيا التوراتية في بلادنا؟!

الحقيقة أنهم عبروا اليم في منطقة جنوب غرب الجزيرة وانتقلوا شمالا إلى الحجاز لأداء شعائر الحج وخلال هذه المسيرة احتكوا بالكثير من القبائل والعشائر العربية الذين طاردوهم من مكان إلى آخر، ومن واحة إلى أخرى، وهذا ما تثبته رحلة الخروج في التوراة أن الطريق التي سلكوها كانت مليئة بالمجتمعات والواحات والبراري، بل إن التوراة ذاتها تثبت في طياتها معالم شعب الجزيرة العربية على مدار تاريخ شعب بني إسرائيل، فليس مصادفة أن تأتي معالم (عرب الحجاز) في التوراة وليس سكان شبه جزيرة سيناء الجبتية، فقد عبد بنو إسرائيل أصنام العرب في مكة وكان من أشهر أصنامهم "مَنَاة " القريبة من مكة المكرمة، ويدل على ذلك ما جاء في التوراة:" « أَنْتمُ الذِينَ تَرَكُوا الرَبَّ وَنسُوا جبَلي المقدَس، وهيأتم مَائِدَة للإله جاد، ومزجتم الخمر للإلهة مناة " [1]. وكان هذا الصنم من أصنام العرب قبل الإسلام، قال ابن الكلبي في حديثه عن أصنام العرب " فكان أقدمها كلها مناة، وقد كانت العرب تسمى عبد مناة زيد مناة وكان منصوبا على ساحل البحر ناحية المشلل بقديد، بين المدينة ومكة، وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله. وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له... ومناة هذه هي التي ذكرها الله تعالى حين قال: ومناة الثالثة الأخرى [2].. وهذا ما يؤكد السيناريو الذي رسمه للخروج وهو أنهم تحركوا من جنوب غرب الجزيرة إلى تهامة إلى الحجاز وتحديدا شمال مكة حيث جبل الطور والوادي المقدس طوى، ولم يدخلوا بوابة الأرض المقدسة، وإنما عاشوا في التيه أربعين سنة (شمال مكة) في ذات الموطن عبدوا آلهة العرب المعروفة (شمال مكة) الإله مناة الذي يقع على الطريق بين مكة والمدينة.

وذكرت التوراة أن مهمة موسى كانت أن يأتي ببني إسرائيل لأداء شعيرة الحج، فكانوا هم يقيمون في العبودية في مصرايم الواقعة إلى الجنوب من مكة في سفوح جبال تهامة، وكانوا شبه ممنوعين من العبادة، ولهذا كان موسى مأمورا بأن يأتي بهم شهرا لأداء فريضة الحج والذبح عند المشعر الحرام. (سفر الخروج 5 /1ـ4، والذبح سفر الخروج 12 /1ـ6)والذبح أربعة أيام وفي اليوم العاشر من

---

[1] ـ سفر إشعيا 65 /11 ، وانظر قاموس الكتاب المقدس.

[2] ـانظر كتاب الأصنام ، لابن هشام الكلبي ، رابط الكتاب : https://www.goodreads.com/book/show/6664595

ذي الحجة، لكن اليهود كي يطمسوا معالم العبادة ترجموا كلمة الحج (חגג ـ hagg) حيثما وردت في نصوص التوراة إلى كلمة: العيد أو الاحتفال ![1] بينما في الأصل أن الاحتفال أو العيد هذا شيء زائد وتابع لأداء شعيرة الحج، فلا عيد بدون الحج، بل إن الاحتفال يكون بالموائد والطعام، هذه الموائد يتم تجهيزها من الذبائح التي تم التضحية بها لأداء شعيرة الحج. وكل ذلك لأن الحج مرتبط بمكة المكرمة والبيت الحرام، أما العيد والاحتفال فيجوز أن يقام في الشام أو في الهند أو غيرها، بينما فريضة الحج ارتبطت بمكة منذ عهد نوح وإبراهيم أبو الأنبياء (ع)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿26﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴿27﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿28﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾29/الحج، فهل من المنطق أن يدعوا إبراهيم الناس كافة لحج بيته الحرام ويترك ذريته (إسحاق ويعقوب)؟ الذين هم بني إسرائيل ؟! في الواقع هم تركوا شريعة جدهم وانصرفوا بعيدا وتنكروا لدينه، برغم أنهم بالغوا في التمسك بنسبه وسلالته من أجل الأرض التي قالوا أنه أخذها مرعى لنسله.

وهناك سيناريو يقترحه اليهود لتفادي النص التوراتي القائل بأن فرعون غرق في فم الحيروث، ففم الحيروث هنا تعني أنه غرق في بداية مجرى مائي عريض، فقالوا أن نقطة فم الحيروث هذه تكون على خليج السويس عند مدينة السويس كما يظهر بالخريطة وفق السيناريو المقترح لخروج اليهود من بلاد وادي النيل.

[1] ـــ انظر الترجمات العربية للعهد القديم في موقع الموسوعة العربية المسيحية :
http: //www. albishara. org/docompar. php ؛



أما الخطأ الذي تعثروا فيه بجهلهم هو أنه لا يمكن إطلاق تسمية " فم الحيروث" على نهاية خليج السويس، لأن الفم عكس المؤخرة والنهاية، وفم خليج السويس يبدأ من البحر الأحمر عند تفرعه إلى خليجي السويس والعقبة حيث مضيق تيران هو فم خليج العقبة، ومقابل له فم خليج السويس، إنما لا يمكن تسمية نهاية الخليج على أنه فم؛ لأن الفم هو بداية مجرى، أو بداية مرحلة وليس نهايته أو نقطة توقفه، ثم أن فم الحيروث في منطقة عسير كانت عبارة عن نقطة تشكل النهر الكبير بعد التقاء عدة جداول نهرية أي أن نقطة العبور قبلها عدد من الجداول ممتدة وبعدها نهر عريض ممتد أيضا جهة الغرب إلى البحر الأحمر، وهنا حدث العبور، لكن إذا قال اليهود أن فم الحيروث هي آخر نقطة في خليج السويس فهل تكون هناك فائدة من العبور البحري؟ وإذا كانوا قد عبروا ووقف فرعون خلفهم مترددا هل يعبر أم لا، فلماذا لا يدور ليتبعهم على البر ؟ لماذا اضطر لخوض البحر وهو خائف متردد، مع أنه لو التف على البر فما كانوا ليختفوا عن نظره؟ لكن اليهود يتحايلون في غرس الخريطة التوراتية في بلادنا حتى وإن زرعوها بالمقلوب طالما نحن نساعدهم في ذلك ونحتفل معهم كما يقولون بأن بلادنا أرض الأنبياء ! وهذه أكبر خدعة في التاريخ.

ونحن نعلم جيدا أن نساء بني إسرائيل كانوا قد سرقوا ذهب نساء المصريمين قبل خروجهم من مصرايم بيوم واحد .. وأنهم نهبوا كل ما يمكن الوصول إليه وذلك في اللحظات الأخيرة للخروج (بأمر الرب كما تقول التوراة !)، وكان هذا من أسباب تتبع فرعون لهم.. وأن هروب بني إسرائيل من مصر تم بعد

العشاء وعندما اكتشف أمر هروبهم خرج وراءهم فرعون مطاردا ليس فقط لمنعهم من الخروج .. بل أيضا لاسترجاع الذهب .. أي أنها عملية مطاردة سريعة. ثم حدث الغرق في اللحظات الأولي من الفجر في نفس اليوم .. ومعنى ذلك أن المدينة التي خرج منها بني إسرائيل تبعد مسافة بسيطة عن مكان الغرق. فلو فرضنا أن بني إسرائيل الهاربون من فرعون كانوا 600 ألف بأغنامهم وبقرهم ونسائهم وشيوخهم وأطفالهم كما يقولون.. فهل يمكن أن يخرجوا مشيا على الأقدام ليصلوا منطقة العبور على البحر الأحمر كما في الخريطة خلال ساعات فقط؟! .. كم هي المسافة بين الأدبية وعاصمة إيجبت القديمة؟.. فلو كانت العاصمة رع مسيس كما يقول المؤرخون .. فهذه المدينة في شرق الدلتا ومن المستحيل على شخص أن يقطع هذه المسافة خلال ساعات الليل بين العشاء والفجر ..

وأول محطة كانت لبني إسرائيل بعد خروجهم من "مصر" مباشرة كانت هي "سكوت"، و سكوت هذه إذن داخل الحدود الجبتية وقبل وصولهم الطور كما تذكر الخريطة أعلاه، فكيف يستقيم ذلك مع قول التوراة بأن سكوت تابعة لسيحون ملك حبشون الآموري الكنعاني الذي ضربوه عند أردن أريحا وورثوا أرضه ؟! تقول التوراة:" "وَفِي الْوَادِي بَيْتَ هَارَامَ، وَبَيْتَ نِمْرَةَ، وَسُكُّوتَ، وَصَافُونَ بَقِيَّةَ مَمْلَكَةِ سِيحُونَ مَلِكِ حَشْبُونَ، الأُرْدُنَّ وَتُخُومَهُ إِلَى طَرَفِ بَحْرِ كِنَّرُوتَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ نَحْوَ الشُّرُوقِ."(يش 13: 27). علما بأنهم أسقطوا بحر كنارت على بحيرة طبريا، فكيف تكون سكوت داخل الحدود الجبتية وقبل وصول الطور في سيناء وفي ذات الوقت تقع في الوادي على طرف بحر كنارت(بحيرة طبرية)؟! وكيف أسقطوا كنارت تل العريمة على طرف طبرية؟! الغريب أنه لا يوجد أي رابط لا جغرافي ولا لغوي لفظي بين الجذر " كنارت/ كنروت" وبحيرة طبرية ولا حتى العريمة.

يقول د. زياد منى:" إن التعرف على الموقع الصحيح لـ"كنروت" يستدعي الاستعانة من جديد بمنهجية قراءة النصوص في ضوء جزيرة العرب. فـ"كنروت" هي ليست تل العريمة، وإنما هي تشير إلى مواقع عديدة في سراة عسير وبلاد غامد وزهران بالإضافة إلى منطقة الطائف، ومنها جبل "قرنيط/قرنط" جنوبي الطائف، والقرنطة/قرنطة" في سراة زهران " والقرينات/قرنت" بوادي الليث قرب غُميقة. ومما يساعد على تحديدها ذكرها في سفر يشوع 35:19 بالارتباط مع مواقع أخرى. والمدن التي تقع بشكل رئيسي في منطقة الطائف وهي "هصديم/الصديم" والتي هي "السدين" وهنا كما في الأصل بأداة التعريف في النص العبري، وكذلك بصيغة المثنى والجمع. تكون " صر/صير" هي "صر" في وادي محرم، وحمت/حمة" هي الحمة/حمت" و" رقت/رقة" هي " الرقة/رقت" في وادي كلاخ، وكنرات/كنارة" هي

جبل "قرنيت/قرنت"، وتقع جميعها في منطقة الطائف. ويلي ذلك "ءدمة/إدامة" التي هي إما وادي أو قرية "إدم" جنوبي مدينة مكة المكرمة و"مرمه/الرامة" هي "الريمة/ءل رمة" هنا، كما في النص العبري، بأداة التعريف، والتي تقع في منطقة حرة كشب قرب الموقع آنف الذكر. أما حصور/حاصور" فتأخذ هي و"عين حاصور" احتمالات متعددة أرجح منها "الحصرة" في منطقة الطائف. والموقعان " قدش/قدس" و "ءدرعي/أذرعي"، وتقع كلتاهما في منطقة الليث".[1]

هكذا يتعامل الباحث مع النص بأدوات لغوية جغرافية دقيقة، ومن خلال المواقع القرينة أمكنه التعرف على المتشابهات والمترافقات التي تعطي قراءة صحيحة ومتصورة للنص بمعقولية كاملة، ودون أي هامش للخيال اليهودي. وهذا ما يعني ببساطة أن خط سير بني إسرائيل بدأ من الجنوب من عسير تحركا نحو الشمال حتى وصلوا إلى الطائف ومنها إلى برية سينا قرب مكة. وليس من وادي النيل عبر البحر الأحمر إلى شبه الجزيرة الجبتية، لأن باقي نقاط الخريطة لا يمكن استقراؤها في هذا الموقع.

تقول التوراة إن بني إسرائيل فور خروجهم من سكوت تجنبوا الدخول في أرض الفلسطينيين القريبة لئلا يحاربهم هؤلاء ويجعلوهم يندمون على الخروج من مصر، فداروا حول أرض الفلسطينيين على طريق بحر القلزم. فأي فلسطينيين إذن أولئك الذين هم على حدود البحر الأحمر وإيجبت وادي النيل وجنوب صحراء سيناء ثم إنهم وفي نفس الوقت في جنوب سوريا وفي فلسطين الحالية؟!

وتخبرنا التوراة أن بني إسرائيل حينما ارتحلوا من طور سينا إلى برية فاران وتجسسوا أرض الكنعانيين فضربهم العمالقة والكنعانيون ولم يسمح لهم الآدوميون (أدوم هو عيسو أخو يعقوب) بالمرور في تخومهم، فارتحلوا إلى جبل هور فسمع بهم ملك عراد الكنعاني وقاتلهم ثم رحلوا من جبل هور على طريق بحر القلزم، ليدوروا من حول أرض آدوم.

وقد سبق وعرفنا أن الكنعانيين موطنهم مكة وهم الكنانيون، وعرفنا أن العمالقة مقرهم الحجاز وكان منهم قبيلتي (جرهم والعماليق الذين زحفوا حول إسماعيل وأمه هاجر) ونعرف أيضا قرية القلزم التي هي من تخوم مكة، وأثبتنا سابقا أن سلالة إبراهيم (يعقوب وإخوته الأدوميين كان موطنهم هو موطن أبيهم مقام إبراهيم في مكة، تكون بذلك قد اتضحت الصورة أنهم وصلوا مشارف مكة ولم

---

[1] ـ د. زياد منى كتاب جغرافية التوراة ـــ مصر وبنو إسرائيل في عسير ص 203 و 204 من رابط كتاب زياد منى : https://drive.google.com/file/d/0B8DAtqrPyqilZk81VTRaeUJEbDg/view)

يستطيعوا دخولها وتحاربوا مع القبائل هناك. بينما اليهود ينقلون هذه الخريطة بأحداثها كلها داخل شبه جزيرة سيناء الجبتية، فهل توجد هذه القبائل متجاورة في سيناء !

وعندما نتأمل هذه الجغرافيا العجيبة، فبداية، إن عبور خليج السويس إلى سيناء لا يعني خروج من إيجبت بأي حال، لأن سيناء ذاتها خاضعة للسيادة الجبتية على مدار تاريخها، وبها طريق حورس الحربي ومناجم النحاس والفيروز وبها الكثير من القلاع الحربية من الجنوب إلى الشمال إلى الشرق وحتى نهاية خليج العقبة ومليئة بنقاط عسكرية حصينة، ولا يمكن تصور أن يتجول الإسرائيليين فيها بحرية على مدار أربعين عاما، أما الأغرب من ذلك، أنهم يقولون أن سكَوت (التي حددوها في موضع مدينة السويس؛ أي قبل العبور، قالت التوراة أنها تابعة لسيحون ملك حشبون الآموري الكنعاني الذي ضربوه عند أريحا و ورثوا أرضه (بعد العبور) ثم من هو سيحون هذا ملك حبشون هذه التي تقع داخل حدود إيجبت ؟! ومن هم الكنعانيون والآدوميون هؤلاء الذين يسكنون داخل شبه جزيرة سيناء ؟! غير أن التوراة كانت قد بينت أن يعقوب حينما عاد بنسائه وأغنامه من حران حيث خاله لابان في أرض بني المشرق إلى أرض الكنعانيين (بنى له بيتا وصنع لماشيته مظلات ولذلك سمي الموضع سكَوت(فكيف تكون هذه الـ(سكَوت) جنوب صحراء سيناء على حدود إيجبت وادي النيل وهي في الوقت نفسه شرق أرض الكنعانيين المفترض أنها فلسطين وسوريا حسب التزوير الصهيوني ؟! ومضرب خيام ومظلة للغنم على الطريق القادم من حران (مركز عشيرة الآراميين شرقا في برية العرب) إلى أرض الكنعانيين ؟!

الممر البحري الإجباري لبني إسرائيل خلال خروجهم من مصر وتهديد موسى لهم بأنهم إن لم يلتزموا بشريعة الله فإنهم سيعودون هذه المرة إلى مصر بالسفن (وَيَرُدُّكَ الرَّبُّ إِلَى مِصْرَ فِي سُفُنٍ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي قُلْتُ لَكَ لاَ تَعُدْ تَرَاهَا، فَتُبَاعُونَ هُنَاكَ لأَعْدَائِكَ عَبِيدًا وَإِمَاءً، وَلَيْسَ مَنْ يَشْتَرِي)[1] وهو ما حدث فعلاً ولو كانوا في بلاد القبط لعبروا من خلال التواصل الجغرافي بين البر الغربي وبر سيناء بالدوران من نقطة السويس (فم الحيروث المزعوم عبورها مسبقا) وهو ما كان متاحا دون سفن قبل شق قناة السويس. إنما في الواقع فهذا العبور كان عبورا لنهر كبير هو عبارة عن تجمع عدد من الجداول النهرية المنحدرة من قمم جبال السراة غربا إلى سواحل البحر الأحمر، ما يعني استحالة العودة دون سفن.

[1] ـ سفر التثنية الإصحاح 28: 68

لكن اليهود هكذا تمكنوا من العبث في العقل العربي المسلم، بل وضعوا له ضوابط التفكير، لدرجة أن الفقهاء والقراء والمفسرين للقرآن كانوا يتبعون البوصلة اليهودية بانضباط شديد وكأنهم يمشون على الصراط، ولذلك نجد السادة القراء في قراءتهم للآية القرآنية التي تقول: ﴿ وإِذْ قلتمْ يا مُوسَى لن نصبرَ على طعامٍ واحِدٍ فادْعُ لنا ربَّكَ يخْرِجْ لنا مِمَّا تُنبِتُ الأرضُ مِن بقلها وقِثَّائِهَا وفومِهَا وعدَسِهَا وبصَلِهَا قالَ أتستبْدِلونَ الذِي هوَ أدنى بالذِي هوَ خيْرٌ اهبِطوا مِصْرًا فإنَّ لكُم مَّا سألتم...﴾61/البقرة. نلاحظ في الآيات الخمس السابقة التي ورد فيها ذكر "مصر" كانت اسم علم واضح المعالم والدلالة على بلدة مصر، بينما في هذا الموضع نجد القراء قد أضافوا لها ألفا للتنوين، كي تنحرف عن معناها، وقاموا بتحوير المعنى، وقالوا أن مصر المذكورة هذه المرة لا يقصد بها مصر البلد التي خرجوا منها وإنما تقصد أي مصر من الأمصار أي بلد من البلدان تتوفر فيها هذه الخيرات والخضراوات التي طلبوها. ولهذا نجد القراء قد اختلفوا في قراءتها بعضهم قرأها مثل مثيلاتها " مصر" وبعضهم أضاف لها ألف التنوين" مصرا " كي يجعلها مختلفة عن غيرها !

ففي تفسير الطبري نقرأ عن حجم الخلافات في قراءتها؛

ثم اختلف القراء في قراءة قوله ﴿مصرا﴾ فقرأه عامة القراء: " مصرا " بتنوين " المصر " وإجرائه. وقرأه بعضهم بترك التنوين وحذف الألف منه. فأما الذين نونوه وأجروه، فإنهم عنوا به مصرا من الأمصار، لا مصرا بعينه . فتأويله -على قراءتهم: اهبطوا مصرا من الأمصار، لأنكم في البدو، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي، وإنما يكون في القرى والأمصار، فإن لكم -إذا هبطتموه- ما سألتم من العيش. وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك، بالإجراء والتنوين، كان تأويل الكلام عنده: "اهبطوا مصرا " البلدة التي تعرف بهذا الاسم، وهي" مصر " التي خرجوا عنها. غير أنه أجراها ونونها اتباعا منه خط المصحف، لأن في المصحف ألفا ثابتة في" مصر ". فيكون سبيل قراءته ذلك بالإجراء والتنوين، سبيل من قرأ: قوارِيرا قوارِيرا مِنْ فِضَّةٍ /15ـ16 الإنسان[منونة اتباعا منه خط المصحف. وأما الذي لم ينون مصر فإنه لا شك أنه عنى " مصر "التي تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها.[1]

بينما في الواقع أن بني إسرائيل كانوا يتمنون أنواع الطعام التي جربوها بالمجان في مصر أيام العبودية، وهكذا شرح الشراح صراحة ودون مواربة، حتى اليهود أنفسهم ذكروا ذلك، فكانت العلامة

[1] ـ موقع تفسير القرآن : تفسير الطبري على رابط: http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya61.html

المميزة على مصر أو الأمارة هي أنواع الطعام مقرونا باسم "مصر" لكنهم اخترعوا تأويلا يبعد الموضوع عنها، فاخترعوا فكرة تعميم وتجهيل مسمى" مصر" وتحويله من اصطلاح ثابت" اسم علم" إلى وصف ينصرف إلى أي بلد نكرة ! برغم أن التوراة ذاتها أفصحت في حين غفلة من الكهنة أن العودة إلى مصر ستكون بالسفن، حينما قالت: (وَيَرُدُّكَ الرَّبُّ إِلى مِصْرَ فِي سُفُنٍ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي قُلْتُ لَكَ لا تَعُدْ تَرَاهَا، فَتُبَاعُونَ هُنَاكَ لأَعْدَائِكَ عَبِيدًا وَإِمَاءً، وَلَيْسَ مَنْ يَشْتَرِي) [1].

وكما يتضح من هذا النص أن العودة أو الهبوط مرة أخرى لن يكون إلى أي مصر نكرة غير محددة وإنما عودة بالسفن إلى مصر التي حدثت فيها العبودية قبل ذلك... لكن قراء ومفسري القرآن أرادوا السير بالتوازي مع الأجواء التوراتية التي تخجل من التصريح بأن بني إسرائيل اشتاقوا للعبودية مقابل ملء بطونهم بالبصل والعسل والعدس... فكان على قراء ومفسري القرآن أن ينحرفوا بالقرآن قراءة وتفسيرا بذات القدر! فقد أخطأوا عندما قالوا بأن النص القرآني يقصد أي مصر من الأمصار بمعني أي بلد من البلدان والقرى، لأن كلمة مصر التي ورد ذكرها في القرآن قرينة بقصة موسى وبني إسرائيل جميعها سريانية تحكي قصة (إبراهيم ويوسف وموسى وفرعون ومصرايم) وبالتالي فإن أصل الكلمة ليس عربيا ولا يجوز إعادة صرفه أو اشتقاقه من الفعل العربي "مَصَرَ " ومَصَّرَ، تمصيرا " بل إن كل كلمات " مصر" المذكورة في القرآن جاء ذكرها حصريا من الأصل السرياني والعبري الذي هو مصرايم طالما جاءت قرينة بقصص بني إسرائيل، وكلمة مصرايم هي اسم علم محدد على بلد معين، وممنوع من الصرف العربي، وطالما كانت القصة كلها تخص بني إسرائيل فلا يجوز تطعيمها بتفسيرات لغوية عربية لتحريف مقصودها لحفظ ماء الوجه الإسرائيلي.

فقد كشف لنا الطبري أن القرآن كان يُقاد ولا يقود في تفسير الآية، حيث كان هناك من القراء من يريد لمصر أن تكون هي بلاد القبط فنزعوا التنوين عن كلام الله وأسقطوا الألف من مفردة "مصرا"، لتصبح "مصر" (اسم علم على بلد محدد سبق ذكره في القرآن أربع مرات في نطاق قصص بني إسرائيل، بينما الذين أرادوا لها أن تكون مصرا من الأمصار نكرة مبهمة أضافوا ألفا وتنوين للكلمة، ولك أن تتساءل هل كانت الثقافة "السبعونية" مهيمنة في الأذهان إلى درجة أن أصبحت هي الأصل المسلم بصحته ونص القرآن الشريف هو الفرع والتابع، فصار كلام الله عز وجل يُفسر على ضوء المعلومات المسبقة دون فحص فسادها من صحتها. في الواقع فإن القرآن تم تفسيره

[1]))- سفر التثنية الإصحاح 28: 68

بعيون توراتية في كثير من مواضعه عن قصد وعمد من اليهود ودون وعي من المسلمين، لأن الثقافة الدينية السائدة قبل الإسلام كانت توراتية حصرية، وكانت هي الخلفية الثقافية الوحيدة للعرب.

وبالعودة إلى محتويات الخريطة التوراتية سالفة البيان، وفحص محتواها اللغوي، فإذا افترضنا فرضا جدليا أنهم خرجوا فعلاً من بلادنا وادي النيل، وإذا أقحمنا اسم "مصرايم" في اللغة الهيروغليفية كي نصدق اليهود ونقول بأن أجدادنا استخدموا هذا اسما لبلادهم، وهكذا نطقت به التوراة كاسم واقعي لبلد معروف بهذا الاسم، فلا بد في المقابل أن التوراة تستخدم كافة الأسماء المعروفة أيضا الواقعية على رحلة بني إسرائيل ولا تستخدم أسماء من صنع الخيال المقدس، ففي المقابل يجب أن تكون كافة الأسماء موجودة في زمن التوراة على أرض الواقع ومشتقة من اللغة الهيروغليفية، فهل كانت منطقة سيناء اسمها بياوو (أرض المناجم بالهيروغليفية) أم كانت منقسمة إلى مناطق (فاران – سين – شور – صين – رفيديم – مارة – إيليم. تبعيرة – فبروت هتأوة – حضيروت. مقهيلوت – جبل هور – قادش برنيع – فم الحيروث ـ وسكوت)؟! ولابد حتما أن تكون هذه الأسماء من بناء أجدادنا أصحاب الأرض وليس شرذمة بني إسرائيل الهاربين...

وتذكر التوراة أن بني إسرائيل مروا على التوالي، بثلاثة صحارى، هي الواردة في النص التالي بالترتيب(سفر الخروج 15: 22): ثم ارتحل موسى بإسرائيل من البحر الأحمر، وتوجهوا نحو صحراء شور، 27: ثم بلغوا إيليم ... 16: 1: ثمّ انتقلوا من إيليم حتى أقبلوا على صحراء سين، الواقعة بين إيليم وسيناء. وجاء في نص آخر: 17: 1 وتنقل بنوا إسرائيل على مراحل، من صحراء سين ... إلى أن خيّموا في رفيديم ...19: 2 فقد ارتحل الإسرائيليون من رفيديم إلى أن جاءوا إلى برية سيناء، فنزلوا مقابل الجبل فصعد موسى للمثول أمام الله، فناداه الرب من الجبل ... 20 ونزل الرب على قمة جبل سيناء... وهذه النصوص تشير إلى أن جبل سيناء، هو اسم الجبل الذي أوحي بجانبه إلى موسى، وأن برية سيناء هي تسمية للمكان الواقع مقابل جبل سيناء اشتقاقا من اسم الجبل نفسه. وأن برية سيناء هي الأبعد عن مصر، لأنه بينها وبين مصر تقع محطات أخرى مثل رفيديم وإيليم، كونها كانت آخر الصحارى التي مرّوا بها أثناء مسيرهم، باتجاه بوابة الأرض المقدسة.

بينما في إطلاق التسمية، فقد أطلقوا مسمى سينا على كل المنطقة (شبه الجزيرة بالكامل بمساحة 61 ألف كلم2)، في حين أن المساحة التي تنقلوا فيها بعد الخروج كانت عبارة عن قرى متعددة

وواحات وصحارى ومجتمعات وقبائل منتشرة هنا وهناك، ومن بينها واحة تسمى سينا وأخرى تسمى سين وثالثة صين ورابعة رفيديم وخامسة شور وسادسة فاران وسابعة مارة وثامنة إيليم وتاسعة تبعيرة وعاشرة قبروت هتأوة وحادي عشر حضيروت وثاني عشر مقهيلوت وثالث عشر جبل هور ورابع عشر قادش برنيع ..إلخ. لكن عملية إطلاق كل هذه المسميات وتثبيتها داخل شبه الجزيرة كان أمرا مستحيلا، لأنها تقريبا خالية من السكان ولن يجدوا لهم من يحفظ هذه الأسماء، فقرروا اختيار اسم واحد فقط هو سين المشتق من اسم الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى باعتبارها أهم المناطق، مقارنة بالمناطق الأخرى التي مروا بها أو خيموا فيها عدة أسابيع، ولذلك اختاروا أسهل الحلول بإطلاق مسمى سينا وحده على الجبل والمنطقة المحيطة به ثم بدأت عملية التقديس بنشر قصص وحكايات موسى كليم الله والشجرة ..إلخ فانطلق الاسم على المنطقة بالكامل (61 ألف كلم^2). ثم قاموا (نظريا بتقسيمها من الداخل لوضع باقي القرى والواحات التي مروا بها وكأنهم كانوا يدورون داخل قرية سينا فيمرون على مدينة رفيديم ثم مدينة إيليم ثم مدينة شور، ثم مدينة مقهيلوت ...إلخ !! لكنهم بعد ذلك جعلوا بوابة الأرض المقدسة في الشام !! بينما تخبرنا البرديات أن سكان شمال سيناء كان اسمهم "الهروشاتيو"، وجنوبها وهم " المونيتو "،كما أطلقت عليها الوثائق الفينيقية اسم "هيروشايتو" أي أسياد الرمال.

أما العجيب أنهم يعتبرون شبه الجزيرة خارج نطاق السيادة والحدود الجبتية، لأنهم حينما أطلقوا على هذا البلد اسم "مصر" حددوا نطاق الاسم شرقا بنهاية خط بور سعيد السويس، أي قناة السويس حاليا، وهذا كان نطاق مصر الواردة في التوراة (مصرايم) التي خرجوا منها ودخلوا برية سينا، أما ما بعد قناة السويس فهو إقليم مستقل عن مصر، فهم يقسمون المنطقة وفقا للتوراة، والتوراة تذكر أنهم خرجوا من أرض مصرايم ولجأوا إلى برية سينا، أي أن سيناء كانت إقليم مستقل تماما في ذهنيتهم عن مصر، ولهذا عندما غرسوا اسم إيجبت بدلا من مصرايم في التوراة أبقوا على اسم سينا الإقليم المجاور له، وأطلقوا هذا الاسم واقعيا بالتزامن مع إيجبت، وقد وردت إشارة إلى ذلك في المذكرة الرسمية التي قدمتها المنظمة الصهيونية العالمية إلى مؤتمر السلام بعد الحرب العالمية الأولى تضمنت رغبة الصهيونية في مناقشة هذا الأمر بشأن الحدود بين (مصر وسيناء)، حيث جاء فيها عبارة " إلى الجنوب خط يتم الاتفاق عليه مع الحكومة المصرية " وكانت القوات الإنجليزية منتشرة على طول قناة السويس، ما يعني أن مصر حدودها تنتهي عند هذا الموضع.

ففي حين يقول رئيس الوزراء الصهيوني بنجورين أن هناك وصية بعدم العودة لمصر [1] ، يرد في خطابه في الكنست في 7 تشرين الثاني(نوفمبر) عام 1956 م إثر احتلال إسرائيل لسيناء ضمن العدوان الثلاثي قوله:" كما تعلمون، فإن قواتنا المسلحة أنجزت قبل يومين إثر حملة صاعقة استمرت أقل من سبعة أيام تطهير شبه جزيرة سيناء.. إن قواتنا لم تعتد على أرض مصر، بل لم تحاول أن تفعل ذلك " [2] ! بل إن إسرائيل ما زالت تحلم باحتلال شبه الجزيرة لتحقيق أمنها القومي، لأن احتلال سيناء يمكنها من قطع الصلة بين جناحي الوطن العربي تماما.. وهذا أمر خطير يشكل هوسا في عقول اليهود [3] . برغم أنهم بحثوا جيدا خلال فترة احتلال سيناء وأرسلوا أكثر من ثلاثة آلاف باحث متخصص في الآثار وقاموا بتمشيط المنطقة بالكامل ولم يعثروا على ثمة أثرٍ هناك، فالأرض لا تنطق بأي حقيقة يمكن أن تتطابق مع مزاعمهم [4] .

نعود إلى تقسيم اليهود لسيناء داخليا بصفتها إقليم مجاور لمصر التوراتية، مع مراعاة أن هذه الكلمات (التوراتية) هي أسماء وليست ترجمة معنى بل تنطق الكتلة الصوتية هكذا، فلو كانت هذه المسميات موجودة في بلادنا، مثل رفيديم ومقهيلوت..إلخ، فمن الطبيعي أن يكون من أطلقوها هم سكان هذه البلاد وتكون بلغتهم الهيروغليفية وليس بالسريانية والعربية المنتشرتان في جزيرة العرب.. ولا يمكن تحليل ذلك بغرس كلمة "رعمسيس" الهيروغليفية وسط عشرات الكلمات السريانية كما حدث عند ترجمة التوراة في عهد بطليموس إذ تم غرس أسماء خمسة مدن في التوراة منها مدينة أون ورعمسيس وسكوت...وتقول دائرة المعارف عن سينا: ويحدد موقعها على بعد "ستة أميال من فاران " [5] أي أن برية فاران تقع بالقرب من برية سيناء والمسافة بينهم لا تتجاوز عشرة كيلومترات، فإذا كان القرآن يقول أن إبراهيم أودع زوجته هاجر وابنها إسماعيل في برية فاران حيث بئر زمزم، وهكذا يقر جميع علماء الإسلام بأن برية فاران هي منطقة وديان وجبال مكة والتي كان

---

[1] ـ انظر عبد الوهاب الكيالي :المطامع الصهيونية التوسعية ص 105

[2] ـ القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص499 ـ نقلا عن

The Jewish observer and Midle East , Review. now 16, 1956 pp.11-15

[3] ـ انظر مذكرات الكولونيل (منير تزهاجن) بعنوان (مفكرة الشرق الأوسط 1917ـ1956م) ، وانظر عبد الوهاب الكيالي :" المطامع الصهيونية التوسعية ص 90ـ91 – انظر " العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها: الجزء الثالث" الدكتور أحمد إبراهيم الزغيبي ص 152

[4] ـ راجع حلقات الدكتور فاضل الربيعي على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=tKFrLZGWdUQ

[5]) ـ دائرة المعارف الكتابية حرف (ج) تحت عنوان (جبل سيناء)

بها إسماعيل وأمه هاجر وبئر زمزم، فهل من المعقول بعد ذلك أن نقول كما قال اليهود بأن برية فاران تقع داخل شبه جزيرة بياوو القبطية وبداخلها جبل حوريب والطور؟!

مع العلم أن مفردة " رفيديم " التي أسقطها اليهود على مساحة غير معروفة المعالم في شبه جزيرة بياوو القبطية التي أصبحت على يدهم "سيناء"، فكلمة رفيديم كما حللها د. أحمد داوود بالبحث في القاموس الكلداني تعني موطن أصحاب الأيكة وأهل مدين، الذين كانوا يطففون الكيل في الميزان ويسطون على القوافل التجارية، فهل تمر أي خطوط تجارة دولية داخل شبه الجزيرة الجبتية ؟!

إننا لا ينبغي أن نفرح باسم الجبل "طور سينا " الذي أطلقته الملكة هيلانة بعد زمن موسى بـ 1800 سنة لنصدق أنه هو جبل سينا كما البلهاء، فالاسم نفسه لم يكن متداولا في هذه المنطقة عهد موسى، وكافة الأسماء الأخرى لم تكن موجودة، لا في الماضي ولا في الحاضر! وكلها أسماء سريانية.. وكل ما في الأمر أننا ما زلنا واقعين تحت السيطرة الرومانية، ليس سيطرة عسكرية سياسية وإنما عقلية فكرية وثقافية، فنحن ما زلنا نقدس ما قدسه الرومان في بلادنا ونسير طوعهم، وهذا ما يؤكد أن الاحتلال الثقافي ما زال مسيطرا على عقولنا ولم تأخذنا الجرأة بعد للتجرؤ في وجه المستعمر ورفض إملاءاته ونقد قناعاته، فما زالت هناك أفكار وقناعات رومانية وعربية راسخة في عقولنا، وكلاهما خدم المخطط الصهيوني، لأن الصهاينة الإسرائيليين هم فسيلة عربية بامتياز، ولهذا حافظ اليهود بشتى السبل على تغذية هذه القناعات وبقائها حية في عقولنا.

وأما المعضلة الثانية في خريطة الخروج المزعومة هذه، فهي انحدار الجرف؛ بمعني أنه بعد شق المياه سيسيرون علي أرضية البحر اليابسة، فلو كانت أرضية البحر منحدرة بشدة فلن يستطيعوا أن يعبروا علي اليابسة وهذه إشكالية كبري في خليج السويس وأيضا أسفل خليج العقبة، لأن البحر الأحمر كله وفرعيه عبارة عن صدع صخري كبير حدث في عصور مبكرة أن تصدعت الصفيحة الصخرية من اليمن وإثيوبيا إلى العريش واستمر الصدع شمالا حتى بلاد البلقان، فأدى إلى انفلاج المنطقة وانبعاج في اليابسة ظهر على أثرها سلسلة جبال عسير وتهامة في الشرق بالجزيرة العربية، وسلسلة جبال البحر الأحمر في الغرب بطول الساحل حتى السويس، وما بينهما أن الصدع الصخري المكون للبحر الأحمر وخليجي العقبة والسويس، يعني حتما أن عمق البحر الأحمر يساوي ارتفاع سلسلة جبال البحر الأحمر غربا، وسلسلة جبال سراة تهامة وعسير شرقا، وهو ما يعني أيضا أنه بعد عدة أمتار من شاطئ البحر يبدأ انحدار جرف صخري حاد لا يمكن الهبوط عليه وصعوده مرة أخرى بالأطفال والأغنام

والأبقار، فممر الخروج ضيق جدا يحتاج أيام كثيرة ليعبر كل الشعب، الممر في بدايته ينحدر بشدة إلي 205 متر فجأة، فمن الصعب علي الشعب أن ينزلوا هذه الزاوية الحادة جدا لكي يعبروا ويعبر شخص أو أكثر لأن النقطة الملاصقة عمقها 309 متر ثم يصعد مرة أخري بزاوية أيضا حادة بذات الدرجة ! ولا يمكن لفرعون عبوره بجيشه وعجلاته الحربية إلا فردا فردا ولا يمكن عبوره في ليلة. إنما لو تصورنا أن العبور كان في مجرى نهري مهما كان متسعا فهو ممكن في كافة الأحوال، خاصة أن الملتقى المائي الذي حدده الباحث السعودي د. أحمد القشاش في سراة غامد جنوب غرب الجزيرة العربية، فهو ممكن جدا لأنه عبارة عن تراكم مائي أو بحيرة متسعة نتيجة تجمع المياه في منخفض، وليس صدع صخري قاري حاد مثل البحر الأحمر.

يقول الباحث السعودي د. أحمد القشاش [1] ورد اليم مضافا إلى كلمة سوف (ים סוף- يم سوف) [2] وترجم في التوراة حيثما ذكر إلى البحر الأحمر أو بحر القلزم [3] ، ويرى الدكتور قشاش أن هذه الترجمة لا تصح لأن كلمة سوف تعني الحلفاء كما جاء في تراجم النص الذي ذكر أن أم موسى وضعته بين نبات الحلفاء (سوف- סוף) على شاطئ النهر [4] والحلفاء ومثلها البوص والبردي لا تنبت إلا على ضفاف المياه العذبة لا المالحة [5] وقد جاء النص في ذلك في سفر إشعيا 6/19، وأن اليم الذي انفلق لموسى هو حوض مائي لأحد الأنهار العذبة التي اعترضت موسى وقومه في طريق خروجهم من منطقة جازان (مصر القرآنية) إلى أرض الكنانيين (الكنعانيين) وقد رجح بالاعتماد على كثير من القرائن أنه قاع وادي الشقيق الذي عرف أيضا بوادي موسى، والوادي المعجز، ووادي المجزاع أي وادي العبور.

ويقول القشاش: لعل هذه النتيجة تضع حدا للخلاف الذي طال أمده حول معنى وموقع اليم الذي انفلق لموسى سواء كان ذلك الخلاف بين علماء أهل الكتاب أو العلماء المسلمين، حيث وصل الحال ببعضهم إلى درجة عالية من التردد تصل إلى حد اليأس في إمكانية معرفة ذلك اليم. يقول: قليني

---

[1] ـ د. أحمد سعيد القشاش بحث بعنوان ألفاظ جغرافية من القرآن والسنة النبوية منشور بمجلة الجامعة الإسلامية ، وهو من كتاب له بعنوان التاريخ الجغرافي في القرآن والتوراة ص 434 إلى 442

[2] ـ سفر الخروج 19/10

[3] ـ انظر سفر الخروج 19/10 ، وأطلس الكتاب المقدس 18 ، ودائرة المعارف الكتابية (البحر الأحمر 75/2)

[4] ـ انظر سفر الخروج 3/2

[5] ـ انظر كتاب د. القشاش: النبات في جبال السراة والحجاز 585 ، 627 /2

نجيب، وهو أحد الباحثين في الكتاب المقدس" لما كان مكان العبور تحديدا لم يتعين بعد عند الباحثين، فهم يرفضون أن يكون العبور قد تم عن طريق البحر الأحمر نفسه، وقلة منهم يميلون إلى اعتباره خليج السويس، والأكثرية تميل إلى أنه كان عبر بحيرة من البحيرات، والتي اختلفوا أيضا في تحديد أيها كانت طريقا للعبور، هل المنزلة أم التمساح أم إحدى البحيرات المرة "[1]. غير أن سياق الحكايات التوراتية يؤكد بوضوح أن مصر فرعون هذه ما كانت إلا عشيرة ضمن عشرات العشائر المتجاورة المتناحرة في جنوب غرب الجزيرة العربية، ولا يمكن تصور أن تكون مصر فرعون مملكة كبيرة بحجم إمبراطورية إيجبت العظمى ؟ وهل يخرج جلالة الملك رمسيس الثاني ليجري خلف عشيرة مثل هذه ؟

ولو علمنا أن عدد بني إسرائيل ابتدأ بـ 70 **شخصا، تقول التوراة في سفر التكوين: وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفسا " وهم بني يعقوب و زوجاته و أبناؤه الاثنا عشر و زوجاتهم و أبناؤهم. وبعد ستة أجيال متتالين جاء جيل موسى كما هو واضح من نسبه هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم" في فترة من** 150 **إلى** 200 **عام من يعقوب إلى موسى. وبحساب بسيط وفرضيات نمو سكاني علمية يمكن تقدير عدد بني إسرائيل أيام موسى (ع):**

عدد بني إسرائيل ابتدأ ب 70 **نفسا وتكاثروا خلال فترة من** 150 **إلى** 200 **عام – فأصبحوا أيام موسى** 700 **نفس أو حتى ألف شخص، فكيف قفز هذا الرقم الهامشي إلى** 600 **ألف كما يقول اليهود ؟! ثم إذا علمنا أن فرعون كان يخشى تفوق بني إسرائيل المقيمين في مصره عددا فهذا يكشف لنا أن عدد المصريمين كان متقاربا معهم. فقد ورد في كتاب الكنزارا للصابئة المندائية والذين سبق تراثهم تراث اليهود أن عدد من خرج مع فرعون من جند ومن حشر من الناس قرابة** 770 **فردا فقط. فيكمن بذلك تقدير مجموع السكان الكلي بمصر أيام موسى كالتالي:** 700 **نفس آراميين مصريمين +** 700 **نفس عرب كتابيين إسرائيليين =** 1400 **نفس. فكم يا ترى مساحة هذا المصر الذي كان يقطنه** 1400

---

[1] **ـــ انظر دراسة بعنوان (هل مكان عبور بني إسرائيل ما زال مجهولا؟) والدراسة منشورة في موقع المكتبة القبطية الأرثوذوكسية (23/9/1437 هـ)**

http: //st-takla. org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/630. Html

نقلا عن د. أحمد القشاش – المصدر السابق

نسمة ! .. أو حتى عشرة آلاف نسمة ؟! في الوقت الذي كان عدد سكان مملكة إيجبت يصل إلى سبعة ونصف مليون نسمة. ما يعني أن عدد سكان مصر فرعون هذه لا يكفي الخدم والحشم والحرس في مملكة إيجبت. برغم أن رمسيس باشا لم يكن لديه الوقت الكافي لملاحقة هؤلاء الشرذمة الضالة، فقد كان مشغولا جدا بأمور بلاده وشعبه؛ وهذا خطاب الملك رمسيس الثانى للعمال:



"أنتم أيها العمال الشجعان المهرة الذين يقطعون لي آثار بأي كمية، وأنتم يا من يعشقون العمل في الحجر الثمين الممتاز، ويا من يحترفون في شغل الجرانيت الأحمر والمتمرنين على حجر (بيا)، وأنتم أصحاب الشجاعة والقوة في صنع الآثار لأملأ بها كل معابدي التي أبنيها طيلة الحياة. أنتم أيها الرجال الطيبون يا من لا يعرفون التعب، ويا حراس العمل طوال الوقت، و يا من ينفذون واجباتهم بإتقانٍ تام، وأنتم يا من يقولون إننا نعمل بعد التروي للذهاب لهذه الخدمات في الجبال المقدسة، لقد سمع ما يقوله بعضكم لبعض، وإن فيكم لبركة لأن الأخلاق تظهر على حسب الكلام. وإني " رعمس مرى آمون" الذي ينشىء الشباب (يربي النشء) بتوفير الطعام والأغذية، وليس بينكم جائع، والطعام وفير حولكم، ولقد كفيت حوائجكم من كل وجه صحيح حتى تعملوا بقلوب مُحبة، وإني دائما أحافظ على احتياجاتكم، وإن المؤن قد أصبحت لديكم أثقل من العمل نفسه لأجل إن تتغذوا وتصبحوا عمالا صالحين(للعمل)، لأني أعلم تماما وجيدا عملكم الذي يمكن أن ينشرح له كل من يعمل فيه عندما يكون البطن مملوءا. فالمخازن مكدسة بالغلال لكم حتى لا يمر عليكم يوم تحتاجون فيه للطعام. وكل واحد منكم عليه عمل شهر. ولقد ملأت لكم المخازن من كل شيء من خبز ولحم وفطائر ونعال وملابس وعطور لتعطير رؤوسكم كل أسبوع (الأسبوع عشرة أيام) و لأجل كسائكم كل سنة، ولأجل أن تكون أخمص أقدامكم قوية دائما، وليس من بينكم من يمضى الليل يئن من الفقر، ولقد

عينت خلقا كثيرا يوفروا لكم المؤن، وكذلك صيادين ليحضروا لكم سمكا وآخرين بمثابة بستانيين لينبتوا لكم الكروم، وصنعت لكم أواني واسعة على عجلة صانع الفخار مسويا بذلك أوعية لتبريد الماء لكم في فصل الصيف. والوجه القبلي يحمل لكم حبا للوجه البحرى، والوجه البحرى يحمل للوجه القبلي حبا وقمحا وملحا وفولا بكميات وفيرة. ولقد قمت بعمل كل هذا لأجل أن تسعدوا وأنتم تعملون بقلب رجلٍ واحد."

هذه كانت عقلية جدنا العظيم رمسيس باشا وهو يسهر على رعاية عماله وموظفيه ويوفر لهم الطعام والماء البارد في فصول الصيف، ويوفر لهم الأغذية والملابس والأحذية والعطور وكل احتياجاتهم، ولم يكن من السفاهة أن يفكر في استعباد بني إسرائيل كي يقيموا له مدن بالطين المعجون بالتبن ! ولم يكن لديه وقت يفكر في ملاحقة شرذمة ضالة مثل بني إسرائيل إن كانوا قد دخلوا بلادنا أصلا، بل إن هذه العقلية العملية المتواضعة هي ما جعل عالم النفس اليهودي الشهير سيجموند فرويد يقول بأن عقدة اليهود الأزلية هي الحضارة الجبتية القديمة.

فاليهود صنعوا حديثا أدلة مزيفة ليثبتوا أن جبل الطور يقع في شمال السعودية، عندما وجدوا أن جبل الطور في سيناء الجبتية غير ملائم وعليه انتقادات كثيرة.. فوضعوا في خليج العقبة بقايا عربات حربية مشابهة لما في الرسوم الفرعونية.. ثم زعموا أنها من بقايا العربات التي كانت تتبع موسى وقومه ... على اعتبار أن العجلات الحربية تميز الحضارة الجبتية القديمة، برغم العرب قديما برعوا في صناعة العجلات الحربية التي تجرها الخيول وأخذها منهم أجدانا الجبتيون القدماء في حقبة الاحتلال الهكسوسي العربي وطوروها وهجنوا سلالة الخيول أيضا. ولذلك ما زالت إلى يومنا هذا نطلق على السيارة "عربية " وهذا الاسم أطلقه أجدادنا وصفا على العجلات الحربية التي ابتكرها العرب، لأنهم كانوا أمة حروب وإغارة وكانوا محترفين في السلب والنهب والغزو منذ فجر التاريخ. لكن اليهود اعتادوا غرس الآثار في كل مكان، ليس فقط غرس قصص وحكايات تاريخية، إنما غرس آثار قديمة تبدو حقيقية، وهو ما فعلوه في رسائل تل العمارنة.

كل هذا يؤكد أن الإسرائيليين بعد خروجهم من مصرايم كانوا يتجولون في الحجاز وليس في شبه جزيرة سيناء الجبتية إطلاقا... أليست مصادفة أن نجد أسماء عربية مرتبة في أرض غير عربية، فكلمة طور كلمة عربية صرفة، فهل كان أجدادنا الأقباط يستخدمونها في الهيروغليفية كما استخدمها القرآن ؟! وكلمة سيناء كلمة سريانية الأصل، وعربية أيضا، فهل كان أجدادنا الأقباط

يستخدمونها في الهيروغليفية ؟! وكلمة فرعون كلمة سريانية فهل كان أجدادنا يستخدمونها في الهيروغليفية ؟ وكلمة مصر من أصل سرياني، فهل كان أجدادنا الأقباط يستخدمونها في الهيروغليفية ؟! وهل استخدموا كلمات أخرى من السريانية في بناء الأهرامات والمعابد وحفر الترع والقنوات؟ أم فقط استخدموا الأسماء التي سترد حصرا في قصة موسى وفرعون ؟! ألا يعني ذلك أن هذه الأسماء منزوعة من وطنها ومغروسة في بلاد وادي النيل ؟! لأننا لو بحثنا في كل أسماء المدن والقرى وأسماء الملوك والأشخاص سنجد الأسماء التي وردت في قصة موسى فقط والتي هي من أصل سرياني فلماذا لم يستخدم أجدادنا كلمات أخرى من السريانية ؟! أم أن اليهود غرسوا ما يحتاجونه فقط؟!

فلا بد أن ندرك جديا أننا عجم، ولا يوجد في بلادنا أسماء عربية، ولا سريانية، ومسمى " سيناء " لم يكن موجودا في بلادنا ولا في لغتنا قبل دخول اليهود، وأي كلمة عربية موجودة في بلادنا يمكن تأريخها بعد دخول العرب بسهولة. حتى وإن حاول الأدباء والمؤرخون إعادة مسمى سيناء إلى "إله القمر "عند البابليين، فلا يمكن أن يقسم الله بإله قمر البابليين محتفيا به حين يقول " والتين والزيتون ﴿ وطور سينين ﴿ وهذا البلد الأمين".. لأن الإله "سين" الآشوري اسم علم مفرد، أما أن الله قد أقسم بصيغة الجمع من الكلمة "سيني " التي تعني شجر العوسج الذي يغطي الجبل، وجمعها "سينين"، هذا باللسان السرياني وأما العربي فهي "سينا أو سيناء " ولأنه ببساطة طور سينين هو طور سيناء الموجود في السعودية ومعروف بهذا الاسم العربي قبل نزول القرآن ولم يكن هذا الاسم موجودا في بلادنا وادي النيل عند نزول الإسلام، إنما السادة المؤرخين صدعوا رؤوسنا بتكهناتهم حول تجليات الإله سين هذا، أما الكارثة أن إله القمر "سين" هذا كان معبودا في بلاد اليمن، غير أن البلد الأمين التي يقسم بها الله هي بلد الحرم، التي فرض الله فيها عدم الصيد وعدم القتل وقال أن من دخله كان آمنا ..

أما شبه الجزيرة الجبتية فقد كان اسمها بياو، وتعدد أسماؤها وجميعها كانت مصادرها الهيروغليفية، كما أوضحنا شهادة المؤرخ الفرنسي "إميل لودفغ " أن شبه جزيرة سيناء ورد اسمها في قوائم مانيتون وبرديات وثائق معبد منف باسم " أرض الأبواب السبعة " (ومعروف أن مانيتون 270 ق.م) وكان أول اسم أطلق على أرض سيناء (إيب جبتاه؛ أي بوابة أرض الإله [1]) ثم أطلق عليها اسم " (بوابة بياو – أي بوابة أرض المناجم) بداية عصر الأسرات وأطلق عليها تحتمس الثاني (باب قلعة الدفاع عن أرض الإله) وأطلق عليها رمسيس الثاني (بوابة مقبرة الغزاة) وأطلق عليها سنوسرت الثاني عندما قام بحفر قناة

[1] ـ وردت " قلب الإله لكن الصحيح : أرض الإله "

سنوسرت اسم (أرض السلام) [1] .أما الدولة الحديثة فأطلقت عليها "خاست مفكت" أي أرض الفيروز أو دومفكات أي مدرجات الفيروز، " [2] . وإذا كان كل هذا الاهتمام بشبه الجزيرة، نظرا لكونها مغمورة بالمناجم والمعادن والفيروز، وكان بها الكثير من الطرق الحربية والقلاع والحصون، فهل من المتوقع أن يُترك بني إسرائيل يعيثون فيها فسادا على مدار أربعين عاما !

وما يؤكد عدم وجود بني إسرائيل على أراضي وادي النيل هو أنه لم يرد أي كلمة من جذور قبطية هيروغليفية بالتوراة لا ضمنيا ولا صراحة في التوراة الأصلية المكتوبة باللغة السريانية، ولو كانوا في بلادنا وادي النيل لكانت التوراة قد ذكرت لنا مئات الأسماء الهيروغليفية صراحة كما ذكرت مئات أسماء المناطق العربية المعروفة هناك، إنما التوراة ذكرت " فاران – سين – شور – صين – رفيديم – مارة – إيليم تبعيرة – فبروت هتأوة – حضيروت مقهيلوت – جبل هور – قادش برنيع – فم الحيروث ـ وسكَوت ـ و برية فاران " وهي معروفة بدقة أنها منطقة تخوم مكة التي تربى وعاش فيها نبي اللّه إسماعيل، أي أنه في كل عهود كتابة أسفار التوراة لم يكن مسمى " سيناء موجودا في بلاد وادي النيل، لأن التوراة كانت تذكر المناطق بأسمائها المعروفة وتصفها أيضا كأن تقول " أرض شور التي هي أمام مصرايم "، أو تقول " قرية أربع التي هي حبرون "، وهكذا، فالأمر لا يتوقف على عملية زحف قبيلة من مجرى النيل إلى الصحراء الشرقية وعبور مجرى مائي، إنما التوراة تذكر عشرات الأسماء لقرى ومناطق وجبال وواحات وتجمعات سكنية وعشائر ومجتمعات مستحيل أن توجد في بلاد وادي النيل على مدار آلاف السنين.

ألا تدري أن مساحة تهامة عسير والحجاز أكبر من سيناء الحالية بكثير ومأهولة ووديانها مزروعة وحرثها وسقايتها كانت على البقر تحديدا، وفيها البراكين المذكورة؟ أما سيناء المزعومة فكانت تحت حراسة شديدة من سلطة دولة إيجبت المركزية والتي كانت في عز قوتها، فمستحيل أن يهربوا إليها ويمكثوا40سنة ! فهم فقط تمكنوا من غرس المسمى الرئيسي باللسان اليوناني"سينا " بينما الكلمة في العبريّة تنطق هكذا " سيني "، وفي السريانيّة سيني أيضا وجمعها سينين. وفي اليونانيّة سينا، ولما دخل العرب بالقرآن وقد نطقها سينا، فاستمرت باللغة الشائعة سينا كما هي وباللغة العربية الفصحى سينا كما نطق القرآن، وبعض القراء وضع لها همزة فنطقها " سيناء "، بينما هي في الواقع غير

[1] ـ خالد عكاشة – كتاب " سيناء أرض المقدس والمحرم . الرابط: https://tinyurl.com/mrxj7csu

[2] ـ سامح مقار ناروز ـ كتاب " اللهجة العامية وجذورها الجبتية . الرابط: https://tinyurl.com/ysvt66nz

موجودة في بلادنا. ولو بحثنا وراءها سنجدها تتلوى في دهاليز العبرية اليهودية مثل أسطورة مصرايم ابن نوح الذي بنى مدينة منف وأطلق عليها اسمه فصارت مدينة مصر ، فالحقيقة أن مدينة منف هذه قرية تقع في جنوب الجزيرة ونقل اليهود اسمها إلى أقدم عواصم العالم في إيجبت !

ولذلك يقول الدكتور فاضل الربيعي " كان لا بد للباحث الجاد والموضوعي أن يبحث عن الحقيقة التاريخية، مسلحا بمعرفة معمقة بلغة التوراة القديمة كي يتغلب على عيوب الترجمة إلى العربية، والإسقاط المختل للأماكن والأشخاص والتواريخ، ولكي يمسك بتلاوين التلفيقات والزيوف المتعمدة، والتي خلطت بين الأفعال والأسماء وتعسفت في ربط سيرورة الحوادث مع المواقع الجغرافية بحيث جاءت على نسق يتعذر تصديقه".

وقد أجرى الباحث السعودي د. أحمد سعيد القشاش بحثا ميدانيا في الساحل الغربي والجنوبي الغربي للجزيرة العربية مستخدما الوسائل والأدوات وأدلة البحث الميداني في المنطقة متتبعا خط سير العشيرة الإسرائيلية منذ ميلادها وحتى دخولها مرحلة التيه في الصحارى المجاورة لمكة بعد امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة مع موسى (ع) وحتى يثبت الباحث ذلك، استخدم وسائله الخمس المنطقية والذكية، كدليل، بدأها باللهجات في منطقة السراة، حيث أثبت من خلال ضمائر الرفع المنفصلة في اللهجات الحية في منطقة جنوب غرب المملكة، عروبة التوراة، وقد نجح، ليس هذا فقط، لكنه حددها كمكان لعروبة التوراة، وقد جعل هذا البحث أساسًا مهمًا لكل بحوثه الأربعة الأخرى في ذات الميدان.

ثم في الخطوة الثانية انتقل إلى الدليل الثاني الذي استخدمه لإثبات زيف وبطلان مبررات وجود دولة إسرائيل، فكان أن لجأ إلى أسماء النباتات الصمغية المنتشرة في منطقة جنوب غرب المملكة موطن اللغات السامية وأهلها البائدين، ومنها قبيلة إسرائيل، لقد رصد أسماء ست (نباتات) ما زال استخدامها قائمًا حتى اليوم وبنفس الأسماء التي وردت في التوراة، وبهذا قدم الدليل الثاني لعروبة التوراة وعروبة المكان.

ثم انتقل إلى دليله الثالث، وهو المشترك العربي العبري في لهجات السراة من ألفاظ الزراعة، والماشية، حيث أثبت أيضًا بهذا البحث الثالث عروبة التوراة، وعروبة المكان، من خلال ألفاظ عربية ما زال

استخدامها قائما حتى اليوم، وقد وردت بنفس الأسماء في التوراة. [1]. من هذه الأسماء العربية المشتركة مع بقية اللغات السامية، وعلى رأسها التوراة، عشرة أسماء مشتركة من ألفاظ الزراعة التي ما زال يستعملها أبناء العرب العاربة في حياتهم الزراعية اليومية بمنطقة جنوب غرب المملكة، وهي واردة لفظا بالتوراة، ومنها: التلم: وتعني خط المحراث

- (الجَرِين): (وجمعها (جُرن)؛ وهو ساحة البيت المفتوحة بدون أسوار، ويتم استعماله أيضا مكانا لدياس أعواد الحنطة، لفصل القمح من سنابله، وتحويل قصب القمح إلى علف.
- (الحَرْث): بمعنى العمل في تربة الأرض الزراعية.
- (الحِلقة): لفظ يطلق على مساحة الأرض وهو حوالي (400 متر مربع) فيقول الفرد أملك ثلاث (حِلِق) أو أربع.. وهكذا.
- (الدِّياس): عملية فصل حب الحنطة من سنابلها.
- (الذَّري): عملية فصل حبات القمح من التبن بعد الدياس، بواسطة الهبوب.
- (الزَّرع): لفظ يطلق على أي نبات يتم زرعه مثل القمح والشعير؛
- (السَّدَة) لفظ يطلق على أي أداة مانعة، مثل منع جريان المياه في الأنابيب
- (الشَّبَر): وهي العطية حيث يقال (شَبَرتك) تعطيني شيئا.
- (الكَن) وهو بئر قصيرة بقامة الرجل يتم حفرها على حواف الأودية.

تلك الأسماء وغيرها الكثير من اللهجات العربية المستعملة حتى اليوم، في مناطق الجنوب الغربي من المملكة، هي أسماء وردت في التوراة، وهناك المزيد من الأسماء المشتركة الزراعية التي تثبت عروبية المكان وعروبة التوراة. وهناك أيضا المشترك من ألفاظ الماشية، مثل: البقر، الجمل، الغنم.. إلخ.. وإذا نظرنا إلى اليم الأول حيث ألقي موسى فهو متاح في تلك المنطقة، وإذا نظرنا لليم الثاني حيث عبروا وغرق فرعون،

---

[1] من مقال للأستاذ أحمد سعد؛ رئيس تحرير موقع مجلة " العربي اليوم " بعنوان: التوراة عند أحمد قشاش وكمال الصليبي (8)

ويقول في ثنايا مقاله : " إن الأسماء، التي استشهد بها الباحث يعرفها كاتبكم جيدا، بصفته أحد أبناء المنطقة.. حيث كان الكاتب قد بدأ سلسلة مقالاته المرقمة بذات العنوان ناقدا لأبحاث أحمد قشاش، ثم تحول في النهاية وأعرب عن احترامه لجهود القشاش في أبحاثه الخمسة في هذا الميدان، تقديرا للجهد والاجتهاد، وأيضا إعجابا بالتوجه والاهتمام، ، ويبدي الكاتب دهشته من قوة الأبحاث وموضوعيتها، برغم أنه كما يقول: " إنني ما زلت أحمل جذورا تاريخية ترفض الجديد، وتستكن تحت عباءة ما تعودت عليه.."

راجع المقال على الرابط التالي: http://elarabielyoum.com/show246365

فهو متاح أيضا حيث طبيعة المنطقة، وإذا نظرنا لليم الثالث حيث طحن موسى العجل الذي عبدوه فهو متاح أيضا حتى في تخوم مكة، لأن منطقة الحجاز ليست صحراء جافة طوال العام إنما تجتاحها السيول والأمطار بصورة موسمية، وهي مليئة بالوديان والمجاري النهرية الموسمية.

وفي مداخلة له على صحيفة المدينة [1] ، أشار "قشاش" إلى أنه مكث في جمع هذه الأبحاث حوالي ثلاث سنوات متتالية، ونشر أبحاثه في مجلات علمية محكمة داخل المملكة وخارجها، متطرقا إلى عدد من الأبحاث اللغوية والجغرافية التي تتصل بالقرآن الكريم والتوراة، ومن بينها بحث استمر في جمعه ست سنوات، وخلص من كل هذه الأبحاث إلى أن التوراة لها أصل عربي قديم كتب بلهجات تماثل لهجات أهل السراة. ومضى "قشاش" في إثبات فرضياته إلى الإشارة أن لديه بحثا في ألفاظ الماشية والزراعة لأهل السراة، كونها كانت أكثر أساليب الحياة ذيوعا وانتشارا، وتقوم عليها حياة الناس في ذلك العهد قبل نحو 3000 سنة، قائلا: والغريب العجيب أن لهجات أهل السراة كانت إلى قبل 50 سنة تقريبا لا تختلف كثيرا عن اللغة التي كتبت بها التوراة. ولو رغبت أن أتوسع في ذلك لاتسع البحث، ولكن اقتصر على المنتجين؛ الزراعة والماشية.

كما أن هناك أبحاثا أخرى أيضا بعنوان "ضمائر الرفع المنفصلة في لهجات منطقة الباحة ومقارنتها بالضمائر في اللغة العبرية" كضمير "أنحن، وأت، وأتم" في لهجات بعض قبائل زهران، و"همه وهوه وهيه"، وكلها تشير إلى ما ذهبت إليه" ... هكذا يتتبع الباحث الجغرافيا اللسانية والثقافية قبل الطبغرافيا والتضاريس ليثبت أن التوراة نبتت في جزيرة العرب وأن شعب بني إسرائيل ما هم إلا فسيلة عربية بامتياز لكنهم احترفوا سرقة الأوطان، متفوقين بذلك على كل شعوب العالم التي اقتصر ذكاؤها على الاستعمار المؤقت لسرقة الثروات ! والمشكلة أن البحوث شحيحة فيما يخص هذا الأمر، وربما يكون الجهل بابا لبناء معلومات وتسويق تراث، وكل الاحتمالات واردة طالما كان أصحاب الحقوق والأوطان في غيبوبة.

كل هذه الألفاظ والمسميات الاصطلاحية التي وردت بالتوراة موجودة في البيئة العربية وما زالت مستخدمة حتى اليوم على المستوى الشعبي المحلي في منطقة السراة، ما يؤكد أن التوراة نبتت في هذه

---

[1] ــ موقع صحيفة المدينة، مقال كتبه (عبد الرحمن أبو رياح) بتاريخ الأربعاء 08 / 08 / 2018 ، بعنوان : قشاش: لهجات "السراة" قبل 50 سنة لا تختلف عن لغة التوراة " على الرابط التالي: https://www.al-madina.com/article/584846

المنطقة ولذلك استخدمت لغتها واصطلاحاتها المتداولة على ألسنة الناس، بينما لو بحثنا عن هذه المصطلحات في اللغة القبطية القديمة، فمن المستحيل أن نعثر عليها، لأنها ليست حتى مشتقة من اللغة السامية، بل هي لغة مستقلة بشعبها كتابة ولسانا.

وأما خطورة الدليل والاستنتاج، فتأتي حينما انتقل الباحث إلى دليله الرابع [1]؛ حيث سجل ألفاظا جغرافية من القرآن والسنة النبوية، وقد حدد بالاسم خمسة ألفاظ هي: (تِهامة)، (طوى)، (مِصْر)، (وادي النمل)، (اليَمّ). لقد صنع لنا الباحث مصيدة بهذه الدراسة ـ ولا نقول بحثاـ إنما مصيدة شديدة الإحكام قادرة على نقل جغرافيا التوراة من بلادنا إيجبت إلى بلادها الحقيقية العربية.

يقول الزهري :" كان بنو إسرائيل من أهل تهامة أعتى الناس على الله، وقالوا قولا لا يقوله أحد فعاقبهم الله بعقوبتهم وترونها الآن بأعينكم، فجعل رجالهم القردة، وبرهم الذرة وكلابهم الأسد، ورمانهم المظ، وعنبهم الأراك، وجوزهم الضبر، ودجاجهم الغرغر) [2]. ويقدم الدكتور قشاش توضيحا لهذا الأثر فيقول في حاشية كتابه " لعلنا نفهم من هذا الأثر أن بني إسرائيل كانوا يعيشون أولا في السراة حيث ينبت الرمان والعنب والبر والجوز، ثم كان عقابهم إخراجهم منها إلى سهول تهامة حيث ينبت المظ والضبر والأراك ويزرع أنواع الذرة، وما ذكر من حيوان هو مما يعيش إلى اليوم في السراة وسهول تهامة وأغوارها عدا الأسود التي انقرضت من تهامة وغيرها منذ ما يزيد عن مائة وعشرين عاما مضى، كما يشير إلى ذلك كثير من الروايات الشفهية، وأما الغرغر: هو ما يعرف اليوم بالدجاج الحبشي أو دجاج فرعون، وما زال يعيش بريا في سهول تهامة، وقد شاهده الباحث بنفسه مرارا عند زياراته المتكررة في تهامة عسير وجازان.

وهذا ما انتهت إليه استنتاجات الباحث السعودي "القشاش" من هذا البحث نصًا: أولا: " أن أرض (مصر) المذكورة في القرآن الكريم والتوراة ليست (مصر) الحالية، بل هي منطقة جيزان اليوم وما اتصل بها من

---

[1] ـ بحث الدكتور أحمد سعيد القشاش بعنوان: "ألفاظ جغرافية من القرآن والسنة النبوية – دراسة في الدلالة الجغرافية والتاريخية " منشور بمجلة الجامعة الإسلامية (الجزء التاسع) على الرابط التالي:
http://docportal.iu.edu.sa/iumag/pdf/2345.pdf

وهذا المبحث هو حلقة من خمسة أبحاث قدمها الدكتور قشاش في كتابه الرائع بعنوان: (أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة).. الكتاب منشور على موقع جمالون، على الرابط التالي: https://jamalon.com/ar/3105710.html

[2] ـ غريب الحديث لابن قتيبة 3/671 ، والفائق في غريب الحديث 3/372 نقلا عن د. أحمد القشاش في مقدمة بحثه السابق الذكر.

جبال السراة شرقا ". وثانيًا: " أن اليم الذي عبره موسى وقومه ليس البحر الأحمر، ولا نهر النيل، بل كان أحد القيعان النهرية الكبيرة التي تخترق سهول تهامة إلى البحر الأحمر"... وهذا في مجمله يؤكد أن موطن بني إسرائيل كان في سهول تهامة والسراة في بلاد غامد وزهران، وهناك تقع مملكة مصر البائدة، ومن هناك خرجوا من مصر وعبروا النهر وغرق فرعون وانتقلوا بعد موجات ارتحال متوالية في البراري إلى أن وصلوا مكة، وهي الأرض المقدسة التي بها ميقات موسى مع الله.



3ـ الخروج لأداء شعيرة الحج

تقول التوراة:لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إسرائيل: أنا الرَّبُّ. وأنا أخرجكم مِنْ تَحْتِ أثقال المِصْرِيِيم وأنقذكم مِنْ عُبُودِيتهِمْ وأخلصكم بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وبأحكام عَظِيمَةٍ .وَاتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبا وأكون لكُمْ إلها . فتَعلَمُونَ أني أنا الرَّبُ إلهكم الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أثقال المصْرِيِيم. ٨ .وأدخلكم إلى الأرض الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب. وأعطيكم إياها ميراثا. أنا الرَّبُّ. فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إسرائيل هَكَذَا وَلكِنْ لمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى مِنْ صِغَرِ النَّفْسِ وَمِنَ العُبُودِيَةِ القَاسِيَةِ. "[1]

ويتضح من هذه النصوص أن الأرض التي كان متجها لها بني إسرائيل هي الأرض التي سكنها إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل، وهي الأرض التي بارك الله فيها للعالمين ووعد الله إبراهيم أن يورثها له ولنسله، وهي أرض العبادة والحج وتقديم الهدي والذبائح بمكة المكرمة التي كانت وادٍ غير ذي زرع وعمرها إبراهيم بإيداع ابنه وزوجته وانبثاق الماء من البئر وتكاثر الأعراب حوله، مصداقا لقوله تعالي علي لسان إبراهيم (ع): ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾37/إبراهيم .

وبعد خروج بني إسرائيل من مصرايم كانت وجهتهم شعائر الحج كما أبيهم إبراهيم، حيث افتدى الله عبده إسماعيل من الذبح بفداء، هذا الفداء كان كبشا، واستمرت شعيرة الحج مع الذبح تتكرر في ذات الموعد كل عام، في العاشر من يوم ذي الحجة، وهكذا في كل الأديان، فقد استمرت هذه الشعيرة من إبراهيم إلى محمد ﷺ، فمن غير المقبول القول بأنها انقطعت مع موسى، بدليل نقرأ في التوراة: (خروج١٢): ١وقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ فِي أَرْضِ مِصْرَايِمَ.2هذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ. هُوَ لَكُمْ أَوَّلُ شُهُورِ السَّنَةِ.كَلِمَا كُلَّ جَمَاعَةِ إسرائيل قَائِلِينَ فِي العَاشِرِ مِنْ هذَا الشَّهْرِ يأخذون لهمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بُيُوتِ الآبَاءِ. شَاةً لِلْبَيْتِ... تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَرًا ابْنَ سَنَةٍ تأخذونه مِنَ الخِرْفَانِ أَوْ مِنَ المَاعِزِ. ٦وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ الحِفْظِ إِلَى اليَوْمِ الرَّابعَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ. ثُمَّ يَذْبَحُه كُلُّ جُمْهُورِ جَمَاعَةِ إسرائيل فِي الغشية... ١٤وَيَكُونُ لَكُمْ هذَا اليَوْمُ تَذْكَارًا فتعيدُونه عيدا لِلرَّبِّ (النص العبري: חַג לַיהוָה حج ليهوه ـــ أي حج الله). فِي أجيالكم تعيدُونه فريضَةً أبدية (النص العبري: עוֹלָם תְּחָגֻּהוּ

[1] ـ (سفر الخروج 6: 9-٦)

عولم تحجهو ـــ أي تجعلوه حج عالمي أو فريضة حج. (والنص بالتوراة السامرية: وليكن اليوم هذا لكم ذِكرا وتحجوه حجا لله. لأجيالكم سنة الدهر يحجوه) [1]. والنص بترجمة كتاب الحياة: "ويكون لكم هذا اليوم تذكارا تحتفلون به عيدا للرب، فريضة أبدية تحتفلون به في أجيالكم".

فعند تصفح نصوص التوراة نكتشف أن جميع الأعداد الوارد بها عبارة " ليعبدوا لي في البرية " جاء ت بالتوراة السامرية " ليحجوا لي في البرية " وكلمة " ليعبدوا " التي ترجمها المترجمون من التوراة العبرية هي ترجمة خاطئة من الأصل وتزيف متعمد للكلمة الواردة في التوراة العبرية ויחגו (ويحجوا)، فقلبوها مرة (ليعبدوا) ومرة (ليعيدوا) ومرة (ليحتفلوا) وكل ذلك لإخفاء كلمة الحج التي ترتبط حتما بالكعبة، فلا يتضح هدف خروج بني إسرائيل من مصر، وما هي الأرض التي كانت وجهتهم إليها، وهي أرض مكة بالطبع التي يقام بها شعائر الحج ويقدم فيها الذبائح والهدي الله أثناء أداء مناسك الحج، ومكة هي البيت المقدس الوحيد لله الموجود وسط برية، وقد استبدلوا كلمة مكة أيضا بكلمة البرية في هذه النصوص. فالنص العبري تظهر به كلمة الحج بلا لبس وهذا هو النص (سفر الخروج ٥: ١):

ואחר באו משה ואהרן ויאמרו אל־פרעה כה־אמר יהוה אלהי ישׂראל שׁלח את־עמי ויחגו (ويحجوا) לי במדבר

وترجمة النص بالعربية: وَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهارُونُ وَقَالا لِفِرْعَوْنَ: «هَكَذَا يَقولُ الرّبُّ الهُ إسرائيل: أطلق شَعْبي لِيَعِيدُوا لِي فِي البَرِّيةِ». (بالتوراة السامرية: ليحجوا لي في البرية).. والذبح هو العادة المتبعة في مناسك الحج منذ إبراهيم، إلى يومنا هذا في المكان عينه وفي ذات الموعد وضمن أداء شعائر الحج وبمناسبة فداء إسماعيل من الذبح، وهذا ثابت في كل الأديان السماوية من ذرية إبراهيم أبو الأنبياء. ولم يتغير موعد حج بيت الله الحرام الذي يقع في العاشر من شهر ذي الحجة.

تقول التوراة: ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور، فساروا ثلاث أيام في البرية ولم يجدوا ماء فجاؤوا إلى مارة (ممرا، مروة أو مرة). (ثم جاؤا إلى إيليم وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك عند الماء (خروج 15ـ27) ثم ارتحلوا إلى برية سين التي بين إيليم وسيناء) ـ وهي البرية المجاورة لجبل النور بمكة، وإيليم هي قرية أيلة في تخوم مكة ـ فحدث أن كان هارون يكلم كل جماعة بني إسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية وإذا مجد الرب قد ظهر في

[1])) ـ العدد رقم ١٤ من الإصحاح ١٢ لسفر الخروج بالتوراة السامرىة

السحاب.. فكان المساء أن السلوى صعدت وغطت المحلة (خروج 16ـ13). وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة حتى جاؤوا إلى أرض عامرة)....(ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل ونزلوا في رفديم.. فقال الرب لموسى مر قدام الشعب وخذ معك شيوخ إسرائيل وعصاك التي ضربت بها (النهر) خذها في يدك واذهب ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب).....(وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفديم)...(للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور...)

ومعروف أن الحجاز تاريخيا هي أرض العمالقة – عماليق، وكما سبق تساءلنا عن سبب هذه الحرب الضروس التي شنها العماليق على الإسرائيليين من دور إلى دور دون أن تذكر التوراة أي سبب لهذه الحرب! بينما في الواقع لم ينشأ هذا العداء الأزلي بين الإسرائيليين والعماليق إلا بعد واقعة غرق فرعون وجنوده لأنهم كانوا من عشيرة العماليق هذه، ولما غرق خلف الإسرائيليين تتبعهم بني عشيرته للانتقام من الإسرائيليين، وقد ذكرت المصادر التاريخية أن فرعون هذا كان من عشيرة العماليق، حتى من قالوا بأن مصر فرعون وموسى هي مملكة إيجبت قالوا ذلك باعتبار أن سلالة العماليق طمعت في حكم مصر وسيطرت عليها، لكن أثبتنا أن مصر وادي النيل كان اسمها وما زال إيجبت، وفي كافة الأحوال لا يوجد رابط بين فرعون موسى وإيجبت، لكن التوراة تجاهلت هذا وتجاهلت العداء الشديد بين عشيرة العماليق وبني إسرائيل عقب خروجهم من مصر برغم أن بني إسرائيل قبل هذا الحدث لم يكن لهم ذكر في التاريخ أصلا. لكن من عجائب الزمان أن تدور الأيام ويجلس زعماء هذه العشيرة الضالة على طاولة المفاوضات جنبا إلى جنب مع زعماء إمبراطورية إيجبت العظمى في معاهدات كامب ديفيد 1979م !

نعود إلى التوراة، حيث تقول: (وأتى يثرون حمو موسى وأبناؤه وامرأته إلى البرية حيث كان نازلا عند جبل الله) ..

ونتساءل هنا إذا كان اليهود يقولون بأن جبل الله هذا يقع في شبه جزيرة سيناء قرب شرم الشيخ حاليا، وأن يثرون كان موطنه في مدين الأردن، فما الذي جاء بيثرون إلى شرم الشيخ ؟ وما علاقته بهذا الجبل ؟ إلا إذا كانت مدين هي مدين العرب المديانيين إخوة الإسماعيليين حول مكة، وقد اعتاد يثرون أن يذهب للحج والذبح في مكة كل عام، فتقابل هذه المرة مع بني إسرائيل عند جبل الله في مكة وهو الجبل الذي يذبحون عليه منذ عهد إبراهيم، لأن يثرون كان عابدا وحاجا قبل أن

تبدأ رسالة موسى في قومه، أي أن شعيرة الذبح وقدسية الجبل لم تبدأ عند موسى وإنما من قبله في عهد إبراهيم، وهذا ما كان عليه نهج يثرون قبل معرفته بموسى. تقول التوراة (فأخذ يثرون حمو موسى محرقة وذبائح لله وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاما مع حمي موسى أمام (جبل الله) (**خروج** 18ـ12)

وهذا ما يؤكد ما ذهبنا إليه سابقا بأن يثرون استأجر موسى ثماني حجج أي ثماني مرات حج وليس المقصود بـ حجة أن تكون سنة 12 شهرا وإنما كناية عن عدد مرات الحج، فقد تقابل موسى وبني إسرائيل مع يثرون مرة أخرى في شعائر الحج وذبحوا معا .. وقد كانت ديانة الإسرائيليين قبل بعثة موسى هي ديانة جدهم إبراهيم وتبعه جدهم إسحاق ويعقوب، وجميعهم يحجون بيت الله الحرام في قلب مكة ويذبحون بمناسبة فداء إسماعيل، فلم يكن هناك شعيرة ذبح وحج وعيد غيرها، وحينما تجلى الله لموسى فوق الجبل أمره أن يأتي بقومه ليعبدوا الله على هذا الجبل (وفق الشريعة الإبراهيمية التي كانت قائمة) وذلك قبل نزول التكليف الجديد بالألواح والوصايا العشر.

مما يؤكد تماما أن هدف الخروج الأساسي لبني إسرائيل من مصر كان أولا لإقامة الذبائح لله أمام جبل الله والثاني أن ينزلوا في هذا المكان للعبادة، وهذا بالنسبة لهم يعنى حجا لأن كلمة الحج بالعبرية تنطق "حج – hagg " لكنهم عند الترجمة حرفوها إلى عيد كي يطمسوا دور الكعبة من ديانتهم، أما موسى فصعد إلى (جبل الله فناداه الله في الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل، أنتم رأيتم ما صنعت بالمصرايميين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ . فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة) (**خروج** 19:6-2)

فقد كان بنو إسرائيل مأمورين بالحج على شريعة أبيهم إبراهيم الذي أمر بأن يؤذن في الناس بالحج، لكن أبناءه جحدوا شريعته من بعده. وهذا ليس مستبعدا؛ إذ مَنْ قتل الأنبياء وعبد الطاغوت لا يُستبعد منهم أن يعرضوا عن أمر من أوامر الله، أو يكون قد استجابت أمة منهم، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾66/المائدة، وقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾113/آل عمران، ونستأنس هنا بما ذكره الصالحي «حج بني إسرائيل وغيرهم: روى أبو نعيم عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: كان يحج من بني إسرائيل مائة ألف فإذا بلغوا أنصاب الحرم خلعوا نعالهم ثم دخلوا

الحرم حفاة. وروى ابن أبي شيبة والأزرقي عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: إن كانت الأمة من بني إسرائيل لتقدم مكة، فإذا بلغت ذا طوى خلعت نعالها تعظيمًا للحرم. وروى الأزرقي وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حج الحواريون، فلما دخلوا الحرم مشوا حفاة تعظيما للحرم». [1]

وقد عرض القرآن الكريم بأهل الكتاب الذين لا يحجون بيت الله في قوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾133/البقرة

و قوله: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} حيث زعمت اليهود والنصارى أنهم على ملة إبراهيم فبيّن الله كذبهم، من حيث إن حج الكعبة كان ملة إبراهيم، واليهود والنصارى لا يحجون، فيدل هذا على كذبهم في ذلك [2].



[1] ـ الصالحي : في كتاب «سبل الهدى والرشاد» (1/212، ط. دار الكتب العلمية)

[2] ـ الفخر الرازي في تفسيره (8/ 295، ط. دار إحياء التراث العربي).

الإضاءة الحادية والعشرين

الوادي المقدس طوى ..
موسى والميقات في الأرض المقدسة

بعدما تثبتنا أن مصر الإسرائيلية، لم تكن هي إيجبت بلاد وادي النيل، وإنما كانت هناك في جنوب غرب الجزيرة العربية، في منطقة سراة تهامة اليمن، وأن موسى تربي هناك في بلاد العرب، وليس في إيجبت... ثم هرب منها إلى مديان، ثم قضى الثماني حجج كان لقاء الله الأول في الوادي المقدس طوى عند سفح الطور الأيمن، وبناءً على التكليف الإلهي ذهب إلى مصرايم لدعوة فرعون وإخراج بني إسرائيل لقضاء فريضة الحج، ودخول الأرض المقدسة.. وقد خرج موسى بقومه من تهامة جنوبا متوجها نحو الشمال حيث الأرض المقدسة، وتعرضوا في طريقهم لكثير من العشائر والقبائل، منهم العماليق والحبشيون والكنانيون، وقطعوا العديد من الواحات والقرى والمواقع منها سكوت ورفيديم وشور وأيلة حتى شارفوا على مدخل الأرض المقدسة، لأن أمرهم الله بدخول الأرض المقدسة.

وهنا من الطبيعي أن نقف وقفة قصيرة لنتساءل عن الأرض المقدسة، وهل كانت قدسيتها خاصة بموسى ؟! إذ كان موسى لم يدخلها من قبل وكانت المرة الأولى لبني إسرائيل أن يدخلوها، فهذا معناه أن هذه الأرض استمدت قدسيتها من قبل موسى. فأي أرض تلك التي استمدت قدسيتها من قبل أن يطأها موسى؟! وما سبب القدسية أو مناسبتها ؟! مع العلم أن هذه القدسية تعود إلى زمن قبل موسى، وهذا ما يعني الارتباط الحتمي بين (إله موسى وإله من سبقوه من الأنبياء؛ وتحديدا إبراهيم وفريضة الحج) فإذا كانت الأرض المقدسة عند إبراهيم هي مكة محل بيت الله الحرام، فهل تكون هناك أرض مقدسة في تركيا أو فلسطين كما يقول اليهود؟! فليخبرنا اليهود إذن عن سبب قدسية هذه الأرض قبل أن يدخلها موسى !

فبعد عبور موسى وقومه اليم ارتحل موسى ومعه بني إسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء فجاءوا إلى مارة ولم يقدروا أن يشربوا من مائها لأنه كان مرا. (خروج15: ٢٢–٢٣) فتذمروا علي موسي من العطش فأمره الله أن يضرب صخرة (حجر كبير) بعصاه عند جبل حوريب فانبثق منها الماء فشرب بني إسرائيل، وسموا هذا المكان مارة لمرارة ماءه [1] ، وبشمال غرب مكة يوجد وادي مُرَ (مارة) [1] ووادي حجر وبلدة حجر [2] (نسبة للصخرة أو

[1] ـ لاحظ أن المسميات التي يطلقها بني إسرائيل أثناء سيرهم محدودة وتأت فقط مناسبة لحدث معين بحيث كان هناك بداية جديدة لتاريخ جديد في هذا المكان، كما حدث عند بئر سبع أو بئر زمزم، وما حدث عندما ضرب موسى الحجر..إلخ.

الحجر الذي ضربه موسي فانبثق منه الماء). ثم جاءوا إلى إيليم (إيلة في التوراة السامرية) وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك عند الماء (خروج١٥:٢٧) وبجوار وادي مَرّ بشمال مكة يوجد وادي النخل .[3] ثم ارتحلوا إلى برية سين التي بين إيليم وسيناء في اليوم الخامس عشر من خروجهم من مصرايم.

كان الدكتور أحمد داوود قد حدد مكانا آخر لوادي طوى، حيث يقول: أن (وادي طوى) هذا يقع شمال العقيق ويرفد وادي (كارا) الذي يلتقي بدوره بوادي الفرات(الثرات) شرق غامد وزهران وما يزال وادي طوى موجودا على خارطة المنطقة إلى يومنا هذا في شبه جزيرة العرب، وليس في الوطن العربي كله أي وادٍ آخر يحمل هذا الاسم غيره.[4]

وردّ على ذلك ساخرا المفكر السعودي الأستاذ الدكتور عبد الله بن أحمد الفَيْفي بقوله: ...فعلَ بادّعائه أن (وادي طوى) هو الواقع في (عقيق غامد)، وأنْ "ليس في الوطن العربي كله أيّ وادٍ آخر يحمل هذا الاسم غيره" [كذا!]. فلا المعلومة الأولى صحيحة ولا الأخرى! ذلك أن اسم الوادي هو: "وادي الطوِيّ"، لا "طوى"، من روافد (كراء). وهناك أماكن شبيهة أسماؤها بهذا الاسم في غير بلاد غامد، وليس كما زعم أن "ليس في الوطن العربي كله أيّ وادٍ آخر يحمل هذا الاسم". منها- على سبيل المثال، إذا تبعنا منهجه في التماس الأشباه: وادي (طِيـة)، غرب جبال (بني مالك)، في منطقة (جازان)، على الحدود مع (بلغازي). وفي شرق (عُمان) وادٍ رائع بعيونه وشلالاته اسمه: (وادي طوي)، أو (طِيوِي)،

فالأحداث تنطلق منها المسميات، ويلاحظ انتشار المسميات في المنطقة على أثر انتشار الحكايات التوراتية. بينما المناطق التي عبورها من قبل كانت مسميات قائمة وقديمة مثل شور ورفيديم وإيليم وفاران وغيرها، وبالتالي فإن افتراض خروجهم من إيجبت يحتم وجود هذه المسميات في اللغة الهيروغليفية.

[1] ـ عُرف حديثا بوادي فاطمة وقديما باسم وادي مَرّ (مرّ الظهران)، وقد ذكر البكري سبب تسمية الوادي بهذا الاسم في معجمه، فقال "بأنّ كثير عزة ذكر بأنها سُمّيَت (مرا) نظرا لمرارتها، أما أبو غسان فإنه يقول بأنها سُمّيَت (مرّ الظهران) لأنها تقع في بطن الوادي "

[2] ـ يسمى وادي "حجر.. وادي "الغزوات و"القلاع و"القوافل- ويقع بين مكة والمدينة ، وكانت قرى وادي حجر تسمى الوسيط سابقا لوقوعها في الوسط بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وكانت تسمى حجر بالسايرة ، و ذكرها المؤرخ ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان.

[3] ـ وادي نخلة هو أحد أودية مكة المكرمة، ويفصل بين مكة والطائف من جهة السيل الكبير. هذا الوادي له مجريان أحدهما جنوبي يسمى وادي نخلة اليمانية والآخر شمالي يسمى وادي نخلة الشامية.

[4] ـ د. أحمد داوود – كتاب : العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود ـ الحلقة الخامسة: جبل سيناء ليس في مصرhttps://www.goodreads.com/book/show/8103127

في (ولاية صبر). وهناك قرية (الطوا) في تهامة (عسير)، وهو المكان الذي كان الصليبي من قبل قد زعم أنه المشار إليه بوادي طوى. بل هناك من أودية (مكّة) وادٍ اسمه: (وادي طوى)، و(وادي ذي طوى). و(الطويّ) أيضًا: بئر بأعلى مكّة، عند (البيضاء)، دار (محمّد بن يوسف الثقفي)، احتفرها (عبد شمس بن عبد مناف)، كما جاء عن (ابن إسحاق) في "السيرة النبويّة". إلى غير هذا. فما أكثر الأسماء وما أكثر تشابهاتها ! فإذا أضيف إلى ذلك تلك العمليّات العبثيّة من ليّ الأحرف وتحريف الأسماء، أمكن عندئذٍ أن يُقال أيّ شيء عن أيّ مكان، ممّا لا وزن لقوله، تاريخًا ولا لغة. بل لقد ذهب بعض المفسّرين إلى أن كلمة "طوى" في الآية القرآنيّة ليست باسمٍ للوادي المقدّس أصلا، وأن ذلك الفهم محض وهمٍ قرائيّ، وإنما معنى الكلمة أن القداسة فيه مضاعفة، (ملحوظة:طوى هي بدل من الجبل)."[1]

لكننا نتساءل ببداهة، لماذا يتهرب من المعنى الواضح في النص القرآني ويحاول جعله مجرد بدل من كلمة الجبل! وإذا لم يتمكن أحد من تحديد وادي طوى في السعودية برغم هذه الكثافة الغريبة لأودية طوى في بقعة جغرافية واحدة، والتي تعني حتما أنها اشتقاقات من جد واحد أصلي، فهل يوجد دولة أخرى في العالم تحوي هذا الكم من الاشتقاقات لجذر لغوي واحد ! إذن أين يقع وادي طوى في مكان آخر من العالم ؟! ... ربما يكون بالهند الشرقية، فنذهب إلى هناك للبحث عنه. برغم أن جذره اللغوي لم يخرج عن اللغة العربية.

ومن الدلائل المهمة التي تشير إلى أن موسى وصل إلى حرم مكة المكرمة، إلى الميقات، هو ما أشار إليه القرآن الكريم في الآية التالية ﴿و لمّا جاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا وكَلّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أرِنِي أنظُرْ إليْكَ قالَ لن تَرانِي ولَـكِنِ انظرْ إلى الجبَلِ فإنِ اسْتَقرَّ مَكانَهُ فسَوفَ تَرانِي فلمّا تجلى رَبُّهُ لِلجبَلِ جَعلهُ دكًا وَ خرَّ مُوسَى صَعِقًا فلمّا أفاقَ قالَ سُبحانكَ تُبْتُ إليْكَ وَ أنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ﴾ – قرآن كريم، والميقات هو ميقات الإحرام بمكة، وهو الوادي المقدس طوى، وعلى شاطئه يقع جبل الطور الذي نزلت عليه التوراة[2] .

---

[1] ــ أ.د. عبد الله بن أحمد الفيفي مقال بعنوان: " البوق التاريخي ! " منشور على موقع ديوان العربي بتاريخ الخميس ١١ شباط (فبراير) ٢٠١٦، على الرابط التالي: http://www.diwanalarab.com/spip.php?article43312

[2] ــ "التوراة" عبارة عن خمسة أسفار قيل أنها نزلت على كليم الله موسى ،والمؤرخون والفلكيون وأحبار اليهود الذين أعلنوا إسلامهم مثل بن سلام وكعب الأحبار حددوا الفترة الزمنية التي نزلت فيها التوراة بأنها كانت في 6 رمضان.

والميقات الذي جاء إليه موسى لم يكن ميقاتا زمانيا فقط (بمعنى اليوم و الساعة) إنما كان ميقاتا مكانيا على أساسه يدخل الحاج إلى حرم مكة المكرمة وإلى الأرض المقدسة ،كان قد حدده لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السيرة النبوية الشريفة ، (روي عن البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ للبخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: وقت الرسول ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة فمن كان دونهن فمهله من أهله وكذاك حتى أهل مكة يهلون منها) ـ فالميقات المكاني الذي وقته رسول الله يكمن في تلك المواضع التي يحرم الحاج منها فيدخل إلى الحرم الأكبر لمكة المكرمة، وعلى أساس ذلك فإن موسى إنما جاء لميقات ربه هذا، وإلى المكان الذي يحصل فيه الإحرام لحج بيت الله الحرام، لذلك فإن الله سبحانه يقول في القرآن ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ لأن موسى كان يقف على أرض ذي طوى المقدسة داخل ميقات الإحرام هذا، وذي طوى هو واد بمكة كما أشرنا يقع إلى الشمال من مكة وهو أحد مداخلها .

لكنها في الواقع كانت أقل من ذلك بكثير، فهي كانت ألواح تعد وليست أسفار. وكلمة التوراة تعني بالترجمة العبرية "التعاليم والقوانين والتوجيهات" واللغويين حددوا اسم التوراة لغويا واشتقاقا من جملة "ورى الزند، يرى ، إذا قدح وظهر منه النار" فالتوراة تعني ضياء من الظلال. وتتكون التوراة حاليا من 5 أسفار: فالسفر الأول هو سفر التكوين أو الخلق وقد ذكر فيه خلق العالم، وقصة آدم وحواء وأولادهما، ونوح والطوفان ثم قصة إبراهيم وابنه إسحاق وابنه يعقوب وعيسى، ثم قصة يوسف. أما السفر الثاني فهو سفر الخروج الخاص باليهود الذين خرجوا من مصر وفيه قصة موسى و والدته وبعثته، وفرعون وخروج بني إسرائيل من مصر، وصعود موسى الجبل وإيتاء الله له الألواح. وعن الثالث فهو سفر اللاويين وفيه حكم القربان والطهارة وما يجوز أكله، وغير ذلك من الفرائض والحدود. أما السفر قبل الأخير فهو سفر العدد ، وله قسمان الأول يخص الشرائع والثاني في أخبار موسى وبني إسرائيل في التيه وقصة البقرة. والسفر الخامس والأخير وهو سفر التثنية – أي إعادة الوحي ويهتم بالتشريع . وهناك آراء غير جازمة ترى أن التوراة نزلت على موسى في ليالي المناجاة تلك، لكن من الثابت أن التوراة كانت ألواحا على موسى (ع) في جبل الطور في أربعين ليلة، فأخذها موسى وأتي بها قومه، ولأنه كان غاضبا منهم، فقد ألقي بالألواح فتحطم بعضها، وكانت بأجمعها من الزمرد. والتوراة عند المسيحيين البروتستانت يؤمنون بالتوراة كما هي ويطلقون عليها العهد القديم . أما المسلمين فيؤمنون بالتوراة ووجودها إلا أنهم يؤمنون بأن التوراة قد طرح عليها تحريف كبير مثله مثل الإنجيل تماما

وقد اختلف علماء التفسير –كالعادة- في معنى لفظ "طوىً" وأصل تسميته على أقوال، فمنها قول البكري:" طوىً: بضم أوّله وكسره، مقصورة: اسم وادٍ في أصل الطور بالشام، وهو المذكور في التنزيل [1] ، وقيل بل طوى: جبل هناك [2] وقال ياقوت:" هو اسم أعجمي للوادي المذكور في القرآن الكريم [3] وقال السيوطي:" قيل هو مُعرّب معناه " ليلا " وقيل هو رجلٌ بالعبرانية، والمعنى أنك بالوادي المقدس يا رجل " [4]

ويذكر بعض المفسرين أن " طوى " هو اسم وادٍ بأيلة أو بفلسطين [5] فسر ابن عباس الوادي المقدس طوى بمعنى الأرض المقدسة، وعند عامة المفسرين طوى اسم وادٍ والمقدس بمعنى المطهر والمبارك [6] ويقول البعض أنه لفظ أعجمي باعتبار "سيناء " كلمة أعجمية، وجبل " الطور" أعجمية فإن كلمة طوى تكون أعجمية أيضا وقد سمي بها الوادي المقدس [7] ويقول ابن منظور:" وطوى وطِوى جبلٌ بالشام، وقيل هو وادٍ في أصل الطور، وفي التنزيل العزيز " إنكَ بالوادِ المُقدّسِ طوىً" . [8]

وهكذا قال بعضهم أنه أعجمي، وبعضهم قال أنه يعني رجل، والبعض قال أنه يعني ليل، والبعض قال أنه أعجمي ممنوع من الصرف، والبعض قال أنه ليس أعجمي لكن لا أحد يعرف معناه ولا موقعه الجغرافي، بعضهم قال في أيلة، وبعضهم قال في الشام أو فلسطين ..إلخ. لكن الغريب أنه لم يقل أحد أنه في شبه جزيرة سيناء مع جبل الطور المسمى هناك ! برغم أن القرآن قال صراحة أن

---

[1] ـ " إذْ رأى نارًا فقالَ لِأهلِهِ امكُثوا إني آنستُ نارًا لعلّي آتيكُم منْها بقبَسٍ أوْ أجِدُ على النّارِ هدًى (10) فلمّا أتاها نوديَ يا موسَى (11) إني أنا ربُّكَ فاخلعْ نعليْكَ إنكَ بالوادِ المُقدّسِ طوًى (12)طه، والآية " هلْ أتاكَ حديثُ موسَى (15) إذْ ناداهُ ربُّهُ بالوادِ المُقدّسِ طوًى (16) النازعات.

[2] ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع 896 /2

[3] ـ معجم البلدان 44/4 ونلاحظ هنا أن ياقوت استخدم لهجة النكرة والتجهيل أي وكأن الوادي مذكور في القرآن دون أي قدسية أو أي ميزة تميزه عن غيره من الأودية سوى كونه مذكور.

[4] ـ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب 93 ، 94 ، وينظر قصد السبيل 72/2

[5] ـ انظر تفسير ابن أبي حاتم 2417 / 7 والعز ابن عبد السلام 416 /3 والماوردي 197 /6 ونلاحظ هنا أيضا صيغة التجهيل

[6] ـــ انظر معاني القرآن للأخفش 566 /2 ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج 279/5 وتفسير الطبري 280/18 وابن أبي حاتم 2418 /7 والتفسير البسيط 369/14 وتفسير السمعاني 323/3 والقرطبي 175 /11 ، 201 /19 والدر المنثور في التفسير المأثور 559 /5

[7] ـ الأعلام الأعجمية في القرآن الكريم ص107

[8] ـ لسان العرب " طوى " 21/15

الطور يقع في شاطئ الوادي المقدس طوى ! فاليهود لم يقتصر أثرهم على دس الحشو الإسرائيلي تحت عبارات التفسير "الإسرائيليات" بل إن أثر هذه الإسرائيليات وصل إلى مستوى من الفاعلية أن انتهى إلى تفتيت العقل العربي المسلم وخض وعجن فلسفته العقائدية بمخاض يهودي مُلغم ... ونستطيع القول بيقين أن العرب المسلمين كانوا علي درجة من السذاجة مكنت إخوانهم الإسرائيليين من العبث بعقولهم إلى درجة خيالية .. والدليل هو الوادي المقدس طوى؛

جاء بلسان العرب: وقالوا في قوله تعالى: بالوادي المقدّس طوى؛ أي طوِيَ مرتين أي قدِس، وقال الحسن: ثنيت فيه البَرَكة والتقديس مرتين . وذو طوى، مقصور: وادٍ بمكة، وكان في كتاب أبي زيد ممدودا، والمعروف أن ذا طوى مقصور وادٍ بمكة . وذو طواءٍ، ممدود: موضع بطريق الطائف، وقيل: وادٍ. قال ابن الأثير: وذو طوى، بضم الطاء وفتح الواو المخففة، موضع عند باب مكة يستحب لمن دخل مكة أن يغتسل به.. وفي معجم ياقوت الحموي: الطوى بئر حفرها عبد شمس بن عبد مناف، هي التي بأعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن سيف. وذو طوى واد بمكة، قال الزبيدي: يعرف الآن بالزاهر. وقال الخطيب الشربيني: طوى بالقصر وتثليث الطاء والفتح أجود وادٍ بمكة بين الثنيتين كداء العليا والسفلى وأقرب إلى السفلى، سمي بذلك لاشتماله على بئر مطوية مبنية بالحجارة. ويستحب للحاج الذي سيدخل مكة من جهتها أن يغتسل فيها قبل دخول مكة، وكان ابن عمر إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية ثم يبيت بذي طوى ثم يصلي به الصبح ويغتسل، ويحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك.

لكن المؤرخ السوري د. أحمد داوود يقول أن البحث في القاموس الكلداني (العربي القديم) يعطى معنىً آخر لاسم " طوى" وهو أنه وادي الصيام ! فهل فعلا هو وادي صيام أم لاشتماله على بئر مطوية ؟ الواقع أن هذا الوادي هو ميقات الإحرام بمكة المكرمة، وفي الحرم تقام مناسك الإحرام التي منها الامتناع عن الكلام إلا بذكر الله تعالى وهو ما كان يفعله صحابة رسول الله محمد أيضا حين يكونون محرمين، أخرج ابن سعد [1] عن الجريري قوله: أحرم أنس بن مالك من ذات عرق قال: فما سمعناه متكلما إلا بذكر الله حتى حل، قال: فقال له يا بن أخي هكذا يكون الإحرام). ومعروف أن للإحرام شعائر وآداب خاصة، ليست كالصيام عن الطعام، بل هي صيام عن الكلام والعبث والرفث والفسوق والجدال في الحج، وصيام عن الصيد في الحرم، والصيام لغة هو الامتناع،

[1] ـ أخرج ابن سعد ج227

وأبسطه الامتناع عن الكلام كما قالت مريم العذراء ﴿إني أنذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾، ومعروف أن شعائر الإحرام تبدأ بتطهر الحاج واغتساله عند دخوله الميقات، وبالتزامن يبدأ الصيام عن كل ما يخل بآداب شعائر الإحرام، ومن هنا بدأ إطلاق الاسم على الوادي المقدس، ليس من عصر محمد ﷺ ولا من عصر موسى، وإنما من عصر إبراهيم الذي أذن في الناس بالحج.

وقال ابن الأثير " قد تكرر في الحديث ذكر طوى وهو بضم الطاء وفتح الواو المخففة، موضع عند باب مكة يستحب لمن دخل مكة أن يغتسل به " [1] غير أن ابن الأثير لم يذكر هذا التعريف في شرحه لتفسير الآية، بل ذكره في شرحه لغريب الأحاديث التي تكرر فيها ذكر "طوى" الذي في مدخل مكة، لكنه حتى لم يبين سبب القدسية لهذا الوادي وكأنها صارت في العقل العربي تحت الهامش ! وذكرته السيرة النبوية الشريفة في رواية زينب بنت رسول الله ﷺ، فماذا تقول الرواية: " فأبو العاص بن الربيع تزوج زينب وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد قبل الإسلام وكان على دين الجاهلية كان قد عصى رسول الله الذي خيره بين الإسلام وبين ترك ابنته طليقة، فلم يطلق زينب ثم وقع أبو العاص في أيدي المسلمين فاشترط عليه الرسول أن يطلق ابنته زينب و يرسلها إلى المدينة مقابل إطلاقه ليعود إلى مكة، فعاد إلى مكة وأرسلها مع أخيه ونفر من رجاله إلى رسول الله إلى المدينة المنورة، فلحق بهم الكفار فأدركوهم عند ذي طوى وأعادوها إلى مكة . "

والوادي المقدس طوى عرف في كثير من المصادر بأنه " وادي ذي طوى" بكسر الطاء أو ضمها كما جاء في القرآن [2] وهو من أشهر أودية مكة المكرمة وأكبر روافد وادي إبراهيم(ع)، وقال عاتق البلادي: وهو في الكتب الجغرافية الوادي الذي يمر بين الحجون وريع الكحل مارا بجرول حتى يجتمع بوادي إبراهيم، وهو قرب ميقات مسجد التنعيم الذي يعرف اليوم بمسجد العمرة، ومنه يحرم حجاج بيت الله من أهل مكة إلى اليوم [3] وهو من معالم مكة التي أجمع العلماء في كل العصور بلا خلاف على ذكره وتعيين موقعه ومعرفة مكانته المقدسة، ولم يتعين أو يثبت بيقين حتى اليوم أن في خارج مكة والجزيرة العربية عامة واديا آخر يحمل ذلك الاسم نفسه مع القداسة

---

[1] ـ النهاية في غريب الحديث والأثر 147 / 3 وينظر لسان العرب "طوى" 18 / 15

[2] ـ انظر : أودية مكة المكرمة 22 ومعجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية 189

[3] ـ انظر: معالم مكة التاريخية والأثرية 168 ، وأودية مكة المكرمة 22 وانظر معجم ما استعجم 896 /2 ، ومعجم البلدان 45 /4 ، والروض المعطار 397

ذاتها سواه [1] ، لكن هلا تساءل أحد عن سبب تقديس هذا الوادي في الذاكرة العامة والشعبية ؟! وادي طوى المكي دون غيره من أودية وقرى وجبال تحمل اسم طوى !

وقد تكرر ذكره في الأصول اللغوية والآثار والأخبار والسنن، قال صاحب المصباح (ذو طوى وادٍ بقرب مكة، على نحو فرسخ، ويعرف في وقتنا بالزاهر، وفي طريق التنعيم [2] ونقل ياقوت عن زيد ابن أسلم قوله (بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى، وهو بطن مكة الذي ذكره الله تعالى في القرآن في سورة الفتح): " وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ..." 24/ الفتح . وروى عبد الله ابن عباس:" أن النبي كان ينزل بذي طوى، ويبيت حتى يصبح ويصلي حين يقدم مكة " [3] وفي رواية أخرى له، أن النبي كان " إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية، ثم يبيت بذي طوى، ثم يصلي به الصبح، ويغتسل " [4] ، وروى البيهقي في دلائل النبوة عن عبد الله ابن أبي بكر ابن حزم قال:" لما نزل رسول الله بذي طوى ورأى ما أكرمه الله به من الفتح جعل رسول الله يتواضع لله حتى أنه ليقول: قد كاد عثنونه أن يصيب واسطة الرحل " [5] ويذكر أن في الوادي بئر مباركة كان يغتسل منها رسول الله "ص"والصحابة من بعده [6] ...

كل هذه الروايات وغيرها عن ذي طوى تشير بوضوح إلى أنه وادٍ مقدس ومبارك، ولا شك أن قداسته جاءت من قداسة مكة المكرمة، لكنه ليس ككل بقاع مكة، فهناك سر في قدسية هذا الوادي، ما جعل المفسرون يقصرون دلالة مكة عليه في أقوال البعض، وكذلك بطن مكة كما ورد في القرآن والأثر، وما قاله ابن عباس من أن الوادي المقدس طوى بمعنى الأرض المقدسة، وما

---

[1] ـ في تهامة بلسمر يوجد قرية تدعى "الطوى" بالياء، وتقع على سفح جبل هادا ، والطوى بالياء أيضا: وادٍ من أودية بادية غامد من روافد وادي كراء، وقرية جنوب الطائف قرب السديرة ، وطواء بالمد: وادٍ بين مكة والطائف ؛ انظر معجم ما استعجم 897 ، ومعجم معالم الحجاز 5/ 1071 والمعجم الجغرافي لمنطقة عسير 2/ 1036 والمعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران 292

[2] ـ المصباح (طوى) 145 ومؤلفه من أعيان القرن الثامن الهجري ، وينظر: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية 330

[3] ـ صحيح البخاري 105 /1 ، وصحيح مسلم 911 /2

[4] ـ صحيح البخاري 144 /2 وصحيح مسلم (باب استحباب المبيت بذي طوى عند إرادة دخول مكة، والاغتسال لدخولها)53 /2 وسنن الدرامي (1228 /2 ، وأبي داوود 174 /2)

[5] ـ البيهقي ـ دلائل النبوة 68 /5 ، وانظر الزهد والرقائق لابن المبارك 53 /2 . والعثنون: اللحية وما نبت عليها من الشعر ، القاموس عثن 1214

[6] ـ انظر : صحيح ابن جزيمة 1278 /2 ، وشرح صحيح البخاري لابن بطال 260 /4

من شك بأن مكة هي الأرض المقدسة، بل هي أقدس مكان على وجه الأرض، فقد شرفها الله ببيته الحرام، أول بيت وضع للناس، وكان من أسمائها (قادس) [1] وقال أبو الحسن الهنائي "القادِس: اسم للبيت الحرام " [2] ونقله أبو عبيد البكري وأضاف: "سميت بذلك من التقديس، وهو التطهير، لأنها تطهر من الذنوب".. وقال المطرز عن المفضل: "من أسماء مكة: المقدسة" [3].

وقد ورد لدى طائفة من علماء المسلمين الكثير من الآثار عن قدسية وادي طوى ومكانته لدى الأمم المتعاقبة من بني إسرائيل، ومن ذلك ما روي عن عبد الله ابن الزبير أنه قال:" إن كانت الأمة من بني إسرائيل لتقدم مكة، فإذا بلغت ذا طوى، خلعت نعالها تعظيما للحرم [4]، وروي عن ابن الزبير أيضا قوله:" لقد كان هذا البيت يحجه سبعمائة ألف من بني إسرائيل، يضعون نعالهم بالتنعيم" [5]. وفي الموقع بجوار مسجد التنعيم الآن [6] قسّم رسول الله (ص (جيشه قبل دخول مكة كما نقل الأزرقي "عن زيد بن أسلم قال بكة الكعبة والمسجد مبارك للناس ومكة ذو طوى وهو بطن مكة الذي ذكره الله عز وجل في سورة الفتح" [7].

وروى أبو نعيم عن مجاهد، قال: "ويدخلون حفاة تعظيما للبيت" [8] وروى أبو نعيم عن مجاهد ،قال:" كان يحج من بني إسرائيل مائة ألف، فإذا بلغوا أنصاب الحرم قلعوا نعالهم، ثم دخلوا الحرم حفاة" [9]. وبقيت عادة خلع الحذاء في بني إسرائيل عند دخول مكة إلى زمن عيسى (ع)، فقد روى عن ابن عباس أنه قال:" حج الحواريون فلما دخلوا الحرم مشوا حفاة تعظيما للحرم " [10]. وأورد البخاري

[1] ـ معجم البلدان 182 /5 وأخبار مكة للأزرقي 222/ 1 وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام 174 /1 ومنائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم 213 /1

[2] ـ المنجد 121

[3] ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع 1/270 ، وانظر: معجم البلدان 182 /5 وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد 170 /1

[4] ـ أخبار مكة للأزرقي 687 /2 ، وتاريخ مكة للفاكهي 239 /2

[5] ـ التنعيم وادي يفضي إلى وادي طوى

[6] ـ انظر الخريطة على الرابط التالي: https://tinyurl.com/py4cjyad

[7] ـ الأزرقي، أخبار مكة، ج١ ،ص٢٨٢

[8] ـ مصنف ابن أبي شيبة 268 ، 649 /3 وأخبار مكة للفاكهي 251 ، 267 /2

[9] ـ حلية الأولياء 298 /3 ، وانظر سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد 212 /1

[10] ـ وانظر سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد 212 /1

عن ابن عمر قال: بات النبي بذي طوى حتى أصبح، ثم دخل مكة وكان ابن عمر يفعله" [1]. وورد في صحيح مسلم:" عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات بذي طوى حتى أصبح ثم دخل مكة قال وكان عبد الله يفعل ذلك " [2].

ويضيف الشامي بقوله "وروى أبو ذر الخشنى في مناسكه عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: حج البيت ألف نبي من بني إسرائيل لم يدخلوا مكة حتى وضعوا نعالهم بذي طوى [3] وهذا الكلام أورده ابن حجر [4] منقولا عن رسول الله ﷺ. ولكن من أين كان اليهود يأتون إلى مكة أيام ما قبل البعثة المحمدية؟ الجواب: من كل مكان، حيث ثبت أن اليهود كانوا عربا سكنوا الجزيرة في حقب مختلفة بل منهم من كان ساكنا على مقربة من مكة وهم الكنانيون أنفسهم بعد أن اعتنقوا الدين الموسوي. كما نقرأ في هذا الخبر "فأهل التوراة هم اليهود وأهل الإنجيل هم النصارى وقد كانت النصرانية في الجاهلية في ربيعة وعنان وبعض قضاعة واليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة واوسية في تميم وعبادة الأوثان والزندقة في قريش" [5].

فجرت في بني إسرائيل سُنة خلع النعال فيه لتجلي الرب لموسى (ع) في هذا المكان. وهو موقع قرب ميقات مسجد التنعيم الذي يعرف اليوم بمسجد العمرة. وهو المكان الذي يحرم منه حجاج بيت الله من أهل مكة إلى اليوم. وبه يخلع الحاج كل لباسه ويتطهر ويلبس الإحرام ويتجه بعد ذلك إلى بيت الله. وذو طوى هو أحد حدود مكة كما عبر ابن الأثير [6]. وموقع

---

[1] ـ الحديث ورد برقم 1499 صحيح البخاري ـ كتاب الحج ـ باب دخول مكة نهارا أو ليلا

[2] ـ ورد في صحيح مسلم برقم 1259 كتاب الحج ؛ باب استحباب المبيت بذي طوى عند إرادة دخول مكة والاغتسال لدخولها ودخولها نهارا

[3] ـ الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج١ ،ص٢١١

[4] ـ ابن حجر، تلخيص الحبير، ج٧ ،ص٢٧٥

[5] ـ العلامة الحلي، منتهى المطلب، ج٢ ،ص٩٦٠

[6] ـ كتاب نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء ص 256 ـ (انظر خريطة رقم ٢٧) على الرابط التالي: https://tinyurl.com/ykwkdk7b

ذي طوى على مشارف مكة حيث قسم رسول الله(ص) جيشه قبل دخوله مكة فاتحا "طوى بضم الطاء وفتح الواو المخففة: موضع عند باب مكة" [1] .

ولا شك أن كل هذه المأثورات تذكر بقول الله تعلى: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿12﴾ طه، مما يعني أنه بلغ أول حد الحرم، أول ميقات للإحرام بمكة. والتوراة ذاتها تثبت هذا المعنى، ففي سفر التكوين3: 4 فلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». فَقَالَ: «هأَنَذَا».5 فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». ... وفي نص آخر (سفر الخروج – الجزء الثالث 1)

ב וַיֵּרָא מַלְאַךְ יְהוָה אֵלָיו, בְּלַבַּת־אֵשׁ—מִתּוֹךְ הַסְּנֶה; וַיַּרְא, וְהִנֵּה הַסְּנֶה בֹּעֵר בָּאֵשׁ, וְהַסְּנֶה, אֵינֶנּוּ אֻכָּל.

ويظهر له ملاك الله بلهب من طوق السنا (وسط النور)، فينظر وإذا السنا (العليقة) تستعر بالنار، و السنا (النور) لا ينتهي

ג וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה—אָסֻרָה־נָּא וְאֶרְאֶה, אֶת־הַמַּרְאֶה הַגָּדֹל הַזֶּה: מַדּוּעַ, לֹא־יִבְעַר הַסְּנֶה.

فيقول موشى – اسري (اذهب) إلى هناك لأرى هذا المرأى (المنظر) العظيم: لماذا لا يفنى السنا (النور(

ד וַיַּרְא יְהוָה, כִּי סָר לִרְאוֹת; וַיִּקְרָא אֵלָיו אֱלֹהִים מִתּוֹךְ הַסְּנֶה, וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה מֹשֶׁה—וַיֹּאמֶר הִנֵּנִי.

فيرى الله أنه سار ليراها، فينادي له الله من طوق السنا (وسط النور)، قائلا موشى موشى – فيقول ها أنا ذا

ה וַיֹּאמֶר, אַל־תִּקְרַב הֲלֹם; שַׁל־נְעָלֶיךָ, מֵעַל רַגְלֶיךָ־כִּי הַמָּקוֹם אֲשֶׁר אַתָּה עוֹמֵד עָלָיו, אַדְמַת־קֹדֶשׁ הוּא.

فيقول لا تقترب أكثر، اخلع نعليك من على رجليك – لأن المقام الذي أنت واقف عليه هو الأرض المقدسة.

إذن حتى من التوراة ذاتها، قد ذكرت بوضوح قدسية هذه الأرض قبل توالي أحداث موسى فيها، بمعنى أن هذه الأرض كانت مقدسة قبل أن يتجلى الله فيها ليكلم نبيه موسى، ما يؤكد أنها داخلة ضمن نطاق مكة وهي أقدس بقاع الأرض دون منافس.

وروى عن رسولنا الكريم أنه قال: " صلى في مسجد الخَيْف سبعون نبيا منهم موسى، كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان، وهو محرم على بعير من إبل شنوءة [2] وفي أخبار مكة للفاكهي:"

---

[1] ـ حسن صاحب المعالم، منتقى الجمان، ج٣ ،ص٢٥٠ ـ وانظر نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء خريطة رقم ٢٨

[2] ـ المعجم الكبير للطبراني 452/11 ، وانظر أخبار مكة للفاكهي 266/4

ضب: طريق مختصر من المزدلفة إلى عرفة .. قال: سلط عطاء طريق ضب، قال، وهي طريق موسى ابن عمران"[1]

وفيما سبق ذكرنا ما يدل على أن الهدف من إخراج بني إسرائيل من مصرايم هو قيامهم بحج بيت الله الحرام (حوريب) مع العلم أن لفظ حوريب، باللغة العربية هو لفظ حوريم نفسه باستبدال الباء بالميم المعروف ومعناه المقدس والمحرم أو الحرم، أو بالمعنى، فكلمة حوريب مشتقة من محراب، والمحراب هو بيت العبادة، وتعني الحرم، والحرم هو تلك المنطقة المحيطة ببيت الله الحرام ومنها حراء جبل سنا (النور) (وجبل حراء ذلك الجبل الذي يقع في الجانب الشمالي الغربي من مكة المكرمة، كان نبي الله محمد ﷺ يتعبد فيه الليالي ذوات العدد فتارة عشرة وتارة أكثر من ذلك إلى شهر ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلا حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى ويعود الكرة إلى غار حراء وهكذا إلى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته تلك)[2].

حيث كان النصارى والحنيفيين قبل نبوة محمد ﷺيتعبدون في غار حراء كما تقول مصادر التاريخ. ولقد ورد في التاريخ الإسلامي أن بعض المشككين في نبوة محمد قالوا أن الراهب بحيرا هو الذي لقنه لمحمد، والقرآن يرد على أكاذيبهم ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. وهذا الجبل على شاطئ وادي ذي طوى بمكة المكرمة وهو ذاته الجبل الذي صعد إليه موسى (حوريب هو- حوريم وهو جبل حراء نفسه الذي ذكرته التوراة بلفظ حي رئي ـ وهو جبل النور الذي ذكرته التوراة باسم ـ سيناء ـ وهذا الاسم مشتق من كلمة سنا العربية التي تعني النور، وربما من سينا السريانية التي تعني العوسج، لكن الأرجح أنه من السنا (النور) ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾. فكان أن ظهر النبي محمد في نفس المكان الذي كان موسى وبني إسرائيل يعبدون الله عنده بعد نزولهم من جبل حوريب . وهذا أيضا يذكرنا بكلام ورقة بن نوفل للنبي ﷺ (إنه الناموس الذي أتى موسي).

ومن الدلائل المهمة التي تشير إلى أن موسى وصل إلى حرم مكة المكرمة، إلى الميقات، ما أشار له القرآن الكريم في الآية التالية ﴿وَ لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن

[1] ـ انظر أخبار مكة للفاكهي 803/2 رابط الكتاب: https://waqfeya.com/book.php?bid=2877

[2] ـ فقه السيرة –د. محمد سعيد رمضان البوطي ـ دار الفكر صفحة 79

ترَانِي وَلـكِنِ انظرْ إِلى الجَبَلِ فإِنِ استَقرَّ مَكانَهُ فسَوْفَ ترَانِي فلمَّا تجَلى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فلمَّا أفاقَ قالَ سُبْحَانَكَ تبْتُ إِليْكَ وَأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ﴾ 143/الأعراف، والميقات الذي جاء إليه موسى لم يكن ميقاتا زمانيا فقط (بمعنى اليوم و الساعة) إنما كان ميقاتا مكانيا على أساسه يدخل الحاج إلى حرم مكة المكرمة و إلى الأرض المقدسة، فالميقات هنا هو بوابة الأرض المقدسة التي وقف عليها موسى ببني إسرائيل ودعاهم لدخولها لكنهم رفضوا وقالوا إن فيها قوما جبارين، اذهب أنت وربك فقاتلا، ونحن ها هنا قاعدون.

على كل حال، فنحن على يقين بأن الأرض المقدسة هي مكة وبها بيت الله الحرام، والتي كان إبراهيم مأمورا بالهجرة إليها من موطن آبائه في حوران، كي يرفع قواعد البيت ويطهر البيت للعابدين ﴿وَطهِّرْ بَيْتِيَ لِلطائِفِينَ وَالقائِمِينَ وَالرُّكعِ السُّجُودِ.. وأذن في الناس بالحج﴾، ومن الطبيعي أن يكون أول هؤلاء الناس المأمورون بالحج هم أبناءه وعشيرته بني إسرائيل.. ثم بعد مرور ما يربوا على مائتي عام جاء موسى مأمورا بالهجرة ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة لتعمير البيت الحرام أيضا وبنائه من جديد والحج والصلاة فيه وتطهيره.. لكن الأرض المقدسة في هذا الوقت كان يسيطر عليها الجبابرة، وهم قبيلتي جرهم والعماليق (من العرب البائدة)، وحاول موسى دخول الأرض المقدسة لكن بني إسرائيل امتنعوا عن الدخول معه.. وكان موسى قد تلقى الوصايا العشر على جبل الطور، وكما عرفنا أن الطور – جبل السنا – جبل سينا وأنه محاذٍ للوادي المقدس طوى ويقع في الطريق إلى الأرض المقدسة.

وهي الأرض المقدسة التي قصدها موسى (ع) والتي كان يسميها بنو إسرائيل بـ"قادش أو قادس" أي "قدس". وقد عرفنا قبل ذلك أن "قادس" من أسماء مكة المكرمة، ومن الذين انتبهوا لهذه الحقيقة إيمانويل فيلكوفسكي (Velikovsky Immanuel**) الذي صرح في إحدى كتاباته، بعد أن اطلع على التراث العربي المغيب عن وعي أصحابه، أن (قادس Kadesh) الوارد ذكرها بالتوراة مرارا ما هي إلا مكة المكرمة وأن مدين موسى ما هي إلا المدينة المنورة [1]، [2]، فأثار بذلك عاصفة بين أئمة اليهود بعد أن كاد أن يكشف المستور. ولكن كيف اكتشف**

[1] - COLLECTED ESSAYS By Immanel Velikovsky http://www.varchive.org/ce/baalbek/kadeshbarnea.htm

[2] - The "Great and Terrible Wilderness" http://www.varchive.org/ce/baalbek/desert.htm

فيلكوفسكي أن قادش أو قادس التي يتغنى بها اليهود إلى اليوم بعد أن أسقطوها جغرافيا في الشام، هي عينها مكة المكرمة ؟

فهذا النوع من الكشف لا يتأتى إلا بالتنقيب في التراث العربي القديم [1] . فهل اطلع فيلكوفسكي على كتاب معجم ما استعجم للأندلسي أم اطلع على كتاب الهدى والرشاد للشامي والذي جاء فيه "وقال كراع: الرأس: اسم لمكة، وقال القادس: اسم للبيت الحرام. قال غيره سميت بذلك من التقديس، وهو التطهير، لأنها تطهر من الذنوب [2] ، أو لعله اطلع على كتاب المجموع للنووي الذي جاءت فيه مجموعة من أسماء مكة ستة عشر اسما يتوسطها اسم "قادس ـ و مكة ـ كوثي ـ العرش ـ القادس ـ المقدسة من التقديس ـ والبلدة" [3] . ومعروف أن ذلك منذ قديم الزمان قبل نزول الإسلام، ولم يكن هناك ديانات سماوية في المنطقة سوى الديانة الإبراهيمية، وتبعها الشريعة الموسوية على ذات الديانة، والمسيحية عليها أيضا، وكلاهما في سلالة نبي الله إبراهيم كانتا لتقويم المسار العقائدي بعد أن انحرف بمرور الزمن.

وبما أن نبي الله موسى كلم ربه على جبل الطور على شاطئ الوادي المقدس طوى، فهذه تضاريس جغرافية من المفترض أنها معروفة عينا إذا كانت واقعة فعلا، في مكة لا كما يدعي اليهود أنها مفقودة في شبه جزيرة سيناء الجبتية.. قال ابن عباس عن التين والزيتون: هما جبلان من الأرض المقدسة، يقال لهما: بالسريانية طور تينا، وطور زيتا، لأنهما منبتا التين والزيتون، فكأنه تعالى أقسم بمنابت الأنبياء. [4] وعن عبد الله بن عمر في بناء البيت الحرام قال:"...بني البيت الحرام من خمسة أجبل: من حراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الحبر فتمتعوا منه ما استطعتم". [5] (ملحوظة: جبل لبنان

---

[1] ـ لقد بدأ استنتاج فيلكوفسكي يحظى باهتمام جديد وجاد بعد أن بدأ علماء التوراة الغربيون يشككون في مصداقية جغرافيا التوراة برمتها، فرجعوا إلى مراجعة أطروحات فيلكوفسكي وغيره لمناقشتها واستجلاء الحقائق. أما نحن المسلمون فلم يجد تراثنا وتاريخنا المغتصب بعد من يفزع لنجدته من أيدي المع"تدين الصهاينة. ويقيننا أن الغربيين سوف يكتشفون الحقيقة لا محالة ليأتوا بها إلينا والعالم أجمع عما قريب. فإلى متى نبحث عن الماء ونحن نحمله على أكتافنا؟!

[2] ـ البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، ج١ ،ص٢٧٠؛ الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، (٢٦٥)ج١ ،ص١٧٠.

[3] ـ محيى الدين النووي، المجموع في شرح المهذب، ج٨ ،ص٣

[4] ـ الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل على الرابط التالي:
https://tinyurl.com/56yd6pcy

[5] ـ رواه الطبراني بالمعجم الكبير 14/342،13 برقم 14157 وقال رواه الطبراني في الكبير موقوفا ورجاله رجال الصحيح ـ ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد 3/288 برقم 5725 ـ المعجم الكبير للطبراني على الرابط التالي:

معناها الجبل الأبيض). ويلقي البكري الأندلسي مزيدا من الضوء على حدود برية العرب حيث يقول "وتهامة: ما ساير البحر، منها مكة والعبر والطور والجزيرة. فالعبر: ما أخذ على الفرات إلى برية العرب"[1].

فكل الروايات السابقة تثبت أن الطور أو طور سنين ثلاث جبال بمكة تسمي طور زيتا (طور الزيتون وهو نفسه جبل الزيتون المذكور بالتوراة أن عيسي صعد منه للسماء) وطور تينا (طور التين) وطور سيناء (طور النور أو جبل النور وهو الجبل الموجود به غار حراء والذي نزل به الوحي علي محمد ﷺ وهو نفسه جبل الطور الذي تلقي عليه موسي الألواح وظهر الله له عنده، وهو يقع بوادي طوي المقدس شمال غرب البيت الحرام). وما يؤكد تعدد الجبال تحت مسمى الطور قوله تعالى: وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ...(52) مريم. وهذا ما يؤكد أن في ذات المنطقة طور أيسر أو أكثر من طور ولذلك اختار تمييز الطور باتجاهه.

إذن التين والزيتون في الآية السابقة ليسا ثمار التين والزيتون أو أحد المساجد وإنما هما جبلان بمكة بُني البيت الحرام من أحجارهما، وليس أي مكان آخر كما جاء ببعض الروايات السابقة، فليس من المعقول القول أن إبراهيم وإسماعيل كانا يذهبا للشام أو لبنان ليأتيا ببعض أحجار الكعبة من أحد جبال هذه البلاد، والصحيح أن جميع هذه الجبال تقع بالمنطقة المباركة والمقدسة بالبلد الأمين مكة ومنها بنيت أحجار الكعبة والبيت الحرام.

وعن أبي هريرة أنه قال: لقيت كعب الأحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله ﷺ، فكان فيما حدثته أن قلت: قال رسول الله: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة...، قال أبو هريرة: فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال: من أين أقبلت ؟ فقلت من الطور، فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما

https://tinyurl.com/mpvm3t8z

ـ ورواه الأزرقي في أخبار مكة 1/63 إلا أنه قال جبل الأحمر بدلا من جبل الحبر والصحيح هو الجبل الأحمر لأنه من جبال مكة (انظر: الباحث هشام كمال عبد الحميد ، في كتاب : "قراءة عصرية جديدة لأشراط الساعة وأهوال القيامة بالقرآن والكتب السماوية"

رابط الكتاب على : http://heshamkamal.3abber.com/post/392407)

1 ـ نقلا عن: البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، ج١ ،ص١٠ ـ كتاب نداء السراة – مرجع سابق

خرجت..." [1] وما يهمنا في هذه الرواية ما جاء بها عن لقاء أبي هريرة لكعب الأحبار وبصرة بن أبي بصرة الغفاري بالطور، وهو ما يؤكد أن الطور بمكة وأرض الحجاز وليس بسيناء مصر أو القدس الفلسطينية أو الشام كما زعم الكذابون من أهل الكتاب ومن سار علي نهجهم في الأزهر.

ويستدل أيضا علي وجود الطور بمكة من قول المقريزي "... ومن كُوَر القبلة قرى الحجاز وهي: كورة الطور وفاران، وكورة راية والقلزم، وكورة إيلة وحيزها، ومدين وحيزها والعونيد والحوراء وحيزها..." [2]. ويضيف المقريزي حقيقة أخرى أكثر وضوحا فقال: "... وقال أن موسى حارب هنالك العرب، مثل طسم وجديس والعماليق وجرهم وأهل مدين حتى أفناهم جميعا، وأنه وصل إلى جبل فاران، وهي مكة، فلم ينج منهم إلا من اعتصم بملك اليمن أو انتمى إلى بنى إسماعيل، وفي ثلثي الشهر الباقي من هذه السنة ظعن القوم في برية الطور بعد أن نزلت عليهم التوراة..." [3].

والروايات السابقة التي جاء بها أن الأنبياء وبني إسرائيل والنبي محمد والصحابة كانوا يخلعون نعالهم قبل دخولهم وادي طوي تدل علي أنه المكان المقدس الذي ظهر الله لموسي فيه وأمره بخلع نعله لأنه مكان مقدس، وطوي هي الموقع الذي سماه اليهود في توراتهم قادش أو قدش (قدس-القدس)، وجاء في سفر الخروج أن الوصايا والشرائع الأولي نزلت علي موسي في التلال المرتفعة المحيطة بقادش (مكة)، وهو ما أشار إليه إيمانويل فليكوفسكي أن قادش الوارد ذكرها في التوراة ما هي إلا مكة المكرمة.

وكان الله قد أنزل التوراة على موسى وأمره ببناء البيت الحرم (المسكن) "البيت المقدس" أو " بيت المقدس" من خشب السنط (وذلك بعد تحرير البيت الحرام من أيدي العماليق بالقطع وتنفيذ أمر الله لبني إسرائيل بمحاربة العماليق، ولكنهم تقاعسوا عن القتال فكتب الله عليهم التيه ٤٠ سنة)، وشجرة السنط أو أكاسيا، وجدت في وادي قمرة في الحجاز وهي من فصيلة البازيلا [4]، ثم شرح الله لموسي كيفية بناء بيته المقدس (الحرام) وحدد له موقعه فقال تعالي: تصنع الألواح للمسكن عشرين لوحا

---

[1] ـ موطأ مالك ـ كتاب الجمعة حديث 243 ، والتمهيد لابن عبد البر ج23 ص 36

[2] ـ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) 1ـ4 ج1 ص 139 الناشر: دار الكتب العلمية على الرابط التالي: https://tinyurl.com/bdhe27ve

[3] ـ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص 1242

[4] ـ المصدر : مجلة الفيصل ص ١٠٢ العدد ٣٣-١٩٨٠

إلى جهة التيمن (اليمن) ولجانب المسكن الثاني إلى جهة الشمال (شام إل – الشام) عشرين لوحا.. ولمؤخر المسكن نحو الغرب (يمه – بحرا)) تصنع ستة ألواح وتضع لوحين لزاويتي المسكن في المؤخرة (خروج ٢٦ : ١٥ – ٢٥). ومعروف أن كلمة التيمن كانت تطلق علي اليمن في اللهجات العربية القديمة، وكلمة الشأم كانت تطلق علي الشام أو الشمال، وكلمة "يمه" العبرية التي تعني الغرب تعني البحر أيضا [1] ، مما يؤكد مكان البيت وموقعه جغرافيا (بين الشام واليمن) والذي أمر الله موسي أن يعيد بناءه في مكة المكرمة. فهذا البيت مربع أو مكعب وتتجه حوائط واجهاته الأربعة باتجاه الجهات الأربعة للكرة الأرضية، فإحدى واجهاته باتجاه اليمن بالجنوب والمقابلة لها باتجاه الشأم (الشمال)، والثالثة باتجاه البحر الموجود غرب هذا البيت والرابعة باتجاه الشرق. وهذه هي نفس مواصفات وحدود بيت الله الحرام بمكة، الذي يحده اليمن جنوبا والشام شمالا والبحر غربا . وتبقى المؤخرة التي هي إلى جهة الشرق داخل الجزيرة العربية. ووصف الله لموسي كيفية صنع غطاء المسكن المربع أو المكعب (الكعبة) من اسمانجوني وأرجوان وقرمز وأمره أن يزين هذه الكسوة أو الغطاء بصور كروبيم (الكروبيم نوع من الملائكة المقربين) وأن يقوم حائك (خياط) حاذق (ماهر) بصنع هذه الكسوة للكعبة المشرفة (خروج٢٦: ١– ٦)، و(خروج١ –٩: ٢٧) فهل هناك بيت بهذه المواصفات والاتجاهات والموقع والكسوة غير بيت الله الحرام ؟!

بعد ذلك شرح الله لموسي كيفية صنع تابوت العهد والمذبح وملابس الكهنة الذين سيخدمون ببيته المقدس (البيت الحرام) وسلم الله موسي ألواح التوراة. ونزل موسي من الجبل فوجد بني إسرائيل يعبدون العجل الذي صنعه لهم هارون حسب ما جاء بالتوراة المحرفة في هذه الجزئية (والصحيح حسب ما كشفه القرآن أن الذي صنع العجل لهم هو السامري(، فقام موسي بإلقاء الألواح علي الأرض وأخذ العجل فأحرقه بالنار ثم طحنه وألقاه علي وجه الماء وسقي بني إسرائيل من هذا الماء، وواضح أن هذا الماء كان ماء عذب لبركة أو نهر أو مجري ماء آخر (خروج٣٢: ١٥ –٢٠)

في السنة الثانية في العشرين من الشهر الثاني ارتحلوا من برية سيناء (سين) إلي برية فاران (عدد ١٠: 11ـ١٢) وأرسلهم موسي من برية فاران ليتجسسوا أرض كنعان بجنوب برية فاران من علي الجبل، فصعدوا للجنوب وتجسسوا الأرض من برية صين إلي رحوب في مدخل حماة، وأتوا حبرون

[1] ـ سبق شرح العلاقة بين كلمة يمن و تيمن وجهة الجنوب في فصل مقام إبراهيم

(عفرون الخليل بالتوراة السامرية) وكان هناك بنو عناق (العماليق) ووادي أشكول (العنقود بالتوراة السامرية) وقطعوا من هناك عنقود عنب لذا دعوا اسم هذا المكان وادي أشكول (وادي القطف بالتوراة السامرية) بسبب قطف الذي قطعه بنو إسرائيل، ورجعوا لموسي بعد أربعين يوما إلي برية فاران إلي قادش، وأخبروه أن العماليق ساكنون بأرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلي جانب الأردن (عدد١٣: ١٧–٣٠ . (وسبق وأن أوضحنا أن الخليل التي هي حبرون بلدة بشمال مكة، وهناك بلدة الخليل بشمال المدينة المنورة أيضا، وأشكول التي سماها بني إسرائيل القطف أو القطيف هي مدينة القطيف وهي مدينة مشهورة ومعروفة بالمنطقة الشرقية بالسعودية.

وليس عجبا إذن أن تنطوي ذاكرة العرب على اسم مكة في خط سير بني إسرائيل وموسى إلى الأرض المقدسة، فها هو ابن خلدون ضبط هذا الخبر الذي يورد أحداث تهيؤ موسى (ع) لاقتحام الأرض المقدسة التي كانت تسكنها إحدى قبائل العمالقة (الجبارين) "ورتب المصاف والميمنة والميسرة وعين مكان كل سبط في التعبية وجعل فيه التابوت والمذبح في القلب وعين لخدمتها بني لاوى من أسباطهم وأسقط عنهم القتال لخدمة القبة وسار على التعبية سالكا على برية فاران وبعثوا منهم اثني عشر نقيبا من جميع الأسباط فأتوهم بالخبر عن الجبارين .. فاستطابوا البلاد واستعظموا العدو من الكنعانيين والعمالقة ورجعوا إلى قومهم" [1] وفاران كما جاء سلفا هي مكة وموطن إسماعيل (ع) وفق تأكيد طائفة واسعة من المؤرخين ومنهم ابن الجوزي [2] بل قيل إنها جبال الحرم تحديدا كما ينقل الهمداني [3]

فلم يدخل موسى ولا بنو إسرائيل الأرض المقدسة بل دخلوا التيه، ونجد في الذاكرة العربية ما يكشف هذه الحقيقة كما ينقل المقريزي "ويسير الراكب مرحلتين في محض التيه هذا، حتى يوافي ساحل بحر فاران، حيث كانت مدينة قاران، وهناك غرق فرعون، والتيه مقدار

[1] ـ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢ ،ص٨٥

[2] ـ ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٤٨

[3] ـ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٨٦

أربعين فرسخا في مثلها، وفيه تاه بنو إسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أووا إلى بيت ولا بدلوا ثوبا، وفيه مات موسى (ع)[1].

ونأخذ من دائرة المعارف التي نشرتها مجلة الفيصل نصوصا تؤيد ما تقدم به المقريزي حيث تقول: الربع الخالي: وهو الذي نطلق عليه اسم صحراء الأحقاف وأحيانا البحر السافي (لاحظ عبارة بحر سوف التوراتية) ويغطي مساحة كبيرة من أرض المملكة العربية السعودية يمتد من جنوب نجد حتى وادي نجران غربا ..ويمتد إلى الخليج العربي شرقا وإلى حدود المملكة السعودية جنوبا كما يغطي قسما من أراضي حضرموت وعمان ـ (قارن ذلك أيضا مع ثمود و مهرة التي ذكرتها التوراة المترجمة إلى اليونانية باسم سيدامو و أموهرة)[2].

فقد رفض بنو إسرائيل الدخول فيها وقالوا فيها قوما جبارين وهم قبيلة العماليق بنى جرهم التي غصبت حكم مكة من بنى إسماعيل آل بيت النبوة الإبراهيمية العربية وكانت العماليق أشرار قريش تحكم أرض الحجيج بمكة، وكانت مكة في هذا الوقت قرية مسورة لها أبواب تدفع إتاوات حتى يسمح بالدخول للحج مثل اليوم تماما، فالعماليق المجرمين أرادوا قتل سيدنا موسى وصارعهم وقاتلهم لكنه لم يدخل مكة بسبب تقاعس قومه، فأرض الله المقدسة هي مكة المكرمة وهى التي كانت سيطر عليها بالغصب قبيلة (جرهم) وهم من العمالقة والذين هزموا أحفاد نبي الله سيدنا إسماعيل وسيطروا على مكة وأداروا طقوس الحج لحسابهم ولذلك طلب الله من سيدنا موسي وبني إسرائيل الجهاد في سبيل الله ليحرروا الأرض المقدسة والكعبة من يد العمليق وعندما خافوا ورفضوا الجهاد في سبيل الله لتحرير الأرض المقدسة وقالوا لموسي بكل قلة أدب وكفر الفاسقين اذهب أنت وربك فقاتلا، عندئذ كتب الله عليهم التيه أي حرم عليهم الحج ودخول البلد الحرام لمدة الأربعين عاما، فالحرمان شمل تحديدا (أداء عبادة فريضة الحج)، وقضوا فترة التيه في الربع الخالي بين مكة والمنطقة التي غرق فيها فرعون، ثم زحفوا بعد ذلك إلى مناطق الجنوب وجنوب غرب حتى استقروا في اليمن، وشيدوا ممالك صغيرة هناك بعد ما يربو على أربعمائة عام، واستطاعوا بعد ذلك العودة وتحرير الأرض المقدسة في عهد الملك (جالوت ـ ملك العماليق بمكة) وذلك عندما قتل (سيدنا داوود)

---

[1] ـ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٤٩؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص٢٦٨

[2] ـ الفيصل عدد 11ـ صفحة 152 – نقلا عن كتاب: أسرار اللغة العربية ونشأة الحضارة ـ محمد رشيد ناصر ذوق – غير مطبوع ، على الرابط التالي: http://www.oocities.org/zaouk_rachid/secrets-language3.htm

العمليق جالوت ملك قبيلة جرهم في مكة المكرمة وحرر الأرض المقدسة من المغتصبين بنى جرهم، وفتح بذلك الفرصة لليهود لأداء فريضة الحج، واستمروا بعده.. إلى أن سيطر العرب الكافرين مرة أخرى على الحرم وظهرت بعثة النبي محمد ﷺوهاجر إلى يثرب وعاد بجيشه لفتح مكة وتحريرها من عبادة الأوثان مرة أخرى..



الإضاءة الثانية والعشرين

بيت المقدس

يقول تعالى لبني إسرائيل:" يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿21﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾22/المائدة. فحكم عليهم بالحرمان والتيه.. إذن الإسرائيليين لم يدخلوا الأرض المقدسة قبل هذا التاريخ وأن موسى دعاهم لدخولها فامتنعوا بداية الأمر، فماذا كان سبب القدسية؟ ولماذا لا تكون الأرض المقدسة هذه في الصين مثلا أو الهند ؟ لماذا فلسطين تحديدا؟ أو على أي أساس تم إسقاط إحداثيات القداسة على هذه البقعة وهم لم يعرفوها من قبل؟

فإذا قلنا أن وادي طوى مقدس، فيمكن فهم ذلك على أساس أن الله تجلى في هذا المكان وكلم نبيه موسى على الطور، فاليهود يقولون أن الطور ربما يقع داخل شبه جزيرة بياو الجبتية، ومصدر القدسية لأي مكان لا يأتي من طبيعة خلقه أو تمييزه في الخلق والإنشاء عن الأماكن الأخرى، بل كل بقاع الكرة الأرضية متساوية، وتبدأ القدسية والمباركة حيث يقع حدث معجز تتجلى فيه قدرة الله ويحدث خرق لقوانين الطبيعة، أما فيما عدا ذلك فلا قدسية لأي مكان . ولو قلنا كما قال اليهود أنها كانت موطن النبي إبراهيم، فهذا ليس مصدر قدسية، لأن إبراهيم عاش في أكثر من خمس أماكن مختلفة، ونشر أولاده في أماكن مختلفة للرعي بعيدا عن بعضهم، ولأن الأنبياء والرسل إنما يُبعثون في الأقوام الفاسدة عقائديا وفكريا وخلقيا، ويكون دورهم إصلاح نفوس الناس في هذه المنطقة، فليس موقع قرية النبي لوط مباركا لمجرد أن تصادف بعثة لوط هناك لأن السبب معروف، وليس قصر فرعون مباركا لمجرد أن عاش فيه موسى، أما فلسطين فما مصدر قدسية هذا المكان؟

ثم يعود اليهود ليقولوا أن (الأرض المقدسة بيت المقدس) في الشام، حيث موقع هيكل سليمان، والله تعالى قال إلى الأرض التي باركنا فيها ! فما المناسبة التي بارك الله فيها هذه الأرض ؟ هل مجرد أن سليمان بنا كنيس فيها ؟ ! فمعروف أن الأرض المباركة هي مكة، أما مناسبة بناء سليمان للكنيس فهذا لا يعتبر معجزة تجعلنا نفهم أن هذه هي الأرض التي بارك الله فيها،غير أن قدسية هذه الأرض كانت قائمة قبل سليمان وهيكله،و بخاصة أن سليمان ليس رسولا ولا كليم وخليل الرحمن، إنما نبي فقط لبني إسرائيل، فما موطن الإعجاز الإلهي الذي قد يجعل هذه الأرض مقدسة ؟! أليس الجبل الذي تجلى فيه الله أقرب لهذه القدسية والبركة ؟ ! حيث وصف الله وادي طوى بالأرض التي باركنا فيها ووصف الأرض المقدسة

كذلك، ما يعني أن بيت المقدس يقع في الأرض المباركة بسبب وبمناسبة تجلي الله فيها وأنها محل بيته الحرام، إنما مجرد أن يخترع اليهود موقعا جديدا في فلسطين فيكون ذلك هو الأرض المقدسة ؟ فما سبب القدسية هنا ؟ ! إن اليهود لطالما تنكروا لأوامر الله ونواهيه، وجحدوا وعبدوا العجل تارة، ورفضوا أوامر موسى بدخول الأرض المقدسة تارة... فكيف يقول الله لموسى أدخلوا الأرض المقدسة ونفهم أنها الشام؟ ! فما سبب القدسية هنا خاصة وأن موسى لم يدخلها من قبل ولم يكلم فيها الله، إنما كلم الله في الطور، ألا يعتبر جبل الطور أكثر قدسية بالنسبة لموسى من الشام ؟ فالأرض كانت مقدسة ولهذا كان موسى مأمورا بدخولها وتطهيرها من الفساد العقائدي، فهل من المنطق أن نعود مع اليهود لنقول أن سبب القدسية كان لبناء هيكل سليمان الذي جاء بعد موسى !

في الحقيقة أن بني إسرائيل اتجهوا إلى الجنوب بعد نزول الألواح على موسى في الطور بالوادي المقدس طوى، ولم يدخلوا الأرض المقدسة، ولم يدخلوا مكة وتقاعسوا. وبعد انقضاء سنون التيه الأربعون التي عاشوا خلالها شرقي النهر (في المنطقة جنوب شرق مكة والطائف)، بعث فيهم نبيا، يدعون في التوراة أن اسمه (صمويل)، وربما لتعرضهم لضيق العيش والاضطهاد والغزو من قبل الممالك والعشائر المجاورة شرقي النهر، طلبوا من هذا النبي أن يسأل الله ليبعث لهم ملكا، قال تعالى: ﴿ ألمْ ترَ إلى المَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بعْدِ مُوسَى، إِذْ قالوا لِنَبيٍّ لهُمْ ابعثْ لنا مَلِكًا نقاتِلْ فِي سَبيلِ الله﴾246/البقرة، بغية دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، فبعث لهم طالوت ملكا وأنزل الله لهم التابوت تحمله الملائكة آية لملكه، كونهم لا يؤمنون إلا بما هو مادي محسوس، فأعدهم ونظم صفوفهم واجتاز بهم النهر على ألا يشربوا منه فشربوا منه إلا قليلا، وكانت المواجهة مع (الجبارين: جرهم والعماليق) ﴿ فهَزَمُوهمْ بإِذْنِ اللهِ وَقتَلَ داوُودُ جالوتَ ﴾ (وقتل داوود ـالذي كان من جنود طالوتـ جالوت قائد الجبارين) فدخلوا الأرض المقدسة، ومن ثم انتقل الملك لداوود بغض النظر عن الكيفية، ﴿ وآتاه اللهُ المُلكَ والحِكْمَةَ وعلَّمَه مِمَّا يَشاءُ ﴾251/البقرة، ونص هذه الأحداث كاملا تجده في الآيات 246ـ251 من سورة البقرة، وكانت هذه أول معركة يقاتل فيها بنو إسرائيل، وكان جيشهم يتألف من القلة المؤمنة، التي لم تشرب من النهر. كان هذا هو الدخول الأول لبني إسرائيل إلى الأرض المقدسة.



وذكر ابن كثير أنه « لما دخل يوشع بهم باب المدينة أمرهم أن يدخلوها سجدا أي ركعا متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما مَن به عليهم من الفتح العظيم، الذي كان الله وعدهم إياه، وأن يقولوا حال دخولهم ﴿حِطة﴾ أي حط عنا خطايانا التي سلفت؛ من نكولنا الذي تقدم منا، وأما بنو إسرائيل فإنهم خالفوا ما أمروا به قولا وفعلا؛ فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم (مؤخراتهم عنادا مع الله !) وهم يقولون: حبة في شعرة، وفي رواية: حنطة في شعرة، وحاصله أنهم بدلوا ما أمروا به واستهزأوا به، كما قال تعالى حاكيا عنهم في سورة الأعراف وهي مكية: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ...

والقارئ في غنى عن تعريف اسم الإشارة الذي أراد به الله في قوله ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ فلا يوجد في القرآن اسم إشارة يشير إلى إبهام، لكن المفسرين يقولون أنها مدينة " إيلياء " ! فعلى أي أساس ؟! ولماذا لم تكن كوبنهاجن ؟! إلا إذا كان الله يخاطب العرب القرشيين المكيين تحديدا في هذه السورة المكية، ويحدثهم عن قريتهم مكة وهي أم القرى. لكن السادة المفسرين والسلف الصالح استمعوا إلى شهادة اليهود وقولهم بأنها إيلياء، برغم أنهم يذكرون أمر الله لليهود بدخول البيت سجدا، بينما اليهود يدخلونه زحفا على مؤخراتهم استهزاءً بالله ! ومع ذلك يصدقهم السلف الصالح !

يقول ابن خلدون: (قال ابن سعيد) فيما نقله عن كتب التواريخ التي اطلع عليها في خزانة الكتب بدار الخلافة من بغداد، قال" كانت مواطن العمالقة تهامة من أرض الحجاز... وتطرد لهم الملك إلى أن كان منهم السميدع بن لاوذ بن عمليق وفي أيامه خرجت العمالقة من الحرم أخرجتهم جرهم من قبائل قحطان فتفرقوا ونزل بمكان المدينة منهم بنو عبيل بن مهلايل بن عوص بن عمليق فعرفت به ونزل أرض أيلة ابن هومر بن عمليق... ثم بعث من بني إسرائيل بعثا إلى الحجاز فملكوه وانتزعوه من أيدي العمالقة ملوكه ونزعوا يثرب وبلادها وخيبر ومن بقاياهم يهود قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وسائر يهود الحجاز على ما نذكره.." [1].

وروي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً، سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ، أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" [2].

إذن؛ بيت المقدس الذي كان موسى مأمورا ببنائه وتجليده بالخشب وتطريزه وتجهيزه للعبادة، لم يستطع موسى إتمام مهمته بسبب تقاعس بني إسرائيل ورفضهم دخول الأرض المقدسة، ولهذا لما اشتد ساعد الملك داوود قادهم إلى الأرض المقدسة وطهرها من عبادة الأوثان وتغلب على جرهم والعماليق وأعاد بناء البيت الحرام (بيت المقدس) فالمقدس هو اسمٌ من أسماء مكة التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية، وسبب التسمية والصفة معروف وسبق وأن فصلناه، ولا يوجد بيت مقدس في أي مكان آخر، وكان موطن مملكة سليمان في جنوب الجزيرة العربية قرب جبل صيّون باليمن (صهيون وفقا للتسمية المعاصرة)، وقد سخر الله لسليمان الريح تنقله من موطنه إلى الأرض المقدسة، فيقول تعالى: ﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾٨١/الأنبياء. ولا يمكن تفسير الأرض المباركة هنا على أنها فلسطين، لأن ذلك وفقا لرغبة اليهود، فكيف تنقل الريح سليمان (من فلسطين) إلى الأرض المباركة (فلسطين) ؟! ومعروف أن الريح تنقله عبر البحر فهي تدفع السفن بأشرعتها، وكان سليمان يتحرك بسفنه من الجنوب باليمن عبر البحر الأحمر فيصل مكة، حيث الأرض

---

[1] ـ تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون ـ ج 2ـ الصفحة ٢٧

[2] ـ رواه النسائي وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بأسانيدهم، وصححه الألباني.

المباركة المقدسة، إنما هذه الرحلة البحرية كيف يمكن تصورها لو كانت كما يقول اليهود (الأرض المباركة وسليمان داخل فلسطين)!

وأما الصرح الذي بناه سليمان فكان في عاصمة مملكته باليمن، حيث دعا ملكة سبأ القريبة منه، يقول تعالى:" قِيلَ لها ادْخلِي الصَّرح " وأما الترجمة العربية للتوراة فأعطته اسم الهيكل، والمعنى لكلتا التسميتين واحد، وهو البناء الضخم المرتفع. ولا علاقة لهذا الهيكل بالمسجد الحرام (بيت المقدس) أو المسجد الأقصى الذي سيرد ذكره في القرآن في موضع آخر. وكانت الكعبة المشرفة هي قبلة الصلاة الإبراهيمية التي جاء عليها موسى، فإبراهيم كانت قبلته هي الكعبة، ومن بعده ذريته، ولما وقع بنو إسرائيل في الاستعباد وضاق عليهم أمر العبادة، بدأ هنا التخفيف من الله.

، فالصلاة لديهم كانت تؤدى بشكل فردي في البيت أو فيما يسمى بالمحراب في المعبد أي الهيكل، وأحيانا يسمونه الكنيس، قال تعالى﴿ وأوْحَيْنَا إلى مُوسَى وأخيهِ أنْ تَبَوآ لِقوْمِكُما بِمِصرَ بيُوتًا واجعَلوا بيُوتكُمْ قِبلةً وأقِيمُوا الصَّلاة وبَشِّرِ المُؤمِنِين﴾87/يونس. هذا كان خلال فترة الاستعباد في مصر حيث ضيّق عليهم فرعون ومنعهم من العبادة، وبعد خروجهم، بدأت الصلاة تعود جماعية في المحراب أو الهيكل، والمحراب عبارة عن غرفة صغيرة منعزلة، مخصصة للصلاة والدعاء والذكر، والأغلب أنها كانت تقام مرتفعة عن الأرض، وهي أشبه ما يكون بالعلية، وقد ارتبط ذكر المحراب في القرآن، بأنبياء بني إسرائيل الأوائل، يقول تعالى: ﴿ وَهلْ أتاكَ نبأ الخصْمِ إذْ تَسَوَّرُوا المِحْراب﴾21/ص. وبآخر أنبيائهم زكريا ويحيى ﴿فنادَتْه المَلائِكةُ وهُوَ قائِمٌ يُصَلّي فِي المِحْرَابِ ﴾39/آل عمران. والمحراب أو الهيكل أو الكنيس في اليهودية يقابله الكنيسة في المسيحية ويقابلهما المسجد في الإسلام.

أما الصرح فعلى ما يبدو أنه كان أعجوبة من أعاجيب الزمان، وأن من قام ببنائه وصناعة محتوياته هم الجن، وأن مادة البناء كانت من النحاس والزجاج ومواد أخرى ما عدا الحجارة، وأنه اشتمل على المحاريب والتماثيل والأواني النحاسية الصغيرة، والأحواض أو البرك المائية الضخمة المصنوعة من النحاس، والجواهر والكنوز من لؤلؤ ومرجان وغيرها، مما كانت ستخرجه الجن من أعماق البحار. قال تعالى: ﴿قالَ ربِّ اغْفرْ لي وَهبْ لِي مُلكًا لا يَنْبَغِي لِأحدٍ مِنْ بَعْدِي إنكَ أنْتَ الوَهَّاب سلطان فسَخَّرْنا له الرِّيح تَجْرِي بأمْرِهِ رُخاءً حيْثُ أصَاب سلطان والشَّيَاطِينَ كُلَّ بنَّاءٍ وغوَّاص" 37/ص وقال أيضا: " وأسلْنا له عيْنَ القِطرِ ومِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بيْنَ يدَيْهِ بإذْنِ رَبِّهِ ومَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أمْرِنا نذِقْهُ مِنْ عذابِ السَّعِيرِ سلطان يَعْمَلُونَ له ما

يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾13/سبأ. أي يمكننا وصف هذا الصرح بأنه بناء ضخم ومرتفع، أرضيته من الزجاج المصقول، يرى من خلالها ماء يجري أسفل منها، أو ماء راكد في أحواض مائية، وضع فيها ما استجلبه سليمان من المناظر والمشاهد البحرية، مما استخرجته له الشياطين من أعماق البحر، وعلى أطراف تلك الساحة أقيمت المحاريب العديدة للعبادة من كل جانب، والله أعلم. وبالتأكيد فإن طريقتهم في البناء تختلف عن طريقة البشر، وطبيعة المواد المستخدمة تختلف عما يستخدمه البشر.

وهذا هو الصرح الذي زارته ملكة سبأ ورفعت عن ساقيها متخيلة أن أرضيته بها ماء، بينما كانت من الزجاج المصقول. ودانت بعد ذلك مملكتها لسليمان دينيا لا عسكريا، وبقيت العلاقات والمصالح التجارية وغيرها قائمة بين الدولتين، مرورا بجزيرة العرب لفترة طويلة، حسبما تثبته سورة سبأ (15-20)، حتى كفر قوم سبأ بأنعم الله إلا قليل منهم، ومع تقادم الزمن انقطعت تلك العلاقة. أما بني إسرائيل في عصر سليمان، فلم يختلفوا كثيرا عما كانوا عليه في عصر موسى وداوود، حيث كانوا على الدوام فاسدين كأفراد إلا من رحم الله، وما اختلف عليهم في عصر سليمان، أن سليمان ساسهم بالقوة والسلطان، وكان يأخذهم إلى القتال وهم بطبيعتهم له كارهون، قال تعالى ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ 17/النمل، وحشر أي جمع، ويوزعون أي يساقون بانضباط ولا يتقدم آخرهم على أولهم. وفي هذا الوقت كانت مكة تحت سلطان مملكة داوود ومن بعده سليمان.

وأما سبق دخولهم للأرض المقدسة، فقد قال فيه سبحانه على لسان موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾21/المائدة؛ أي كُتب لبني إسرائيل دخولها، وقال سبحانه:﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾137/الأعراف أي أسكناهم إياها، وذلك بعد انقضاء سنوات التحريم والتيه الأربعين. والأرض المبارك فيها هي مكة، ومشارقها ومغاربها. نخلص بذلك إلى أن الأرض المقدسة والمباركة مكة وليست فلسطين، إذ أن موسى كان يتواجد وقومه في التيه شرقي عبر الأردن (عبر يردن) (جنوب مكة).

بعد ذلك وصلوا إلى مرحلة تحقق العلو، بوحي من الله وقيادة أنبياءه وملوكه، وكان هذا هو العلو الأول لبني إسرائيل، وأما الإفساد فلم يكن قد وقع منهم لاقتران الملك بالنبوة، وما كان للأنبياء أن يفسدوا في الأرض، ونجد أن النبي التالي لسليمان في الذكر، من أنبياء بني إسرائيل في القرآن هو زكريا ومن بعده

يحيى، وكان آخرهم عيسى عليهم السلام جميعا. وقد بعث الأنبياء الثلاثة بالتتابع وعاصر بعضهم بعضا، وكان ذلك بعد فترة طويلة من وفاة سليمان، وبعد عيسى لم يُبعث فيهم أنبياء. وما كان بعث عيسى عليه السلام بالإنجيل، إلا لتجديد الشريعة التي جاء بها موسى، بعد أن أضاع بنو إسرائيل التوراة واختلفوا في أمرها، قال تعالى:﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾63/الزخرف.

وكانت مملكة سليمان قائمة في المنطقة الجنوبية الواقعة على الحدود بين اليمن والسعودية حاليا، ربما في المخلاف السليماني تحديدا والذي ما زال يحمل ذكرى تلك المملكة. وقد أجرى الباحث النجيب د. أحمد القشاش بحثا لغويا تاريخيا وجغرافيا في الآن ذاته للتدليل على موقع مملكة سليمان [1]، وبدأ بتتبع خط سيره في الطريق لغزو مكة المكرمة، حيث عبرت جيوش سليمان (ع) من وادي النمل. وللتأكيد على ذلك نعود إلى كتاب الله تعالى إذ يقول: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾18/النمل. وقد اختلف الجغرافيون والمفسرون في تحديد موقعه " وادي النمل " فقال ياقوت الحموي:" وادي النمل الذي خاطب سليمان النمل فيه، قيل: هو بين جيرين وعسقلان" [2] وقال:" (ويقال إن وادي النمل الذي مر به سليمان ابن داوود (ع) خلف بلاد التبت)" [3]. وقال في موضع ثالث:" ورادع: مخلاف من مخاليف اليمن، وهو مخلاف خولان، وهو بين نجد وحمير... وبه وادي النمل المذكور في القرآن المجيد" [4].

ويقول القشاش: "على ما يبدوا أن الموضع الأخير الذي ذكره ياقوت هو الأقرب للصواب حيث ذكره غير مسبوقا بصيغة التضعيف (قيل، ويقال) كما في الموقعين السابقين، وقد ذهب القرطبي إلى هذا أيضا

---

[1] ـ الدكتور أحمد سعيد القشاش؛ أستاذ مشارك بجامعة الباحة ـ المبحث الرابع بعنوان " بعنوان وادي النمل" وهو ضمن كتاب بعنوان (أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة) منشور على موقع جمالون على الرابط التالي: https://jamalon.com/ar/3105710.html

وقد نشر منه خمسة مباحث بعنوان (اليم – مصر- وادي النمل – تهامة – طوى) المبحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية – ملحق العدد 183 على الرابط التالي : (http://docportal.iu.edu.sa/iumag/pdf/2345.pdf)

[2] ـ انظر: ياقوت الحموي ـ معجم البلدان 5/346 ـ وانظر آثار وأخبار رحلة ابن بطوطة (ط المغرب 1/245

[3] ـ انظر: ياقوت الحموي ـ معجم البلدان 11/2

[4] ـ ياقوت الحموي ـ معجم البلدان 40/3 ، و المسالك والممالك لابن خرداذبة 138

فذكر أنه بأرض اليمن ". [1] ويذهب جمع كبير من المفسرين لرواية عن كعب الأحبار إلى أن "المراد بوادي النمل المذكور في الآية الكريمة إنما هو وادي النمل المعروف إلى يومنا هذا شرقي الطائف" [2]. وقد مر به نبي الله سليمان في طريقه إلى مكة [3] أي أن قدومه كان من جهة اليَمَن. وقد ذكر في سياق الخبر أن سليمان مرّ بوادي السُدير في طريقه إلى وادي النمل، والسدير وادٍ ما زال يُعرف إلى يومنا هذا جنوب شرق الطائف، ويقع إلى الجنوب من وادي النمل، لا يفصل بينهما إلا وادي (لِيَّة) [4] وينطقه الناس اليوم (السُديرة) بالتأنيث [5] وقد ورد لدى الإخباريين ما يعزز رواية كعب الأحبار تلك، فمن ذلك ما روي عن قدوم سليمان إلى مكة وانتزاعه ملك الحجاز ومكة من البشر بن الأغلب الجرهمي وتمليك نبت بن قيدر من ذرية إسماعيل [6].

ثم روي أيضا عن محاولة دخول بني إسرائيل بعد وفاة سليمان إلى الحرم المكي على عهد الحارث ابن مضاض الجرهمي فحاربتهم عدنان وجرهم والعماليق واستولوا على التابوت الذي تم تسليمه في حديث يطول إلى الهميسع ابن نبت من ذرية إسماعيل [7] وهذان الواديان اللذان عبرهما سليمان (السديرة ووادي النمل) وما بينهما من أودية تفضي جميعا إلى طريق القوافل الذي كان يربط بين جنوب الجزيرة

---

[1] ـ انظر تفسير القرطبي 171/13

[2] ـ أصبح اليوم أحد أحياء الطائف، ويسمى على الخرائط الحديثة (نخب) وعامة الناس لا يسمونه إلا وادي النمل، ومفهوم أن الخرائط تسير وفقا للتنسيقات السياسية أما الثقافة الشعبية فمن الصعب اقتلاع ذكرياتها، ويقع هذا الوادي على الإحداثيات التالية؛ دائرة عرض (40,26,35) وخط طول (21,15,42) انظر هامش رقم (2) ص 390 المبحث السابق ذكره للدكتور أحمد سعيد القشاش

[3] ـ انظر تفسير البغوي 150/6 ، والثعلبي 197/7 ، والقرطبي 169/13 ، والبحر المحيط 219/8 وتفسير الخازن 341/3

[4] ـــ تجمع مياه وادي النمل مع وادي لية جنوب الحوية ويعد وادي جليل جنوب الحوية هو الامتداد الطبيعي لوادي لية : انظر معجم معالم الحجاز 165/2 ، 272/7

[5] ـ المرجع السابق 184/4

[6] ـ انظر :التيجان 222 ، ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 308/1 ، 309

[7] ـ التيجان في ملوك حمير 189، 190 ، والإكليل 234/8 ، 238 ، وذكر المؤلف التيجان أن التابوت بقي عند الهميسع وأبنائه يتوارثونه كابرا عن كابر إلى زمن عيسى ابن مريم (ع) الذي أخذه من كعب ابن لؤي ابن غالب. وفي هذا إشارة إلى أن عيسى ابن مريم كان في ذلك الوقت على علاقة مباشرة مع وجهاء مكة وأعيانها، وربما كان هذا الخبر إشارة إلى قرب مركز دعوته من مكة المكرمة وربما كانت ولادته في الجليل الواقع في الجنوب الشرقي من الطائف ويقع بأسفل وادي ليَة ويبعد عن مكة بنحو 150 كلم وهو وادي كثير الخيرات وغزير المياه ويذكر المؤرخون بأن الجليل التي في فلسطين والتي زعم بأن عيسى ولد فيها لم تكن لها وجود قبل القرن الثالث ميلادي .. انظر الإكليل 234/8 ، 238 ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 292/1 ، 309 والبحث عن يسوع 134 ـ انظر هامش البحث السابق ذكره للقشاش ص 391

العربية وشمالها مارا بحواضر الحجاز ومكة والمدينة ويأخذ مسارا يقع إلى الشرق من جبال السراة ويعرف بدرب البخور أو طريق الفيل [1] ...

ولعل في قدوم سليمان إلى مكة من جهة اليمن قرينة يمكن الاستعانة بها في إثبات أن مملكته كانت في مكان ما من جنوب أرض الجزيرة العربية. ويعضد هذه القرينة بل يصل بها إلى مرتبة الدليل عدد كبير من النصوص التاريخية والجغرافية تشير جميعها إلى أن مملكة نبي الله سليمان كانت بأرض اليمن قريبا من أرض سبأ. فهذا وهب ابن منبه (ت114هـ) وأصله من أهل الكتاب باليمن يذكر أن قصر سليمان كان على مسيرة ثلاثة أيام من مأرب عاصمة مملكة سبأ [2]، ويقول الإدريسي (ت560هـ) في كتابه (نزهة المشتاق) عند حديثه عن مدينة مأرب (وبها قصر سليمان ابن داوود ويسمى هذا القصر "صِرْوَاح" ولم يبق منه الآن إلا طلل دارس وأثر غابر [3]. ويظهر من النص أنه يريد مدينة صرواح الأثرية التي لا تبعد كثيرا عن مأرب وأنها أخذت اسمها من اسم القصر تيمنا به وهي ثاني مدن مملكة مأرب وثاني عاصمة دينية وسياسية أيضا تقع في ديار خولان الطيال على مسافة 37 كلم غربي مأرب [4] ولا تخفى العلاقة اللفظية والدلالية بين لفظي صرواح والصرح [5] الوارد في قصة مملكة سبأ مع سليمان: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾44/النمل.

---

[1] ـ انظر طريق البخور القديم 197

2 ـ انظر التيجان في ملوك حمير 165، 428، رابط الكتاب: https://www.goodreads.com/book/show/18684300

ويقول بهذا أيضا ابن سعد الأندلسي (ت685هـ) في كتابه نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 126/1

رابط الكتاب: https://www.goodreads.com/ar/book/show/6637503

[3] ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق 40 رابط: https://www.goodreads.com/book/show/9157739

وانظر: أبو عبيد البكري ـ المسالك والممالك 138 رابط: https://www.goodreads.com/book/show/17787117

[4] ـ انظر الموسوعة اليمنية (صرواح) 1854/3

[5] ـ الصرح: القصر وكل بناء عالٍ. القاموس صرح 228 وما زال كثير من أهل السراة يستعملون الصرحة بالتأنيث للمكان الواسع أو الساحة في وسط الحي تحيط بها بيوت عدة وهي كذلك في النقوش القديمة وتتخذ موضعا للعبادة وقد يقلبون الصاد سينا: انظر المعجم السبئي 145 وألفاظ يمنية 496

وذكر الأزرقي في أخبار مكة أن بلقيس هي صاحبة الصرح الذي ذكره الله في القرآن في قصة سليمان وكان سليمان حين تزوجها ينزل عليها فيه إذا جاءها [1] وهذا النص يدل بوضوح على أن اللقاء الأول الذي تم بين سليمان وملكة سبأ كان في اليمن ولم يكن في فلسطين [2]. وذكر أحمد حسين شرف الدين وهو أحد علماء اليمن المعاصرين أن بمأرب بناء ضخما ما يزال إلى اليوم يعرف بـ(هيكل سليمان) ويوجد على مقربة من السوق الواقعة في وسط مدينة مأرب ولا يرى منه اليوم إلا أعمدته الجيرانيتية الضخمة التي ردم ما بينها أخيرا وصير من المبنى مسجدا أصبح يُعرف بمسجد سليمان [3] ... وذكر الهمداني أن بآسي قرب ذمار وهي أكمة سوداء تسمى حمة بها جرف يسمى حمام سليمان ابن داوود والناس يستشفون به من الأوصاب والجرب وغير ذلك، قال محقق الكتاب: ولا يزال معروفا إلى اليوم باسمه وصفته [4] وذكر ابن المجاور أن بالقرب من تعز جبلا يقال له جبل البقر كان بالقرب من حصن منيع يسمى (أكمة سليمان) وهدمه ابن زائدة السيباني [5]. كما ذكر رواية عن علي ابن صبيح العقولي أن سليمان بنى في أرض اليمن ثلاثة حصون: بينون، وغمدان وسلحين، قال وهذا الأخير يعني القاعدة وهو أحكمهم [6].

ويقول الدكتور قشاش: من اللافت للنظر أن كثيرا من الآبار العتيقة في السراة تذكر مضافة إلى سليمان، ويظهر أنهم يريدون سليمان، ومن ذلك مثلا " بير سليمان" في قرية حزنة غرب بلجرشي، وكان

---

[1] ـ أخبار مكة 138/1 نقلا عن القشاش – المرجع السابق

[2] ـ تذكر أسفار العهد القديم قصة زيارة ملكة سبأ إلى سليمان (ع) بشيء من التفصيل فتذكر زيارتها إليه وهي تحمل الكثير من الأطياب والهدايا الثمينة وتضمر في نفسها عددا من الأسئلة لتطمئن إلى صدق ما سمعت عن حكمته وسائر أموره ولا يرافقها في زيارتها تلك إلا بعض عبيد قصرها وحصول اللقاء الأول في مدينة صرواح اليمنية أمر منطقي ومعقول لأن ما بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها مسافات شاسعة يزيد طولها عن 2000 كلم تحتاج إلى سفر لا يقل عن 80 يوم

[3] ـ المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية 105 ، 116 ، واليمن عبر التاريخ 196 وانظر الإكليل 116/1 وملوك حمير وأقيال اليمن 74 والموسوعة اليمنية (اليهود في اليمن) 3228

[4] ـ صفة جزيرة العرب 206 ، 207 ، 209

[5] ـ تاريخ المستبصر 192 ، 193

[6] ـ تاريخ المستبصر 121

الناس يستقون منها إلى عهد قريب وكذلك بير سليمان في قرية المدان المجاورة [1]. ويذكر عدد كبير من المفسرين أن سليمان كان في مكة فقدم منها إلى صنعاء وفي أثناء نزوله لهذه المدينة وكان وقت الزوال طار الهدهد إلى أرض بلقيس وعاد إلى سليمان بعد العصر فقص عليه خبر مكلة سبأ وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء [2]. وهذا أقرب إلى المنطق من القول بأن الهدهد قدم من فلسطين إلى سبأ جنوب اليمن قاطعا مسافة تزيد على 4000 كلم ذهابا وإيابا خلال ساعتين . بينما سرعة الهدهد لا تزيد عن 30 إلى 40 كلم /ساعة ومن هنا نستدل على أن المسافة بين سليمان وملكة سبأ كانت قصيرة جدا وفي متناول الهدد خاصة وأنه قد كررها ذهابا وإيابا بأمر سليمان. والمسافة بين صنعاء ومأرب هي كما ذكر المفسرون ثلاث مراحل أي نحو 100 كلم وهي مسافة مناسبة ليقطعها الهدهد في نحو أربع ساعات ونصف وهي متوسط المدة التي مكث فيها الهدهد إلى حين الزوال حتى عاد إليه بعد العصر كما ذكر المفسرون.

وما زال يهود اليمن إلى اليوم يعتقدون أن مملكة سليمان كانت إلى الشرق من صنعاء أي بالقرب من مأرب فقد ذكر نزيه مؤيد العظم في رحلته إلى اليمن عام 1916م [3]، ثم ذكر أن هذه الاعتقاد ليس مقصورا على علماء أهل الكتاب من اليمن فقط بل هو ما يعتقده بعض المسلمين من أهل اليمن أيضا، حيث يقول:" وقد أكد بعض المسلمين لي أنه كانت لليهود في اليمن مدينة راقية وكانوا أهل سنان وعنان، وكانت لهم دولة قوية وتحاربوا مع العرب حروبا كثيرة غلبوا في نهايتها على أمرهم وخضعوا لسلطان غيرهم وأدخلهم الإسلام في ذمته فأصبحوا ذميين [4]. ويظهر أن مراد الحاخام بالمدينة العظيمة شرق صنعاء هي مدينة صرواح الواقعة شرقي صنعاء بمنتصف الطريق إلى مأرب، حيث كانت مملكة سبأ، وهي المدينة التي بنى فيها سليمان الصرح وهو القصر الذي استقبل فيه ملكة سبأ كما تقدم.

---

[1] ـ وقد علق بالذاكرة الشعبية لأهل السراة بعض الأخبار والأساطير التي تتصل بسليمان (ع) فمن ذلك تسميتهم لنوع من النمل كبير الحجم طويل الأرجل سريع الحركة (أبو سليمان) ويعتقدون أن نبي الله سليمان أمسك بالسبابة والإبهام على بطن النملة فأصبح نحيفا إلى يومنا هذا وكنيت باسمه : انظر هامش بحث القشاش رقم (1) ص 396

[2] ـ انظر تفسير الثعلبي 199/7 والزمخشري 358 ، والبغوي 497/3 ، والبيضاوي 158/4 والنسفي 598/2 ، والخازن 344/3 وأبي السعود 379 ، والبحر المحيط 47/7

[3] ـ القصة ص 145 من كتابه رحلة في العربية السعيدة

[4] ـ ذكر نزيه مؤيد العظم ـ رحلة في العربية السعيدة 151

وربما كانت حول جبل ضروان البركاني شمال صنعاء حيث يذكر المفسرون أن أصحاب الجنة المقصودين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾17/القلم " يذكرون أنها بالقرب من صنعاء وأن أصحابها كانوا أهل كتاب من بني إسرائيل [1]. ووجود تلك المدينة العتيقة لبني إسرائيل شرق صنعاء يعد مسوغ منطقي لخبر دخول عيسى ابن مريم (ع) إلى هذه المدينة، فقد جاء في كتاب "تاريخ مدينة صنعاء" للرازي(ت1068م) تحت عنوان (ذكر دخول عيسى ابن مريم إلى صنعاء) ما نصه (قال أبو محمد حدثني إسحاق ابن إبراهيم قال حدثني غسان ابن أبي عبيد البصري قال دخل عيسى ابن مريم (ع) صنعاء وصلى في موضع الكنيسة فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على أثر مصلاه، وهذه الكنيسة في وقتنا هذا خربة .. وقد أدركت عقودا كثيرة كانت باقية إلى سنة تسعين وثلاث مائة [2]... وما زال مسمى المخلاف السليماني باليمن يجسد ذكرى مملكة سليمان [3].

كل هذه الخلفيات التي تعج بها الثقافة الشعبية اليمنية عن سليمان لا يوجد لها مثيل في فلسطين إطلاقا، فالإسرائيليون يحاولون قدر جهدهم غرس الثقافة التوراتية والمسميات في فلسطين لكن بلادهم الأصلية ترفض اقتلاع الثقافة والذاكرة الشعبية وما زالت تتمسك بها في عمق الوعي الثقافي، للمسلمين والمسيحيين واليهود. وغير ذلك هناك دليل آخر يؤكد أن مقر مملكة سليمان كان في المخلاف السليماني أو حاليا في منطقة جازان، لأن الله يقول: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾81/الأنبياء. ومعروف أن الأرض التي بارك فيها هي مكة، فلو قيل أن مقر سليمان في فلسطين فكيف تتحرك السفن من فلسطين إلى سواحل البحر الأحمر حيث مكة ؟!

وفي اليمن، وعلى بعد سبعة كيلومترات من صنعاء، سوف نعثر هناك على مدينة داوود التاريخيّة، حيث عاش اليبوسيّون لقرون في قلعة جبليّة تعرف اليوم باسم (بيت ـ بوس) (وطن يبوس)، وقبالة ذلك

---

[1] ـ تفسير الطبري 543/23 والرازي 607/30 وابن عطية 349/5

[2] –كتاب " تاريخ مدينة صنعاء للرازي" ص136

[3] ـ انظر المخلاف السليماني في عهد مملكة النبي سليمان (ع)

رابط: http: //www. jazan. org/vb/showthread. php?t=259050

وانظر تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي 71/1 ـ 72/1 .. وأهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب وأحوازهما في القرون الإسلامية الوسيطة 47، 55 وأشراف الحجاز (16/6/1436)

الموقع يتراءى للمشاهد جبل(زيون(أو(سيون) أو (صيّون)، وهو جزء من كتلة جبال(سراوات) التي تمتد على السّاحل الغربي للجزيرة العربيّة. وكان اليبوسيّون محميّين من غارات العرب بفضل انعزال قلعتهم الجبليّة ومناعتها، فكان بإمكانهم العيش بأمن في مدينتهم: دار السّلام. وتنسب إحدى القصص الأخرى كلمة سلام/ شلوم، وانتشارها إلى حبر يهوديّ. وكانت(بيت – بوس) على امتداد مئات السّنين، محطّ أنظار يهود اليمن، وآثارها اليوم عبارة عن موقع أركيولوجيّ يمنيّ معروف، موقع ثريّ بنقائش نفيسة تحمل معلومات عن داوود وحروبه في تلك الفترة، وقد كان مآل أكثرها التّدمير أو السّرقة من قبل أولئك الذين قد تكون لهم مصلحة في إخفاء أصل الإسرائيليّين، وخرافاتهم التّوراتيّة.

وإذا كنّا نريد العثور على المكان الحقيقي للقدس، لنتفحص ما تقوله التّوراة عن غزو داوود للمدينة:" اقتحم الملك وجنده المدينة للهجوم على اليبوسيّين الذين بداخلها، قال اليبوسيّون: لن تدخل هنا، فالعميان والعجّز منّا لقادرون وحدهم على صدّك. غير أنّ داوود استولى على قلعة صهيون، التي ستكون مدينة داوود". تقول التّوراة في هذا الفصل أنه للاستيلاء على(القدس)، كان على داوود قبل ذلك السّيطرة على القلعة الجبليّة، قلعة صهيون التي كان يقطنها اليبوسيّون. ويعني ذلك أنّ القدس الحقيقيّة) الإسرائيليّة(كانت قريبة جدا من جبل يدعى(صهيون أو سيّون)، حيث كانت تعيش منذ قرون في ذلك الحصن الجبلي جماعة إثنيّة عرفت باليبوسيّين.



بيت بوس الحصن الجميل الذي استولى عليه داود [1]

---

[1] ـ الصورة من كتاب: " القدس ليست أورشليم" للدكتور فاضل الربيعي: جبل الهيكل.. حصن روماني)

ولا بدّ هنا من التأكيد، أنه لا أثر في المشهد الفلسطينيّ يومذاك لمثل هؤلاء اليبوسيّين، ولا لجبل اسمه صهيون، ولا جبل اسمه المريا، ولا يوجد أي أثر لثقافة تراثية يهودية تغمر البسطاء والعوام كما هو الوضع باليمن. يقول أحمد الدبش: المطلع ولو قليلاً، على الوثائق الآثارية يرى أن قصة بناء الهيكل السليماني غير قابلة للتصديق، وإنها مجرد اختلاق توراتي، علاوة على ذلك، لم يتمكّن الأثريون، من العثور على دليلٍ، يشيرُ صراحة، أو كناية، إلى داوود، وسليمان، في فلسطين. (يُراجع أعمال: ليتش، روني ريك، ملر، فنكلشتاين، توماس طمسن، ديفيد جمسون دريك ــ ولمزيد من التفاصيل يُراجع مقالنا: كيف كذَب علم الآثار مملكة داوود القديمة؟[1]

وكان علماء الآثار الصهاينة قد أسقطوا موقع ذلك الجبل في ثلاثة أماكن مختلفة، والحال أنّ طبوغرافيا القدس الحالية لم تكشف عن وجود أيّ شكل من الجبال فيها، فمدينة القدس التي يفترض أن يكون الهيكل قد أقيم فيها للمرّة الثالثة، لا أثر فيها لجبل حتى تقام فوقه. والمتعارف أنّ القدس الفلسطينية أنشئت على تليْنِ لا تجاورهما أية جبال. وتسمية التلّ بالجبل، مثل جبل الزّيتون، عند الفلسطينيّين المحليين، لا تعدو إلاكونها تضخيما لغويا [2].

وقد ضمّت قلعة بيت ـ بوس اليمنية مجتمعا يهوديا نشيطا، كما في مدن كثيرة أخرى، وذلك إلى غاية سنة 1949م، حين نقل سرا إلى إسرائيل 49ألف يهوديا بوساطة جسر جويّ أميركيّ بريطانيّ، في عمليّة ضخمة عرفت بـ" البساط الطائر " وفي نفس السّنة تمّ نقل أكثر من 25 ألف يهوديّ من مختلف أنحاء العالم لتكوين مجتمع يهودي في فلسطين. وقد انخرط ذلك النّقل المكثف لليهود في المخطط الصهيونيّ العالمي، من أجل خلق أرض جديدة لليهود مدعومة بتاريخ مزيّف في فلسطين.

وكلمة (صهيون) بالعبرية: צִיּוֹן معناها؛ الحصن، وهو واحد من التلين الذين كانت تقوم عليهما مدينة القدس القديمة حيث أسس داوود عاصمته الملكية. مر ذكر صهيون لأول مرة في العهد القديم كمنطقة قام عليها حصن لليبوسيين وقعت لاحقا في يد العبرانيين لتتحول لمدينة داوود (2صموئيل5:

[1] ـ **الباحث الفلسطيني أحمد الدبش على الرابط التالي:** http://almawqef.com/spip.php?article15319&lang=ar

[2] ـ **الباحث الأستاذ أشرف عزت في مقال له بعنوان " مخيال أسطوري وتزييــف توراتي" منشور بتاريخ 25 يناير 2018 على موقع مجلة الاتحاد بالملحق الثقافي على الرابط التالي:**
https://www.alittihad.ae/article/5718/2018/%D9%85%D8 %D8%AA%D9%8A

7 و1 أخبار11: 5) ووضع على ذلك التل تابوت العهد فأصبح أرضا مقدسة (2صموئيل10:6ـ12) ولكن التابوت نقل لهيكل سليمان بعد أن تمت عمارته على جبل المريا (ملوك 8: 1 و 2أخبار 3: 1 و5: 2)، فمن هاتين الآيتين يستدل بأن صهيون والمريا مرتفعين منفصلين، أحدهما أورشليم والآخر يسمى "قدس".

وصهيون أو جبل صهيون (جبل النبي دواود) في اليهودية هي مكان سكنى يهوه (الله) وستكون مركز خلاصه المسيحاني، وبالنسبة لليهود فإن صهيون هي وطن العبرانيين ورمزا لآمالهم القومية، ومن هذه الكلمة جاء مصطلح الصهيونية. ويعبر لفظ صهيون (بالإنجليزية Zion) عند الراستفاري عن المدينة الفاضلة التي يوجد فيها مكان يوتوبي إثيوبي مثالي لا يوجد به شرور..[1] والأصل كذلك في العربية صيَون، أو سيَون وهو الذي ما زال قائما إلى اليوم في ذات المكان. وفي هذا المكان عاش اليهود، وهو موطنهم العتيق، لكنهم لعنوه بعدما حل بهم العقاب الجماعي الذي حل بإرم ذات العماد ومصرايم فرعون، رحلوا للبحث عن وطنٍ جديد في فلسطين النظيفة.

وبعد استعراض جانب من التزوير الجغرافي والتاريخي واللغوي والديني الذي زاوله اليهود ، ألا يجدر بنا التنبه إلى معجزة القرآن في اختصاص اليهود وحدهم بالتزوير (وليس مجرد الكذب) فقال بتحريف الكلم عن مواضعه وهو أدق وصفا للتزوير الذي قام به اليهود في ترجمة التوراة وتغيير مواقع أحداثها وإسقاطها على مواقع أخرى . يقول الله: ﴿وَإِنَّ مِنهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾78/آل عمران. ولي اللسان هو التحريف اللغوي: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾75/البقرة.

كان الإسرائيليون في البدء من أبناء عرب الحجاز حيث استقر أبيهم إبراهيم(ع) في مكة وبنى الكعبة، وكلما تقادم العهد ببني إسرائيل في المنطقة كانوا يتدحرجون إلى جهة الجنوب، بعدما كان أبيهم إبراهيم وإسحاق في مكة، وارتحل أبيهم يعقوب إلى مصرايم في سراة غامد، ثم خرجوا مع موسى لأداء فريضة الحج ولكنهم بعدما وصلوا رفضوا دخول مكة، وعاشوا في التيه ثم تدحرجوا بقية الأجيال إلى الجنوب حتى وصلوا اليمن وزادت أعدادهم وعشائرهم وقامت لهم ممالك في بلاد اليمن، ومن هناك خرج بهم داوود لفتح مكة، وتأكدت سلطة الملك سليمان على مكة من بعد أبيه داوود، واستقر

[1] ـ الموسوعة الحرة للمعرفة ، على الرابط التالي: https://tinyurl.com/bpb3dwdh

له الملك بعاصمته باليمن، وبإمكان القارئ أن يجري بحثا على الشبكة عن بيت بوس التوراة والقريب منها دار سلم يعني في اللهجة اليمنية العبرية أورا شالم . وأصبحت مهملة الآن وسوق مزدحم. ما هذه المصادفة والتطابق في الأسماء والوصف الجغرافي لآلاف المواقع في اليمن والتوراة تصف الأقاليم بالمخاليف ولا يوجد بلد في العالم يستخدم مسمي المخاليف إلا اليمن. فهناك ما زال مخلاف سنحان، ومخلاف خولان (نسبة للخولانيين الذين ذكرتهم التوراة)، والمخلاف السليماني، مخلاف خبان، مخلاف المعافر إلخ. وهذا من المعالم الجغرافية واللغوية في الآن ذاته على موطن التوراة، بينما إذا بحثنا عن حكاية الخروج من إمبراطورية إيجبت فلا نجد لا جغرافيا ولا تاريخ ولا سياقات لغوية تتماشى مع ما ترمي إليه نصوص التوراة بأي حال، وإذا بحثنا في فلسطين فلا نجد أي أثر لا ليبوس ولا أورشليم ولا هيكل.

فقد عمد الصهاينة إلى الاختلاق والتزييف، للتأكيد بأنّ جبل موريا وجبل الهيكل هما في الحقيقة نفس الجبل الذي كان يقع عليه هيكل سليمان المزعوم في فلسطين حاليا، وإن كان ذلك الموضع لم يعرف بهذه التسمية البتة قبل الاحتلال الإسرائيلي، كما أنه لم يعرف المكان الذي أقيم فيه المسجد الأقصى قبل الفتح الإسلامي، بجبل الهيكل، ولا حتى بالأقصى. ففي زمن العهد القديم، كان ذلك المكان الذي ينتصب فيه اليوم المسجد الأقصى، قلعة رومانية ومعسكرا حصينا يدعى (حصن أنطونيا(فيما يتموقع معبد هيرودس جنوبي هذا الحصن). وبعد حصار القدس سنة 70م، أقدم الإمبراطور تيتوس على تدمير المدينة وأسوارها، كما أسوار معبد هيرودس. لذا.. فإنّ المتباكين من اليهود عند الحائط الغربي لجبل الهيكل المزعوم، يهبون صلواتهم في الحقيقة لحائط إمبراطور رومانيّ وثنيّ.

وأن تكون أسوار ذلك الحصن قد ضمّت ما يقارب عشرة آلاف حجر، فتلك شهادة على أنّ هذا السّور لم يكن أبدا السّور الذي أحاط بالهيكل. وطبقا لشهادة أثبتها المؤرّخ اليهودي الرّوماني فلافيوس جوزيفوس الذي عاش في القرن الأوّل للميلاد، يكون الرّومان قد دمّروا كلّ الأسوار، واقتلعوا كلّ صخورها. وليست تلك مجرّد فرضيّة، وإنّما واقع تاريخيّ تثبته الحفريّات الأركيولوجيّة وما أفضت إليه من اكتشافات، ومن تلك الاكتشافات ثلاثة نقوش تمجّد زعماء رومان أمثال فسبازيان وتيتوس، عثر عليها تحت أحد جدران القلعة. والكثير من الجامعيين والدّارسين المتخصّصين.. المتضلعين في الدّراسات الإنجيليّة وعلماء الآثار، على علم بذلك، ومنهم عالمة الآثار الشّهيرة كاتلين كينيون والمؤرّخ الإسرائيلي بنجامين مزار.

والجدير بالذكر معرفة أول ما فعله نبوخذ نصر لمهاجمة بني إسرائيل في الحجاز والذين كانوا في الأيام الخوالي يعدون من صلب العرب الحجازيين، وهو ما يتجلى في هذا الخبر عن الطبري "فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم حيرا [1] على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين" [2]

لكن الوضع لم يستقر على هذه الحال، إذ كان الأعراب يقطعون طرق التجارة المارة ببلادهم، وبني إسرائيل يستغلون حاجة التجار إلى الخدمات والمرور مما تسبب في حالة استنفار لدى بختنصر، وكان بني إسرائيل في هذا الوقت قد فسدوا برغم تعدد أنبياء الله بينهم إلا أنهم قتلوا الأنبياء، فتقرر عليهم العقاب الجماعي الذي تقرر لفرعون ومصرايم وإرم ذات العماد وثمود وغيرهم من أقوام العرب البائدين...

وينقل الطبري عن غيره من أهل العلم بأخبار الماضيين؛ "... ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم، فكان آخر من قتلوا يحيي ابن ذكريا، وعدا أهل الرس [3] على نبيهم، وعدا أهل حضور [4] نبيهم فقتلوه، فلما اجترؤوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن الذين معد ابن عدنان من أنبيائهم، يقول تعالى:﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿4﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿5﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴿6﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾7/الإسراء.. والمقصود هنا العماليق الجبارين الذين كانوا يسطون على المسجد الحرام ويفسدون العبادة فيها ويحتلون مكة من يد الإسرائيليين حينا بعد الآخر.

ويقول الطبري: فبعث الله بختنصر على بني إسرائيل، فلما فرغ من إخراب المدائن انتسف بني إسرائيل نسفا، فأوردهم أرض بابل، وربما أشار عليه بعض أنبياء بني إسرائيل أن يدخل بلاد العرب فلا يستحي إنسيا

[1] ـ الحير ؛ شبه حظيرة

[2] ـ تاريخ الطبري المجلد الأول ، ص 327

[3] ـ الرس؛ بئر، ويروى أن قوما من بني إسرائيل كذبوا نبيهم و رسوه في هذه البئر فقتلوه.

[4] ـ حضور ؛ بلدة باليمن

ولا بهيمة، وأن ينتسف ذلك نسفا حتى لا يبقي لهم أثرا ... فنظم بختنصر ما بين أيلة والأبلة خيلا ورجلا، ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل ذي روح أتوا عليه وقدروا عليه. وأن الله تعالى أوحى إلى إرميا وبرخيا [1] أن الله قد أنذر قومكما، فلم ينتهوا فعادوا بعد الملك عبيدا، وبعد نعيم العيش عالة يسألون الناس، وقد تقدمت إلى أهل عربة بمثل ذلك فأبوا إلا لحاجة، وقد سلطت بختنصر عليهم لأنتقم منهم.... وانتهى بختنصر إلى حران، اجتمع أكثر العرب من أقطار عربية إلى حضور، فخندق الفريقان، وضرب بختنصر كمينا. ذلك أول كمين فيما زعم. ثم نادي مناد من السماء؛ يا لثارات الأنبياء ! فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم، فنادوا بالويل...

ومن أفلت قبل الهزيمة فرقتين؛ فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عك، وفرقة قصدت لوبار وفرقة حضر العرب، قال: وإياهم عني الله بقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾11/الأنبياء. كافرة الأهل. فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم في آخر وقعة ذهبوا ليهربوا فلم يطيقوا الهرب، ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ا﴾12 الأنبياء. انتقمنا منهم إذا هم يهربون، فأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم ﴿ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾13/الأنبياء؛ لا تهربوا، وارجعوا إلى العيشة على النعم المكفورة ومساكنكم ومصيركم لعلكم تسألون. فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب، ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾14ـ15/الأنبياء؛ موتى وقتلي بالسيوف، فرجع بختنصر إلى بابل بما جمع سبايا عربة (بلاد العرب) فألقاهم بالأنبار، فقيل أنبار العرب [2]، وبذلك سميت الأنبار... فلما رجع بختنصر مات عدنان (نبي من أنبياء بني إسرائيل) وبقيت بلاد العرب خرابا حياة بختنصر، فلما مات بختنصر خرج معد ابن عدنان معه الأنبياء، أنبياء بني إسرائيل صلوات الله عليم حتى أتى مكة فأقام أعلامها، فحج وحج الأنبياء معه، ثم خرج معد حتى أتى ريسوب فاستخرج أهلها، وسأل عمن بقي من ولد الحارث ابن مضاض الجرهمي، وهو الذي قاتل دوس العتق، فأفنى أكثرهم جرهم على يديه، فقيل له: بقي جوشم ابن جلهمة، فتزوج معد ابنته معانة، فولدت له نزار ابن معد [3].

---

[1]ـ اثنين من أنبياء بني إسرائيل

[2]ـ أنبار؛ كلمة فارسية تعني المخزن. أسماها المناذرة الأنبار لأنها كانت مخزنا للعدد الحربية أو لأنها كانت مخزنا للحنطة والشعير والتبن.

[3]ـ تاريخ الطبري المجلد الأول ، ص327ـ328

وقد أثبت الباحث الفاضل فاضل الربيعي أن السبي البابلي لليهود إنما كان في بلاد اليمن الموطن الأصلي لليهود، وقام بتحرير أسماء العوائل والعشائر التي وردت في قائمة السبي البابلي والتي أصدر الملك الفارسي قورش قراره بإعادة اليهود إلى بلادهم في العام الأول لسقوط بابل 540 ق.م حيث قرر الملك الفارسي قورش إعادة السبي من القبائل إلى مدنه وقراه الأصلية. ولأجل هذا الهدف نشر في بابل، نداء الملك الذي تضمن إعلان تحرير القبائل العربية اليهودية، وحقها في العودة إلى مواطنها وفي إعادة بناء ما تهدم من مدنها، وخصوصا " أورشليم التي في يهوذه " أي أورشليم) بيت بوس في سروح، وتضمن قرار الملك الفارسي السماح للعائدين من الأسر، بالحصول على تبرعات من سكان بابل لأجل بناء مدنهم المهدمة. وإلى جانب هذا كله، قام قورش بإعادة ممتلكات الهيكل المنهوب في أورشليم، وتسليمها إلى زعماء وأنبياء القبائل العائدة. [1]

وتوصل د.فاضل الربيعي إلى ذلك بالنظر إلى أن جميع أسماء القبائل الواردة بالقائمة إنما هي امتداد حقيقي لأصولها الموجودة في أرض اليمن، وأن هذه القبائل بأسماءها لا وجود لها في فلسطين ولا حتى بقايا أو اشتقاقات لأسمائها، فلم يكتفِ الباحث بالتأصيل للأسماء الجغرافية التوراتية للأماكن والقرى فقط، وإنما الأسماء الشخصية والقبلية وأسماء العائلات العائدة من السبي هي الأخرى أي عملية تأصيل ديمجرافي كامل. وأثبت أن القدس ليست في فلسطين وليست هي أورشليم في الآن ذاته وإنما بقراءة التوراة الأصلية يتبين بوضوح أن القدس مدينة يهودية مستقلة عن أورشليم وكلاهما تقعان في مرتفعات اليمن، بينما اليهود بعد دخول عمر ابن الخطاب أطلقوا على مدينة إيلياء اسم)القدس ـو أورشليم في الآن ذاته (.

وطبقا لمنهجية هاليبرن في الاستدلال على معالم الحضارات والربط المقارن بين النص التوراتي ونصوص أخرى أمكن العثور على التطابق والانسجام ما بين السرد والمكان والزمان. أثبت الباحث العربي العراقي، فاضل الربيعي [2] ، أن وقائع التوراة وحكاياتها الأساس جرت في سراة اليمن، المحاذية للبحر الأحمر. أما حملة التوراة فهم من نسل قبيلة عربية خاضوا حروبهم وبنوا ممالكهم في اليمن وليس في فلسطين. وهم

---

[1] ـ كتاب القدس ليست أورشليم ـفاضل الربيعي ص33

[2] ـ الدكتور فاضل الربيعي في مؤلفه" فلسطين المتخيلة" أرض التوراة في اليمن القديم دار الفكرـ دمشق 2008؛ الصادر في مجلدين وستة أجزاء ضمن 1200 صفحة ـ نبذة عن الكاتب والكتاب على الرابط التالي:
https://www.goodreads.com/ar/book/show/17312260

ينتسبون لقبيلة "حمير اليمنية". ويقول: "إن الالتزام بتحديدات القراءة الاستشراقية للمواضع المتخيلة في فلسطين يقود إلى الفوضى إذا ما جرى التقيد بها على أنها تحديدات جغرافية صارمة في فلسطين الحقيقية؛ وبالعكس تقودنا تحديدات يشوع والهمداني والشعر الجاهلي إلى الأماكن نفسها في أرض اليمن دون عناء أو تكلف.. لقد سار الهمداني بنفسه هذه المرة وبعد مئات السنين على خطى النبي اليمني، يشوع، ليعيد توصيف سراة اليمن كما وصفها النبي من قبل، وليسجل الأسماء نفسها وبالتسلسل نفسه؛ ولكن دون أن يعلم أي شيء عن هذا النوع المثير من التطابق، ومن دون أي تلميح إلى أي ادعاء ديني للقبائل اليمنية التي عاشت وانقرضت في المكان نفسه" [1]

فقد اعتمد الباحث أسلوب المقارنات بين نصوص التوراة ونصوص الشعر الجاهلي القديم وكذلك نص الهمذاني العائد إلى القرن العاشر الميلادي. خرج الباحث بقناعة أكيدة أن أحداث التوراة ومواقعها هي بالحتم غير منطبقة على الجغرافيا الفلسطينية؛ بينما هي تنطبق على اليمن في المنطقة الساحلية الممتدة من جبال عسير، فيقول:" الهيكل لم يبن في القدس قط؛ بل إن أسوار أورشليم التي أشرف نحميا على إعادة ترميمها لا وجود لها هناك أصلا؛ وفوق ذلك ليس ثمة هيكل لسليمان تحت قبة الصخرة؛ فيما نجد الهياكل في السراة اليمنية كما وصفها الهمداني، بالتلازم مع ذكر أسماء القبائل اليمنية اليهودية" [2]

وأما مثل هذا الادعاء لا يصدر إلا عن مخيلة استشراقية وجدت في التطابق الشكلي الزائف أحد مصادر الهيمنة على سرد الرواية التاريخية، ومن أجل تلفيق تاريخ إسرائيلي في فلسطين القديمة يلعب الفلسطينيون فوق مسرحها الجاهز دور غزاة متسللين من جزيرة كريت اليونانية ؛ بينما يصبح المستوطنون الجدد أحفادا لبناة إمبراطورية إسرائيل القديمة ضمت إلى جانب فلسطين كلا من الأردن وسوريا ولبنان وشواطئ الفرات العراقي" [3]

بينما لا يوجد أي دليل واقعي أو حتى كتابي يدل على أن فلسطين الحالية كانت موطن العشيرة الإسرائيلية في زمن من الأزمان، فقط تكهنات اليهود الحاليين بأن أسلافهم كانوا في هذه المنطقة. غير أن الحوارات التوراتية بين الملوك(مملكة سليمان وداوود ويهوذا والسامرا..إلخ) كانت تدور في نطاق

---

[1] ـ فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة أرض التوراة في اليمن القديم ـ المجلد الثاني ـ الجزء الرابع، ص435

[2] – فاضل الربيعي فلسطين المتخيلة أرض التوراة في اليمن القديم : ج1 ، ص13

[3] ـ فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة أرض التوراة في اليمن القديم ، المجلد الثاني، الجزء الرابع ، ص435

جغرافي محيط بإمارة مصرايم القديمة إذ أنهم قد عادوا إلى قربها وأقاموا مملكة لهم بذات النطاق الإقليمي كما رأينا في مراسلات تل العمارنة.

والمؤرخ السوري الدكتور أحمد داوود يقدم طرحا جديدا حول الموطن الحقيقي لبني إسرائيل (المرحلة الثانية بعد خروجهم من مصرايم وبعد التيه؛ أي خلال مرحة داوود وسليمان وحتى ميلاد المسيح عيسى ابن مريم) فهذه الأحداث لم تقع في بلاد الشام إطلاقا بل كانت أيضا في جنوب غرب الجزيرة العربية، والطرح الذي يقدمه د. داوود يتسق مع المنطق إلى درجة كبيرة وينسجم مع وقائع التاريخ العربي التي روت أن الملك البابلي اكتسح منطقة الجزيرة العربية في القرن السادس ق. م ومن هناك أخذ بني إسرائيل إلى السبي المعروف تاريخيا [1].

ويبدأ الدكتور داوود من جبل الجودي حيث حطت سفينة نوح (ع)، فيقول أن اسمه في التراث العربي القديم هو اسم (الجودي) ويعني البركان، وهي في القاموس السرياني من الفعل)جد (أي؛ اتقد، اشتعل، وهو الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح بعد الطوفان وذكره القرآن الكريم بلفظه) الجودي) في سورة هود. حيث كان هذا الجبل بركانيا ثم تبرّد وفار بالماء زمن النبي نوح، حاله حال الجبال البركانية في المنطقة نفسها من الأرض المركز التي أصبحت شديدة الخصب بعد أن كانت بركانية. ومن الأسماء الأخرى لجبل الجودي اسم (nasiri) نزيري. وأن بيت لحم هي مغارة في جبل غامد (جبل الجودي- نزيري) قرب مغارة أورشليم وليست هي مدينة بيت لحم في فلسطين، وبالتالي فإن السيد المسيح الذي ولد في هذه المغارة لم يأتِ يوما إلى فلسطين الحالية أو القدس، ويتساءل د. داوود من أين حمل المسيحيين وصف " نصارى" برغم انقطاع صلة المسيح بمدينة الناصرة الفلسطينية، فهو مولود في بيت لحم، وعاش واعتزل وترهبن في بيت لحم ! ويتساءل كذلك عن معنى تسمية "بيت لحم" وهل له علاقة بفلسطين الحالية !

---

[1] ـ الدكتور أحمد داوود : كتاب: تاب" العرب والساميون و العبرانيون و بنو اسرائيل واليهود " الحلقة الحادية عشرة (حقيقة الإسراء و المعراج، بيت المقدس وبيت لحم)ص250 الكتاب على رابط:

https://www.goodreads.com/book/show/8103127

والدكتور أحمد داوود باحث وكاتب سوري، يحمل شهادة ماجستير في الآداب، ودكتوراه في تاريخ سوريا القديم. له عدة مؤلفات منها : كتاب" العرب والساميون و العبرانيون و بنو إسرائيل واليهود " وكتاب: تاريخ سوريا الحضاري القديم.

يقول د. داوود أنه من خلال قراءته في مصادر التاريخ العربي أدرك عدة حقائق؛ أولاها أن (بيت المقدس)[1] على رأس جبل. وأنه كهف دعي(كهف السيدة) زمن الخصب)وكهف المتعبدين) زمن التوحيد). ومن هذا الكهف في رأس الجبل تتفجر ينابيع الحياة غزيرة دعيت (نبع السيدة) أو (مياه حيا) لتكون أنهارا تسقي جنة الله (حقول إيل) أو جنة عدن، ومن أهم هذه الأنهار التي تخرج من (بيت المقدس) نهر الفرات ونهر هدقلة (دجلة) (ويعني النخلة) وعلى الجبل حيث أهبط آدم وعاش في الجنة الأرضية... وعلى الجبل نفسه استقرت سفينة نوح زمن الطوفان واسمه في المصادر (جبل نزيري- nasiri) وتعني الكلمة: الرهبان؛ المتعبدين. وفيه اعتزل وترهبن السيد المسيح مع تلاميذه (وليس في القدس أو فلسطين) ودعي (يسوع نصيريو) (نزيريو) أما الأولى فتعني في القاموس الكلداني: الشكور؛ المسبح؛ الممجد؛ المرتل. وهي من الفعل نصر ـ نصيرو؛ نصرانو = مدح؛ مجد؛ شكر؛ مدح؛ رتل؛ ناح؛ بكى... ومنها جاءت كلمة (نصراني) وتجمع على (نصارى) وليست مشتقة من كلمة (ناصرة) في العربية القديمة والحديثة كما صارت بعد التزوير بنسبته إلى مدينة الناصرة الفلسطينية، لأن النسبة إلى(الناصرة(هي(الناصري) و(الناصريين) وليس (النصارى) ومن الكلمة أيضا تألف لقب الحاكم (نبو حد نصر) ويعني: نبو وحده يتمجد؛ المجد لنبو وحده. أما كلمة (نزيريو) فهي في العربية القديمة والحديثة تعني: العابد؛ الناسك؛ الزاهد؛ المعتزل؛ المتعفف؛ الصائم... إلخ. وهي في العربية القديمة (نزيرو(و(نزيريو) وفي العربية الحديثة (نزير). ولقد ترجمت الكلمة عن الأجنبية (Nasiro) إلى العربية خطأ إلى (الناصري(نسبة إلى مدينة الناصرة في فلسطين !! علما أن كل المصادر تجمع على أن السيد المسيح ولد في مغارة (بيت لحم) حيث كان يأوي الرعاة مع أغنامهم.

ويقول د. داوود: أن(بيت لحم (هي إحدى مغاور الينابيع القديمة في الجبل نفسه قرب (حوراشليم) و" بيت لحم " معناها: بيت الخبز؛ بيت القمح. وكانت تؤلف إحدى المنابع الرئيسية لنهر الفرات لذلك كان اسمها القديم (أفراتا) وقد دعيت المغارة المنبع باسم (لحمو) الذي هو ابن (أبسو ـ الماء العذب النقي) في الميثيولوجيا القديمة:(حين لم تكن السماء قد رسمت بعد ولم تكن للأرض من تحتها اسم اختلطت

[1] ـ ملحوظة: ليس المقصود ببيت المقدس الذي يتحدث عنه الدكتور أحمد داوود هو بيت المقدس المسمى بالمسجد الأقصى في عرف اليهود أو المسلمين، أو ذلك بيت المقدس " الكعبة المشرفة " بينما التوراة حين تصف مكانا معينا تسميه "قدس- دون الألف واللام للتعريف- وتعني به جبل. وطبقا لهذا الوصف التوراتي، يكون المقصود من كلمة "قدس"، جبل ، بينما الدكتور داوود يتحدث عن موطن اليهود في جبل الجودي ولا يعني ذلك أن يكون المسجد الأقصى فوق قمة جبل الجودي أو أن تكون الكعبة فوق قمة جبل، إنما " قدش " التي سماها الدكتور داوود " بيت المقدس " هو محلة أقام فيها بنو إسرائيل فوق قمة جبل الجودي.

الأمواه في (أبسو) الأول أبيهم ومن (تهامت) الصاخبة أم الجميع ومن الزوج الأول خرج أولا (لحمو).. إن (بيت لحم) هي إذن إحدى المغاور الينابيع من (أبسو) في غامد. ولما شحت مياه الينابيع وتحولت تلك المغاور المقدسة زمن عقيدة الخصب إلى كهوف يأوي إليها النسّاك والمتعبدون سكنها أحد أفراد عشيرة بني يعقوب ودعي أفراتة كما دعي بعض أبنائه بيت لحم. وفيها ولدت راحيل زوجة يعقوب ابنها بنيامين، وهي ليست مدينة (بيت لحم) في فلسطين التي دعيت باسمها فيما بعد. ومن المعروف أن السيد المسيح ولد في بيت لحم المغارة وليس في بيت لحم المدينة؛ وهو طفل المغارة. وينبع من هذه المغارة (سَرِيٌ) أي جدول ماء صغير وتقف نخلة على بابها، ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿24﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾25/سورة مريم. وكانت النخلة رمزا للشجرة المقدسة في عقيدة الخصب تلازم كل مغارة تنبع منها مياه الحياة في غامد.

وأما قوله "جعل لك من تحت سريا" فتعني جدول مائي ينبع من المغارة في قمة الجبل ويسري إلى السهول، وكلمة "سَرِيّ " مفرد وجمعها " سُراة " ومن هنا انطلقت الكلمة على منطقة جبال السراة وهي جبال الجداول المائية التي تنحدر من تلك الجبال في سفوحها. في جنوب غرب الجزيرة العربية، ولا يوجد في أي منطقة بالعالم منطقة جبال تسمى " السُراة " ومفردها سَرِيّ إلا هذه المنطقة، ما يعني أن القرآن يقدم لنا دليلا جغرافيا على محل إقامة مريم عليها السلام، مقترنا بالسريّ والنخلة حيث تأكل وتشرب منها. وهذه المنطقة فيها نوع من النخل هو نخل النارجيل أو النارخيل. إذن، كل هذه الأحداث لا تمت إلى المدينة العربية (القدس) الفلسطينية بأية صلة؛ إذ هي ليست مغارة في رأس جبل ولا تنبع منها الأنهار التي تسقي الجنة ومنها نهر الفرات! ولا المسيح وأمه العذراء دخلا إيجبت بصحبة يوسف النجار كما قيل، لأنهم تحركوا إلى مكان قريب منهم في جبال غامد إلى مصرايم خلال الليل أي على مسافة عدة كيلومترات في الوقت الذي كانت مملكة إيجبت تستلزم رحلة سفر من إيلياء الفلسطينية إلى إيجبت وادي النيل سفر أسابيع كاملة على هذه الحال لأن المسافة يستحيل قطعها خلال الليل.

بيد أن هذه المسافة تقدر بما يقارب ٤٥٠ كيلومترا عن مدينة الخليل بفلسطين، ويزعمون قطعها في ليلة واحده! أما الدليل الذي يستند إليه هذا الطرح فهو ما جاء في الإنجيل بخصوص أحداث قصة يوسف النجار ومريم العذراء بعد إنجابها نبي الله عيسى (ع)، حيث طلب الرب من يوسف النجار أن ينصرف إلى مصر من بيت لحم والذي يبدوا أنه يبعد بضع كيلومترات كما يفهم من سياق النص الإنجيلي: 13 وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ

وأمَّهُ واهرُبْ إلى مِصْرَ، وكُنْ هناكَ حتى أقولَ لكَ. لأنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أنْ يطلبَ الصَّبيَّ ليُهلِكَهُ».14 "فقامَ وأخذَ الصَّبيَّ وأمَّهُ ليلًا وانصرَفَ إلى مِصْرَ. "متى2. (إذن فمصر هذه تقع على مسافة قريبة جدا ويمكن أن تصل إليها امرأة تحمل طفلا رضيعا مشيا في ليلة واحدة. وهي ذاتها مصر فرعون العربية التي دارت فيها أحداث والغرق. في الوقت الذي كانت بلاد وادي النيل اسمها " إيجبت"، وهذا الطرح الإنجيلي أقرب للحقيقة منه للتحريف التوراتي "السبعيني"، ومع ذلك فقد وضع عمال صيانة "السبعونية" عبر الحقب المتلاحقة خريطة لهذه الرحلة الوهمية بين فلسطين وعاصمة إيجبت آنذاك وأضافوا لها لمسات تفصيلية.

ويقول الباحث أشرف عزت:" كما أوضحت ذلك في كتابي «مصر لم تعرف لا فراعنة ولا إسرائيليين»، فإنّ مُجمل التاريخ الإسرائيلي يعدّ مثالا لجغرافيا مبدّدة ومفقودة. لقد وشم الإنجيل العبرانيّ المدلس (حينما نقِل إلى الإغريقيّة) العالم بتاريخ مصحف وجغرافيا خادعة منذ أكثر من 2300 سنة. وإنه لمن المؤسف أن يكون هذا التزييف قد عمّر إلى غاية اليوم. إنّ عملي الاستقصائيّ عن تاريخ مصر القديمة وتاريخ الإسرائيليين، الذي تطلب منّي ثلاث سنوات من العمل الموصول، إضافة إلى دراسات باحثين أكاديميّين موثوقين (أذكر منهم الدّكتور كمال صليبي الذي قدّم لنا دراسة رائدة: «من بلاد العرب.. جاءنا الإنجيل» بالاعتماد على البراهين المتاحة، إلى نفس الخلاصة: إنّ الإنجيل العبراني وما رافقه من روايات قد ظهر في جنوب بلاد العرب القديمة وفي اليمن، كما ورد ذلك أيضا في كتابات مؤرّخين كلاسيكيّين عرب، تناولت بالوصف الدّقيق المسرح الحقيقي الذي تشكّلت فيه تلك الرّوايات الإسرائيليّة، كما التّعريف بالجبال والأودية والقبائل في تلك الحقبة (وهذه الوقائع تمّ تدوينها ووصفها في التّوراة). ويعني ذلك أنّ موقع جبل الهيكل، كما كامل دولة إسرائيل، قد تأسّست على أيديولوجيا هي في جوهرها زائفة ومخادعة".

وهذه السياقات تتفق مع ما طرحه الدكتور كمال الصليبي بشأن ازدواج شخصيات الديانة المسيحية، وتتفق مع الرواية القائلة بالنسبة للمصلوب في فلسطين أنه كان أحد أبناء بنو إسرائيل الذين هاجروا لتلك المنطقة في القرن الأول الميلادي وأراد أن ينشئ دولة لبني إسرائيل هناك وهو (يسوع بن يوسف النجار) وكان له اثنا عشر نقيبا يعدهم لمحاولة الانقلاب وهم المؤيدين له، فتم القبض عليه وصلبه من قِبل الرومان.. وبعد مرور ما يقرب من عشر سنوات استطاع أحد اليهود من سكان سوريا وهو لا ينحدر من سلالة بني إسرائيل بغضا وحسدا لليهود الذين ينتسبون لبني إسرائيل (لأنهم كانوا عنصريين

ولا يعترفون بيهودية غير الإسرائيليين) ولكي لا تقوم للإسرائيليين دولة في فلسطين، ولكي تضيع أطماع بني إسرائيل لإيجاد إمبراطورية أخرى خلفا لإمبراطوريتهم الضائعة في جنوب غرب الجزيرة، هذه الرجل السوري اسمه " حنانينا " وقد استطاع أن يقنع أحد قواد الرومان وهو شاؤول الذي تحول لاحقا إلى القس بولس بعدما اقتنع بكلام حنانينا أن يسوع هو المسيح ابن مريم، وأنه صلب ليغفر ذنوب البشر، فقد ألبس حنانينا شخصية المسيح ابن مريم للمصلوب يسوع بن يوسف النجار وصدقه شاؤول الذي تحول للقس بولس وأخذ ينشر المسيحية في روما الوثنية (وفق هذا المعتقد) وبعدما دخل الإمبراطور الروماني قسطنطين إلى المسيحية اليسوعية وأخذ ينشرها في أوروبا كلها التي كانت وثنية، ثم بني القسطنطينية عاصمة الروم سابقا، وأصبح لفلسطين قدسية دينية عند المسيحيين على اعتبار أن المصلوب في فلسطين هو عيسى ابن مريم، وعندما تجادل بعض رجال بني إسرائيل مع الإمبراطور الروماني وأوضحوا له أن المسيح ابن مريم ليس يسوع ابن يوسف النجار، غضب منهم الإمبراطور الروماني واعتقد أنهم يتحايلون عليه ولازالت لديهم أطماع في فلسطين فقتلهم...

وهذا ما يتفق أيضا مع ما طرحه الدكتور أحمد داوود سابقا من أن النسب إلى مدينة الناصرة الفلسطينية هو " ناصري" وناصريين"، وهذا يعود إلى الشخص المصلوب وهو يشوع أو يسوع ابن يوسف النجار اليهودي الذي سافر إلى فلسطين في القرن الأول ميلادي وحاول تأسيس دولة هناك لليهود بديلاً عن ممالكهم التي ذابت جنوب غرب الجزيرة العربية فصلبه الرومان.. بينما عيسى ابن مريم كان " نصيري" والنسب إليه " نصارى"، وهو الذي عاش وترهبن في جبل "نزيري"، وهذا ما تناوله أيضا الدكتور كمال الصليبي في كتابه " البحث عن يسوع: قراءة جديدة في الأناجيل" [1] ، حيث يرى وجود شخصين وليس شخص واحد، أحدهما هو يسوع الناصري الذي تتحدث عنه بعض الأناجيل، وهذا لا يجب أن يخلط بعيسى بن مريم والذي يتحدث عنه إنجيل يوحنا والقرآن الكريم، واستند أيضا إلى الروايات الواردة في القرآن عن عيسى ابن مريم، واختلافها مع روايات الأناجيل، ليستنتج أن يسوع (من نسل داوود، وهذا ما يقر به الجميع) بينما عيسى ابن مريم (من نسل هارون، وهو دون أبٍ ومنسوب لأمه مريم ابنة عمران التي ينتهي نسبها لهارون) فهما شخصان مختلفان، بل إن عيسى الذي يذكره القرآن هو سابق زمنيا ليسوع الذي يقدسه المسيحيون. فيستخلص أن بعض من كتاب الأناجيل اختلط عليه "المسيحان"، وأن بولس الذي اقتنع بيسوع ابن يوسف النجار قد وقع على نصوص تؤرخ لعيسى ابن مريم فظن أنه يسوع، ولهذا

[1] ـ كمال سليمان الصليبي : كتاب : البحث عن يسوع: قراءة جديدة في الأناجيل "
رابط: https://www.goodreads.com/book/show/6642260

تناقضت روايات الأناجيل جميعها ولم يتفق في الحديث عن عيسى ابن مريم سوى إنجيل يوحنا والقرآن الكريم.

وليس أدل على ذلك من تناقض الأناجيل الموجودة الآن، ولا يعرف من كتبها ولا ما هي اللغة الأصلية التي كُتبت بها، وعندما تسأل عن مؤلف إنجيل يوحنا، تكون الإجابة: (لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل)، والأناجيل المتداولة هي: (متى، لوقا، مرقس، يوحنا) ونحن كمسلمين لا نؤمن بغير إنجيل عيسى (ع) فأين هو هذا الإنجيل؟

وهؤلاء الكتبة للأناجيل بعضهم تتلمذ على يد المسيح (متى، يوحنا، بطرس، يعقوب، يهوذا) وبعضهم تنصر بعد المسيح ولم يلقه (بولس ومرقس تلميذ بطرس)، وبعضهم تنصر على يد من لم يلق المسيح (لوقا تلميذ بولس) وقد كتبت أصول هذه الأناجيل باللغة اليونانية فيما عدا (متى) الذي كُتب بالعبرانية، والغالبية العظمى الآن تنقل عن النسخ المترجمة من اليونانية إلى الإنجليزية، فمن الذي ترجم هذه الأناجيل؟ وأين النسخ الأصلية؟ فهذه أسئلة لا توجد لها أجوبة، وهي تفقد أي ثقة في الأناجيل، ولمزيد من البيان عن التناقضات في الأناجيل، نطرح مسألة الاعتقاد بأن المسيح قد صُلب، فهذا اعتقاد باطل، قد دلت على بطلانه الأناجيل ذاتها، ففي إنجيل لوقا 4: 29ـ30:" أن الله عصم المسيح (ع) وحفظه من كيد اليهود ومكرهم فلم يستطيعوا أن يصلبوه". وقال يوحنا (8:59): "فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا.". وقال يوحنا (10:93): "فطلبوا أيضا أن يمسكوه فخرج من أيديهم.." وقال يوحنا (19:36):"وقد حدث هذا ليتم ما جاء في الكتاب: لن يُكسر منه عظم "... وكل هذا يختلف عن المسيح الثاني (يسوع ابن يوسف النجار) الذي صلبه الرومان، ومعنى ذلك أن المسيح الذي يحتفل العالم بعيد ميلاده سنويا لا علاقة له بعيسى ابن مريم وهو النبي المذكور فى القرآن الكريم، بينما العالم يحتفل كل عام بيسوع ابن يوسف النجار الذي راح ضحية سعيه لتأسيس دولة يهودية في فلسطين.

وبرغم أن اليهود يعلمون الحقيقة، لكنهم تغاضوا عنها، كون اعتبار الشخص الثاني هو المسيح عيسى ابن مريم، فهذا يخدم مخططهم في الادعاء بأن موطنهم الأصلي في فلسطين، أي أن هذه الخدعة جاءت لصالحهم هذه المرة دون عناء التفكير فيها، فقد تمكنوا من نقل موطن عيسى بمجرد الصمت... وننتهي من هذه المبحث إلى أن هناك دولة إسرائيلية عتيقة موطنها في جنوب غرب الجزيرة العربية، ومن

هناك تحرك الملك داوود لفتح مكة، وهناك أسس مملكة على الحصون التي احتلها من اليبوسيين، وكانت هذه المنطقة هي مسرح أحداث التوراة بالكامل ومعها الإنجيل أيضا، حيث عاش المسيح عيسى ابن مريم هناك، ومن هناك تنقل إلى مصرايم، وعاد منها، وكل ذلك لا علاقة له بإيجبت التي عمل اليهود على تزوير كل كتب ومدونات العهد القديم والجديد كي تساعدهم على إنشاء كيان سياسي لهم في فلسطين.



الإضاءة الثالثة والعشرين

خدعة المسجد الأقصى

نعم.. نتحدث عن المسجد الأقصى الموجود حاليا في مدينة القدس الفلسطينية، والذي يقف بالقرب منه مسجد قبة الصخرة. وهذا المسجد الأقصى هو خدعة يهودية؛ ونحن هنا لا نتحدث عن كيان المسجد والبناء المعماري والقيمة التاريخية من حيث كونه أثر أو تراث مسجل لدى منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة باعتباره من الآثار العربية الفلسطينية.. وهو بالفعل كذلك لا يقل شأنا عن القيمة التاريخية لأهرامات الجيزة، لكننا نتحدث عن مسمى " المسجد الأقصى" فهو محل الخدعة اليهودية.

لقد جلس العرب المسلمين على خازوق يهودي طوله أكثر من ألفي عام من الزمان... ففي الأصل كانت الكعبة هي البيت المقدس، والمسجد الأقصى هو المكان الذي كلم الله فيه نبيه موسى بالوادي المقدس طوى، وهيكل سليمان هو كنيس باليمن، فقام اليهود بصناعة تراث إسلامي من الحكايات والروايات المنسوبة للنبي، جعلت من مقلب قمامة بالشام هو بيت المقدس وهو المسجد الأقصى، وهو هيكل سليمان، وهو المحطة الأرضية التي صعد منها النبي محمد إلى السماء ! وكل ذلك كي يثبتوا أن لهم حق في فلسطين، هذا الحق قائم على هيكل سليمان الذي أسري بالنبي محمد إليه كي يصعد إلى السماء، وعلى من ينكر حق اليهود في الهيكل أن ينكر معجزة إسراء ومعراج النبي محمد !

والغريب أنه كانت هناك صخرة عادية جدا متصلة بجانب تل في مدينة إيلياء الفلسطينية، لكن اليهود أقنعوا المسلمين بأن الصخرة مُقدَسة وأنها معلقة بين السماء والأرض.. يقول الألوسي رحمه الله: "من الأكاذيب المشهورة أنه لما أراد العروج صَعَدَ على صخرة بيت المقدس، وركب البراق، فمالت الصخرة وارتفعت لتلحقه، فأمسكتها الملائكة، ففي طرف منها أثر قدمه الشريف، وفي الطرف الآخر أثر أصابع الملائكة عليهم السلام، فهي واقفة في الهواء، قد انقطعت من كل جهة، لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض سبحانه وتعالى" [1]. وكل ذلك ما هو إلا خرافات أورثها اليهود للعرب المسلمين وغرسوها في عقولهم المغيبة دون وعي حتى نبتت وأثمرت جهلا مُغيبا

[1] ـ روح المعاني (15/ 9)

عبر عشرات القرون. بل إن مجرد ظهور مثل هذه الرواية عن هذه الصخرة تثبت بجلاء أنه لم يكن هناك في إيلياء لا هيكل سليمان ولا مسجد أقصى، إنما فقط الصخرة.

ويقول ابن تيمية عن تقديس اليهود لهذه الصخرة:" أن اليهود كانوا يحملون معهم التابوت وقيل هذا التابوت كما قال الله تعالى: ﴿أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملآئكة﴾248/سورة البقرة، فقيل: إنه كان فيه الصحف التي أنزلت على موسى فألقاها، يقال: فتحطمت، جاء هذا في بعض الروايات، وعلى كل حال فهذا التابوت قيل: إنهم كانوا يحملونه معهم فإذا أرادوا الصلاة وضعوه واستقبلوه، فإذا كانوا في بيت المقدس كانوا يضعونه على صخرة، وكان سيدنا موسي يستقبل فكانوا يستقبلونها، ثم بعد ذلك صارت قبلة لهم، صاروا يستقبلون الصخرة، وأصل ذلك أنهم كانوا يضعون عليها التابوت، هكذا قيل والله تعالى أعلم، فكان اليهود يعظمونها، والنصارى كانت لهم الدولة والظهور والسلطة حينما دخل ملك الرومان في النصرانية أو كما يقال: حينما أدخل النصرانية في وثنيته، فكان اليهود يُضطهدون في ممالك النصارى غاية الاضطهاد، ولربما ينادى عليهم في بعض البلاد فيذبحون ويقتلون عن آخرهم، لما كان يصدر منهم من الشر والدسائس والفساد والإفساد في تلك المجتمعات، فإذا تغيظوا عليهم نادوا عليهم بالقتل فقتلوا.. "

ويقول ابن تيمية:" والشاهد أنهم كانوا يزدرونهم ويضطهدونهم، ومن ذلك أن النصارى كانوا يلقون القمامة على هذه الصخرة التي يقدسها اليهود، واليهود ضعفاء مستذلون مستضعفون لا يستطيعون أن يدفعوا عن دينهم وقبلتهم.. فلما جاء عمر ابن الخطاب أماط ذلك عنها، سواء بدأ بنفسه وبالمسلمين، أو أنه سخر لها الأنباط وهم أناس من أهل تلك النواحي من الشام، لم يصلِّ أهل الكتاب، ولم يصلِّ عمر ولا المسلمون عند الصخرة ولا تمسحوا بها ولا قبلوها، بل يقال: إن عمر صلى عند محراب داوود -(ع)- الخارج، وقد ثبت أن عبد الله بن عمر كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه وصلى فيه ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها، ولا يقرب شيئا من تلك البقاع، وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعتبرين كعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وغيرهم، وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مزية لبعضها على بعض، إلا ما بناه عمر لمصلى المسلمين. كانت الصخرة مكشوفة ولم يكن أحد من الصحابة ،لا ولاتهم ولا علماؤهم يخصها بعبادة، وكانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان مع حكمهما على الشام، وكذلك في خلافة علي، وإن كان لم يحكم عليها. ثم كذلك

في إمارة معاوية وابنه وابن ابنه، فلما كان في زمن عبد الملك وجرى بينه وبين ابن الزبير من الفتنة ما جرى من هدم الكعبة، كان هو الذي بنى القبة على الصخرة، وقد قيل: إن الناس كانوا يقصدون الحج فيجتمعون بابن الزبير، أو يقصدونه بحُجة الحج، فعظم عبد الملك شأن الصخرة بما بناه عليها من القبة، وجعل عليها من الكسوة في الشتاء والصيف، ليكثر قصد الناس للبيت المقدس، فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير، (والناس على دين الملك) [1]. وهذا من أعجب الأشياء، عبد الملك بن مروان رجل كان صاحب عبادة في المدينة، حتى إن بعض الصحابة كان يحيل إليه ويذكره بالعلم والفقه، وكان شديد العناية بأمور الدين، لما قيل له: إن الناس يقصدون ابن الزبير، ويأتون إلى مكة للحج والعمرة فيلتقون به اخترع لهم هذه البدعة، وبنى هذه القبة على الصخرة وزينها واعتنى بها غاية العناية؛ لجذب الناس إلى زيارتها وقصدها بدلا من أن يقصدوا مكة، ثم بعد ذلك لما قتل ابن الزبير وصارت الحجاز تابعة لعبد الملك أهمل هذه الصخرة، وما عاد يلتفت لها ولا يعتني بها ولكنه لم يهدمها، وظهر في ذلك الوقت من تعظيم الصخرة وبيت المقدس ما لم يكن المسلمون يعرفونه بمثل هذا، وجاء بعض الناس ينقل الإسرائيليات في تعظيمها حتى روى بعضهم مفتريات عن كعب الأحبار عند عبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير حاضر: إن الله قال للصخرة: أنت عرشي الأدنى، فقال عروة: يقول الله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} 255/ البقرة، وأنت تقول: إن الصخرة عرشه؟ (وأمثال هذا). [2]

ونلاحظ في هذا المقتبس أن ابن تيمية لم يذكر "مسجد أقصى" لا صراحة ولا ضمنا، إنما فقط ذكر صخرة اليهود، وأنه لا يوجد في المكان سوى مُصلى عمر ابن الخطاب الذي بناه عند فتح المدينة، ثم في معرض حديثه ذكر " بيت المقدس" إشارة إلى المكان المتسع الذي يقع فيه مسجد قبة الصخرة ومصلى عمر بعد تطويره في عهد بني أمية، لكنه ذكر " مبالغة اليهود في تقديس المكان " ! فهل هذه المنطقة تحمل أيضا مسمى المسجد الأقصى ! ولو كان كذلك، فما الرابط بين الاسمين !

[1] ــ انظر أيضا الأنس الجلىل ج١ ص٢٧٢ ، وتارىخ الىعقوبي ج٢ ص١٦١

[2] ـ المصادر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (346/2) / حديث الصحيحين / مقال د ـ عيسي القدومي ،ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى: 27/ 12

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير، ما نصه قال الإمام أحمد: "أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس، قال: قال ابن سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم: سمعت عمر يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، وكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية! لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط ردائه، وكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس". وهذا إسناد جيد، اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي، في كتابه المستخرج. وجاء في تاريخ الطبري في رواية أخرى، أن عمر أجاب كعب بقوله: "فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة". ونقول أن مفاد الرواية أن كعب، لما أشار على عمر بالصلاة خلف الصخرة، أراد منه أن يجمع القبلتين في صلاته، فأبى عمر وصلى جاعلا وجهه تلقاء الكعبة والصخرة من وراء ظهره.

وهذا يوضح لنا أن العرب كانوا يأخذون من اليهود " بيت خبرة واستشارات دينية " لدرجة أن كبيرهم (عمر) يصطحب كعبا ويستشيره عن موضع الصخرة فيضلله ! ومع ذلك يستمر في صحبته ! فلا تستبعد أن يأتي الفقهاء (صبيان عمر) ويستشيروا (صبيان كعب) في مسائلهم الدينية خاصة رحلة الإسراء والمعراج لأنها كانت إلى هيكلهم وهم الأكثر علما بها !

وهكذا يلعب اليهود بعقول المسلمين بكل بساطة. وقد وضع كعب وإخوانه في فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع التي في الشام أكاذيب كثيرة ملأت مؤلفات... قالوا: أن الصخرة صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران ينظمان سموط أهل الجنة إلى يوم القيامة [1].. وقد أوضحنا فيما سبق أن تسمية "بيت المقدس" أول ما وردت في كتب المفسرين القدامى كانت نقلا عن كتب اليهود في تفسير آيات القرآن التي تتحدث عن بني إسرائيل، فكان اليهود يستخدمون هذه الاصطلاحات في كتبهم كدلالة على (الكعبة قبل تزوير التوراة) ولما نقل عنهم المسلمون نقلوا اصطلاحاتهم، ومنها " القدس" و" بيت المقدس" كدلالة على (مدينة إيلياء) إنما هذه التسميات لا صلة لها بالإسلام، فمن الذي ربط بين الصخرة وبيت المقدس والقدس والمسجد الأقصى !

[1] ـ الطبرانى عن عبادة بن الصامت

ويقول ابن كثير:" قال صاحب مرآة الزمان: وفيها ابتدأ عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين، وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة وكان يخطب في أيام منى وعرفة ومقام الناس بمكة وينال من عبد الملك ويذكر مساوئ بني مروان" [1].

ويقول ابن تغري.."وسبب بناء عبد الملك أن عبد الله بن الزبير لما دعا لنفسه بمكة فكان يخطب في أيام منى وعرفة وينال من عبد الملك، ويذكر مثالب بني أمية ويذكر أن جده الحكم كان طريد رسول الله ولعينه، فمال أكثر أهل الشام إلى ابن الزبير فمنع عبد الملك الناس من الحج فضجوا، فبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليصرفهم بذلك عن الحج والعمرة فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم وصار أخوه عبد العزيز بن مروان صاحب مصر يعرّف بالناس بمصر ويقف بهم يوم عرفة" [2]..

ويقول اليعقوبي.." ومنع أهل الشام من الحج إلى مكة، وبنى قبة الصخرة في بيت المقدس، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها، بدلا من الكعبة، وأقام الناس على ذلك أيام بني أمية" [3]..

ويقول الدميري.." لما ولي عبد الله بن الزبير الخلافة بمكة، ولى أخاه مصعب بن الزبير المدينة، وأخرج منها مروان بن الحكم وابنه، فصار إلى الشام ولم يزل يقيم للناس الحج من سنة أربع وستين إلى سنة اثنتين وسبعين، فلما ولي عبد الملك بن مروان منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير، لأنه كان يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا، فضج الناس لما منعوا من الحج، فبنى عبد الملك قبة الصخرة فكان الناس يقفون عندها يوم عرفة" [4]..

وكما هو واضح من الروايات اتفاقها على أن الأقصى لم يكون موجودا قبل زمان عبد الملك، وبعضهم حدد السنة التي بني فيها مع قبة الصخرة وهي 72 هـ، وروايات أخرى تقول أن تتمة البناء

---

[1] ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية: 8/ 308

[2] ـ ابن تغري ـ النجوم الزاهرة: 1/ 188

[3] ـ اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي 2ـ261

[4] ـ الدميري ـ حياة الحيوان الكبرى صـ412

كانت في عهد الوليد بن عبد الملك، لذلك عزا البعض بناء المسجد للوليد بوصفه من أتم بناؤه، وهذا هو موضع الشاهد أنه حتى لو كان الوليد هو من بنى المسجد فالإشكال قائم، أين كان الأقصى في فلسطين وقت نزول آية الإسراء ؟!

وأصل تسمية القدس ببيت المقدس عند رهبان اليهود الذين أسلموا مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه، فالمدينة كانت ولا زالت مقدسة في التوراة المزورة.. وزادت قداستها ببناء الأقصى وقبة الصخرة في العهد الأموي لاستخدامهم في الحج إبان تمرد بن الزبير واستقلاله بالحجاز واستقطاب الشوام من الحجيج في مكة.. وكان اليهود في غاية الانشكاح والسعادة الغامرة التي حلت بهم ببركات بني أمية الذين كانوا يتقافزون على منبر رسول الله مثل القِردة.. فعلى ما يبدو أن بني أمية كانوا ينوون إعادة القبلة إلى صخرة اليهود مرة أخرى، فالصخرة كانت أولى القبلتين ! فلا حرج أن نجعلها قبلة بديلة !



1ـ قِبلة اليهود وقبة الصخرة

بني إسرائيل لم يكن لهم أي مقدسات في فلسطين، ولا سليمان بنى هيكل في فلسطين لأنهم لم يدخلوها، ولم يدخلوا حتى "الأرض المقدسة " مكة بصحبة موسى (ع)، يورد القرآن الكريم قصة نبي الله موسى مع بني إسرائيل وأحداثها مفصلة من مصرايم إلى ما بعد الجواز نحو الأرض المقدسة،:﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ ﴾.. ومعلوم ما لاقاه هذا النبي من عنت وعصيان من قومه لا يحتمله إلا أولوا العزم من الرسل، وبعدما امتنعوا عن دخول البيت الحرام عاشوا في التيه أربعين سنة، وعليه فقد تدرج مكان تعبدهم مع مراحل تنقلهم عبر أرجاء الجزيرة العربية، وقد أمرهم النبي موسى بالتوجه إلى الكعبة بيت الله الحرام في صلاتهم أينما كانوا. وسنتناول موضوع قبلة اليهود بإيجاز فيما يلي.

أولا: القبلة في مصرايم:

في خضم التضييق والظلم الذي مورس عليهم من طرف فرعون، أوحى الله إلى نبيه موسى بأن يأمر قومه بالصلاة ليخفف عنهم الكرب، ولما كانت إقامتهم الصلاة علنا مستحيلة في ظل تنكيل فرعون وملائه بهم، أمروا بأن يتخذوا من بيوتهم مصليات في قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ 87/يونس. فكانت صلاة بني إسرائيل وهم في مصرايم داخل بيوتهم يقيمونها خفية. لكن ما يزال السؤال؛ أين كانت قبلة هذه البيوت؟

ينقل ابن كثير في تفسير قوله تعالى "واجعلوا بيوتكم قبلة" عن مجاهد قوله:" لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة، أمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة، يصلون فيها سرا. وكذا قال قتادة و الضحاك" [1] وكذلك نقل الطبري عن مجاهد:

[1] ـ تفسير القرآن الكريم – تفسير ابن كثير – على الرابط : http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura10-aya87.html

بيوتكم قبلة، قال: نحو الكعبة [1].. فالكعبة إذن كانت قبلة بني إسرائيل الأولى منذ عهد إبراهيم (ع)، يتوجهون شطرها عند صلاتهم، واستمروا على ذلك الحال إلى حين خروجهم مع موسى من مصرايم في اتجاه بيت المقدس، تطبيقا لوعد الله لأبيهم إسرائيل وأبيه إسحاق من قبله، وهنا تبتدئ مرحلة أخرى اتخذوا لها قبلة أخرى.

ثانيا: القبة في التيه:

يطلق التيه في تاريخ بني إسرائيل على الفترة التي قضوها في بلاد الحجاز تائهين لا يهتدون على خروج، منذ خروجهم من مصرايم إلى غاية دخولهم مدينة الجبارين بقيادة يوشع بن نون، وقد لبثوا فيه بنص القرآن أربعين سنة وفيه أنزل الله عليهم المن والسلوى، وظلل عليهم الغمام، وفجر لهم اثنتي عشرة عينا من الحجر، وفيه مات هارون وموسى. ولما كانت وضعية التيه تنافي حالة الاستقرار، فقد أمر الله تعالى نبيه موسى باتخاذ قبة للعبادة، عين الوحي شكلها و لوازمها وجعل خشب السنط مادة صنعها، جعل فيها مرافق لإقامة طقوس بني إسرائيل، وقد نصبت بين خيامهم وكانوا "يصلون إليها ويتقربون في المذبح أمامها ويتعرضون للوحي عندها".

ووردت في العهد القديم باسم "خيمة الشهادة" ومن أسمائها أيضا "قبة العهد" و "قبة الزمان" وقد كانت متنقلة يحملها بنو إسرائيل في تيههم من أرض إلى أرض، واستمر ذلك مدة أربعة عشر سنة، ثم نقلوها إلى شيلوة عند وفاة يوشع ابن نون، وخَيْمَة ٱلشَّهَادَةِ كذلك سُميت في (عدد ١٧: ٨) لأنه وُضع فيها لوحا الشريعة الذان كانا يشهدا بمشيئة الله ولأنها كانت هي نفسها تشهد بحضور الله فيها بين الكروبين (خروج ٢٥: ٢٢) ، يَعْمَلُهَا عَلَى ٱلْمِثَالِ، ذكر استفانوس أن نظام الخيمة والهيكل كان بأمر إلهي دفعا لتهمتهم أنه جدف على الهيكل. وأمر الله لموسى بذلك في (خروج ٢٥: ٤٩). والظاهر أن مراده من هذا الكلام أنه يمكن أن يرضى الله عبادته في غير الهيكل بعده كما رضي أن يعبد في الخيمة قبله.. ٤٥ «ٱلَّتِي أَدْخَلَهَا أَيْضًا آبَاؤُنَا إِذْ تَخَلَّفُوا عَلَيْهَا مَعَ يَشُوعَ فِي مُلْكِ ٱلْأُمَمِ ٱلَّذِينَ طَرَدَهُمُ ٱللهُ مِنْ وَجْهِ آبَائِنَا، إِلَى أَيَّامِ دَاوُدَ». (يشوع ٣: ١٤ نحميا ٩: ٢٤ ومزمور ٤٤: ٢ و٧٨: ٥٥ وص ١٣: ١٩) ٱلَّتِي أَدْخَلَهَا ؛ أي الخيمة التي أدخلها الآباء إلى أرض الميعاد. إِذْ تَخَلَّفُوا عَلَيْهَا ؛ أي

[1] ـ تفسير القرآن الكريم – تفسير الطبري – على الرابط :
http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer-tabary/sura10-aya87.html#tabary

أخذوها بالوراثة لأنه مات الجيل الأول الذي خرج من مصرايم وقام خلفه وأخذ الخيمة وأدخلها إلى الأرض المقدسة مع يَشُوع قائدهم بعد موسى. فِي مُلْكِ ٱلأُمَمِ؛ أي البلاد التي سكنها الأمم في أرض كنعان. إِلى أَيَّامِ داوُدَ ؛ أي أنهم حفظوا الخيمة وعبدوا الله فيها إلى أيام داوود حين طرد اليبوسيين من أورشليم فتكون مدة الخيمة نحو خمس مئة سنة أيام موسى إلى نهاية ملك داوود.

واستمرت القبة على ذلك الحال إلى أن نقلها سليمان (ع) إلى مسجده الذي بناه و يسمونه الهيكل. وهيكل سليمان هذا كان في عاصمته أورشليم باليمن كما أوضحنا، حيث قطع الطريق من الجنوب إلى الحجاز شمالا مارا بوادي النمل ووادي السديرة قرب الطائف حتى وصل مكة وحررها من العماليق، وكان هذا هو الدخول الأول للأرض المقدسة "البيت المقدس" التي لم يتمكن موسى من دخولها بسبب تقاعس بني إسرائيل.

تعرض هيكل سليمان باليمن للهدم أكثر من مرة، كانت أولها على يد نبوخذ نصر 587 ق م حينما اجتاح كل مناطق الجزيرة العربية واكتسح ممالك اليهود (السمرا ويهوذا وبقايا مملكة داوود وسليمان باليمن جنوبا)، حيث تم هدم كل معابدهم وتدنيس مقدساتهم وتم سبيهم خلال ما عُرف بالسبي البابلي. وبعد تحريرهم من السبي البابلي عادوا وتجمعوا وحاولوا إعادة إحياء هيكل سليمان في هذه المنطقة الجديدة، ثم بعدما عادوا من السبي البابلي بدؤوا في تشييد هيكل رمزي في فلسطين على نموذج هيكل سليمان القديم باليمن، لكنه هُدم على يد المكدونيين إثر ثورة اليهود ضدهم، ثم هدم للمرة الثالثة، على يد الرومان سنة 70 للميلاد، وجعلوا مكانه مطرحا للقمامات إلى أن فتح المسلمون إيلياء، فلم يهدموا بيتا ولم يطرحوا قمامة، وإنما أمر الخليفة عمر أن يكنس مكان الصخرة فبنى قربها مسجدا اعتنى الوليد بن عبد الملك برفعه والاحتفال في بنيانه لما بنى مسجد قبة الصخرة .وكانت هذه الصخرة يضعون عليها التابوت للصلاة بعدما هُدمت معابدهم ولهذا قدسوها واستقرت في وجدانهم واعتبروها موطن الهيكل ! برغم أن هذا ليس منطقا بأي حال، فلا عقل يقول أن أحدا ضاقت به الدنيا ليبني هيكل في مكان به صخرة مثل هذه دون إزالتها وتمهيد الأرض.

غير أن اليهود بعد سليمان فقدوا البوصلة العقائدية إلى الأبد، فلم يعودوا يتوجهون في صلاتهم إلى الكعبة "بيت المقدس" أو "البيت المقدّس" وإنما صاروا يتجهون إلى الخيمة أو القبة، وبعدما فقدوها اتخذوا صخرة يضعون عليها التابوت، وبعدما فقدوا التابوت اتخذوا صخرة رمزا،

وكانت آخر هذه الصخور هي الصخرة الموجودة حاليا (داخل مسجد قبة الصخرة)، وهي إشارة عجيبة لتقديس المسلمين عقيدة اليهود القائمة على الوهم![1] فمن الضروري تغيير اسم هذا المسجد العظيم وإزالة هذه الصخرة وتنظيفه من الداخل وتهيئته للصلاة، والمشكلة أنها ليست هي قبلة اليهود، فاليهود لا يتوجهون اليوم في صلاتهم إلى مسجد قبة الصخرة الذي بداخله الصخرة إنما يتوجهون ناحية الوهم الذي قالوا أنه كان مكان هيكل سليمان الذي كان مكان البيت المقدس !، وأما المسيحيون فيتوجهون في كنائسهم ناحية الشرق (قبلة فلكية)، هكذا تم بناء معابدهم، وكنائسهم. وهذا في مجمله يعني أنه لا قيمة لهذه الصخرة في الإسلام ولا حتى في التوراة سوى كونها كانت محطة مؤقتة اتخذها اليهود متكأ ليضعوا عليها تابوت الألواح ويجعلونها أمامهم في الصلاة، دون أن تكون هي بذاتها قبلة.

وعندما جاء الإسلام وبدأ النبي محمد (ع) بالصلاة تجاه الكعبة، فكان النبي محمد يتجه في صلاته في الفترة الأولى إلى الكعبة قبلة الأنبياء جميعا، وأسوة بالنبي إبراهيم، وهكذا كانت عبادة بعض العرب اليهود والمسيحيين الذين كانوا يتعبدون في غار حراء مثله بعيدا عن الكفر والزندقة، كان غار حراء معتكف للعابدين من النصارى والحنيفيين، ولم يكن هناك قبلة سوى الكعبة. وكان باقي العرب يقدسون الكعبة ويستقبلونها أيضا بعبادتهم الشركية ويحجون إليها، لكن نظرا لانتشار الشرك والكفر والفساد العقائدي، وانصراف اليهود عنها في صلاتهم إلى اتجاه الشام، فأراد الله أن يبتلي (يختبر) المؤمنين من المنافقين واليهود فأمر نبيه محمد بإدارة القبلة تجاه الشمال مع اليهود ليعلم المؤمن من المشرك والمنافق الذي يستقبل الكعبة على كفره. واستمر ذلك ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، ولم يكن النبي راغبا في هذه القبلة، لكنه استمر تنفيذا لأمر الله، ولو كان الموضوع برغبته لانصرف إلى الكعبة مباشرة، إنما كان تغيير القبلة بأمر مباشر من السماء دون رغبة النبي، ولما اختبر الله الناس عاد وقال لنبيه:﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ

---

[1] ولا شك لدينا في أن من تطوع وأشار على عبد الملك ابن مروان بإنشاء هذه القبة حول الصخرة هو شخص يهودي حتى النخاع استغل الخلاف الذي وقع بين الزبير وعبد الملك في الحط من قيمة الكعبة بإنشاء نموذج منافس لها في إيلياء، والغريب أن يكون هذا النموذج المنافس للكعبة هو صخرة اليهود ذاتها ! ... فالواقع أن العرب كانوا أمة بربرية همجية لا دين لهم من أولهم آخرهم، ودينهم فقط هو القتل والسياسة، ولهذا فعلوا ما فعله اليهود، لعبوا بدينهم في السياسة وبالسياسة في الدين، ما فتح الباب لليهود لتوجيه البوصلة الدينية الإسلامية بمؤشر يهودي سياسي وليس ديني حتى !

الذِينَ أوتوا الكِتاب ليَعلمُونَ أنهُ الحقُّ مِن رَبِّهِمْ ومَا اللهُ بغَافِلٍ عمَّا يَعمَلون﴾144/البقرة .. إنما لو كان تغيير القبلة إلى الشام برغبة النبي، فما كان في حاجة إلى تقليب وجهه في السماء هكذا، ولما قال الله له: ﴿فلنُوليَنَّكَ قِبلةً ترضَاها﴾

فهذا يدل على أنه كان يستقبل قبلة لا يرضاها، وهي ليست الكعبة بدليل أن الأمر نزل ﴿فولِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَام﴾ وهي الكعبة التي يرضاها مسبقا، إنما كان التوجه ناحية الشمال مجرد اختبار للعرب، ولذلك قال تعالى: ﴿وما جعلنا القِبلةَ التِي كُنتَ عليهَا إلا لِنَعلم مَن يَتبِعُ الرَسُولَ مِمَّن يَنقلِبُ على عقِبَيهِ وإن كانت لكَبيرَةً إلا على الذِينَ هدَى اللهُ وما كانَ اللهُ ليُضِيعَ إيمَانكُمْ إنَّ اللهَ بالنَاسِ لرؤوفٌ رَحِيمٌ ﴾143/البقرة، اقرأ:﴿ وما جعلنا القِبلةَ التِي كُنتَ عليهَا﴾ كلام عن قبلة في الماضي وهي ليست محل رضا النبي، وقوله (جعلنا: يؤكد أنها لم تكن باختيار النبي وإنما كانت بالأمر المباشر) وهذا الأمر جعله الله ابتلاء وامتحانا لأتباع النبي حينئذ ﴿إلا لِنَعلمَ مَن يَتبِعُ الرَسُولَ مِمَّن يَنقلِبُ على عقِبَيهِ﴾.

والملاحظ أن الأمر بتغيير القبلة من الكعبة التي كان يستقبلها النبي بصلاته بداهة إلى جهة غيرها أتى خارج النص القرآني وذلك لأنه أمر ظرفي مؤقت وليس ثابتا، وأما الأمر بالرجوع إلى القبلة الأولى فجاء واضحا ظاهرا في النص القرآني لأنه أمر ثابت سيتمتع بالديمومة والاستمرارية، وقد أوضح معه الغاية من وراء التدوير الاستثنائي الذي حدث في القبلة. فالقبلة الأولى هي الكعبة، والثانية هي الشام، وبعدها رجعت القبلة الأولى (الكعبة)، وهذا ينسف نظرية النسخ في القرآن التي طالما نادى بها السلف الصالح، وقالوا أن أول نسخ في القرآن كان هو نسخ القبلة ! فالأمر بتدوير القبلة للشام جاء خارج النص القرآني، ما يعني أن النسخ كان لما هو خارج النص وليس هناك في القرآن نسخ إطلاقا، إلا لمن أراد تعطيل بعض آيات القرآن !

وجهة الشمال للمدينة المنورة جغرافيا يحدها امتداد أرض الحجاز والأردن وقسم من العراق، وسورية، أما فلسطين؛ فهي في جهة الشمال الغربي بالنسبة للمدينة. انظر للخبر الذي أورده البخاري ومسلم في صحيحهما، عن ابن عمر قال:(بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ، فقال: إن النبي قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل القبلة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة). أي لم تكن الصخرة هي قبلتهم وإنما الشام وهذا ما تؤكده

حقيقة أن الصخرة ذاتها ليست قبلة اليهود وإنما اتجاه الشمال، فاتخذ الله من اتجاه الشمال هذا حجة واختبار لليهود إن كانوا سيؤمنون.

ويذكر الهمداني مواضع العبادة في جزيرة العرب في صدر الإسلام فيقول:" هي مكة، واللات بأعلى وادي نخلة، وذو الخلصة بناحية تبالة، وكعبة نجران، وريام في بلد همدان" ويظهر من هذا النص الذي أورده الهمداني أنه لم يتحدث عن أي قدس، بالرغم أنه يتحدث عن مواضع العبادة في صدر الإسلام، وهذا دليل واضح أن العرب جميعا لا يعرفون قدسا أرضيا غير البيت الحرام، ويعترفون بأنه البيت الذي وضعه الله لجميع الناس، والقرآن الكريم قد حسم مسألة المواضع الحقيقة للعبادة الحقة حين أعلن أن البيت الحرام بمكة هو القبلة الوحيدة لله في الأرض في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾96/آل عمران، والقرآن الكريم أيضا قد حسم مسألة البيت الوحيد الذي رفع قواعده إبراهيم الخليل (ع)، وأكد القرآن الكريم أن إبراهيم (ع) لم يبن بيتا غيره كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ 127/البقرة، فهذه الآية قد تحدثت عن بيت وحيد، فلو كان هناك بيتان أو قبلتان لذكرتهما هذه الآية، وهل جعل الله لإبراهيم قبلة غير الكعبة؟ وهل جعل لأحفاده الإسرائيليين قبلة غير الكعبة؟ لكن من المعروف أن اليهود لم يكن لهم قبلة وإنما كانت الصخرة يضعون عليها تابوت الألواح ويستقبلونها في آخر مرحلة استقروا وتجمعوا فيها في فلسطين بعد القرن الثاني قبل الميلاد.

فهل بعد هذا يمكن القول بأن لله قبلة أخرى؟ هي تلك الصخرة التي ابتدعها اليهود في فلسطين؟ فالله طالما تحدث عن بني إسرائيل في كثير من آيات القرآن وأفاض في الحديث عن طور سينا والوادي المقدس طوى وعن الوصايا العشر للتوراة، فهل تحدث عن قبلة لليهود غير البيت الحرام ؟ فالموضع الوحيد الذي أشار فيه القرآن لقبلة اليهود أفصح فيه بكذب اليهود وتزويرهم وأنهم يعلمون ما يفعلون؛ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

لما كان أبو الأنبياء مكلفا بالحج والصلاة لبيت الله الحرام، ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقا لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا (يعايرونهم بجهلهم وضلالهم) فلما جاءهم (الإسرائيليين) ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين... ولما كان القرآن مصدقا لما بين أيديهم، ويأمر بالحج والصلاة للكعبة، فهذا يحتم أن صلاتهم تجاه الشمال تزوير وتحريف لشريعة الله الواحدة، وأن الأصل في الإسلام والتوراة والإنجيل هو الصلاة والحج للكعبة وليس الشمال والشرق، وكل ما في الأمر أننا نضطر للاعتراف بشرعية صلاة اليهود تجاه الشمال تجنبا للقول بأن الرسول محمد كان يصلي خطأ في بداية الدعوة، لكن في الواقع أنه كان يصلي خطأ بالفعل، لأنه صلى بداية الأمر تجاه الكعبة، ثم تحول بأمر إلهي لاختبار كلا الفريقين، اليهود والعرب المنافقين، ثم كشف الله له أن ذلك ليس صحيحا وإنما من تزوير اليهود، وأمره بالعودة إلى بيت الله الوحيد، أي أن موضوع القبلة هذا ما كان إلا محض مناورة مع اليهود والمنافقين ليسد عليهم باب الحُجج وليطهر قلوبهم.

قال صاحب الظلال:" فقد كان العرب يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم، ويعدونه عنوان مجدهم القومي.. ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله، وتجريدها من التعلق بغيره، وتخليصها من كل نعرة وكل عصبية لغير المنهج الإسلامي المرتبط بالله مباشرة، المجرد من كل ملابسة تاريخية أو عنصرية أو أرضية على العموم.. فقد نزعهم نزعا من الاتجاه إلى البيت الحرام، واختار لهم الاتجاه ـ فترة ـ إلى المسجد الأقصى، ليخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية، ومن كل ما كانت تتعلق به في الجاهلية، وليظهر من يتبع الرسول اتباعا مجردا من كل إيحاء آخر، اتباع الطاعة الواثقة الراضية المستسلمة، ممن ينقلب على عقبيه اعتزازا بنعرة جاهلية تتعلق بالجنس والقوم والأرض والتاريخ، أو تتلبس بها في خفايا المشاعر وحنايا الضمير، أي تلبس من قريب أو من بعيد.."[1]

والدليل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ

[1] ـ صاحب الظلال (1/126ـ127)

وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾145/البقرة، ففي عجز الآية الأولى يوضح ربنا أن اليهود يعلمون أن القبلة هي بيت الله الحرام وأن الله ليس بغافل عما يعملون من تزوير وتحريف، وفي عجز الآية الثانية نجد الله تعالى يحذر نبيه الكريم من اتباع قبلتهم بوصفها من أهوائهم ولا يجوز اتباعها بعدما ظهر من الحق. ويقول تعالى:

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴿146﴾ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴿147﴾ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير ﴿148﴾ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴿149﴾ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون﴾ 150/البقرة.. أي ليس المسجد الحرام قبلة جديدة للعبادة والصلاة إنما هو الحق من ربك، وما سواه باطل باطل.. لكن اليهود جعلونا نحتفل بهذا الباطل باعتباره (أولى القبلتين) !! بينما كان ذلك في مرحلة مؤقتة فقط لابتلاء قوم معينين.

ومن الملاحظ أن جميع الآيات القرآنية التي تتحدث عن البيت الحرام لم تكن في حاجة إلى التفريق بين البيت الحرام وغيره من البيوت التي زعم البعض أنها قبلة، فقد جعل الله الكعبة البيت الحرام الوحيد كما قال تعالى: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس)، والمعنى هو أن الله قد صير البيت الحرام قبلة بعد أن خلق السموات والأرض، والمعنى أيضا أن الله قد جعل للناس كل الناس الكعبة بيته الحرام كما جعل البيت المعمور وجهة للملائكة ونلاحظ أن الآيات القرآنية قد أشارت إلى بيت واحد وقبلة واحدة فقط، ومنها قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ..﴾، وقوله تعالى: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي..﴾،وقوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا..﴾

ومن المعلوم بالضرورة عند كل مؤمن موحد أن هناك صله قوية بين توحيد الله وبين وحدة القبلة، ولهذا فقد أخبر الحق سبحانه بأن السفهاء من اليهود سيشاغبون على المؤمنين في شأن القبلة

والبيت الحرام، والتي ثبت بأدلة القرآن الكريم أنه لا قبلة غيرها، فقد ثبت بطلان خرافات اليهود والنصارى التي تزعم أن مدينة القدس قبلة ثانية، أو أنها القبلة الأولى كما زعم كعب الأحبار، وصار المسلمون يتغنون بعده بأولى القبلتين ! إن اختلاف القبلة بين الناس في العصور المختلفة لم يكن سوى اختلاف على أمرين الحق والباطل، فقبلة منها كانت الحق وغيرها من القبلات كانت الباطل، هذا ما يمكننا فهمه من ما ورد في القرآن .

كل هذه الأدلة والتبيان كي نصل إلى نتيجتين؛ الأولى مفادها أنه ؛ لا قدسية في فلسطين لا لليهود ولا للمسلمين، ولا يوجد شيء اسمه (أولى القبلتين، إنما كانت هي مرحلة تحدي من الله لليهود والمنافقين بالسير على نهجهم الباطل لحظة لإفساد حججهم فقط، فقد منحهم الفرصة حينما قالوا لو استقبل محمد قبلتنا لاتبعناه، فأراد الله أن يعطيهم الفرصة، لكن ذلك لا يجعل من هذه الفرصة فرصة لليهود كي يركبوا بها المسلمين على مدار التاريخ ويقتنصوا منهم دليل اعتراف بأن إيلياء كانت قبلة أولى للنبي محمد. وأما النتيجة الثانية؛ وهي أنه لا قدسية لليهود في فلسطين، وهي ليست قبلة لهم، ولا يوجد سوى الصخرة التي زعموا استخدامها موطئا للتابوت حين الصلاة، وهذا يعني بوضوح أنه لا يوجد مسجد أقصى في فلسطين ولا بيت مقدس ولا غيره.



2ـ المسجد الأقصى المكي

الله تعالى يقول: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿1﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿2﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿3﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿4﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿5﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿6﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿7﴾ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿8﴾ /الإسراء.

يتحدث الله في الآيات الثمانية عن بني إسرائيل والنبي موسى، ثم ينتقل المولى عز وجل في الآية التاسعة للحديث عن القرآن فيقول: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴿9﴾ /الإسراء.

وهذا يعني أن الله تعالى يلفت نظرنا للتسبيح بحمده إذ أنه أسرى بعبده موسى بعد الحج من بيت الله الحرام إلى ميقاته في الوادي المقدس طوى وعند الطور على حدود مكة الشمالية الغربية (بوابة الأرض المقدسة) ليكلمه الله تعالى، فقد تجلى الله لموسى فوق الجبل وهناك حدثت آياته ومعجزاته التي سلح بها موسى لقومه وفرعون وقومه، حيث جرب موسى العصا واليد البيضاء وحين صُعق موسى من هول المشهد، فيقول تعالى:" وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿143﴾/ الأعراف، وقال تعالى:" ۞ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿29﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴿30﴾ وَأَنْ

أَلْقِ عَصَاكَ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿31﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴿32﴾/القصص.

فكانت هذه الآيات من القرآن موجهة لبني إسرائيل والعرب من قريش تذكرهم بما حدث مع موسى من قبل كي يصدقوا أن محمد نبي مرسل من ذات الرب. ولذلك نجد الآيات تستطرد في الحديث مباشرة عن بني إسرائيل وأحوالهم وصفاتهم وأفعالهم دون أي ذكر للنبي محمد ﷺ. فالمقصود بكلمة " عبده " هو نبيه موسى (ع) الذي أسرى الله به ليلا إلى الميقات ليريه من آياته المعجزات، وذكر الله للمسجد الأقصى كناية عن الوادي المقدس طوى، لأن وقت بعثة موسى لم يكن هناك مسجد أقصى، إنما ما كان قائما هو البيت الحرام، والله تجلى لموسى في الوادي المقدس طوى "ميقات الإحرام" على بعد 25 كلم من البيت الحرام، والوادي طوى هو الذي قال الله عنه " الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ " لأن الله بارك في مكة ومحيط البيت الحرام "مكة"، وليس في الشام أو اليونان أو إيلياء. ولكن الله ذكر المسجد الأقصى كناية عن الوادي لأن في هذا الوقت كان مسجد الجعرانة المقام في الوادي طوى هو ميقات الإحرام وما زال، وقد صلى فيه رسول الله وأحرم منه ثلاث مرات وكان يحرم منه الصحابة من بعده. ومسجد الجعرانة أحد مساجد مكة المكرمة، يعتمر منه أهل مكة، وهي حد الحرم المكي من الجهة الشمالية الشرقية لمكة المكرمة، نزلها النبي لما قسم غنائم هوازن عندما رجع من غزوة حنين، وأحرم منها، وله فيها مسجد وهو الذي يعرف بمسجد الجعرانة...

إنما لا يوجد أي منطق يدفعنا لتفسير الآيات السابقة على أنها رحلة إسراء ليلي بالبساط الطائر خاصة بالنبي محمد وعلى ظهر كائن خرافي أو حصان بابلي مجنح اسمه البراق.. وكما عرفنا سابقا أن أسطورة البراق هذه هي خرافة إسرائيلية على غرار إيزيس يستخدمها اليهود في وقت الزنقة، فحينما لم يستطيعوا تفسير زيارات النبي إبراهيم لابنه إسماعيل في مكة وهو قد قارب المائة من عمره، قال اليهود أنه كان يركب البراق وهو حصان سحري يسير بسرعة الضوء ولذلك جاء اسمه من البرق (من البرق) أو أنه يمد خطوة بمد البصر! ولما سمع المسلمون حكاية البراق هذه أعجبوا بها، وقالوا أن نبينا محمد لا بد وأنه جرب البراق هو الآخر في رحلة إسراء عبر الأثير من مكة إلى مقلب القمامة بالشام (صخرة اليهود) !

وبعدما تحولت قبلة المسلمين من اتجاه فلسطين إلى الكعبة وهذا ما يعني انتفاء أي قيمة للصخرة اليهودية هناك، وأغاظ ذلك اليهود لفقدان صخرتهم المقدسة قيمتها في الإسلام، فجاءوا على تفسير القرآن وقاموا بتزويره، فقالوا أن قول الله تعالى:﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ مقصود به موقع الهيكل والصخرة في فلسطين)، واستوطن هذا التفسير الخرافي في عقول العرب لأنهم ليسوا أمة علم وتدوين، إنما أمة جهل وحكايات وروايات شفوية، ولكي تدخل الفكرة على العرب قالوا لهم بأن نبيكم الكريم كان يركب حصان رباني ملائكي في هذه الرحلة ! إذن حكاية البراق هذه لم تظهر إلا مرتين لسد خانة العجز في العقل العربي، فوردت مرة في زيارات إبراهيم من فلسطين إلى ابنه إسماعيل في مكة، ووردت مرة أخرى في طريق العودة بين ذات المحطتين، في زيارة مزعومة للنبي محمد من مكة إلى فلسطين ليحافظوا بذلك على موقع القدسية لصخرتهم وهيكلهم المزعوم بفلسطين وليجعلوا موقع الصخرة (تابوت الألواح) بديلا عن مهبط الوحي الإلهي في الوادي المقدس طوى.

وليس معنى الآية كما فسرها السلف الصالح بأن المسجد الأقصى هو كنيس بني إسرائيل. لأنه وقت نزول القرآن لم يكن في إيلياء لا كنيس ولا مسجد. لكن اليهود نجحوا في قلب العقيدة الإسلامية وتبديلها وتبادل الأنبياء وتبادل الأماكن... هو ذات الوضع الذي فعلوه في الترجمة السبعونية حينما حذفوا مصرايم ووضعوا مكانها إيجبت، وقاموا بإحداث تبادل تاريخي بين حضارة مصرايم وحضارة إيجبت، ثم طمس كامل لمصرايم وحذفها تماما من التاريخ ليبقى فقط إيجبت بلد الفرعون! وضحكوا على الأقباط السذج بحكايات عذبة عن الشاب يوسف النبي الإسرائيلي حتى يقبلوا روايات صهيونية ويقدسوها في بلادهم... فأن تضحك على شعب كامل بحكاية عن شاب إسرائيلي كان جميلا، وأن جماله أثار شبق النساء .. فتسكر عقول الشعب وتحتل عقله ووطنه !.. فذلك لا يعني إلا أنه شعب يعيش في سذاجة طفولية تشبه شبق الطفل على قطعة حلوى تدفعه للتخلي عن بيته من أجل قطعة الحلوى ، حتى وإن كانت مسمومة ..

والغريب أن حكاية هذا الشاب النبي الإسرائيلي يوسف ليست معجزة ولا بها شيء خارج عن المألوف، فمحنة إلقاءه في الجب وتآمر إخوته عليه لم تكن غريبة في هذه البيئة، بل هناك الكثير من العرب قتلوا بناتهم أو دفنوهم أحياء في جب مماثل، بينما إخوة يوسف كانوا رحماء ـ مقارنة بالعرب ـ لأنهم لم يدفنوا أخاهم حيا وتركوه يتنفس.. ومحنة وضعه في السجن سبع سنين لم تكن خارقة، فهناك حول العالم ملايين المعتقلين ظلما من حكامهم بعشرات السنين وربما أعمارهم

كاملة، فقد حكى لي أحد أصدقائي وكان مديرا لجهاز أمن الدولة الليبي أن القيادة السياسية ذات يوم أمرت بالقبض على كل المصلين في مسجد بالعاصمة طرابلس عقب اصطفافهم لصلاة الفجر، لأن بينهم أشخاص غير مرغوب فيهم سياسيا، وبالفعل تم القبض على كل من كان بالمسجد كبيرا أو صغيرا ، وكان من بينهم أحد السادة وكلاء النيابة العامة، تم القبض عليه وأودع في السجن، ولأن هؤلاء المعتقلين لا تتم أية تحقيقات معهم ، ولا أحد يعرف عنهم شيئا (إخفاء قصري كامل) وكان وكيل النيابة ينادي كل يوم على السجان ويخبره أنه وكيل نيابة وأنه جاء بطريق الخطأ، وأن عليه أن يبلغ رؤساءه بالسجن ، لكن السجان لا يفهم .. وقضى وكيل النيابة 14 عاما في ظلام دامس ..

وأما عن الغواية من زوجة فرعون، فلم تكن حادثة فريدة كذلك، فهناك الآلاف من الشباب حولنا يتعرضون لمثل هذه المواقف كل يوم، بعضهم يقبل وبعضهم يرفض الانصياع لرغبات الأنثى، ربما لتمسكه بالأخلاق، أو خشية من تأنيب الضمير، أو بسبب الخجل ، وأحيانا لعلة نفسية تصيب الكثير من الشباب الذكور، إذ أنهم يخجلون من ممارسة الجنس حتى مع زوجاتهم لفترة عقب الزواج، أي أن الرفض لم يكن حصريا على يوسف، ولا أمرا نادرا .. وأما عن جمال يوسف، فلا نعرف كيف يؤثر جمال الرجل على الرجال، أو أنه يميزهم في شيء، فما يميز الرجال هو الشهامة والذكاء والفطنة والرجولة والأصالة والمسؤولية والعقل والعلم والبنية البدنية السليمة، أما توم كروز الممثل الأمريكي الشهير بجماله ووسامته، فلم يلفت نظر أحد من العقلاء حولنا ..

وأما عن براعة يوسف في تفسير حلم فرعون بسبع سنوات سمان وسبع عجاف، فكانت عادة تفسير الأحلام أصلا مشهورة عند العرب في هذا الزمان، حتى أن هناك كاهن آخر ربما مشعوذ فسر حلم فرعون بميلاد طفل في بني إسرائيل يصبح ملكا يهدد عرشه، ما دفع فرعون لقتل كل الأطفال الذكور الذين يولدون في بني إسرائيل، وأما براعة يوسف في تخزين الغلال وتدبير توزيعها، فكانت من عادة سكان المنطقة تخزين الغلال لسنوات طوال قد يطول فيها الجفاف، لأن المناخ متقلب في هذه الجغرافيا الوعرة، وبالتالي فهم قد احترفوا تخزين الغلال حتى يومنا هذا بطرق بدائية لكنها ذات فاعلية عالية، إذ يضعون حبوب القمح في أكياس قماشية ويدفنونها في بطون الجبال بطريقة معينة، فلا يتسلل إليها الرطب أو العطب .. هذا فضلا عن أن المقارنة مع قدماء القبط وكيف كان المهندسون ينشؤون الصوامع الضخمة بتفاصيل هندسية دقيقة ومذهلة تحت الأرض

يحتفظون فيها بملايين الأطنان من الأقماح والحبوب لسنوات طويلة كرصيد غذائي للدولة ، ما زالت هذه الصوامع ماثلة حتى يومنا هذا بطريقة علمية لا يستوعبها عقل يوسف في زمانه . وأما عن عودة البصر إلى يعقوب بعد أن ابيضت عيناه من الحزن على يوسف، فهذا بالفعل أمر نادر جدا، لكنه قد يحدث مع أناس عاديين جدا في حياتنا نتيجة مؤثرات نفسية ، بل أنه منذ القدم كان الطبيب أبو بكر الرازي يعالج حالات الشلل العصبي بإحداث صدمة نفسية خفيفة للمريض.

وهكذا نقلوا أحداث إسراء موسى إلى محمد، ونقلوها جغرافيا من مكة إلى فلسطين، وعززوها بحكاية الحصان المجنح الذي أرسله الله منحة لمحمد كي يثبت قلبه ويمتعه في هذه الرحلة ! وجاءوا بنص هذه الآية ووقفوا على كلمة " عبده " وقالوا لا شك أنها تقصد النبي محمد ! في قوله تعالى" سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ " ! ففي نظرهم أنه لا عبد لله سوى نبيه محمد ! فلماذا لا يكون الإسراء قد تم بإبراهيم أبو الأنبياء ؟! فكل الأنبياء عبيد لله، وكل البشر عبيد لله، فمن من هؤلاء أسرى به الله إلى ميقات معلوم غير موسى؟! ثم أنه من غير المتصور عبور النص القرآني لمثل هذا حدث إعجازي استخدم فيه عبارة طائرة للانتقال من مكة إلى فلسطين من أجل العروج إلى السماء السابعة، ثم يختصر القرآن هذا الحدث الضخم في آية واحدة تميزها كلمة مقتضبة نكرة هي " عبده " ليتم تفسيرها على أنها تقصد عبده محمد ! بل إن النص بكامله (الآية والآيات التالية لها تتحدث عن أحداث الوحي الموسوي والإتيان به إلى ميقات الله في الوادي المقدس طوى وتكليم الله له.. حيث قال تعالى:" وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴿13﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿14﴾/طه.. لكن اليهود كانوا قد ساندوا هذا التفسير الإسلامي بالكثير من الحشو والروايات التي من شأنها أن تحبب المسلمين في فلسطين وتجعلهم يركعون أمام شريعة ومقدسات هي في الأصل شريعة يهودية ومقدسات توراتية صهيونية. وعلى هذا فإن رحلة الإسراء الحقيقية كانت من البيت الحرام إلى الوادي المقدس طوى حيث تم بعد ذلك بناء مسجد الجعرانة والذي عرفه العرب وقت نزول القرآن باسم " المسجد الأقصى"، وتسمية القرآن له بالمسجد الأقصى وصفية وليست علمية، أي كناية عن موضع لقاء موسى في الوادي طوى على حافة الطور.

والإشارة المميزة لهذا الموقع نجدها في نقطتين؛ الأولى هي وصفه بـ:"الأرض المباركة " وأما الثانية فهي اهتمام النبي محمد بهذا الموضع، لدرجة أنه حدده كميقات الإحرام الوحيد لأهالي مكة دون غيره وحفه بالكثير من القداسة، بينما لم يرد أي إشارة من النبي عن أي مكان في

إيلياء، ولا حتى النبي نطق كلمة إيلياء على لسانه، ولا أمر أصحابه بتوصية ما يمكن فهمها على أنها تخص فلسطين. أما وأن هناك البعض يسندون كيان المسجد الأقصى إلى نبي الله سليمان، على اعتبار أنه هو من بنى الهيكل أو الكنيس اليهودي، لكن نتساءل من أين حصل هذا الهيكل على مسمى "المسجد الأقصى" ! أو قدسية تجعله (مسجد أقصى) للإسلام ؟ أو ما هو الرابط بين المسجد في الإسلام والكنيس أو الهيكل الذي بناه الملك سليمان قبل ألف وستمائة عام من الميلاد وقد دمره نبوخذ نصر حين اجتياحه للمنطقة؟!

ثم أن الله تعالى يقول" سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا فيه ...." فمنذ متى بارك الله حول كنيس سليمان وجعله مسجدا أقصى"؟ فمباركة الله لمكان معين تعني تجليه في هذا المكان بمعجزة ما، إنما لم يتجلى الله في مكان هيكل سليمان، فكيف نعتبره أنه هو المسجد الأقصى إلا إذا كان اليهود يريدون أن يصرفوا كل قدسية في الإسلام إلى إحدى مقدساتهم السياسية، فجعلوا من المسجد الأقصى أنه هيكل سليمان ! وقالوا أنه (أولى القبلتين) برغم أن القبلة الأولى كانت هي الكعبة، ثم المؤقتة (الشمال الفلكي) ثم تحويل إلى المؤبدة الكعبة. وسنتناول فيما يلي الإشارة الأولى له في القرآن؛ فهذا اللغز لا يمكن حله إلا بالتفكير في عبارة " الأرض التي باركنا فيها " التي وردت في القرآن قرينة بالمسجد الأقصى، هل هي فلسطين؟ ذكرت 7 مرات ! والسلف الصالح يقولون أنها الشام ! فهل تتفق معنا في قولهم: قال أبي بن كعب: سماها الله مباركة؛ لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي هي ببيت المقدس...! وروي عن قتادة أن عمر بن الخطاب، قال لكعب(وكان مقيما بالشام): ألا تتحول إلى المدينة، فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره، فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين، إن الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزه من عباده. أخبرنا فلان ابن فلان عن فلان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنها ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار الناس إلى مهاجر إبراهيم)) (!!) .. والغريب أنه ذات الكلام الذي كان يقوله في مصر !

بينما يقول ربنا جل وعلا:

1 ـ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿71﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾72"الأنبياء"

2ـ { وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون } 137/الأعراف.

3ـ { ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين }81/الأنبياء

4ـ {لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور {15} فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل {16} ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور {17} وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين }18/سبأ

5ـ { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين } 96/آل عمران

6ـ { فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين}30/القصص

7ـ { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير}1/الإسراء

ونعود إلى الآية الأولى: ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين {71} ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين }72/الأنبياء " .. وقد عرفنا مسبقا بما لا يدع مجالا للشك أن الأرض المباركة التي نجا الله إليها لوط وإبراهيم كانت هي مكة، وشرحنا موضع قوم سدوم أو قم لوط بالقرب من مكة وقدمنا الأدلة الدامغة على قربها من مكة، وكذلك أثبتنا وقائع ويوميات إبراهيم (ع) وتحركاته وتنقلاته كاملة في مكة وتخومها، إذن عنوان مكة في القرآن هو " الأرض المباركة " التي بارك الله فيها للعالمين.

وأما الآية الثانية ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرآئيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾. وقد تعرضنا لبني إسرائيل وقد تمكنوا من السيطرة على المنطقة بالكامل ما بين اليمن جنوبا ومكة بالحجاز شمالا وانتصروا على العماليق الجبارين بقيادة سليمان، وورثوا مشارق ومغارب مكة، أي هيمنوا على المنطقة بالكامل خلال حقبة ما.

وأما الآية الثالثة: ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين " عرفنا أنه ليس من المنطق أن يكون موطن سليمان بفلسطين، وفي ذات الوقت يسخر له الله الريح لتنقله بسفنه إلى الأرض المباركة، وتكون هذه الأرض المباركة في فلسطين ذاتها ! فهذا مستحيل، بل المقبول عقلا أن سليمان كان بمملكته باليمن جنوبا وكان يركب البحر الأحمر باتجاه الشمال حيث يصل مكة التي هي الأرض المباركة.

وأما بالنسبة للآية الرابعة " لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (15) فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل (16) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور (17) وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين " فقد عرفنا أن مملكة سليمان وداوود باليمن، وكانت هناك ممالك وقرى بين الحجاز (مكة) وبين اليمن جنوبا، فيقول تعالى ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين﴾.

وأما الآية الخامسة:" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين " فلا شك فيها، فقد حدد موضع البيت في بكة المباركة للعالمين. وبذلك تكون جميع الآيات التي تحدثت عن موضع (المباركة) قد انحصرت في مكة دون غيرها.

وأما الآية السادسة " فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى، إني أنا الله رب العالمين" فتوضح لنا أن الأرض المباركة هي محيط مكة أيضا، حيث تجلى الله تعالى لنبيه موسى في الوادي المقدس طوى (المعروف اليوم بوادي ذي طوى) على مسافة 25 كلم من الكعبة، وهو ميقات الإحرام لأهل مكة.

فيبقى معنا الآية السابعة التي تتحدث عن المسجد الأقصى وتصفه بأنه داخل الأرض المباركة، يقول تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾. فهل يبقى ذرة عقل أو منطق تقول بأن الأرض المباركة هناك بالشام ! ... قد يكون بالفعل، فقد يكون الله قد بارك في فلسطين، لكن ما الدليل !! لا يوجد دليل إلا شهادة اليهود بأن هيكل سليمان كان بالشام !

وهناك رابط مهم جدا بين كل هذه الآيات التي تتعلق بصفة (المباركة) وبين الأرض المقدسة بصفتها مباشرة (مقدسة)، فبرغم أننا تحققنا مسبقا من الموقع الجغرافي للأرض المباركة، وتعرضنا له من جهات جغرافية مختلفة في مواضع قرآنية مختلفة واتفقت جميعها على أن الموقع المقصود بها واحد وهو مكة، ومع ذلك فإننا لا ننس أن نربط بين صفة المباركة وصفة القداسة التي تحملها مكة دون غيرها، فيقول ربنا تعالى: " ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾، إذن بذلك اجتمعت صفتي المباركة ﴿ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، وصفة القداسة في ذات الموقع، ما يعني أن المسجد الأقصى في الوادي طوى في مكة المقدسة المباركة قولا واحدا.

إنما شهادة اليهود بأن المسجد الأقصى في الشام، رغم كونها مجروحة، إلا أنها أيضا تتناقض مع النص القرآني صراحة ! فبلاد الشام هي الأرض الأدنى بالنسبة إلى الحجاز، وليست الأقصى، قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾3/الروم، والمعركة حصلت في بلاد الشام بين الروم والفرس .فكيف يصف الله هيكل سليمان (بالشام) بأنه مسجد أقصى !

ففي تفسير القرطبي [1] نجد مصدر القدسية عبارة عن وهم ؛ حيث يقول: قوله تعالى: ﴿ إلى المسجد الأقصى﴾ سمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة، الذي باركنا حوله قيل: بالثمار وبمجاري الأنهار. وقيل: بمن دفن حوله من الأنبياء والصالحين؛ وبهذا جعله مقدسا. وروى معاذ بن جبل عن النبي أنه قال: يقول الله يا شام أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي [2].

---

[1] ـ موقع " تفسير القرآن الكريم" على الرابط: http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura17-aya1.html

[2] ـ وهذه الرواية تنضح بما فيها وتنطق صراحة بلسان كعب وأمثاله دون حاجة للتحقيق مع معاذ فهو بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب

وفي تفسير السعدي: وقوله: ﴿ الذي باركنا حوله﴾؛ أي: بكثرة الأشجار والأنهار والخصب الدائم..." ولو نظرت في كل خبر يلحق أرض البركة قسرا بالشام، لوجدت فيه ثغرات تعجب كيف مرت دون تعليق أو تحقيق حتى على الناقل نفسه. فلو تتبعت المنقولات عن سبب كون الشام "مباركة للعالمين"، لوجدت الأسباب محصورة في القول التالي [1] : وقال الجبائي: أراد أرض الشام. وإنما قال "للعالمين" لما فيها من كثرة الأشجار والخيرات التي ينتفع جميع الخلق بها إذا حلوا بها وإنما جعلها مباركة، لأن أكثر الأنبياء بعثوا منها، فلذلك كانت مباركة. وقيل: لما فيها من كثرة الأشجار والثمار..".

لم يدرك أحد أن العرب لديهم عاهة مستديمة بشأن الميول العقائدية والعبادات، ولهذا اختصهم الله بالأنبياء والرسل، وغرس في وسطهم البيت الحرام ليكون تحت أنظارهم طول الوقت، فالمريض المستعصي أولى بالعلاج... والغريب أنني قرأت لأحد الباحثين العراقيين تفسيرا عجيبا يقول فيه أن أرض الشام نظرا لاعتدال مناخها فقد كانت مهبط الأنبياء والرسل ! والأغرب أن تقرأ كتابا بعنوان " ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام" [2] فقد أصبح هناك خلل عقلي في شعوب الشرق وافتقاد للموضوعية والواقعية بسبب اتصال العقل العربي بهذه الشعوب وسيادته عليها لفترة من الوقت، فتصحرت العقول وأصابها الوباء وغطى الغبار الثقافي قرائحها الذهنية حتى صدئت وتعفنت. فالعقلية العربية قدمت أرضا خصبة للخرافة تزدهر في هذه المجتمعات وتنمو بحكم التراث الشعبي السائد على مر العصور السابقة، في ظل الهزائم المتولية التي منيت بها هذه المجتمعات، والتقهقر الاقتصادي والعلمي المهيمن، قدمت كلها، مادة استثنائية لاختراق الخرافة العقل العربي، وتموضعها داخله، ما جعلها تقدم تفسيرها الخاص استنادا إلى الواقع المهيمن وليس إلى معايير موضوعية مقنعة، وإذا كانت الخرافة تشهد تقلصا في موقعها وسيطرتها على العقول مع التقدم العلمي في العالم، إلا أنها، في المجتمعات العربية، ما زالت تسجل أرقاما قياسية تغطي على مساحات علمية واسعة جدا.

---

[1] ـ الإمام الطوسي في كتاب "التبيان"ج. 7، ص. 263

2ـ كتاب:" ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام" لمؤلفه : عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام ـ دراسة وتحقيق وإعداد : الدكتور ياسر محمد ياسين البدري الحسيني ـ كتاب في فضائل البلدان تناول ما ورد في تفضيل الشام على غيرها وبيان أهميتها وأهمية السكنى فيها والترغيب في ذلك والترغيب بالدفاع عنها ..

على رابط: https://books.google.com.eg/books?isbn=2745181068

وفي باقي التفاسير كاملة، لا يوجد أي سبب لهذه البركة سوى الأشجار والأنهار وكل ما يطمع فيه اليهود، فهل تخلوا بلد من الأشجار والأنهار؟ إذا كانت الصين تشغل بشبكة من الأنهار وكذلك العراق ووادي نهر النيل به أشجار وخضرة ونهضت على ضفافه حضارة من أعظم حضارات الدنيا... غير أن الله يعيد التوكيد مرات أخرى فيقول: ﴿ فلمَا جاءَها نُودِيَ أن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ ومَنْ حوْلها وَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ العالمينَ﴾... لكن على ما يبدو أن السلف الصالح كانوا يحتكمون إلى التوراة في تفسير القرآن، فقدموا لنا تراثا إسلاميا بعقيدة يهودية.

يمكننا القول بأن العقل العربي التقم من العقل اليهودي كل حكاويه باستسلام وانسجام غريب. والأغرب أنه لا يوجد أي ذكر للنصارى في تقعيد التراث الإسلامي بهذه الوجهة الصهيونية، فلماذا نجد في التراث إسرائيليات فقط دون نصاريات ؟! ببساطة لأن المسيحيين ليس لهم مصلحة في تطويع العقل العربي لخدمة مصالحهم، ولهذا لم يظهر لهم أي دور ولا حتى رواية واحدة، ولا حتى كلمة مدسوسة تعود إلى التراث المسيحي، فقط نجد اليهود لأنهم أصحاب المشروع القومي في المنطقة، وهم الذين لعبوا بعقول المسلمين والنصارى، بالإضافة إلى أن العقلية الإسرائيلية لها سمات ذهنية خاصة ومختلفة عن أولاد عمومتهم العرب، فالعرب والإسرائيليين من ذات السلالة الإبراهيمية، لكن العرب يمتازون بالقدرة الأدبية في الفصاحة والبلاغة والشعر والأدب، بينما الإسرائيليين يمتازون بالمكر والخبث والنفاق والدهاء، ولعبتهم دس الأفكار في عقول الآخرين دون وعي.

إنما كل ما في الأمر أن الصحابة الكرام نفخوا عقولنا بهذا البخر اليهودي المقرف وسمموا عقولنا على مدار قرون طويلة فقط لأنهم عطلوا عقولهم عن الفكر ونحن وثقنا فيهم واعتبرناهم أفضل العابدين، حتى ما نقلوه إلينا من تناقضات في فهم النص القرآني ابتلعناه غصبا وغصة في الحلق احتراما لهم وتعظيما لشأنهم وربطنا الإيمان بالله بتقديم (النقل على العقل) !

وبناء على ما تم ذكره من نقاط يُستبعد أن يكون المقصد بالمسجد الأقصى المذكور في القرآن، هو مسجدا موجودا في فلسطين، ومن باب أولى استبعاد وجوده في سيناء، فهي ليست أرض مباركة ولا مقدسة، ناهيك عن أن كلمة (الأقصى) ليست علمية وإنما وصفية تدل على البُعد النسبي بدليل أن المولى أكمل الوصف بقوله (...الذي باركنا حوله)، مع الانتباه إلى كلمة (المسجد) وهي اسم مكان بغض النظر عن البناء المعماري.

وبالتالي؛ لابد من إعادة دراسة التاريخ اعتمادا على القرآن، وإسقاطه على أرض الواقع دون التأثر بوجهات نظر اليهود، أو التقسيمات السياسية، والاعتماد على العِلم، لمعرفة المقصد من دلالة جملة ﴿المَسجِدِ الأقصَى﴾ المذكورة في القرآن وإعادة ترتيب أوراق تاريخ الأمة، وأولوياتها العملية للنهضة بها، وفق رؤية ثقافية واقعية دون أن يستغلها أحد، أو يُوجهها لمصلحة ما.

وأما بالنسبة للإشارة الثاني (من السنة النبوية) على أن المسجد الأقصى هو بالوادي طوى وليس صخرة اليهود بفلسطين، فقد روى الواقدي: " انتهى رسول الله إلى الجعرانة ليلة الخميس .. فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلا ؛ فأحرم من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى، وكان مصلى رسول الله إذا كان بالجعرانة. فأما الأدنى، فبناه رجل من قريش "[1]. ونقل ابن خليل عن ابن جريج أن الرجل الذي بنى المسجد الأدنى هو عبد الله بن خالد الخزاعي.[2] . فهذه الرواية تؤكد أن المسجد الأقصى بالعدوة القصوى الواقعة بالجعرانة، وكانت صفته كما ورد بالقرآن" المسجد الأقصى" ويقابله في جهة أخرى "المسجد الأدنى" في الوقت الذي كانت صخرة اليهود مقلبا عموميا للقمامة.

وبرغم ذلك استطاع اليهود تغليب هذا " المقلب" على الكعبة بيت الله الحرام، وذلك من خلال دس وحشو الإسرائيليات على لسان الصحابة ونسبها لرسول الله، فقد أورد الواقدي بكتابه «المغازي» حديثا يوحي بقدسية مسجد الأقصى في فلسطين أكثر من الكعبة بيت الله الحرام لدى المسلمين حين كانت فلسطين تحت الاحتلال الروماني، وهذا هو نص الحديث: «قالت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إني جعلت على نفسي، إن فتح الله عليك مكة، أن أصلي في بيت المقدس. فقال رسول الله: لا تقدرين على ذلك، يحول بينك وبينه الروم. فقالت: آتي بخفيرٍ يُقبل ويدبر. فقال: لا تقدرين على ذلك، ولكن ابعثي بزيتٍ يستصبح لك به فيه، فكأنك أتيته. فكانت ميمونة تبعث إلى بيت المقدس كل سنة بمالٍ يُشترى به زيت يستصبح به في بيت المقدس، حتى ماتت فأوصت بذلك»[3]

---

[1] ـ كتاب المغازي للواقدي ج ٢ ص355

[2] ـ أبو الطيب المكي الحسني الفاسي ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام 1/384

[3] ـ المغازي للواقدي. ويرد الحديث بألفاظ أخرى قريبة في عدد من المصادر الإسلامية القديمة كهذا المصدر للواقدي المولود سنة 130هـ والمتوفى سنة 207 هـ والمصادر المتأخرة.

لكن، أليس من الغريب أن تشتاق ميمونة إلى بيت مقدس في فلسطين كان في ظل احتلال الروم لها عبارة عن مقلب عمومي للقمامة ولم يكن ثمة أي بناء يحمل مسمى"مسجد" ؟! فالمنطق أن من يتمنى فتح مكة أن يتمنى الصلاة في البيت الحرام وحول الكعبة، إنما أن يشتاق المتمني فتح مكة للصلاة في إيلياء ! إلا إذا كان الحديث صحيحا متنا وأضيفت إليه عبارة " يحول بينك وبينه الروم" فلو حذفناها لاستقام المعنى لأن بيت المقدس هو البيت الحرام، ولا بيت مُقدّس على وجه الأرض غيره، إنما المسجد الأقصى كان محلا للقداسة، فاللّه تعالى يقول ﴿المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ وهو ضمن نطاق مكة المقدسة، ولم يقل "بيت المقدس الأقصى". لكن اليهود جعلوا من المسجد الأقصى الوارد في القرآن بيت مقدس لهم وقاموا بترحيله جغرافيا على أكتاف العرب المسلمين!

فالمكان له قدسية وأولوية لما حكاه كثير من المؤرخين على رأسهم نذكر أبو الطيب الفاسي يقول:" للحرم علامات بينة، وهي أنصاب مبنية في جميع جوانبه خلا حده من جهة جدة، وجهة الجعرانة فإنه ليس فيهما أنصاب"[1]....وقال أيضا "الإحرام من الحل الذي في جهة التنعيم للمقيم بمكة أفضل من الإحرام من الحل الذي في بقية جهات الحرم، ما خلا الجعرانة، فإن الإحرام منها أفضل عند مالك، والشافعي، وابن حنبل، وغيرهم"[2].

وقال الفاكهي عن عطاء قال: " من أراد العمرة ممن هو من أهلها أو غيره فليخرج إلى التنعيم أو إلى الجعرانة فليحرم منها، وأفضل ذلك أن يأتي وقتا " والتنعيم من حيث اعتمرت عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها حين بعثها رسول اللّه مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر على أربعة أميال من مكة على طريق المدينة وهما مسجدان. فقد زعم بعض المكيين أن المسجد الأدنى إلى الحرم الخرب هو المسجد الذي اعتمرت منه عائشة، ولا أعلم إلا أني سمعت أن ابن أبي عمر يذكر ذلك عن أشياخه من أهل مكة أنه هو الصحيح عندهم، وقد زعم بعضهم أنه المسجد الأقصى مفضى الأكمة الحمراء"[3].

---

[1] ـ شفاء الغرام لأبو الطيب الفاسي 1/74

[2] ـ نفس المصدر 1/380

[3] ـ أخبار مكة للفاكهي 5/32

وأخرج الفاكهي الأحاديث التالية:" عن محمد بن طارق أنه قال: اتفقت أنا ومجاهد بالجعرانة فأخبرني أن المسجد الأقصى الذي من وراء الوادي بالعدوة القصوى مصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة. قال: فأما هذا الأدنى فإنما بناه رجل من قريش واتخذ ذلك الحائط"[1]. وعن يوسف بن ماهك قال:" اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبي". ويستفاد من هذه الرواية وجود المسجد الأقصى بالجعرانة قبل الإسلام واعتمار الكثير من الأنبياء منه قبل دخولهم مكة لأداء فريضة الحج أو العمرة.

وجاء نفس الخبر في (سبل الهدى والرشاد):" انتهى رسول الله إلى الجعرانة ليلة الخميس، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا، فأحرم بعمرة من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى، ودخل مكة فطاف وسعى ماشيا، وحلق ورجع إلى الجعرانة من ليلته، وكأنه كان بائتا بها "[2].

وفي مسند أبي يعلى: " عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله يقول من أهلَ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة"[3]. وهنا نجد ارتباط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام وأنه مكان يتم من عنده الإحرام قبل الدخول للمسجد الحرام لمن أهل بحجة أو عمرة، وهو ما يؤكد أن المسجد الأقصى أحد ميقاتات مكة التي يتم عندها الإهلال بالحج أو العمرة. وقد أكدت الروايات على قدسية هذا الميقات دونا عن غيره من المواقيت، فالميقاتات الأخرى هي مجرد مواقيت وأماكن محددة لبداية الإحرام، وهي؛

1 ـ ميقات أهل المدينة ومن يمر عليها "ذا الحليفة" وهو موضع بينه وبين مكة450كيلو متر، ويعرف بـ"أبيار علي".

2ـ ميقات أهل الشام ومن في طريقهم "الجحفة" وهي في الشمال الغربي من مكة، بينه وبينها 187 كيلو متر، وهى قريبة من "رابغ" بينها وبين مكة 204 كيلو متر. وقد صارت ميقات أهل إيجبت والشام ومن يمر عليها بعد ذهاب معالم الجحفة.

---

[1] ـ ابن إسحاق الفاكهي – كتاب :أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ج ٥ ص ٦١

[2] ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ـ للصالحي الشامي ج ٥ ص ٤٠٦

[3] ـ مسند أبي يعلى ج١٢ ص 359

3 ـ ميقات أهل نجد "قرن المنازل" وهو جبل شرقي مكة يطل على عرفات، بينه وبين مكة 94 كيلو متر.

4 ـ ميقات أهل اليمن "يلملم" وهو جبل جنوبي مكة بينه وبينها 54 كيلو متر.

5 ـ ميقات أهل العراق "ذات عرق" وهي موضع في الشمال الشرقي لمكة بينه وبينها 94 كيلو مترا.

هذه هي المواقيت الخمسة للإحرام، ولم يحظ أي منها باهتمام وقدسية غير عادية سوى الميقات السادس لأهل مكة والذي يبدأ في مسجد الجعرانة أو مسجد التنعيم حاليا وهو على حافة وادي طوى المقدس، وكان موطن أبو الأنبياء إبراهيم (ع)، ووادي طوى متصل بوادي إبراهيم من أهم أودية مكة المكرمة.

كل هذه الروايات تثبت أن الوادي المقدس طوى بمكة، وأن المسجد الأقصى هو المسجد الأقصى بالعدوة القصوى بالجعرانة شمال الحرم المكي بمنطقة طوى المقدسة والمعروف اليوم بمسجد الجعرانة وهو يقع في نهاية الوادي المقدس طوى، فهذا الوادي يقع بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى بالجعرانة وعلى حدود الوادي المقدس والأرض المقدسة، والمسجد الأقصي بالجعرانة المسمي اليوم بمسجد الجعرانة هو أحد ميقاتات مكة وأهمها، ومنه أحرم النبي والصحابة قبل دخولهم مكة في حجة الوداع، ومنه كان يحرم الأنبياء وبني إسرائيل قبل دخولهم البيت الحرام للحج، ومن ثم فالمسجد الأقصى يقع بالبقعة المقدسة والمباركة بمكة وليس بإيلياء الفلسطينية.



3- المسجد الأقصى الفلسطيني

بات معروفا بين الباحثين والمختصين في العمارة الإسلامية أن مبنى المسجد الأقصى الحالي، هو المسجد الأقصى الثاني، باعتبار أن المسجد الأقصى الأول(مُصلى عمر) هو ذاك الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب (13-23 هجرية/ 634-644 ميلادية)، بعد الفتح، حيث كان يقوم في الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد الحالي والذي امتاز بناؤه بالبساطة المتناهية في وقته. وعلى ما يبدو أن هذا المسجد لم يصمد طويلا أمام تقلبات العوامل الطبيعية المؤثرة وذلك لبدائية أساليب البناء، حتى قام الأمويون بتأسيس وبناء المسجد الحالي، بناه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96 هـ/ 705-715م)، في الفترة الواقعة ما بين (90-96 هـ/ 709-714 م) وقد أكدت ذلك وثائق البردي (أوراق البردي) التي احتوت على مراسلات بين قرة بن شريك حاكم مصر الأموي (90-96 هـ/ 709-714م) وأحد حكام الصعيد، حيث تضمنت كشفا بنفقات العمال الذين شاركوا في بناء المسجد، وقد استهلكت عملية البناء خراج مصر كله لمدة سبع سنوات كاملة بأيادي وعمالة مصرية، مما يؤكد أن الذي بنى المسجد الأقصى (مسجد بني أمية) هو الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقام هذا البناء بدلا من مُصلى عمر ابن الخطاب.

وفي ضوء الحفريات التي جرت في الجهة الجنوبية للمسجد، والتي كشفت النقاب عن المخطط المعماري لدار الإمارة الأموية في فلسطين، من خلال البقايا المعمارية والأثرية لخمسة مبانٍ ضخمة عبارة عن قصور وقاعات كبيرة، دلت وأكدت تاريخ الأمويين في المنطقة. ولقد غيرت هذه الاكتشافات الجديدة، نظريات وأراء عديدة فيما يخص تاريخ بعض المعالم الأثرية في المسجد، مثل الأثر الذي يعرف بإسطبل سليمان وباب الرحمة وغيرها، وكان قد علق في أذهان العديد من الباحثين والمختصين أن تاريخ تلك المعالم يعود لفترات سبقت الفتح العربي للمنطقة، ولكن ما إن ظهرت هذه المكتشفات الجديدة، حتى غيرت هذه الآراء والمفاهيم مما اضطر الباحثين إلى إعادة بحوثهم ودراساتهم في ضوء (دار الإمارة) الأموية.

وكانت مساحة المسجد في العهد الأموي أكبر بكثير مما هي عليه الآن، وظل المسجد قائما بتخطيطه الأصلي الأموي حتى سنة 130هجرية/ 746 ميلادية، حيث تهدم جانبيه الغربي والشرقي

جراء الهزة الأرضية التي حدثت في تلك السنة. وفي الفترة العباسية تم ترميم المسجد لأول مرة في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136ـ158 هـ/ 754ـ775 م)، ولكنه ما لبث أن تعرض لهزة أرضية عنيفة ثانية وذلك في سنة 158 هـ/ 774 م، مما أدى إلى تدمير معظم البناء، الأمر الذي جعل الخليفة العباسي المهدي يقوم بترميمه وإعادة بنائه من جديد في سنة 163هـ/ 780 م. وقد كان المسجد في عهده يتألف من خمسة عشر رواقا، وذلك حسب ما جاء في وصفه عند المقدسي.

وفي الفترة الفاطمية، تعرض المسجد الأقصى لهزة أرضية أخرى حدثت سنة 425هـ/ 1033 م، أدت إلى تدمير معظم ما عمّر في عهد المهدي، حتى قام الخليفة الفاطمي الظاهر بترميمه في سنة 426 هـ/ 1035 م، حيث قام باختصاره على شكله الحالي وذلك عن طريق حذف أربعة أروقة من كل جهة، الغربية والشرقية، كما قام بترميم القبة وزخارفها من الداخل.

ولما احتل الصليبيون فلسطين سنة 492 هـ/ 1099 م، قاموا بتغيير معالم المسجد (مسجد بني أمية) واستخدموه لأغراضهم الخاصة، فقاموا بتحويل قسم منه إلى كنيسة والقسم الآخر مساكن لفرسان الهيكل، كما أضافوا إليه من الناحية الغربية بناء استخدموه مستودعا لذخائرهم. واستخدموا الأروقة الواقعة أسفل المسجد كإسطبلات لخيولهم، والتي عرفت منذ تلك اللحظة بإسطبل أو إسطبلات سليمان، وظل الوضع كذلك حتى جاء صلاح الدين الأيوبي سنة 583 هـ/ 1187م.

نجح صلاح الدين في استرداد فلسطين وتطهير المسجد الأموي من دنس الصليبيين، حيث قام صلاح الدين بإعادة المسجد على ما كان عليه قبل الغزو الصليبي له، وشرع بترميمه وإصلاحه... وإلى هذا التاريخ كان المكان يحتوي (قبة الصخرة – مصلى عمر الذي تطور مرات على يد الأمويين وبعض المرافق) وضم كل ذلك مساحة كبيرة من الأرض الفضاء، كانت في الأصل مَكبًا للقمامة، فهي أرض مُهملة لا صاحب لها، لكن اليهود أشاعوا تسمية " بيت المقدس" على هذه المنطقة بكل ما فيها من مبانٍ ولقي الاسم قبولا وإعجابا من المسلمين كونه يحمل رائحة القداسة في لفظه وحروفه، فصارت المنطقة تعرف فيما بعد بـ"الحرم القدسي"، و"بيت المقدس"، و"القدس"، وتوسعت هذه المسميات لتصبح دلالة على المدينة بكاملها، دون أن يدري أحد من المسلمين أن مسمى" بيت المقدس- القدس" هو في الأصل توراتي منقول حرفيا من نصوص التوراة، فما علاقة ذلك

بمسمى " المسجد الأقصى" ! وكيف تم الربط بينهما ! فالقرآن يقول أن الإسراء تم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وليس بيت المقدس !

في الواقع، المسجد الأقصى المعروف الآن؛ لم يكن موجودا في عهد النبوة. فقد بدأ بمصلى عمر سنة 18هـ بعد فتح إيلياء على أرض كانت مَكَبًا للقمامة، ثم قبة على صخرة اليهود شمال مصلى عمر، ثم تجديد وتطوير مصلى عمر ليصبح مسجد بني أمية، ثم احتلاله من قبل الصليبيين وتحويله إلى كنيسة وإسطبلا للخيول، وفي هذا الوقت حصل أحد أقسام الإسطبل على مسمى(هيكل سليمان)، ثم تحريره على يد صلاح الدين وتطوير بنائه بعد إزالة أثر الكنيسة، ومنحه مسمى "المسجد الأقصى"، تيمنا بورود المسجد الأقصى في القرآن (لكن ذلك على المستوى السياسي والثقافة الشعبية، فماذا عن الفقه الشرعي)!.

ومعنى ذلك أن أسطورة المسجد الأقصى والقدس وبيت المقدس الذي في فلسطين ما هي إلا بذرة يهودية غرسها الصهاينة في عقول المسلمين فنمت وترعرعت على أجنحة الحصان البابلي المجنح حتى يومنا هذا !، لأنه في عهد الرسول محمد (ع) لم يكن هناك أي مساجد في فلسطين، فيكف فسر المفسرون قوله تعالى: (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) على أن المسجد الأقصى هذا في فلسطين؟! وهل بارك الله حقا هناك؟! فلا يوجد أي شيء يحمل قدسية هناك سوى صخرة اليهود التي كشفها كعب لعمر ابن الخطاب، فهل كان الله يتحدث عنها بوصفها "المسجد الأقصى" وقت أن كانت مقلبا عموميا للقمامة؟! فقط اليهود استغلوا سذاجة وجهل العرب في جعلهم يقدسون مقدسات توراتية مزعومة ليجعلوا موطن اليهود مقدسا في شريعة المسلمين، برغم أنه ليس موطن حقيقي لليهود ولكنه مسروق ومزعوم، لكن تقديس المسلمين له ربما يساعد اليهود في حمايته وجعل العقيدة اليهودية تقود العقيدة الإسلامية، وجعل العقل اليهودي قائدا للعقل المسلم، حتى أنهم ابتكروا قصة إسراء النبي محمد إلى بيت المقدس! فلماذا يسري بالرسول إلى مقدس يهودي؟! وهل هو مقدس حقيقي أم مزور؟ وهل كان اليهود في فلسطين حقا ! وهل لهم كل هذا الشأن كي يسري الله برسوله محمد من الكعبة إلى مقلب قمامة كي يصعد منه إلى الله ؟! إن هذا معناه أن صخرة اليهود أكثر قدسية من الكعبة ذاتها، وإلا فلماذا لم يعرج النبي إلى السماوات العلا من الكعبة ذاتها ؟! إلا إذا أراد اليهود أن يجعلوا صخرة القمامة هذه أكثر قدسية من الكعبة ذاتها، بحيث يضطر النبي ﷺ إلى السفر إليها والعروج منها إلى سدرة المنتهى!

فالتاريخ العربي الإسلامي ذاته يثبت عدم وجود أي أثر إسلامي قبل الفتح، وكذلك عمليات التنقيب والبحث الأركيولوجي تثبت عدم وجود أي أثر يخص اليهود في هذه المنطقة، فيقول (ناديف نامان) أحد علماء الآثار اليهود [1] : " إن موضوع القدس مُحاط بكثير من الضباب في التوراة و يبدو أن واضعي التوراة تعمّدوا ذلك خاصة وأن الحفريات والدلائل التاريخية تؤكِّد أن القدس وحتى قبل السبي البابلي كانت مجرد قرية صغيرة وهو ما يُلقي بظلال الشك حول قيام "النبي سليمان" ببناء هيكله جنوب تلك القرية الصغيرة". ويقول نامان أنه: "تعرَض لموقف مُحرج للغاية عندما سأله شاب يهودي أسود خلال وجوده في نيويورك عن السبب الذي جعل كاتب التوراة يجعل "النبي موسى" يموت قبل بلوغه القدس.. ولماذا لم يجد أحد أي آثار يهودية في العديد من المدن التي تزعم التوراة أن اليهود عمّروا وبنوا مملكتين عظميين فيها"؟! .. وعندما بحث نامان لم يجد إجابة على سؤال ذلك الشاب ليصل إلى يقين في النهاية أن كل ما ذكرته التوراة إنما كان يعكس رغبات لاهوتية عند كهنة اليهود القدامى، ذلك ببساطة لأن "البيت المقدّس " المذكور في التوراة ليس هو مدينة القدس الحالية، وإنما هو الكعبة ذاتها بيت الله المقدّسْ في كل الأديان، وأن مدينتي القدس وأورشليم وهيكل سليمان لما يكونوا في هذه المنطقة وإنما كانوا في اليمن جنوبا. واختتم نامان حديثه قائلاً: "إنّ تبحُّره في دراسة التوراة كاد يُخرجه عن طوره بعدما توصّل إلى يقين بأن كتاب اليهود المقدس مُزيف وقد تم وضع أسُسِه التاريخية لغرض في نفوس الكهنة وأحبار اليهود ".

ويشير الباحث "سارنا sarna " في معرض نفيه لأسطورة الخروج من مصر: " إن خلاصة البحث الأكاديمي حول مسألة تاريخية قصة الخروج، تشير إلى أن الرواية التوراتية تقف وحيدة دون سند من شاهد خارجي، كما أنها مليئة بالتعقيدات الداخلية التي يصعب حلها. كل هذا لا يساعدنا على وضع أحداث هذه القصة ضمن إطار تاريخي. يضاف إلى ذلك أن النص التوراتي يحتم محددات داخلية ذاتية ناشئة عن مقاصد وأهداف المؤلفين التوراتيين، فهؤلاء لم يكونوا يكتبون تاريخا، وإنما يعملون على إيراد تفسيرات لاهوتية لأحداث تاريخية منتقاة. وقد تمت صياغة هذه الروايات بما يتلاءم مع هذه المقاصد والأهداف. ومن هنا فإننا يجب أن نقرأها ونستخدمها تبعا لذلك. إننا نفتقد إلى المصادر الخارجية التي تذكر عن تجربة الإسرائيليين في مصر أو تشير إليها بشكل

[1] ــ (ناديف نامان) في تعليقه على كلمات (ماندهول) في كتاب : " ISRAEL IN EGYPT . N.M SARANA "

مباشر والشواهد الموضوعية الواضحة على تاريخية النص التوراتي مفقودة تماما بما في ذلك نتائج التنقيب الأثري" [1].

وهذه الشهادات من علماء يهود في مجملها تؤكد زيف الرواية التوراتية عن قدوم بني إسرائيل إلى إيجبت أو إقامة يوسف (ع) فيها وخروجهم منها على يد موسى إلى فلسطين، أو تيههم في شبه جزيرة سيناء الجبتية، أو دخولهم مدينة إيلياء " القدس" فيما بعد على يد يوشع ابن نون كما زعموا، أو بناء هيكل سليمان وأسطورة إسراء النبي محمد إلى الهيكل والصلاة فيه والعروج منه ...إلخ. ففي الواقع فإن بني إسرائيل هم فسيلة عربية نبتت في جنوب غرب الجزيرة وهناك عاشوا العبودية في مصرن أو مصرايم، ومن هناك خرجوا وصعدوا إلى الأرض المقدسة (مكة) ورفضوا أن يدخلوها مع موسى وقالوا له " اذهَب أنتَ وربُكَ فقاتِلا إنا هاهنا قاعِدونَ ". فحرم الله عليهم دخولها وعاشوا في التيه فترة 40 سنة ثم تمكن بعد ذلك داوود من دخولها لأول مرة، ومن جهة الجنوب، لكنهم استهزأوا ولم يدخلوها سُجدا، بل دخلوها زحفا على إستاتهم(مؤخراتهم) [2]، ثم بعد ذلك عبر بهم سليمان وادي النمل الواقع جنوب مكة، ما يعني أن بني إسرائيل لم يكن لهم أي ممالك في فلسطين، ولم يكن لهم هيكل، بل كان هيكل سليمان جنوب غرب الجزيرة العربية، وهناك توجد آثاره، ولهذا عجز علماء الآثار عن العثور على أي دليل أثري في فلسطين يعود إلى عهد سليمان، ولم يجدوا أي أثر لهيكل سليمان، فكيف نقول نحن المسلمين أن الهيكل كان موجودا في القرن السابع وأن رسولنا الكريم محمد(ع) سافر إليه على ظهر حصان بابلي مُجنح وعرج منه إلى السماء ؟!



[1] ـ المصدر كتاب " ISRAEL IN EGYPT . N.M SARANA ":

[2] ـ كلمة " إست: هي اللفظ العربي القديم البديل لكلمة : مؤخرة ، لكن كلما شاع استخدام الكلمة وصارت (عامية) يستخدمها الناس في كل مقال أو مقام، فيلجأ العقلاء والكبار إلى استخدام مسميات بديلة أو التعبير بالكناية دون صريح اللفظ الذي صار عاما ومبتذلا . فكانت الكناية هي الحل، ثم إذا صارت الكلمة عامة ومبتذلة، يتم اللجوء إلى كناية غيرها وهكذا.

4ـ دمج " المسجد الأقصى" في " بيت المقدس"

فيما سبق ذكرنا أن صلاح الدين الأيوبي هو أول من نقل مسمى " المسجد الأقصى " إلى فلسطين، تيمنا بوروده في النص القرآني، وأوضحنا أن ذلك كان على المستوى السياسي والثقافة الشعبية، وتساءلنا عن الوضع الفقهي الشرعي لكننا تركنا السؤال دون إجابة، فماذا كان موقف الفقهاء من هذا الأمر ! هل استحب الفقهاء تسمية المكان المحيط بالصخرة " بيت المقدس " ثم استبدلوه بمسمى " المسجد الأقصى " تزامنا مع مبادرة صلاح الدين ؟ قد يكون الأمر مختلف لأن صلاح الدين رجل سياسي وقائد يتصرف من دماغه حتى وإن كان تصرفه خطأ، فيبقى قائد نفسه، أما الفقهاء المسلمين فهم دائما بحاجة إلى العقل اليهودي كي يقودهم، فكيف تم ذلك ؟!

يقول الكاتب الفلسطيني أحمد الدبش: ردا على يوسف زيدان (الذي أنكر وجود مسجد أقصى بفلسطين) في مقال بعنوان المثقف «المثقوب»... "يوسف زيدان نموذجا" يقول الدبش: " أقوال زيدان هذه، تدل على الجهل بالتاريخ، سواء كان جهلا حقيقيا أم مصطنعا، بريئا أم ذا مرام، فالمطلع ولو قليلا، على الوثائق الأثرية يرى إن قصة بناء الهيكل السليماني غير قابلة للتصديق، وإنها مجرد اختلاق توراتي (يراجع مقالنا: اختلاق هيكل سليمان) علاوة على ذلك، لم يتمكن الأثريون، من العثور على دليلٍ، يُشيرُ صراحة، أو كناية، إلى داوود، وسليمان، في فلسطين. (يراجع أعمال: ليتش، روني ريك، ملر، فنكلشتاين، توماس طمسن، ديفيد جميسون دريك ــ ولمزيد من التفاصيل يراجع مقالنا: كيف كذب علم الآثار مملكة داوود القديمة؟)[1]

إذن؛ وفقا لكلام الدبش لا يوجد هيكل لليهود بفلسطين، وإلا كيف أسري بالنبي محمد إلى مسجد أقصى كان بفلسطين قبل أن يدخلها أي مسلم ؟!

فاليهود نجحوا في غرس أفكارهم في عقولنا كي نقدسها فيسهل عليهم تنفيذها، إذ أنهم لم ينجحوا فقط في تغيير اسم إيجبت، وجعله " مصر"، بل نجحوا كذلك في تغيير اسم إيلياء وجعله "

---

[1] ـ أحمد الدبش ، بتاريخ 7 /1/ 2018م مقال على الرابط:
http://almawqef.com/spip.php?article15319&lang=ar

القدس" ! وسنعتمد هنا على ما قدمه الكاتب الباحث علاء اللامي في بحث منشور له حول التأصيل التاريخي لظهور مسمى "القدس" و" بيت المقدس" في منطقة فلسطين [1]

فكلمة القدس بوصفها اسم علم لمدينة إيلياء عاصمة فلسطين لم تكن موجودة حتى صدر الإسلام، ففي العهدة العمرية ورد اسمها الروماني « إيلياء »، ثم خلال القرون التالية نجح اليهود في تسريب أفكارهم إلى عمق العقل المسلم وتسكينها بمقدسات إسلامية [2] . ويعتبر المؤرخ العربي المسلم محمد بن جرير الطبري من أهل القرن الثالث الهجري، من أوائل من استعمل هذا الاسم علما للمدينة في قوله في معرض الحديث عن جالوت: «وكانا إذا جاءت النساء يصلين في القدس يتشبثان بهن». وهذا ما يؤكد أن اسم القدس جاء من التراث اليهودي الصرف، منقولا بصفة عابرة جملة فيها حكاية قصة شخص يهودي، وكان من المعتاد إذا وقف أي عالم أو مؤرخ على آية من مئات الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل في القرآن ولم يفهم تفسيرها يلجأ مباشرة لمدونات أهل الكتاب للاستزادة والتبيان حولها، فيقوم بالنقل بعباراتهم وصياغتهم ومسمياتهم، فكان الطبري من أوائل الناقلين لهذا التراث اليهودي وتعميمه وإشهاره دون أن يدري، ونلاحظ هنا أنه ذكر مسمى

---

[1] ـ مقال بحثي للأستاذ الباحث العراقي " علاء اللامي " بعنوان :" يوسف زيدان وخرافة "المسجد الأقصى في الجعرانة"! منشور على موقع المثقف، على الرابط التالي:
http://www.almothaqaf.com/content?limit=5&view=archive&start=25

وكتب الأستاذ علاء اللامي في نهاية مقاله عبارة : " هذه المقالة جزء من دراسة مطولة ستنشر كملحق في كتاب "نقد الجغرافية التوراتية العسيرية واليمنية ودراسات أخرى" سيصدر مستقبلا " .. وقد تعمدنا نحن النقل عنه حرفيا فيما يخص المواضع التي ورد فيها ذكر كلمة " القدس أو بيت المقدس"، والاعتماد عليها لإثبات عكس النتائج التي توصل إليها هو بذات المادة العلمية وبذات ترتيبها الذي اختاره هو لبحثه.

[2] ــ عادة ما يعمد اليهود إلى تأليف روايات ونسبتها إلى أشخاص مسلمين معتمدين كي تحصل الرواية على مصداقيتهم، ويؤلفون كتب على ذات الشاكلة وينسبونها لعلماء ومؤرخين مسلمين (بعد وفاتهم) كي يلتقمها التلاميذ المسلمون الجدد دون التحقق مما إذا كان المؤلف هو المكتوب اسمه فعلا على غلاف الكتاب أم لا، خاصة أن صناعة التدوين لم تكن حرفة العرب، بل كانت حرفة اليهود منذ البداية، وكان العرب يعتمدون على الرواية الشفوية، وبذلك نجح اليهود في تشكيل أول قاعدة تدوين عربية ضمت الكثير من المدونات بأيادي يهودية التقمها فيما بعد علماء وفقهاء ومؤرخين مسلمين باعتماد مصداقيتها بمجرد أن وجدوا اسم فلان من العلماء مطبوعا على غلافها... وهو ما فعلوه سابقا في مدونة الجبتانا التي نسبوها كذبا وزورا للمؤرخ الجبتي مانيتون السمنودي.. ونعتقد أن ما حدث في الجبتانا باسم مانيتون هو عينه ما حدث في صحيح البخاري باسم البخاري، إذ أنه لم يعثر أحد على نسخة أصلية مخطوطة ترجع إلى زمن البخاري، إنما ما هو موجود نسخ تم نسخها بعد البخاري بثلاثمائة سنة دون أن يضع الناسخ اسمه أو توقيعه، ولا أحد يعلم مكانه أو من يكون، فماذا يمنع أن يكون اليهود هم من انتسخوا كتاب البخاري وأعادوا صياغته بعد حشو ما يلزمهم من أفكار يهودية ، وهي كثيرة جدا في البخاري، لتسيير العقل المسلم بعد ذلك على البوصلة اليهودية.

(القدس) في موضع الحديث عن " جالوت" وجالوت هذا كان من العرب العماليق المسيطرين على الحرم (الكعبة) وقد اغتصبوا السلطة علي مكة من يد الإسرائيليين فتجهز ملك بني إسرائيل " طالوت" لقتال ملك العماليق" جالوت" وانتصر عليه، أي أن المراد بكلمة القدس هنا هو بيت الله الحرام بمكة وليس هيكل سليمان لأن سليمان لم يكن قد ولد بعد، ولكن لأن اليهود استبدلوا "الكعبة " التي في مكة بهيكل مزعوم في فلسطين، فانتقل مسمى "القدس" بذلك إلى فلسطين ونقل المؤرخ المسلم عن مصادر اليهود دون أن يدري أنهم لعبوا في عقله !!

وفي موضع آخر يقول: «فسارت البقرتان سيرا سريعا حتى إذا بلغتا القدس كسرتا نيريهما». وهذا أيضا يؤكد أن مسمى "القدس" يعود إلى التراث اليهودي الذي اعتنقه المسلمون، ولا يمت إلى الثقافة الإسلامية ولا المسيحية بأي صلة على الإطلاق، وهو كان ينقل مسمى" القدس" بسمتها الوصفية على عاصمة فلسطين، بينما هي علمية على الكعبة، وربما نتيجة الاختلاط لم يدرك المؤرخ أن الكلام الذي ينقله يتحدث عن الكعبة وأحداث مكة أصلا، فكان ينقل وكأنه يتحدث عن عاصمة فلسطين التي أراد اليهود أن تكون لهم كعبة بدل كعبة مكة... ويقول الباحث علاء اللاوي: وثمة دليل آخر أقدم من هذا، يعود إلى القرن الأول الهجري، فقد ورد اسما «القدس» و«بيت المقدس» (معا) في تفسير مجاهد بن جبر المولود سنة 21هـ والمتوفى سنة 104 للهجرة. وفيه يرد الاسمان في مواضع كثيرة نكتفي منها بالأمثلة التالية:

- تفسير مجاهد عبارة ﴿وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم﴾ وهي جزء من الآية 58 من سورة البقرة، وفي تفسير كلمة «الباب» فيقول مجاهد، هو «باب إيلياء بيت المقدس أمر قوم موسى أن يدخلوا الباب سجدا، ويقولوا: حطة...». لاحظ أن الآية تتحدث عن موسى وبني إسرائيل وعن دخول مكة (الأرض المقدسة)، وهذا ما يؤكد مرة أخرى أن مسمى "بيت المقدس" يعود إلى التراث اليهودي الذي اعتنقه المسلمون وقت الغفلة، فنقلوا –ليس فقط وقائع وحكايات بني إسرائيل لتساعدهم في التفسير- وإنما نقلوا المسميات والألفاظ والاصطلاحات ذاتها حتى ساهموا في إشهارها وشيوعها، ومن هنا تمكن اليهود من توطينها ورسمنتها بلسان وعقل العرب المسلمين ! فهو يقول «باب إيلياء بيت المقدس أمر قوم موسى أن يدخلوا الباب سجدا، ويقولوا: حطة...». بينما كان موسى مأمورا بفتح مكة وتطهيرها من عبادة الأوثان وتحريرها من العماليق الجبابرة.

- وفي سيرة ابن إسحاق المولود سنة 85 هـ المتوفى 151 هـ ورد اسم «بيت المقدس» مرات عدة، خصوصا في مواضع الحديث حول الإسراء. ومن تلك المواضع ما قاله ابن إسحاق مباشرة ومنه قول النبي في الرواية: «ثم جئت بيت المقدس فصليت»، وقوله: «ولما فرغت مما كان في بيت المقدس...». هكذا يقول ! في حين أننا لو عدنا إلى عهد الكناسة؛ أي وقت فتح عمر ابن الخطاب لمدينة إيلياء فلا نعثر على بيت المقدس هذا الذي اخترع اليهود له مسجدا وصرحا عظيما وزعموا أن رسول الله صلى فيه ! ولو عدنا للقرآن لعرفنا أنه "مسجد أقصى" وليس بيت مقدس، ثم أين كان بيت المقدس هذا عندما كنس عمر وكعب الكناسة عن الصخرة ؟! .. إن الأمر أخطر وأكبر من ذلك، فنلاحظ أولا أن سيرة "القدس وبيت المقدس " لا ترد إلا عند تفسير الآيات التي تخص بني إسرائيل، فكان اليهود يغرسون في الصحابة العرب حكايات تساعدهم على التفسير، لكن كان الغرض منها تسكين ثقافة معينة وقوالب فكرية معينة تعين اليهود فيما بعد في توطين استراتيجية سياسية وجغرافية عظمى عبر التاريخ !

ومن بداية الأمر فإن هذا الخبر مكذوب 100٪ لأن الإسراء كان بنبي الله موسى (ع) وليس بمحمد، ولا يوجد معجزات مادية في الإسلام ولا خرافات البراق ولا خرافات الصعود إلى سدرة المنتهى التي رواها كعب.. إنما الإسراء كان بالنبي موسى من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله (الودي المقدس طوى وجبل الطور كي يتلقى الوحي) لكن اليهود نقلوا عملية الإسراء من النبي موسى وتنازلوا عنها لمحمد (ع) ليس مجاملة ولكن تعظيما من شأن بيت مقدسهم المزيف بديل الكعبة، بحيث تكون معجزة الإسلام الكبرى والوحيدة هي الانتقال من البيت الحرام (الأقل شأنا) إلى بيت المقدس (الأعظم شأنا) لأنه وجهة الانتقال ومحل المعجزة ومن أجله كانت المعجزة وإليه كانت المعجزة، وهو الذي يسكن بذلك الوجدان المسلم أكثر من الكعبة لأنه مساهم في المعجزة بدور أكبر من البيت الحرام، فالبيت الحرام بذلك ما كان إلا محل بدأت عنده المسيرة (لاحظ أنه موطن مغادرة، والمعنى عقائدي بعيد يفسر لنا كلمة كعب عن الهجرة إلى الشام ! أي تهجير العرب من الفكر الإسلامي إلى الفكر اليهودي)، وقيل من بيت أم هانئ وقيل من ساحة الحرم، وقيل وقيل وقيل، وفي النهاية الغاية والهدف ونصب الأعين هو بيت مقدس اليهود الذي هو صخرة الكناسة كما رآها عمر ونظفها كعب.. فقد تم نقل محل المعجزة ليس مجاملة لمحمد وإنما تعظيما من شأن صخرة الكناسة هذه، ونجد أن في ذات الرواية التي تفسر شيء خاص باليهود يأتي ذكر (بيت

المقدس) وهذا ما يؤكد نهائيا أنه اصطلاح خاص بالتراث اليهودي، لأنه (وفقا لزعمهم) أن بيت المقدس هذا الذي زاره النبي محمد هو هيكل سليمان... قدرة عجيبة لليهود على اختراق الفكر عبر الزمن !!

- أما في ما نقله ابن هشام (سيرة ابن هشام)، التي يمكن هي إعادة كتابة وتهذيب لسيرة ابن إسحاق، وهو كثير جدا، نذكر منه قوله: «"وقال ابن إسحاق، ثم أسري برسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها " (لماذا يلجأ الكاتب إلى تعريف المسجد الأقصى بأنه " بيت المقدس من إيلياء" ! ألا يدل ذلك على أنه غير معروف هكذا للعامة وبحاجة إلى تعريف! غير أن الله يعرفه في القرآن ليس ببيت المقدس ولا إيلياء وإنما بالأرض المباركة!) كذلك لا نجد ذكر في كتب التراث لبيت المقدس إلا فيما يخص شيء عن اليهود، أي أن الاسم نفسه ليس من اختراع العرب المسلمين أو المسيحيين، إنما هو اسم يخص مقدسات اليهود، حتى وإن افترضنا أن رسولنا أسري به إليه، فهو كان من مقدسات اليهود، ثم أننا نستعجب هل ينتقل النبي محمد من الكعبة إلى هيكل سليمان ! حتى ولو كان حقيقيا ! .. ونلاحظ في رواية ابن هشام أول ربط بين مسمى " بيت المقدس والمسجد الأقصى"، لأنه حتى هذا الوقت كان المسجد الأقصى مجرد اسم نظري في القرآن لم يبحث أحد عن مكانه ولا يوجد أي دليل على أن المسجد الأقصى هو بيت المقدس، ولا رابط بينهما، إنما الروايات جعلت منهما واحد، وفي الحقيقة كان بيت المقدس هو الكعبة (قبلة اليهود قديما وقبلة موسى وإبراهيم) وأما المسجد الأقصى بالوادي طوى، لكن اليهود نقلوا بيت المقدس الكعبة إلى فلسطين ودمجوا فيها المسجد الأقصى، ونقلوا رحلة الإسراء من موسى إلى محمد ﷺ وفرح المسلمون بهذه الهدية الكريمة!

- وكذلك ورد في كتاب "الأم" للإمام الشافعي المولود سنة 150هـ المتوفى 204. ومن مواضع ذكر القدس وبيت المقدس في باب من نذر أن يحج إلى "بيت المقدس" و"باب استقبال القبلة". وكان المحل أيضا تعظيم مقدسات اليهود، وجعل هيكل سليمان قبلة للمسلين بزعم أن النبي محمد زاره !

ـ وفي "الموطأ " لمالك بن أنس المتوفى سنة 179هـ وردت أسماء " القدس" و " بيت المقدس" و" المسجد الأقصى" مرات عدة خصوصا في حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"، وهو حديث مكذوب برغم أنه منسوب في روايته إلى الإمام علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري وأبو بصرة الغفاري وآخرون. وهو

مكذوب لأنه لم يكن هناك مسجد أقصى في فلسطين وقت نزول القرآن وفي عصر النبي إنما كانت الصخرة والكناسة عليها فقط ولا شيء آخر. لكن اليهود تمكنوا من تغفيل العقل العربي بدرجة مذهلة ! جعلوهم يصدقون أنه كان هناك "بيت مقدس" يسري إليه رسول الله، بينما كل الصحابة العرب شاهدوا الصخرة وعليها الكناسة ولا شيء آخر! فلا يوجد عقل في البشرية لديه القدرة على المراوغة والخداع بهذه الدرجة المذهلة، لأن يقنعك بأنه ثمة شيء عظيم هناك موجود وهو قبلة الزوار والسياح والعابدين، برغم أن الحقيقة وكل الحقيقة صخرة كانت مقلبا عموميا للقمامة على مرأى ومسمع الجميع !

- مسند الإمام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة 181هـ، وفيه وردت أسماء «القدس» و«بيت المقدس» والمسجد الأقصى مرات عدة. مع ملاحظة أن التسمية لم تظهر هنا إلا بعد 180 سنة، أي أن مسمى إيليا كان حتى هذا العصر سائدا وكانت محاولات اليهود مستمرة لطمسه من أجل غرس المسمى اليهودي "بيت المقدس –القدس" حتى نجحوا في النهاية !

فقد تم الربط بين المسجد الأقصى والصخرة من خلال الإسرائيليات التوراتية، لكن في الحقيقة لا يوجد أي رابط بين المسجد الأقصى وهذه الصخرة إطلاقا، إنما هذه الصخرة اختارها اليهود ليضعوا عليها التابوت عند الصلاة فقط، أما مسجد قبة الصخرة فقد بناه عبد الملك ابن مروان في العصر الأموي لاحقا وجعل الصخرة في صحنه، ليستقطب حولها القدسية أكثر من الثقافة الشعبية التي أشاعها اليهود في أهالي الشام، حيث كانت الشام مرتعا لليهود في هذا الوقت ولم يعودوا في اضطهاد كما كان في عصر الرومان. ثم في وقتٍ لاحق تم ربط المسجد الأقصى بـ" بيت المقدِس"، برغم أننا لو دققنا النظر في تسمية " بيت المقدِسْ " لعرفنا أنها خطأ لغوي فج، ليس فقط في النطق العربي وإنما العبري أيضا، فالأصل هو بالتعريف " البيت المقدَسْ " وهو الواقع في الأرض المقدَسة " (مكة المكرمة)، وعرفنا أن من أسماء مكة القديمة (قادس – قادش – المقدسة) ولو عدنا إلى بداية الديانة الإبراهيمية لعرفنا أنها تسير جميعها على خط واحد، وأن إبراهيم هو من بنى بيت الله الحرام حينما وضع ابنه وزوجته في وادٍ غير ذي زرع، ثم استمرت ذريته في ذات المكان (إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وذريتهم على ذات العقيدة ؛ يقول تعالى: { أم كُنتمْ شهداءَ إذْ حضرَ يعقوبَ الموتُ إذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تعبُدُونَ مِن بعدي قالوا نعبُدُ إلهكَ وإله آبائِكَ إبراهيمَ وإسْماعيلَ وإسْحاقَ إلهًا

واحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {133}/البقرة. أي أن قبلة اليهود هي هي الكعبة وهي البيت المقدّس ولا بيت مُقدّسَ غيرها... لكن كيف ربط اليهود بين (الصخرة و المسجد الأقصى و البيت المقدّس) !!

يقول ابن خلدون:" ودخل عمر بن الخطاب بيت المقدس، وجاء كنيسة القمامة ! فجلس في صحنها، وحان وقت الصلاة فقال للبترك: أريد الصلاة، فقال له: صلِ موضعك، فامتنع وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفردا، فلما قضى صلاته قال للبترك: لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي وقالوا هنا صلى عمر، وكتب لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها " انتهى [1] ..

فأين كان المسجد الأقصى وأين كان بيت المقدس طالما أن عمر لم يجد في إيلياء سوى صخرة اليهود والكنيسة !! في حين أن أصحاب السنن ذكروا روايات أكيدة على أنه يوجد مسجد أقصى تبدأ من عنده شعائر الحج والعمرة، لكنهم خلطوها أيضا ببيت المقدس ! فنقرأ: عن أم سلمة أن رسولَ اللّه ـصلى اللّه عليه وسلمـ قال "من أهل بالحج والعمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة ." [2] . من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ." [3] . من أحرم بحج أو عمرة من المسجد الأقصى كان كيوم ولدته أمه " [4] « مَنْ أَهلَّ بحجَّة أو عُمْرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذنبهِ وما تأخَّرَ، أو وَجبَت له الجنة" [5] . "من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا رفعت له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى وهى خير من قيام نصف ليلة " [6] . ثم تحولت الصياغة فجأة من "المسجد الأقصى "إلى " بيت المقدس"، فنقرأ: "من أهل بعمرة من

---

[1] ـ ابن خلدون " تاريخ ابن خلدون " (2 / 225)

[2] ـ البيهقى فى الكبرى ، وفى شعب الإيمان عن أم سلمة، أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (5/30 ، رقم 8708) ، وفى شعب الإيمان (3/448 ، رقم 4026) . وأخرجه أيضًا : الدارقطنى (2/283).

[3] ـ أحمد، وأبو داوود، والبيهقى عن أم سلمة أخرجه أحمد (6/299 ، رقم 26600) ، وأبو داوود (2/143 ، رقم 1741) ، والبيهقى (5/30 ، رقم 8708) . وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (12/359 ، رقم 6927) ، والطبرانى فى الأوسط : (6/319 ، رقم 6515 .

[4] ـ عبد الرزاق عن أم سلمة

[5] ـ أخرجه أبو داوود عن أم سلمة

[6] ـ الديلمى عن ابن عباس 5399ـ

بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب " [1] ونقرأ: "من أهل بعمرة من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب" [2]

نلاحظ هنا أنه لم يتساءل أحد من السلف لماذا اختلفت الروايات، بعضها ذكر المسجد الأقصى(المسمى القرآني) وبعضها ذكر بيت المقدس(المسمى التوراتي) الذي هو هيكل سليمان وداوود وفق رواية اليهود بينما هو ذاته (البيت المقدّس- الكعبة وفقا للقرآن) والحقائق التاريخية عن الحرب التي دارت بين موسى والعماليق على بوابة الأرض المقدسة... أما المشكلة هي كيف ربط السلف بين كل هؤلاء وصخرة اليهود ! ونحن لا ننكر أن الإسراء تم إلى المسجد الأقصى، لكن من الذي حدد موقع المسجد الأقصى وقال أنه في فلسطين ! فربما كان بالعراق أو الهند، لكن تم اعتماد الموقع الذي قال عنه اليهود أنه هيكل سليمان ! وعندما تسأل اليهود عن موقعه يقولون لك الصخرة !

وما زال المسلمون إلى اليوم يتمسكون بقيام بيت مقدس في هذا المكان عصر صدر الإسلام! برغم أن التوراة ذاتها بنصها تثبت عدم وجود بيت مقدس ! فنجد في المِشنا ("بركات" 4 :5) "بأن اليهود يقفون للصلاة مقابل مكان البيت المقدس الذي كان في القدس"... والغريب أن التوراة تم تدوينها قبل نزول القرآن، أي أنها تقر بمكان فقط وليس هيكل قائم، وكانوا يقرؤونها هكذا وقت نزول القرآن... أما الأغرب فهو الملاحظة الدقيقة في النص أعلاه أن تسمية " بيت المقدس " خطأ، والصواب هو " البيت المقدّس "، وبذلك تتضح الدلالة الحقيقية على أن قبلة اليهود الأصلية هي الكعبة وهي البيت الوحيد المقدّس على وجه الأرض، ولا يمكن صرف تسمية "البيت المقدس" على هيكل سليمان أو هيكل داوود أو هيكل يوسف، لأن هذا معناه أنه لا بيت لموسى ولا داوود ولا غيره من عشرات الأنبياء سوى هيكل النبي سليمان !

بل إنه برغم هذا الواقع المزري، جعل منه المسلمون بيتا مقدسا ومحطة أرضية يصعد منها نبيهم إلى السماوات العلا بعد أن يصلي بالأنبياء ! وكأن الله بعث الموتى من قبورهم قبل موعدهم ! وعلى هذا المنوال صارت الروايات تتعاظم ببيت المقدس هذا حتى فاقت البيت الحرام تدريجيا ! لدرجة أنني في

[1] ـ (ابن ماجه عن أم سلمة) أخرجه ابن ماجه (2/999 ، رقم 3001) .

[2] ـ (ابن ماجه عن أم سلمة) أخرجه ابن ماجه (2/999 ، رقم 3001)

صغري كنت أعشق حكايات المسجد الأقصى وكثيرا ما قرأت كتبا عنه كاملة، وإلى الآن لم أقرأ كتابا واحدا أو حتى مقالا عن تاريخ الكعبة ! والذنب ليس ذنبي.

والمقارنة عند السلف الصالح تبدأ بين المسجد النبوى وبيت المقدس بنسبة 1:4 فى قولهم: "صلاة فى مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فى بيت المقدس ولنعم المصلى فى أرض المحشر والمنشر وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا " [1].

ثم تدخل الكعبة ويتساوى الاثنين الأولين، حيث تتعاظم النسبة إلى 5:5:10 فى قولهم: حدَثنا هِشَامُ بنُ عمَّارٍ... عنْ أنسِ بنِ مالِكٍ قالَ قالَ رسُولُ اللَّهِ« صلاة الرَّجلِ في بيتِهِ بِصلاةٍ... وصلاة في المسْجِدِ الأقصَى بخمْسِينَ ألفِ صلاةٍ، وصلاة في مسجدي بخمْسِينَ ألفِ صلاةٍ، وصلاة في المسْجِدِ الحرامِ بمِائة ألفِ صلاةٍ » [2].

ثم ينفرد الاثنان بالتساوي بين النبوى والأقصى بنسبة 1:1 مكتسحين بذلك الكعبة ذاتها فى قولهم:

حدَثنا عبْدُ اللَّهِ حدَثنى أبى حدَثنا عبْدُ الرَّزَّاقِ حدَثنا ابنُ جُريْجٍ أخْبرَنى عطاءٌ أنَّ أبا سلمة بنَ عبْدِ الرَّحْمنِ أخْبرَهُ عنْ أبى هُريْرة أوْ عنْ عائِشة أنها قالتْ قالَ رسُولُ اللَّهِ « صلاة في مسجدي خيْرٌ مِنْ ألفِ صلاةٍ فِيما سِواهُ مِنَ المساجِدِ إلا المسْجِدَ الأقْصَى» [3].

ثم ينفرد بيت المقدس متفوقا على الكل في قولهم: "أرضُ المحشرِ وأرضُ المنشرِ ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألفِ صلاةٍ فى غيرِهِ فمَنْ لم يستطعْ أن يأتيَه فليهدِ له زيتا يُسرج فيه فمَنْ أهدى إليه زيتا كان كمن قد أتاه (أبو يعلى عن ميمونة قالت أفتنا فى بيت المقدس)" [4].

---

[1] ـ 122 البيهقى فى شعب الإيمان ، والطبرانى فى الأوسط عن أبى ذر ، ورجاله رجال الصحيح أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (3/486 ، رقم 4145) ، والطبرانى فى الأوسط (8/148 ، رقم 8230) . قال الهيثمى (4/7) : رجاله رجال الصحيح . وأخرجه أيضًا : الحاكم (4/554 ، رقم 8553) وقال : صحيح الإسناد

[2] ـ ابن ماجة 1478 ـ

[3] ـ 7955 معتلى 10675 مجمع 4/5

[4] ـ المناوى 127

والنسبة تصل 1:1000 يصبح بيت المقدس أفضل من كل المساجد حتى المسجد الحرام والنبوي، ويتلاشى تماما مسمى الأقصى فى قولهم: " إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجمعون إلى يوم القيامة " [1] .. وبذلك يكون قد نجح اليهود في اختراق العقل العربي باكتساح منقطع النظير...

في حين لما افتتحت إيلياء وأرضها على يد عمر في ربيع الآخر سنة 18هـ ودخل عمر بيت المقدس دعا عمر كعب الأحبار وقال له: أين ترى أن نجعل المصلى؟! فقال كعب: إلى الصخرة. فقال له عمر: يا ابن اليهودية، ضاهيت والله اليهود، وفي رواية أخرى خالطتك يهودية! وقد رأيتك وخلعك نعليك! ولما أخذوا في تنظيف بيت المقدس من الكناسة التي كانت الروم قد دفنته بها سمع التكبير من خلفه فقال ما هذا؟ فقالوا كبر كعب وكبر الناس بتكبيره! فقال عليَ به فأتىَ به فقال يا أمير المؤمنين: أنه قد تنبأ علي ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة! قال وكيف؟ فقال إن الروم قد أغاروا على بني إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه! إلى أن وليت فبعث الله نبيا على الكناسة فقال ابشري، أوري شلم، عليك الفاروق ينقيك مما فيك! [2].

لكن إلى هنا ولم نعرف الرابط بين " بيت المقدس " والمسجد الأقصى " ! فالأول ورد في التوراة بينما الثاني ورد في القرآن ولا يوجد أي دليل على أنهم كيان واحد! وما زال الربط غير مفهوم، بل لغز غامض جدا !

22032ـ حدَثَنا عَبْدُ اللَهِ حدَثَنِى أبِى حدَثَنا أبُو مُعاوِيَة حدَثَنا الأعْمَشُ عَنْ إِبْراهِيمَ التَيْمِىِّ عَنْ أبِيهِ عَنْ أبِى ذرٍّ قالَ قلتُ يا رَسُولَ اللَهِ أىُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِى الأرْضِ أوَلُ قالَ « المَسْجِدُ الحَرامُ ». قالَ قلتُ ثمَ أىٌّ قالَ « ثمَ المَسْجِدُ الأقْصَى ». قالَ أبُو مُعاوِيَة يَعْنِى بَيْتَ المَقْدِسِ. قالَ قلتُ كَمْ بَيْنَهُما قالَ « أرْبَعُونَ سَنَة وَأيْنَما أدْرَكَتْكَ الصَلاةُ فَصَلِّ فَإِنَهُ مَسْجِدٌ » [3].

في هذا المقتبس نلاحظ غرسة صغيرة جميلة جاءت للتوضيح، حيث أن المؤلف تعمد الربط بهدوء لطيف بين "بيت المقدس" و" المسجد الأقصى" لأن الظاهر أنهما كانا كيانين منفصلين في هذا

[1] ـ 2864 الطبرانى عن سمرة بن جندب

[2] ـ لخصنا هذا الكلام من الطبري ص 160 وما بعدها ج 4.

[3] ـ تحفة 11994 معتلى 8099 مسند أحمد (46/457) رابط:
http://islamport.com/d/1/mtn/1/88/3362.html

الوقت حتى لفظيا ولغويا، فيقول: « ثمَّ المَسْجِدُ الأقصَى »... يَعْنِى بَيْتَ المَقْدِسِ، فحتى المدون لم يعتبرها زائدة ولم يستأصلها من كلامه.

22085ـ **حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِىَّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى ذَرٍّ عَنِ النَّبِىِّ أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ قَالَ:« المَسْجِدُ الحرام ثمَّ بَيْتُ المَقْدِسِ». فَسُئِلَ كَمْ بَيْنَهُمَا قَالَ «أَرْبَعُونَ عَاماً وَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَثَمَّ مَسْجِدٌ»** [1].

وفي هذا المقتبس نلاحظ أن الزواج قد اكتمل وصار شرعيا بين المسجد الأقصى وبيت المقدس، حتى أن ذكر أحدهما صار يغني عن الآخر، وصار "بيت المقدس" الذي هو هيكل اليهود المزيف بفلسطين قرين بيت الله الحرام !! والغريب أنه يحدد أربعين عاما بين الاثنين، فهل كان البيت الحرام قبل هيكل سليمان بأربعين عاما ! ثم عاد السلف العاقل ليفسر هذا التناقض بين الزمنين بأن المقصود بالأربعين سنة هذه هو فرق زمني بين التجديدات التي تمت على كليهما في حقبة ما ! أما في المرحلة المتقدمة من التوثيق صار لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ! [2]

ثم في المرحلة الرابعة وهي قمة التطور في الفكر والبيان تم حذف المسجد الأقصى وتعريف بيت المقدس ذاته بمدينته، فنقرأ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ « لاَ تُعْمَلُ المَطِىُّ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ إِلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِلَى مَسْجِدِى وَإِلَى مَسْجِدِ إِيلِيَاءَ أَوْ بَيْتِ المَقْدِسِ ». [3] **فلم يرد عنه حديث صحيح في هذا الشأن وإنما كل ما ورد هو أحاديث ضعيفة ومدسوسة لأغراض أخرى، بينما كان السلف الصالح في غيبوبة كبرى.**

يقول الأستاذ - رضا البطاوي: راجع كتاب تاريخ ملوك حمير للمعافري المتوفي عام 212 **هـ ستلاحظ أن كل رواياته عن بيت المقدس يهودية وتنقل قصص التوراة بالحرف.. المعافري نقل قصص التوراة وأعطاها الصبغة الإسلامية، وهو أول من قال بتأسيس الأقصى على يد النبي داوود**

---

[1] **ـ تحفة** 11994 **معتلى** 8099**مسند أحمد** {5/167}

[2] **ـ الطبرانى عن ابن عمر**595

[3] **ـ** 24577 **(معتلى** 7789 **مسند أحمد)**

وابنه سليمان، وكتابه في المجمل رواية عن وهب بن منبه، وقلده أبو جعفر البغدادي (ت245هـ) في تاريخه المشهور (بالمحبر)، كذلك فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (ت257هـ)، وابن قتيبة الدينوري في المعارف (ت276هـ).. حتى أن الدينوري خصص فصلا كاملا في كتابه لترجمة بيت المقدس كل رواياته عن وهب، والبلاذري في فتوح البلدان (ت279هـ)، وأبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال (ت282هـ)، ثم جاء الطبري ليجمع كل ذلك في تاريخ الرسل والملوك ويقرر في بداية كتابه أنه جمع هذه الروايات دون أي مسئولية منه على صدقها، بما يعني أن الطبري كان متشكك في رواياته لكنه نقلها للعلم في أكبر وأهم كتاب تاريخ في التراث الإسلامي على الإطلاق.. [1]

وفرضا جدليا، لو كان هناك معبد كما يقول اليهود يعود لسليمان أو هو هيكل سليمان، فلماذا يسري الله برسوله محمد إلى هذا المعبد دون غيره من أماكن العبادة الخاصة بالأنبياء والرسل؟! أليس نبي الله عيسى ابن مريم أقرب إلى رسول الله محمد؟ هل يذهب النبي محمد إلى هيكل اليهود لجبر خواطرهم !

ألم يقل الله تعالى: " ﴿ لتجدنّ أشدّ النّاس عداوة للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا ﴾... ثم أتبع ذلك مباشرة بقوله: ﴿...ولتجدنّ أقربهم مّودّة للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهبانا وأنّهم لا يستكبرون ۝ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرّسول ترى أعينهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا آمنّا فاكتبنا مع الشّاهدين ﴾83/المائدة.

فلماذا جاء الإسراء إلى كنيس يهودي ولم يكن الإسراء إلى كنيسة نصرانية ؟! أو لنتساءل على أي أساس اختار النبي محمد السفر إلى معبد يهودي وليس إلى كنيسة القيامة مثلا، فهي الأقرب إلى عقيدة المسلمين من اليهود.. ولنقارن حتى بين الأنبياء (سليمان وداوود أم عيسى بن مريم ؟!) فكلا من سليمان وداوود هم أنبياء فقط بينما عيسى نبي ورسول صاحب رسالة !! لماذا لم يكن الإسراء إلى بيت لحم المقر الذي ترهبن فيه عيسى ابن مريم وهو نبي رسول، بينما سليمان نبي فقط

[1] ـ هذا التقرير نقلناه مع قناعتنا بما ورد به من مقال للأستاذ " رضا البطاوى في الثلاثاء 29 ديسمبر 2015 " منشور على موقع " أهل القرآن "على الرابط: http://www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php?doc_type=1&doc_id=14211

والكنيس أو الهيكل الذي بناه لم يكن موجود أصلا !. أو لماذا لم يكن المعراج مباشرة من بيت الله الحرام، مقام أبو الأنبياء إبراهيم إلى السماوات العلا؟! فقط الإسرائيليات جعلت الصخرة اليهودية محطة للتواصل بين النبي محمد وربه جل وعلا في طريق العروج إلى سدرة المنتهى! ذلك ليس لأن هذه الصخرة هي أقدس ما لليهود كي يوجهوا بها بوصلة الرواية الإسلامية، ولكنها عاصمة دينية سياسية لليهود، ويريدون أن يجعلوها محورا تدور حوله العقيدة الإسلامية ! فلو تتبعنا تسلسل العقيدة، سنجد أن رسالة محمد تتفق مع الإبراهيمية الحنيفة، وكان مسجد إبراهيم هو الكعبة، إنما النبي محمد لم يكن سليمانيا هيكليا، فلماذا يترك بيت إبراهيم الحنيفي ويذهب إلى هيكل سليمان ليصعد من هناك !



الإضاءة الرابعة والعشرين

خدعة الإسراء والمعراج

معجزة الإسراء والمعراج، ما هي إلا خدعة يهودية مخصصة لخدمة الخدعة الثانية "خدعة المسجد الأقصى"، لأن أسطورة الإسراء والمعراج ما هي إلا تاج ديني مقدس لغرض سياسي يهودي مقدس أيضا... إن الادعاء بوقوع معجزة الإسراء والمعراج لهو سُبة كبيرة في حق النبي محمد، هو إنكار صريح لنص القرآن وجحود به، وإنكار لمعجزته، لكن العرب لم يدركوا ذلك، وقد غلبهم أولاد عمومتهم الإسرائيليين بحشو دينهم بالخرافات والخزعبلات وتفكيك مضمونه العقائدي وإعادة بناء أسسه على قواعد يهودية بما يخدم مصالح الإسرائيليين على حساب العرب. وأسطورة الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى ما كانت إلا حلقة تكميلية لأسطورة خروج الإسرائيليين من إيجبت، فلزم أن تسير كل السياقات في المنطقة (الجغرافية والتاريخية والثقافية والدينية) على نسق الترجمة السبعونية للتوراة!. والكارثة أن كهنة الإسلام ما زالوا يتعاملون مع الأمور الدينية بتعمد تغييب وإبعاد العقل باعتباره عورة تسيء إلى الدين وتسم إيمان صاحب العقل بالعلمانية ونبذ الدين! فهم يرون الإيمان محض تسليم بأمور غيبية لا يجوز إعمال العقل فيها، وأنه ليس من الاحترام التجرؤ لإعادة التفكير فيما قاله السلف ومحاولة التبجح وتغليب العقل على النقل.. برغم أن عدد الآيات التي ذكرت كلمة (العقل) ومشتقاتها وبدائلها أكثر من أن يمكن حصرها في القرآن، إلا أنهم يكفرون بالعقل باعتباره مناقض للإيمان، لكن سنكتشف الحقيقة أن الكفر بالعقل هو كفر بالله، وجحود لآياته.

فآيات القرآن الكريم تؤكد أن النبي محمد لم ولن يعرج للسماء، ولم يحمله البراق في رحلة البساط الطائر من مكة إلى مدينة إيلياء في الشام كي يصعد منها إلى السماء، بل إن ذلك لهو أكبر استخفاف بالعقل العربي؛ لأنه بكل اختصار بشر عادي، بُعث ليكون رسول ليس صاحب معجزات خرافية، ومعجزة النبي محمد هي القرآن الكريم فقط لا أكثر ولا أقل، وهناك الكثير من الآيات التي تؤكد هذا، ولا يوجد في القرآن آية واحدة عن رحلة الإسراء والمعراج المزعومة لأنها قصة

خيالية لم يقم بها النبي محمد، ولم يعلم بها في حياته. وأيضا تاريخ الطبري لا يحوي هذه القصة، فالطبري المتوفى سنة 310 هجرية عندما جمع التاريخ بالصحيح فيه والمكذوب لم يكتب هذه الأسطورة المعجزة، أولا لأنها لم تحدث أصلا، ثانيا لأنه لم يسمع بهذه القصة المفبركة في عصره، إنما الأمر كله وفق سياق القرآن متعلق بسيدنا موسى، حيث ألهمه الله المسير من المسجد الحرام بعد قضاء الحج إلى المسجد الأقصى الواقع في الوادي المقدس طوى على بعد 25 كلم باتجاه الشمال الغربي من البيت الحرام، حيث هناك وقعت معجزات الله لموسى، العصا واليد، وغيرها، وهناك كلمه الله وبدأت رحله تكليفه كنبي مرسل من قبل الله. أي أن الإسراء لا ينصب على عملية النقل ذاتها ولا السرعة وما إذا كان على ظهر حمار أو براق أو حصان بابلي مجنح، إنما عملية الإسراء ذاتها ترتكز على إلهام الله له بالمسير إلى ميقات الله في الوادي المقدس طوى، وهناك ألهم الله أخيه هارون بالمسير إليه كي يلتقيا في الجبل ويتعاونا في الذهاب إلى فرعون مصرايم (وقال الرب لهارون اذهب إلى البرية لاستقبال موسى فذهب والتقاه في جبل الله وقبله)(خروج 4ـ27)

إنما موضوع المعجزات الخارقة لقوانين الطبيعة، فهذا من حرص الله على هداية الناس، ليس لإثبات قوته وعظمته وإنما يتوسل إليهم بقاهرات تدمغ عقولهم فينتبهوا إلى الإيمان، فلم يبعث الله إلى الناس رسولا إلا ومعه معجزته الخارقة التي تحمل الناس، لاسيما المعاندين منهم أو ممن لا تجدي معهم المجادلات العقلية على الإيمان والتصديق.. حتى مع الرسل السابقين لم تكن المعجزة الخارقة للمألوف هي المعول عليه الأول في بعث الإيمان في النفوس؛ إذ أننا نلاحظ أن المعجزات كلها (ناقة صالح وعصى موسى وشق البحر، وغير ذلك لم ترد على الناس إلا من بعد تشبثهم بالإعراض مرة من بعد مرة.

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ 258/البقرة.

ويقول كذلك: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾259/البقرة.

وقوله تعالى:﴿ فأَرْسَلْنا عليْهِمُ الطوفانَ والجرادَ والقمَّلَ والضَّفادِعَ والدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فاستكْبَرُوا وكانوا قوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿133﴾ ولمَّا وقعَ عليْهِمُ الرِّجْزُ قالوا يا مُوسَى ادْعُ لنَا ربَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لئِن كَشَفْتَ عنَّا الرِّجْزَ لنُؤْمِنَنَّ لكَ ولنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ ﴿134﴾ فلمَّا كَشَفْنَا عنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أجلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿135﴾ فانتقمْنَا مِنْهُم فأَغْرَقْنَاهُمْ فِي اليمِّ بأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتِنَا وكانوا عنْهَا غَافِلِينَ﴾136/الأعراف.

فكانت المعجزة الخارقة لمألوف الناس مثلها مثل العلاج بالكيِّ، أي فرصة أخيرة قبل حلول العذاب الدنيوي وكانت مسبوقة دائما بما حكاه القرآن الكريم نفسه من مجادلات عقلية مع أولئك الأقوام، وأقرب الأمثلة هي نار النمرود التي لم تحرق نبي الله إبراهيم فجعلها الله بردا وسلاما عليه. وغير ذلك قوم صالح وقوم فرعون. فهل تتوقع أيها القارئ أن يكون النبي محمد ذاته في حاجة إلى معجزة مادية كي يؤمن بوجود الله!

تلك توطئة تبين لنا أن المعجزة خادمة للبشرية من جهة، ومن جهة أخرى هي محاولة أخيرة لدمغ العقول المأسورة بعقائد الماضي وما ألفوا عليه آباءهم، فتأتي المعجزة كشحنة كهربية تزلزل العقل وترجه رجا، فيعيد العقل حساباته في اللحظة الأخيرة، فما كانت المعجزة أصلاً من أصول بواعث الإيمان ولا كانت وسيلة لتجديده، وإنما كانت فرصة أخيرة للمتخلفين ذهنيا ابتغاء انتشالهم من الكفر والجحود وزلزلة الكفر الساكن في عقولهم. خاصة أن المعجزة الخارقة تكون فقط للجيل المعاصر لها ولا تكون حجة على الأجيال التي تأتي بعد ذلك، فالمعجزة وسيلة استثنائية مؤقتة لتحريك العقول المتحجرة فقط وليست وسيلة إيمان، لأن الإيمان بالله يقتضي التدبر والتأمل في خلقه، ومع استمرار هذا التدبر يستمر الإيمان بين الأجيال. وكانت المعجزات هي الوسيلة المادية البدائية التي تعامل بها الله مع عقول بدائية متحجرة من حيث الفكر العقائدي المترسب في العقول من أجيال سابقة، بينما مع تتابع الرسالات وتطور الفكر الديني في المجتمع تطورت الوسائل، وصارت معجزة الإسلام عقلية أبدية مستمرة، تعتمد على استمرارية إعمال العقل وليس تعجيزه المفاجئ أمام قدرة الله على خرق قوانين الطبيعة.

فلما جاء الإسلام برسالته الأخيرة "مصدقا لما بين يديه" أعلن في آية صريحة بأن زمن المعجزات المادية الخارقة للمألوف البشري قد ولى وانتهى، كما أعلن في الآية ذاتها أن المعجزة الجديدة التي

يقوم عليها الإسلام هي هذا الكتاب ذاته ولا شيء سواه، فهو معجزة أبدية ومن صفاتها استمرارية الإعجاز، أي لا تتوقف آياته على جيل واحد معاصر، بينما تستمر المعجزة في كل الأجيال (ولهذا لم يفسر النبي محمد القرآن وتركه للأجيال المتتابعة)، ولا تتوقف المعجزة على إثبات عجز الإنسان أمام قدرة الله الخارقة، بل على التدبر المستمر في خلق الله للكون من الأساس وليس فقط قدرته على خرق قوانين هذا الخلق، فهذه كانت وسيلة إثبات عكسية، بحيث من يقدر على خرق قوانين الطبيعة يكون هو خالق الطبيعية كنتيجة تبعية، أما الإسلام فقد قام على الوسيلة المباشرة (قدرة الله على الخلق وتسيير الكون وأمرنا بالتدبر في هذا الميدان ورفض موضوع المعجزات واكتفى بالنص القرآني كدليل في ذاته)، يقول تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿12﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿13﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿14﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴿15﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿16﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴿17﴾، ولم يفسر النبي محمد هذه الآيات وتركها للأجيال ليتدبروا.. والآية الصريحة التي أعلنت تولي زمن المعجزات المادية والتمكين للمعجزة البيانية هي قوله سبحانه: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾4/الشعراء، ثم تبع هذه الآية بذكرى موسى ومعجزاته التي لم يؤمن بها قوم فرعون استهزأوا به.. جاء رفض المعجزات صريحا في الكتاب من جهة كما تواترت بذلك المعنى سنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

حتى النبي محمد مع ابنه إبراهيم (ع) وقد توفاه الباري سبحانه ولما يبلغ الحلم إذ صاحب ذلك كسوف للشمس فقال الناس ما كُسفت الشمس إلا بسبب موت إبراهيم فما إن انتهى إليه عليه الصلاة والسلام حتى جمع الناس مناديا (الصلاة جامعة أي دعوة إلى اجتماع شعبي عام بالتعبير المعاصر) وقال لهم:" إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته ". ذلك لأن معجزته الوحيدة التي أمر بإبلاغها وبيانها إنما هي القرآن الكريم(ولهذا تعهده بالحفظ) وما كان ينبغي للنبي أن يتوسل بأي شيء آخر مطلقا. وهذا مفاده أن معجزة الإسلام واحدة لا ثاني لها وهي مطردة متجددة ومستمرة لا تتخلف ولا تتوقف ولا تتبدل وهي القرآن الكريم بمختلف وجوه الإعجاز فيه من بيان وتشريع وغير ذلك. أي لا سبيل لأي معجزة مادية في الإسلام.

بل إن الإفراط في المعجزات يتسبب في عطل وعطب للعقل، لأن المعجزة بطبيعتها خارقة لقوانين الطبيعة، ولا تأخذ بالسببية التي هي عماد الفكر ومحوره، وهنا تتداخل إشكالية المعجزة بوضوح مع الموقف من السببية، وهي المبدأ القائل بأن لكل حدثٍ سبب، فالشعوب لا تبني الحضارات بالدعاء والابتهال، بل بالفكر والعمل والبناء والإنتاج، وما الدعاء إلا أداة من أدوات البناء المعنوية، كما نزول الملائكة لتثبّت قلب المؤمنين في بدر. لكن لأن القومية العربية (الصحابة وغير الصحابة) هم قومية قبلية بدوية لا تعرف العمل ولا البناء ولا الإنتاج، إنما فقط يعرفون الأدب والشعر والخرافات والحكايات الشفوية، وفي الغالب المخيلة أدبية خصبة، فهم ليسوا شعب مدني يقوم على المنظومة الحضارية (فكر- عمل – بناء- إنتاج)، ولهذا لم نجد الخليفة الأول ولا الثاني ولا الثالث ولا حتى الرابع قد أسس مكتبة في العاصمة (المدينة) أو مشروعا قوميا أو مصنعا من أي نوع، لأنهم عقلية أدبية وليست علمية عملية تطبيقية. وقد خاضت حقبة الدولة العربية معركة كبيرة في هذا المضمار، كان للأشاعرة (جمهور أهل السنة) معالجتهم الخاصة التي أسهم بالقدر الأكبر من تأصيلها الإمام أبو حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام، ظهر جانب مهم منها في كتابه " تهافت الفلاسفة "[1]، وكان أحد طرفي معركة النقل والعقل العربية القديمة، في مقابل كتاب " تهافت التهافت " الذي يحتوي ردود الفقيه والفيلسوف الأندلسي ابن رشد، وكان الإمام الغزالي قد أعلن تدمير العقل العربي إلى الأبد بإنكاره للسببية بمجملها، معتقدا أن الكون لا يسيره نظام وإنما يسير بمشيئة الله المتجددة، حسب الأحوال.

فقد أعلن الغزالي في «تهافت الفلاسفة» أن الأسباب لا تؤثر بنفسها، فأنكر بذلك كل أسس العلوم الطبيعية وحكم على العلماء الفيزيائيين بالزندقة والكفر، وقال أن النار مثلا لا تحرق بنفسها، أي إذا وضعت قطعة من القطن في النار فهي لا تحترق لأن من خواص النار أن تحرق القطن، وأنه ليس في الاقتران الملحوظ بين النار والإحراق إلزام عقلي على مسؤولية النار عن الإحراق!. يقول الأشاعرة إن النار لم تحرق إبراهيم لأن الله الفاعل المطلق الأوحد في الكون، الذي يخلق الإحراق مع النار، لم يخلقه آنذاك فكانت المعجزة. وربط الأشاعرة موقفهم من السببية إيمانيًا بتوحيد الله، أي لا ترى في الكون مؤثرًا ولا قوة ولا فاعلا سوى مشيئة الله التي لا يعلمها أحد، وأن السببية بذلك ليست سببية، وليست دائمة الاقتران بالفعل ورد الفعل، ما يعني أنه من الوارد أن تضع يدك في النار دون أن

[1] ـ أبو حامد الغزالي – كتاب " تهافت الفلاسفة " .. رابط الكتاب: https://ghazali.org/books/tahfut-bejou.pdf

تحترق!... فكان ذلك إذانا بنهاية العقل العربي واحتضاره مبكرا، عندما أحرقت كتب ابن رشد وسادت فلسفة الغزالي وأصبح لها مقام الصدارة حتى انتهت الدولة العربية فجاء الأوروبيون ولملموا بقايا كتب ابن رشد وترجموها وبدأوا منها رحلة الحضارة الأوروبية الحالية.. إذ أن العرب لم يدركوا أن زمن المعجزات قد انتهى أي أنه(مستحيل أن تضع قطعة القطن في النار دون أن تحترق.. قولا واحدا)، فالله خلق الكون بنظام، وبمشيئته هو اعتمد هذا النظام إلى الأبد، وهذا النظام هو السببية المادية المحسوسة الملموسة، هو قوانين الطبيعة التي نلمسها في الفيزياء والكيمياء، وأما المعجزات فهي خرق استثنائي لهذا النظام، وهي محدودة ومعينة بالذات ولها أسبابها وموضوعها ومحلها، ولم يدركوا أن عصر المعجزات قد ولى بصريح كلام الله.. ففي المجمل اختلط عليهم الأمر ولم يقروا للكون بنظام، ومن اعتمد على أن للكون نظام اتهموه بالكفر!، وكان ذلك عطلا في العقل الجمعي تسببت فيه المعجزات، ولذلك وجدنا الله لم يفرط منذ البداية في خرق قوانين الطبيعة باستخدام المعجزات كوسيلة علاجية إيمانية للعقول المتحجرة.

وهذا العطب العقلي في العقل العربي استمر قرونا طويلة، وهو ما عبر عنه المفكر العراقي سليم مطر بقوله: كنت في بدايات سن المراهقة والوعي السياسي، وطرحت سؤالا على أحد أصدقاء أبي، وكان هذا الرجل فقيها ورعا يتحدث دائما عن الدين والسياسة، فسألته: ـ يا عم قل لي من فضلك إذا كان الإسلام هو دين الله والمسلمون هم الأولى برحمة الباري عز وجل، طيب لماذا هكذا نحن العرب متخلفون وضعفاء أمام اليهود والغرب؟

وكان جواب الرجل بسيطا وصادقا يعبر بجلاء عن بقايا العقلية العثمانية السائدة: ـ اسمع يا بني: إن الله سبحانه وتعالى منح لكل ملة موهبة: اليهود وهبهم المال، والنصارى العلم، أما نحن فقد وهبنا الإيمان. لهذا يا بني لهم المال والدنيا، أما نحن فلنا الله والآخرة... الجنة بانتظارنا لو تمسكنا فعلا بديننا وتركنا ملذات الدنيا "[1].

كان هذا ميراث الفكر العربي في العصور الوسطى، وهو خليط بين الإيمان والفوضى والكسل والتواكل، وكان الأفغاني يؤمن بالإصلاح السياسي ومحاربة الاستبداد المتسبب في تخلف المسلمين،

[1] ـ سليم مطر – الذات الجريحة ـ إشكاليات الهوية في العراق والعالم العربي .
رابط الكتاب: http://mybook4u.com/books/0B8-bvbhAkpS2QjFUQmFHbEdLQU0.pdf

وبذل في سبيل دعوته عمره كله، لكن تلميذه الإمام محمد عبده (ت. 1905) عدل عن مسلك أستاذه السياسي، واتجه إلى تمهيد الأرضية وقواعد المنزل أولا قبل البناء.. اهتم بالإصلاح الديني والفكري. راح محمد عبده يحث المسلمين على ترك التواكل والتكاسل والفوضى للنهوض أسوة بالغرب، كان على استحياء ينصحهم بالتخلي عن مذهب الغزالي واتباع ابن رشد، لأن نار إبراهيم كانت معجزة استثنائية ولن تتكرر، بل سيسر الكون على نظام السببية المعتاد له منذ بداية الخلق، ورأى إزالة الحجب العقلية التي تمنعهم من استنباط قوانين الكون وسننه عبر التأكيد على ضرورة العلاقات السببية. أي أن العقل الجمعي يتأرجح يمينا ويسارا، فقد رفض الاعتراف بالسببية واعتمادها (في مرحلة سقوط الحكم العباسي وانتهاء العصر العربي) ثم عاد في عصر النهضة ليؤمن بالسببية من جديد باعتبارها محور بناء الحضارات الذي يقوم على متلازمة (الفكر والعمل والبناء والإنتاج). أما سيدنا العثماني القديم الذي يرى أن الله وهب المال لليهود والعلم للنصارى والإيمان للمسلمين، فهذا قد وقع في بئر العجز عن تحقيق العلم وتحصيل المال فاكتفى بجانب واحد من جوانب الحياة، واعتبر أن هذه الجوانب لا تجتمع في يد مؤمن!.

لكن الآن دعونا نعود إلى معالجة المعجزات الخرافية، فهناك فرق شاسع بين الخرافات العقلية والمعجزات الإلهية، ولا بد أن نسلم بأن عصر المعجزات قد انتهى، لكن أين كانت النهاية؟! فقد استدل كثيرون على صدق الرسول وصحة الإسلام بمعجزات حسية وخوارق مادية وقعت على يد النبي، كانشقاق القمر، والإسراء والمعراج، وقتال الملائكة في بدر، وأنين جذع النخلة إليه، وانفجار الماء من بين يديه، وقائمة المعجزات تزداد بما لا حصر له، وتتخللها خرافات مهينة ومنفرة، حتى بات هذا الباب، الذي اتخذه البعض وسيلة لإثبات صحة الإسلام، أشهر الأدلة على خرافات وأوهام المسلمين. فالقاعدة أنه لا معجزات مادية في الإسلام، فقد دار سجال طويل بين كفار قريش والنبي حول المعجزات الحسية، إذ طالبوا وألحوا في طلب خوارق مادية، مثلما جاء بها الأنبياء من قبل، وينقل القرآن في أكثر من موضع إلحاحهم هذا، فيقول تعالى:

ـ ﴿ ويَقولونَ لوْلا أُنزِلَ عليْهِ آيةٌ منْ ربِّهِ ﴾20/يونس

ـ ﴿ وأقسَموا باللهِ جهْدَ أيمانِهِمْ لئِنْ جاءَتْهُمْ آيةٌ ليُؤمِنُنَّ بها ﴾109/الأنعام

ـ ﴿ بلْ قالوا أضْغاثُ أحلامٍ بلِ افتَراهُ بلْ هوَ شاعِرٌ فليأتِنا بآيةٍ كما أُرسِلَ الأوَّلونَ ﴾5/الأنبياء

وجاء رد القرآن: ﴿ ولقدْ صرَّفْنا للنّاسِ في هذا القرآنِ منْ كلِّ مثَلٍ فأبى أكثرُ النّاسِ إلا كُفورا ﴾89

وقالوا لن نؤمنَ لكَ حتى تفجرَ لنا منَ الأرضِ ينبوعا ﴿90﴾ أوْ تكونَ لكَ جنةٌ مّن نخيلٍ وعنبٍ فتفجرَ الأنهارَ خلالها تفجيرا ﴿91﴾ أوْ تسقطَ السماءَ كما زعمتَ علينا كِسفا أوْ تأتيَ باللهِ والملائكةِ قبيلا ﴿92﴾ أوْ يكونَ لكَ بيتٌ مّن زخرفٍ أوْ ترقى في السماءِ ولن نؤمنَ لرقيّكَ حتى تنزّلَ علينا كتابا نقرؤه...﴾

وجاء الرد في النهاية: ﴿ قلْ سبحانَ ربّي هلْ كنتُ إلا بشرا رسولا ﴾93/الإسراء

حتى أن إلحاحهم هذا لقي ميلا ورغبة في نفس الصحابة أنفسهم، فطلبوا من النبي أن يسأل الله معجزة حسية، ﴿وأقسموا باللهِ جهدَ أيمانهمْ لئنْ جاءتهمْ آيةٌ ليؤمننّ بها، قلْ إنما الآياتُ عندَ اللهِ وما يشعركمْ أنها إذا جاءتْ لا يؤمنونَ﴾، يقول الطبري: "المشركين حلفوا أن الآية إذا جاءت، آمنوا واتبعوا رسول الله، فقال أصحاب رسول الله: سل يا رسول الله ربك ذلك. فسأل، فأنزل الله فيهم وفي مسألتهم إياه ذلك: قل للمؤمنين بك يا محمد: إنما الآيات عند الله، وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله، أنهم لا يؤمنون به [1]".

وليس ذلك فحسب، بل إن الرغبة في إرسال الآيات لاقت رواجا في نفس النبي نفسه، ورغب أن تنزل عليه آية خارقة ليؤمنوا، لكن واجهه القرآن بأشد أساليب الاستنكار، فلا نجد في القرآن آية أكثر قسوة وغلظة للنبي مثل هذا الموقف، يقول تعالى: ﴿وإنْ كانَ كبرَ عليكَ إعراضهمْ فإنِ استطعتَ أنْ تبتغيَ نفقا في الأرضِ أوْ سلما في السماءِ فتأتيهمْ بآيةٍ ولوْ شاءَ اللهُ لجمعهمْ على الهدى فلا تكوننّ منَ الجاهلينَ﴾"... ألا تعني هذه الآية أن من يؤمن بخرافة الإسراء والمعراج لهو كافر بها !!

وجاء تفسير الطبري [2]: قال أبو جعفر: يقول تعالى: إن كان عظم عليك، يا محمد، إعراض هؤلاء المشركين عنك، وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذي بعثتك به، فشقَّ ذلك عليك، ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم، ﴿ فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض﴾، يقول: فإن استطعت أن تتخذ سَربا في الأرض مثلَ نافِقاء اليَرْبوع، وهي أحد جحراته فتذهب فيه. ﴿أو سلمًا في السماء﴾، يقول:

[1] ـ تفسير الطبري ج12 ص14

[2] ـ موقع تفسير القرآن – تفسير الطبري – على الرابط: http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura6-aya35.html

أو مصعدًا تصعد فيه، كالدَرَج وما أشبهها، كما قال الشاعر: لا تحْـرِزُ المَـرْءَ أحْجَـاءُ البِلادِ ... ولا يُبْنَـى لـهُ فِـي السَّـمَاوَاتِ السَّلالِيم[1].

﴿ فتأتيهم بآية﴾ ؛ يعني بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي أتيتك فافعل.. وبنحو الذي قلنا في ذلك: قال بعض أهل التأويل "... فهل نعود لنقول بأن النبي محمد ركب البساط الطائر أو الحصان البابلي المجنح مسافرا عبر الأثير إلى إيلياء الفلسطينية كي يعرج من المحطة الأرضية إلى السماء السابعة ! فالله تعالى يقول لمحمد إن استطعت أن تبني سلما في السماء أو تخرق نفقا في الأرض فافعل ! فكيف يأتي اليهود ليقنعونا بأن نبينا محمد ركب الحمار المجنح وطار به عبر الأثير إلى كنيس يهودي ثم صعد منه إلى السماء ! وتلقى التكليف بالصلاة، وكانت خمسين صلاة فنصحه موسى أن يعود لربه ويسأله التخفيف ! ولماذا موسى تحديدا ! لماذا لم يكن أبو الأنبياء خليل الرحمن ! ألا يعني ذلك أن الصنعة يهودية ! وأن اليهود نجحوا في تشغيل عقول الفقهاء المسلمين على مدار التاريخ ! والمشكلة لدينا أننا نحترم كلام هؤلاء الفقهاء أكثر من احترامنا لكلام الله !

يقول القرطبي: «الحكمة في تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصلاة، لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات ما لم يكلف به غيرها من الأمم فثقلت عليهم فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك ويشير إلى ذلك قول موسى: "إني قد جربت الناس قبلك"». وقال غيره: لعلها من جهة أنه ليس في الأنبياء من له أتباع أكثر من موسى، ولا من له كتاب أكبر ولا أجمع للأحكام من كتابه، فكان من هذه الجهة مضاهيا للنبي صلى الله عليه وسلم، فناسب أن يتمنى أن يكون له مثل ما أنعم به عليه من غير أن يريد زواله عنه، وناسب أن يطلعه على ما وقع له وينصحه فيما يتعلق به. ويحتمل أن موسى (ع) لما غلب عليه في الابتداء الأسف على نقص حظ أمته بالنسبة لأمة محمد حتى تمنى ما تمنى أن يكون منهم، استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه مما وقع منه في الابتداء. (لاحظ التناقض بين أول الرواية وآخرها من حيث عدد الأتباع!)

ويقول الإمام السهيلي: «وأما اعتناء موسى (ع) بهذه الأمة وإلحاحه على نبيها أن يشفع لها ويسأل التخفيف عنها فلقوله- والله أعلم- حين قضي إليه الأمر بجانب القربى ورأى صفات أمة محمد

[1] ـــ "أحجاء البلاد": نواحيها وأطرافها. والشاعر هو تميم بن أبي بن مقبل.

ﷺ في الألواح وجعل يقول: إني أجد في الألواح أمة صفتهم كذا: اللهم اجعلهم أمتي. فيقال له: تلك أمة محمد، قال: اللهم اجعلني من أمة محمد، وهو حديث مشهور في التفاسير. فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم يعتني بالقوم من هو منهم لقوله: اللهم اجعلني منهم» (!!)

وقال غيره: في قول موسى (ع): «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقد عالجت الناس قبلك» إلى آخره دليل على أن علم التجربة زائدة على العلوم، ولا يقدر على تحصيله بكثرة العلوم ولا يكتسب إلا بها، أعني التجربة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وأفضلهم، خاصة وهو حديث عهد بالكلام مع ربه تبارك وتعالى وورد إلى موضع لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ثم مع هذا الفضل العظيم قال له موسى (ع): «أنا أعلم بالناس منك»، وذكر له العلة التي لأجلها كان أعلم منه بقوله: «عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة». (!!) وهكذا استطاع اليهود أن يجعلوا من موسى إماما لمحمد وناصحا وهاديا ومرشدا ! فلا تستعجب أن يصبح قرود السبت أئمة لتلاميذ محمد على مدار التاريخ. فوجهة الزيارة الأثيرية كانت لبيت اليهود، والمستشار القانوني في السماء كان موسى نبي اليهود، والخبرة الاستشارية جاءت من تعامله مع اليهود أيضا، وهكذا ..

أما رد القرآن على كل هذا الإلحاح بطلب معجزات مادية، فقد جاء حاسمًا قاطعًا: ﴿<u>وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ</u> وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا <u>وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفًا</u>﴾، إذن فلا معجزة خارقة، ولا آية حسية، ولا حصان مجنح مثلما ورد في الأسطورة البابلية القديمة، وانتقل منها إلى الزرادشتية ثم الكونفشيوسية ثم اليهودية ثم الإسلام !. فقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ لا يحتمل تأويلا، وإنما هي آية محكمة قاطعة دالة على منع الآيات الحسية.

ويزيدنا القرآن حسمًا بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾51/العنكبوت، إذن فالقرآن كافٍ، القرآن وحده هو معجزة محمد الخالدة. ويؤكد النبي هذا المعنى بقوله: «ما من الأنبياء نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ» [1].

[1] ـ صحيح البخاري، ص1273 رقم (4981)

أما بشأن ما يسمى بمعجزة الإسراء والمعراج، فكما أوضحنا أن مسألة الإسراء كانت خاصة بنبي الله موسى (ع)، ولم تكن معجزة مادية، إنما انصب مضمونها على إلهام الله لموسى بالسير إلى ميقات الله بالوادي المقدس طوى حيث حدث اللقاء، وكما هو معروف أن الميقات ليس ميقاتا زمانيا فقط، بل مكانيا أيضا. فيقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾. لكن اليهود كانت لهم غايات أخرى، فنقلوا من أجلها هذه المعجزة من موسى إلى محمد لغاية لم يدركها السلف الصالح، فقالوا أن الله أسرى بنبيه محمد من المسجد الحرام (الكعبة) إلى المسجد الأقصى(بفلسطين) واختلف المفسرون: هل وقع الإسراء بجسد وروح النبي، أم تم بروحه فقط وكان بمثابة رؤية منامية؟

ورجّح جمهور المفسرين أن الإسراء وقع بالجسد والروح للأسباب التالية:

– الابتداء بتنزيه الله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي﴾ دال على تعظيم الحدث، ولو كان رؤية في المنام، فهو أمر عادي لا يناسبه هذه البداية.

ـواستدلال البعض بالآية لإثبات أنها مجرد رؤية في المنام لا يصح، لأن المقصود بالرؤيا هنا: ما رآه النبي في حادثة الإسراء، المشار إليها في قوله: ﴿لنريه من آياتنا﴾. ((المقصد الحقيقي هنا كان معجزات موسى؛ العصا واليد وغيرها، لكن الفقهاء نقلوها لمحمد وصاروا يبحثون لها عن محل!!))

ـ وقالوا أن: الإسراء هو السير ليلا، إذن ما فائدة إضافة (ليلا) في الآية؟ للدلالة على أن الإسراء بدأ وانتهى ليلا، وفي ذلك خرق للطبيعة. أما لو كان رؤية في المنام، فلا فائدة من إضافة (ليلا).

ـ وقالوا أن: ظاهر الآية يشير بوضوح أنه تم الإسراء بالفعل، ولا يوجد إشارة إلى رؤية في المنام. وأن لفظ ﴿عبده﴾ دال على أنه تم بهيئته العادية، جسدا وروحا. (لكن الفقهاء لم يتساءلوا عن الرابط بين لفظ "عبده" ومحمد، وكأن كل الأنبياء لم يكونوا عباده!)

إذن، وفق كلام المفسرين فقد حدث الإسراء، ((لكن ليس بنفق في الأرض ولا سلم إلى السماء (معراج) إنما كان قفزا مكوكيا على ظهر الحصان البابلي المجنح !!)) وهو خارق لقوانين الطبيعة، لكن لاحظ أن الإسراء (وفقا لكلامهم) لم يره أحد قط، وعلِموا بحدوثه بعدما بدأت المرويات، واعتمدوا على كلمة (عبده). وقالوا أنه لا يصح الاستدلال بالإسراء على صدق النبي، فالإسراء لم يقع ليكون معجزة دالة على النبوة، والقرآن يذكر صراحة علة الإسراء: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، بل قالوا أنه

(كرامة لتثبيت قلب النبي، الذي واجه منذ البعثة حتى الممات إهانات، وتكذيب، وسباب، وتحديات، وغزوات، ومسئوليات)!!... ونتساءل هنا، ما معنى قولهم (كرامة للنبي) هل كان مجاملة ؟! هل أن الله يرسل المعجزات تخويفا للطغاة أم يوزع مجاملات وهدايا على الأنبياء!! ألم يرفض الله مرارا وتكرارا مسألة المعجزات الخارقة للطبيعة!! ونتساءل عن قولهم (لتثبيت قلب النبي) فالله تعالى لم يكن يأت بالمعجزات إلا مع الكافرين ليُعجز عقولهم ويصبها بالشلل ثم ليفيقوا من غفلتهم،، فيقول تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، إنما النبي محمد ما حاجته إلى التخويف ! وما حاجته لأن يخرق الله قوانين الطبيعة من أجله ؟! هل كان في شكٍ من أمر نبوته فأراد الله تثبيته ؟! فهذا طعن مباشر في النبي ذاته، هو بريء منه.

فنحن غير مقتنعين بحجة تثبيت قلبه هذه لأنه لم يكن في قلبه ذرة شك في أمر العبادة والوحي بل هو من سعى بنفسه للتعبد في غار حراء قبل أن ينزل عليه الوحي، وكان من الأولى أن يرسل الله بهذه المعجزة لتثبيت قلب الكفار والمشركين الذين طلبوها ! لا أن يكون النبي ذاته في حاجة لتثبيت قلبه ! وهل يكون مثل هذا إنسان في حاجة إلى تثبيت عقيدته برحلة إلى كنيس يهودي ؟!.. إننا نرى أن ذلك محض محاولة يهودية لتقعيد الإسلام على قواعد توراتية بحتة، فهل كانت صخرة اليهود أو هيكل سليمان أكثر قدسية من وادي طوى الذي تجلى الله فيه ليكلم كليمه موسى؟ هل كان سليمان وهو نبي لبني إسرائيل أكثر قدسية من موسى وهو رسول ونبي لبني إسرائيل؟

ثم احتج بعض الفقهاء بالآية التي تقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، واعتبروا فتنة الناس هي تكذيبهم للنبي فيما حكاه عما شاهده من مآثر (بيت المقدس " ونوافذه الجميلة والرحلة السعيدة على ظهر الحمار المجنح، والعير التي شاهدها لقريش في الطريق ...إلخ

وجاء الرد بما قاله سهل بن سعد:" أن المقصود بهذه الآية ليس ما شاهده النبي في رحلته الخرافية إلى (بيت المقدس) إنما هذه الرؤيا هي أن رسول الله كان يرى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، فاغتم لذلك، وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات. فنزلت الآية مخبرة أن ذلك من تملكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحانا. وقرأ الحسن بن علي في خطبته في شأن بيعته لمعاوية: وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. [1] " وهذا هو الأقرب للصواب، أن يكون المقصود بهذه الآية،

[1] ـ تفسير القرطبي – موقع تفسير القرآن على الرابط: http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura17-aya60.html

حيث أنها تتحدث عن (رؤيا منامية وليست مشاهدة عينية لمعجزات، بينما الإسراء كان حقيقيا وليس مناميا) فرسول الله رأى في منامه ما قد يحدث بعد رحيله من تقافز بني أمية على منبره مثل القردة، وقد حدث بالفعل. لأن الله قد رفض صراحة نزول آيات خارقة استجابة لطلب المشركين. وحين ذكر القرآن عدم إرسال آيات حسية ذكرهم بتكذيب قوم ثمود بمعجزة الناقة، ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾، ولو كان النبي قد طار على أجنحة الحصان فعلا وكذب المشركون بذلك، لكان الأولى والمقنع أن يطعنوا في القرآن الذي رفض طلبهم بنزول آية معجزة. فاستمرار إلحاح المشركين دال على عدم وجود معجزات حسية..

ونلاحظ هنا اليهود كانوا يبحثون عن نواة تسند الزير، والزير هو خرافة الإسراء والمعراج التي من خلالها يستطيع اليهود تقديس هيكلهم في قلوب المسلمين وجعله قبلة نبيهم في صلاته وهجرته إلى الله، فلا يجرؤ أحد المسلمين بعد ذلك على إنكار وجود هيكل لليهود، ولذلك استخدموا النواة (التي خشي منها الرسول)، وهي الآية التي تحدثت عن غضبه من رؤية رآها في منامه عن نزو بني أمية مثل القردة على منبره، وفي عصر بني أمية هذا كانت لعبة اليهود، حيث كان هو العصر الذهبي لهم، وخلاله بنيت قبة إسلامية حول صخرة اليهود وصارت بديلة عن الكعبة، أي أن رؤية النبي لبني أمية ينزون على منبره صارت حقيقة، فقام اليهود بتوجيه تفسير هذه الآية بما يخدمهم لا بما يكشف مشروعهم، حيث قالوا أنها ليست رؤية نزو بني أمية كما القردة على منبر الرسول، إنما هي رؤية رآها الرسول في بيت المقدس ! وأنه حكا للعرب عما شاهده من العير التي كانت لقريش في الطريق وأنه شاهد بيت المقدس ووصفه لهم بدقة متناهية ووصف نوافذه ومنبره وتجهيزاته وصلى بالأنبياء فيه !! وأن أبا بكر صدقه من الوهلة الأولى ولهذا صار اسمه (أبي بكر الصديق) وكل هذا في زمن النبي كان صخرة مقلب قمامة !! ثم كيف صلى بالأنبياء قبل أن يعرف الصلاة ! فالصلاة بالأنبياء وفق الروايات كانت قبل عروجه للسماء واستلام الأمر بالصلاة !

فقد استطاع اليهود توجيه تفسير القرآن ليس بما يضلل المسلمين ولكن بما يخدم مشروعهم الصهيوني، فقد وظفوا القرآن نفسه لخدمة مشروعهم الصهيوني! ووظفونا نحن بقرآننا كي نتغنى ليل نهار بمشروعهم ونحن لا نفهم أنه مشروعهم!، برغم أننا لو أعملنا عقولنا في القرآن بعيدا عن مشاريع اليهود وبعيدا عن السلف الصالح، فإننا لا نجد أي أثر لمعجزات مادية في القرآن، بل فقط نجد رفض واضح وصريح جدا.. أما من حيث قوله تعالى:﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، فالإخبار بالانشقاق

جاء إثر الكلام على قرب مجيء الساعة، فالظاهر تجانس الخبرين، وأنهما خبران عن قيام الساعة، فالمعنى المتسق أكثر أنه نبأ عن انشقاق القمر قبل قيام الساعة. فمن عادة القرآن أنه يعبِّر عن علامات الساعة المستقبلية بصيغة الماضي للدلالة على يقين الوقوع، كأنه قد وقع بالفعل، فقال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾.

يقول المراغي: «﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي وسينشق القمر وينفصل بعضه من بعض حين يختل نظام هذا العالم، وتبدل الأرض غير الأرض، ونحو هذا قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾، وكثير غيرهما من الآيات الدالة على الأحداث الكبرى التي تكون حين خراب هذا العالم وقرب قيام الساعة"[1] ويقول سيد قطب: «القول بأن انشقاق القمر كان استجابة لطلب المشركين آية – أي خارقة – يبدو بعيدا عن مفهوم النصوص القرآنية وعن اتجاه هذه الرسالة الأخيرة إلى مخاطبة القلب البشري بالقرآن وحده وما فيه من إعجاز ظاهر"[2].

أما عن معجزات الرسول في السِيَر النبوية فحدث ولا حرج؛ فقد خاضت وتبحرت كتب السِير في إنساب معجزات حسية للنبي (كرامات له ومجاملة)، وظل عدد هذه الخوارق يزداد كلما بعدنا عن زمن النبي.

ففي القرن الثالث، نجد معجزات النبي في (سيرة ابن هشام) 10 معجزات !

ثم جاء القرن الخامس، فوصلت عند الماوردي في (أعلام النبوة) أربعين معجزة !

ثم في القرن السادس، وصلت عند القاضي عياض في (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) 120 معجزة !

ثم القرن الحادي عشر ادَّعى الحلبي في (السيرة الحلبية) أنها وصلت إلى ثلاثة آلاف معجزة[3] !

والقاضي عياض الذي روى عددا ضخما من معجزات النبي يقول: «كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا، ولا لطاعن في معجزاته، بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته، المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له، ومنماة لأعمالهم، وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم"[1].

---

[1] ـ تفسير المراغي، ج27 ص76

[2] ـ في ظلال القرآن، ج27 ص3426 لم ينكر سيد قطب انشقاق القمر تماما، بل استبعد أن يكون معجزة.

[3] ـ المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ص31 – 93

وتعليقا على ذلك يقول القرضاوي: «بعض المؤلفين لا يُعنى بصحة ما يروي من هذه الأمور، على أساس أنها لا يترتب عليها حكم شرعي، من تحليل أو تحريم أو غير ذلك. ولهذا إذا رووا في الحلال والحرام تشددوا في الأسانيد، ونقدوا الرواة، ومحصوا المرويات. وأما إذا رووا في الفضائل والترغيب والترهيب، ومثلها المعجزات ونحوها، تساهلوا وتسامحوا" [2].

وفي رأينا أننا لا نتهم السلف الصالح ولا الصحابة باختلاق هذه الروايات والمعجزات الخرافية، لأننا مهما اختلفنا معهم ورفضنا تصرفاتهم وسلوكياتهم وطريقة تفكيرهم باعتبار انتمائهم لمجتمع بدوي بري وليس شعب مدني، لكن لا مصلحة لهم في اختراع معجزات وإنسابها للنبي، هم فقط أو بعضهم كان يخترع أسباب ومبررات شرعية لسلوكه الخاطئ، أو ربما يخالف القرآن والسنة دون احتياط، أما مسألة اختراع معجزات مادية بهذا الكم الرهيب عبر القرون فلا يمكن إلصاقه بالسلف، بل إننا نستحي القول بأن اليهود هم الذين صاغوا لنا التراث الإسلامي كاملا ودسوه لنا في مكتباتنا، فجعلونا نفكر بالوجهة التي يريدونها ويوجهون عقولنا عن بعد كيفما شاءوا، لأن العرب في الأصل ليسو أمة علم وتدوين، وإنما التدوين كان صنعة اليهود منذ بداية النبوة فيهم، وكانوا هم العشيرة الوحيدة وسط العشائر العربية والآرامية التي اهتمت بالتدوين، ولهذا سبقوا إخوانهم العرب فضبطوا لهم طريقة التدوين وعلموهم كيف يدونوا، لكن هذه الخدمة لم تكن مجانية أبدا من اليهود، بل كانت توظيفا كاملا للعقل العربي لخدمة العقل الصهيوني !! وهذا تؤكده القراءة المتأنية لأول سيرة تم تدوينها للنبي محمد، (سيرة ابن إسحاق) حيث استخدمت مصطلح (غزوة) في كل المواضع وكل المعارك التي دخلها النبي، برغم أنها جميعها كانت دفاعية وفي حدود الدفاع الشرعي عن حق الوجود، بينما كلمة غزوة تعني (حرب هجومية) لكنهم جعلوا كل المعارك غزوات، حتى معركة الخندق التي لم يخرج فيها النبي من مدينته وحفر خندق واعتصم به لصد هجوم قريش أسموها (غزوة الخندق) فهل يصدق أحدنا أن هذه الصياغة التاريخية جاءت بالفطرة من عقل مسلم ! ثم عاد الفقهاء ليقولوا بأن كلمة "غزو" في بعض الأحيان استخدمها العرب بمعنى (تحرك)، فقيل (غزا الصحراء ليلا) أي تحرك ليلا في الصحراء، لكن هل أن ذلك يبرر تسمية (غزوة الخندق)! فالنبي لم يتحرك حتى،

---

[1] ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج1 ص482

[2] ـ د. يوسف القرضاوي ـ مقال بعنوان" المعجزات النبوية بين الغلاة والمقصرين" – منشور على موقع القرضاوي بتاريخ 3/4/2006م رابط الموضوع: https://goo.gl/JnwFnv

إنما تحصن داخل المدينة واعتصم بالخندق، فهل بقي لدينا شك في أن صياغة التراث الإسلامي ليست بريئة !!

نحن ما زلنا نستحي القول بأن اليهود هم من فكروا وخططوا ونفذوا لصياغة (التراث الإسلامي) على يدهم، لأن ذلك معناه مباشرة أن السلف الصالح ما كانوا إلا قطيع من النعاج قادهم اليهود خلف حمار واحد، ونحن نستحي الاعتراف بذلك لأن ذلك فيه تجريح لأئمة المسلمين وعلمائهم والسلف الصالح، ولهذا نتهاون عنه حتى ولو كان تجريحا مباشرا للنبي ذاته وطعنا مباشرا في الإسلام بالكلية، لكن ما يدرينا أن أئمة المسلمين هم من دونوا هذه الكتب بيدهم ! فلا يوجد للبخاري ولا الشافعي ولا ابن حنبل ولا غيره مخطوطة واحدة بخط يده! فاليهود قاموا بصياغة التراث الإسلامي ووضعوا عليه توقيعات كبار العلماء وأسماء لامعة مثلما فعلوا في الجبتانا بالضبط، لكن هذا التساهل من الفقهاء كان في غير محله إطلاقا، لأن ادعاء خرق نواميس طبيعية وثوابت كونية ليس بالأمر الهين الذي نتساهل فيه، فكيف نصدِّق رواية من واحد أو اثنين أن الحيوانات تخاطب البشر، والماء يزيد من العدم، والأموات يعودون للحياة، وأن الرسول يطير عبر الأثير ؟! ألم يقل أنه بشرٌ مثلنا ؟! ألم يرفض الله منحه معجزات خارقة للطبيعة ؟! ألم يقل الله أن المعجزات تأتي تخويفا للطغاة ؟! فكيف تحولت وأصبحت مجاملة للنبي !

فكثرة الخوارق المنسوبة للنبي تصور لنا أنه كلما واجه مشكلة، أوقف نواميس الكون وغيَّر الطبيعة! لذلك تترك هذه الروايات تأثيرًا خرافيًا وهميًا متواكلًا، وهو ما يهدم التأثير المنطقي العملي الواقعي، الذي يبنيه القرآن وتقره السيرة الثابتة.. وفي الواقع لم تظهر هذه الروايات الخرافية إلا مع عطب العقل العربي وتوقفه عن العمل الموزون. وهذا التساهل فتح الباب لكل مدَّعٍ أن ينسب للنبي أنه تحاور مع حمار لم يركبه إلا الأنبياء! وأن بصاق النبي يتحول لماء يُشرب أو عطر يفوح! وأن للنبي قوة جنسية خارقة! إلى آخر هذا السفه المهين للرسول والرسالة. بينما الحقيقة أن الله لم يرسل معجزة مادية دالة على نبوة محمد إطلاقا، ومعجزة الإسلام الوحيدة الكافية: القرآن، وهو معجزة عقلية فكرية، معجز ببيانه ومضمونه. فيقول تعالى: ﴿أوَلمْ يَكفهِمْ أنا أنزلنا عليْكَ الكِتَاب يُتلى عليْهِمْ إنَ فِي ذلِكَ لرَحْمَة وذِكرَى لِقوْمٍ يُؤْمِنُون﴾ [1]

---

[1] ـ من مقال للكاتب المحترم: خالد أباظة بعنوان " حقيقة معجزات الرسول" ، قمنا بتلخيصه ونقل مضمونه، وهو منشور بتاريخ 23 فبراير 2018 م على موقع ساسة بوست، على الرابط التالي:

والآن علينا قراءة الآيات الكريمة مرة أخرى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿1﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴿2﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿3﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿4﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴿5﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴿6﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾7/الإسراء

فهذه الآيات الكريمات تؤكد عدم حدوث الإسراء والمعراج للنبي الكريم محمد ﷺ، ولكن الإسراء كان للنبي موسى عندما ارتحل من الكعبة إلى المسجد الأقصى وهو مصلى النبي إبراهيم وهو ليس في فلسطين، إنما هو في المكان الذي بارك الله فيه في الوادي المقدس طوى على مسافة 25 كلم من البيت الحرام، حيث كان يقيم إبراهيم (ع) (قرب مسجد العمرة أو مسجد التنعيم) وهو ذات النطاق الذي تجلى فيه الله وكلم نبيه موسى (ع)، وهو ذات المكان الذي اهتم به النبي محمد ﷺ وأنشأ فيه المسجد الأقصى(مسجد العدوة القصوى أو مسجد الجعرانة)

فسورة الإسراء هي في الأصل سورة بني إسرائيل التي تتحدث آياتها في البداية عن تاريخ نبوة موسى وبني إسرائيل في أول 8 آيات بصورة مختصرة، ودون فاصل بين الآية الأولى وسائر الآيات، فعندما قضى موسى الأجل في المسجد الجرام (ثماني حجج) ارتحل (سيرا على الأقدام)، وخلال سيره في الطريق من مكة إلى المسجد الأقصى حدث له أن شاهد النار (النور)، ونتدبر هذه الآيات من سورة النمل:

https://www.sasapost.com/opinion/what-is-the-truth-of-the-miracles-of-the-prophet،

- ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿7﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿8﴾ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿9﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴿10﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿11﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿12﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾13/النمل

فنلاحظ في هذه الآيات أن الله قال لموسى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين، فالآية توضح محل المباركة ومحل التسبيح..((ومحل التسبيح هذا الذي دفع الفقهاء سابقا إلى الابتعاد عن فكرة الإسراء الروحي (رؤيا في المنام فقالوا أنها لا تستحق التسبيح وإنما شيء معتاد)) وأول ثماني آيات من سورة الإسراء تؤكد هذا الكلام، حيث قال تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾..

فبداية السورة تقول سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ثم تتواصل الآية مباشرة بالآية التي تليها بقول وأتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل، أي أن المقصود في هذه السورة هو النبي موسى، وعبارة لنريه من آياتنا تعني العصا التي تتحول إلى حية ويده البيضاء في تسع آيات إلى فرعون وقومه..

ولنعيد قراءة الآيات والتفكر فيها ثم نتساءل إذا كان المقصود بكلمة (عبده) أنه النبي محمد بعينه، فما الدليل على ذلك؟! فكل أنبياء الله سواء بشأن كلمة (عبده) وهي لا تدل على نبي بعينه دون آخر، إنما سياق الآيات هو الذي يحدد من النبي المقصود بهذه الكلمة، لأنها بمفردها ليست علم، وإنما كلمة نكرة مفردة حتى وإن اتصل بها ضمير فلا يفيد في التعريف بشخص إلا الشخص المذكور في أقرب آية سابقة أو لاحقة، والمذكور هنا هو موسى وليس محمد عليهما السلام.

ونتساءل أيضا، إذا كان هناك رحلة أسطورية على ظهر الحصان البابلي المجنح كما قال المفسرون أنه الحصان الذي حمل كل الأنبياء المرسلين قبله، ألم يرفض الله تعالى إمداد محمد بمعجزة مادية حسية ؟! فهل يرجع في كلامه (حاشا لله) ويصنع له معجزة خارقة لقوانين الطبيعية، وفي السر ! ثم يطلب من الناس تصديقه ! أو تكون فتنة للناس !

وإذا عدنا للآية: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد...﴾، سنجد العجب العجاب في تفسير هذه الآية، ففي تفسير الطبري [1] : وأما قوله: ﴿من المسجد الحرام﴾ فإنه اختلف فيه وفي معناه، فقال بعضهم: يعني من الحرم، وقال: الحرم كله مسجد. وقال: وقد ذكر لنا أن النبي كان ليلة أسري به إلى المسجد الأقصى كان نائما في بيت أم هانئ ابنة أبي طالب. ذكر من قال ذلك: 16616 ـ حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن السائب، عن أبي صالح بن باذام عن أم هانئ بنت أبي طالب، في مسرى النبي صلى الله عليه وسلم، أنها كانت تقول: ما أسري برسول الله إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر، أهبنا رسول الله، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال:" يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت لهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس [2] فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين "وقال آخرون: بل أسري به من المسجد، وفيه كان حين أسري به.

ذكر من قال ذلك: 16617ـحدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر بن عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، وهو رجل من قومه قال: قال نبي الله:" بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلا يقول، أحد الثلاثة، فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا "قال قتادة: قلت: ما يعني به ؟ قال: إلى أسفل بطنه؛ قال:" فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيمانا وحكمة، ثم أتيت بدابة أبيض " وفي رواية أخرى:"بدابة بيضاء يقال له البراق، فوق الحمار ودون البغل، يقع خطوه

---

[1] ـ موقع تفسير القرآن الكريم على الرابط التالي: http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura17-aya1.html

[2] ـ لاحظ الخرق اليهودي باستخدام مسمى" وبيت المقدس"، القرآن يتحدث عن الإسراء إلى المسجد الأقصى، في الرواية تتحدث عن إسراء إلى بيت مقدس !

منتهى طرفه، فحملت عليه، ثم انطلقنا حتى أتينا إلى بيت المقدس [1] فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إماما [2]، ثم عرج بي إلى السماء الدنيا [3].

16618 ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: ثني عمرو بن عبد الرحمن، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بينما أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئا، فعدت لمضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئا، فعدت لمضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلست، فأخذ بعضدي فقمت معه، فخرج بي إلى باب المسجد، فإذا دابة بيضاء بين الحمار والبغل، له في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه ثم خرج معي، لا يفوتني ولا أفوته" [4].

ـ16619 حدثنا الربيع بن سليمان، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنسا يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ قالا أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه ـ والنبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه، ولا ينام قلبه. وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم [5] ـ فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرائيل (ع)، فشق ما بين نحره إلى لبته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم حتى أنقى جوفه، ثم أتي

---

[1] ـ لاحظ هنا أيضا : الخرق اليهودي باستخدام مسمى" بيت المقدس"، القرآن يتحدث عن الإسراء إلى المسجد الأقصى، والرواية تتحدث عن إسراء إلى بيت مقدس !

[2] ـ لاحظ هنا: لم يذكر الله تعالى إحياء الأموات قبل القيامة والنفخ في السور !

[3] ـ هذه القصة على ما يبدو أنها من وحي خيال العرب كما يبين منها دون حاجة لفحصها، فقد ربطت خرافة شق الصدر مع خرافة البراق مع خرافة المعراج مع (بيت المقدس) وليس المسجد الأقصى، برغم أنه كان من الأولى – لو كانت الرواية صحيحة- أن تذكر ذات اللفظ والمسمى الذي ذكره القرآن وليس اسما آخر من خارجه

[4] ـ لاحظ التعامل من جبريل –وفقا للراوي- مع النبي جاء بقمة الاستهانة والاستهتار، فالنبي محمد هو خير الأنام وهو من بعثه الله بالوحي، فهل نتوقع أن يأتي جبريل ليهمزه بقدمه مرة ، وثانية، وثالثة ! إلا إذا كان مؤلف الرواية يهودي وحاول الحط من شأن النبي ! ثم لماذا دابة بيضاء بين الحمار والبغل ! ولماذا لا تكون حمار أو بغل أو حصان ! ذلك فقط لأن الأسطورة البابلية كانت دائما تصور هذا الكائن هكذا في شكل حصان مجنح لكنه صغير ، وانتقلت الرواية من الثقافة البابلية إلى التوراة بذات تفاصيلها .

[5] ـ هنا يبدو اجتهاد المؤلف واضحا، إذ أن كل البشر تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، وليس الأنبياء إلا بشر..

بطست من ذهب فيه تور محشو إيمانا وحكمة، فحشا به جوفه وصدره ولغاديده [1] ، ثم أطبقه ثم ركب البراق، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس [2] فصلى فيه بالنبيين والمرسلين إماما، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء .. [3]

وأما في المتون والمسانيد:

ـ3612 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ وَحَسَنٌ قَالاَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ـ قَالَ حَسَنٌ أَبُو زَيْدٍ ـ قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ قَالَ حَدَّثَنَا هِلاَلٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أُسْرِىَ بِالنَّبِىِّ ـصلى الله عليه وسلمـ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ [4] ثُمَّ جَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ وَبِعَلاَمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ [5] وَبِعِيرِهِمْ فَقَالَ نَاسٌ ـ قَالَ حَسَنٌ ـ نَحْنُ نُصَدِّقُ مُحَمَّدًا بِمَا يَقُولُ فَارْتَدُّوا كُفَّارًا فَضَرَبَ اللَّهُ أَعْنَاقَهُمْ مَعَ أَبِى جَهْلٍ. وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ هَاتُوا تَمْرًا وَزُبْدًا فَتَزَقَّمُوا. وَرَأَى الدَّجَّالَ فِى صُورَتِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ لَيْسَ رُؤْيَا مَنَامٍ وَعِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَسُئِلَ النَّبِىُّ عَنِ الدَّجَّالِ فَقَالَ « أَقْمَرُ هِجَانٌ ». قَالَ حَسَنٌ قَالَ « رَأَيْتُهُ فَيْلَمَانِيًّا أَقْمَرَ هِجَانًا إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ كَأَنَّ شَعْرَ رَأْسِهِ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ وَرَأَيْتُ عِيسَى شَابًّا أَبْيَضَ جَعْدَ الرَّأْسِ حَدِيدَ الْبَصَرِ مُبَطَّنَ الْخَلْقِ وَرَأَيْتُ مُوسَى أَسْحَمَ آدَمَ كَثِيرَ الشَّعْرِ ـ قَالَ حَسَنٌ الشَّعَرَةِ ـ شَدِيدَ الْخَلْقِ وَنَظَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَلاَ أَنْظُرُ إِلَى إِرْبٍ مِنْ آرَابِهِ إِلاَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِ مِنِّى كَأَنَّهُ صَاحِبُكُمْ فَقَالَ جِبْرِيلُ (ع) سَلِّمْ عَلَى مَالِكٍ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ » . [6]

---

[1] ـ هذه الخرافة وردت مرات عديدة ، وأول مرة رويت حينما كان النبي طفلا صغيرا، جاءت برواية مالك، وهي خرافة مفروغ من أمرها، لأن الله أوضح رفضه وإنكاره للمعجزات المادية التي لا يقبلها العقل المفكر، لكن علماء الإسلام يحاولون فقط استبعادها ((لضعف سندها))!! وبرغم ذلك جاءت قرينة بأسطورة الإسراء والمعراج كنوع من الزينة والديكور لأنها ترمز إلى تصفية وتطهير قلب النبي مما يعلق بقلوب البشر العاديين !!

[2] ـ لاحظ هنا أيضا الرواية المكذوبة تذكر " بيت المقدس" وهو المسمى اليهودي ، ولا تذكر " المسجد الأقصى " الوارد في القرآن.

[3] ـ قصة خرافية من ثلاث محاور (فتح الصدر – الإسراء على البراق – العروج) وكله وهم وخيال ... ثم أين هم الأنبياء والرسل الذين صلى بهم ؟ هل أخبرنا الله أنه أعاد إحياء الأنبياء والرسل من مراقدهم ؟

[4] ـــ لاحظ الرواية تقوم على إسراء النبي محمد إلى " بيت المقدس" بينما كان الإسراء الحقيقي بالنبي موسى إلى "المسجد الأقصى"

5 ـــ لاحظ كل الروايات تقوم بإسراء النبي محمد إلى " بيت المقدس" بينما كان الإسراء الحقيقي بالنبي موسى إلى "المسجد الأقصى" وهذا ما يؤكد الصنعة اليهودية، لأن بيت المقدس هو اصطلاح توراتي وليس إسلامي.

[6] ـ تحفة 6237 معتلى 3768 مجمع 1/66مسند أحمد

ـ 555 أتِيت بالبُراق وهو دابة أبيض طويل يضع حافِره عند منتهى طرفِهِ فلم نزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس [1] ففتح لي أبواب السماء ورأيت الجنة والنار " [2]

ونلاحظ هنا في جميع الروايات التي تتحدث عن الإسراء إلى الشام تذكر مسمى" بيت المقدس" وليس المسجد الأقصى، لأنه لم يكن هناك مسجد أقصى معروف في الذاكرة الشعبية بالشام، إنما كان الشائع إلى حدٍ ما استخدام اليهود لمسمى "بيت المقدس" بالشام، فلو تحدثوا بهذا مع عامة الناس قد يستوعب الناس الكلام، إنما مسمى "المسجد الأقصى" فلم يكن له أي ذكر بالشام، فلو استخدمه اليهود في الرواية لتساءل الناس باستغراب، ولهذا وجدنا القرآن يستخدم "المسجد الأقصى" بينما كل الروايات تستخدم "بيت المقدس" ما يعني أن الإسراء الحقيقي كان بالنبي موسى إلى المسجد الأقصى المكي، بينما الإسراء الوهمي جاء بالنبي محمد إلى بيت المقدس، وفيما بعد، حينما جاء صلاح الدين واسترد فلسطين من الصليبيين وجدد المصلى المرواني ومنحه مسمى" المسجد الأقصى" استقرت بذلك خرافة الإسراء والمعراج على الوجهين وصار كلاهما مقبولا، ليس في نظر العامة، وإنما في نظر الفقهاء والعلماء العظماء أيضا !

أما الأخطر على الإطلاق فكان صحيح البخاري الذي أفرد صفحات كاملة (ليس لمعجزة الإسراء) إنما لمعجزة المعراج ذاتها، ونحيل القارئ العزيز إلى: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم: (3674) حيث نجد تفاصيل مذهلة عن السماء لم نرها في معراج مانيتون السمنودي من قبل، ولا في المعراج البابلي، ولا المعراج اليهودي، ولا المعراج الزرادشتي أيضا .. فقد نجح اليهود في التسلل إلى عمق العقل العربي ـ ليس اختراق البخاري ـ وإنما صياغة بخاري بنكهة يهودية، وصياغة شافعي بنكهة يهودية، وصياغة مالكي بنكهة يهودية، وصياغة عقولنا بالكامل ووعينا الديني والوطني بنكهة يهودية!

ونتساءل؛ أليس غريبا أن تكون رحلة المعراج النبوي هذه مشابهة تماما لرحلة معراج مانيتون السمنودي قبل النبي محمد بألف عام ؟! فهذا ما يتناوله كتاب الجبتانا الذي اطلعنا عليه في الفصول

---

1 ـ لاحظ كل الروايات تقوم بإسراء النبي محمد إلى " بيت المقدس" بينما كان الإسراء الحقيقي بالنبي موسى إلى "المسجد الأقصى" وهذا ما يؤكد الصنعة اليهودية، لأن بيت المقدس هو اصطلاح توراتي وليس إسلامي.

2 ــ أحمد ، وابن أبى عمر ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والحاكم ، والضياء عن حذيفة ، قال المناوى : بإسناد حسن

السابقة تحت عنوان «الجبتانا.. أسفار التكوين الجبتية» [1] لمانيتون السمنودي، ويتضمن 16 سفرا تناقلها الجبتيون القدماء لفترة طويلة، حتى وصلت إلى عصر الدولة البطلمية ليدونها الكاهن مانيتون في حكم بطليموس الثاني، وبحسب مانيتون فإنه كتب الجبتانا بتكليف من رب الأرباب «رع» بعد رؤية رآها وهو نائم في معبد الإسكندرية بالقرب من عمود السواري، حيث شاهد فيها نفسه وقد صعد خلالها إلى السماء راكبا « جبار»، (حصان مجنح مثل الذي ركبه كل الأنبياء قبله وحتى زرادشت ! وهو كائن يشبه الحصان وله أجنحة ذهبية حيث وصل إلى الشجرة، والتى لا يتخطاها أحد إلا واحترق إلا أن مانيتون سُمح له بالاختراق لمقابله رب الأرباب " رع " !

ونتساءل أيضا ؛ لماذا هذه الرحلة الخرافية عبر الأثير؟! هل ليصعد النبي محمد إلى السماء ؟ فلماذا لا يصعد من فوق المسجد الحرام، كما صعد زرادشت من صومعته أو كما صعد مانيتون من معبد الإسكندرية ؟! لمذا اضطر النبي محمد إلى القفز في رحلة برية لمحطة في فلسطين أولا ولم يصعد من الكعبة! أليست هي معبده وبيت الله الوحيد على هذه الأرض ؟! أم أنه ذهب إلى هناك كي يصلي بالأنبياء ثم يرجع بسرعة البرق ! ولماذا لا يأتي أنبياء الله للصلاة في البيت الحرام ؟! هل أن كعبة اليهود أفضل من بيت الله الحرام ؟! أم أن واجبات الضيافة في فلسطين كانت أكرم ! وهل بعث الله الأنبياء قبل يوم القيامة كي يصلوا مع النبي على مقلب القمامة الذي كان هناك ؟! وهل كل ذلك تم إدراجه تحت كلمة (عبده) التي لا تحدد شخص معين وما إذا كان موسى أو عيسى أو محمد إلا بقراءة باقي الآيات التي تتحدث عن موسى دون غيره! وهل يمكن اختراع كل هذه الأسطورة بناءً على (ضمير غائب) ورد في كلمة ؟!

وهل كان هناك مسجد أقصى في فلسطين قبل أن يدخلها أي مسلم ؟! فسكانها كانوا مسيحيين والمدينة كان اسمها إيلياء وليس بها إلا كنائس، فمن الذي بنى هذا الهيكل وأطلق عليه مسمى (المسجد الأقصى)؟ ولماذا لم يصل عمر بن الخطاب في ذلك المسجد عندما فتحوا بيت المقدس (إيلياء) عام 17 هجرية، وإنما صلى في فناء (أرض خالية بني عليها المصلى العمري فيما بعد) لأنه لم يكن يريد أن يصلي في كنيسة لكي لا يتخذوها المسلمين مسجدا، ثم أنه قبل الإسلام لم

[1] ـ كتاب: «الجبتانا.. أسفار التكوين الجبتية» ـ المحقق الأستاذ علي الألفي.

رابط الجزء الأول: https://drive.google.com/file/d/0ByCpzJUSkBzsZmNNRGZiLXdkbVE/view

رابط الجزء الثاني: https://drive.google.com/file/d/0ByCpzJUSkBzsWHlhS2x5Y3cxUHc/view

يكن هناك مسجد في فلسطين فمسجد قباء هو أول مسجد في الإسلام وهناك مسجدين فقط قبل الإسلام هما المسجد الحرام (الكعبة) و مصلى النبي إبراهيم بالقرب من جبل النبي إبراهيم (المسجد الأقصى) لأنه يحتل موقع قصي بالنسبة للكعبة. فالتفكر في قصة الإسراء والمعراج والتأمل بالموجودات سوف تكشف الكثير من الأدلة التي تدل على عدم صحة القصة، ثم لماذا لم تحصل إسرائيل على آثار لها في فلسطين لأن موطنها لم يكن في فلسطين، وإنما في جنوب غرب شبة الجزيرة العربية، حيث تقع أورشليم ومصرايم فرعون.

فاليهود هم من يدعون أن سليمان بني الهيكل في مدينة إيلياء، بينما مقر مملكة سليمان كان في جنوب الجزيرة العربية، ولم يكن في فلسطين بأي حال، وخلال عصر النبي محمد لم يكن هناك في فلسطين أي دور عبادة سوى كنيسة القيامة التي شيدتها الملكة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين عام 325 ميلادية، وكان اليهود يحلمون بإنشاء دولة لهم في فلسطين وظهر منهم شغب سياسي في بعض الأوقات وكان الحكام الرومان يقمعونهم في كل مرة نظرا لخبثهم الشديد، وبعد الثورة الأخيرة لهم قام سكان المدينة بطردهم منها وتحولت الصخرة التي كان اليهود يقدسونها حولها المسيحيون مقلبا عموميا للقمامة، ولما دخل المدينة عمر ابن الخطاب أزاح القمامة عن الصخرة لما دله عليها كعب الأحبار.

وهنا لا بد أن يتساءل القارئ، ما مصلحة اليهود في التنازل عن (معجزة الإسراء بالنبي موسى وجعلها رحلة أسطورية للنبي محمد من شأنها أن تعظمه أكثر) ؟! والجواب: أن اليهود أصلا لا يشغلهم دين ولا عقيدة ولا معجزات ولا أنبياء، إنما يشغلهم استخدام دينهم كأداة سياسية لاحتلال أوطان الشعوب، فهم يدعون أن النبي محمد أسري به إلى المسجد الأقصى، ويقولون أنه بيت المقدس(بيت المقدس الحقيقي وفقا للتوراة الأصلية هو الكعبة المشرفة) لكن اليهود يحاولون جعل بيت مقدس بديل في فلسطين أعظم درجة من الكعبة ولهذا إذا أراد نبي الإسلام السفر إلى السماء، فلا سبيل أمامه إلا السفر من بيت مقدس اليهود ! وكأنه عرش الله في الأرض كما قالوا ! وبذلك جعلوا منطقة إيلياء مقدسة وفقا للتوراة والإسلام، ولم يعد هناك أحد بإمكانه إنكار أحقية اليهود في الهيكل إلا أن ينكر معجزة نبي الإسلام محمد الذي (من المفترض) أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى! فأصبح البرنامج السياسي لليهود عقيدة دينية مقدسة لدى المسلمين

أنفسهم ! فقد نجح اليهود في جعل أهدافهم السياسية مقدسات دينية لدى المسلمين السذج البلهاء !، اليهود جعلوا المسلمين يطوفون حول البرنامج السياسي لليهود !

أما " المشكلة هي أن خداع الناس أسهل من إقناعهم أنهم خدعوا " [1]

صار إقناع الناس بأنهم خدعوا أزمة كبرى، ليس لطول المسافة الزمنية التي استمر فيها الخداع، وإنما لأن الخداع أصبح دينا لنا، فصار تفكيك الخداع قرينا بالتفكير في الكفر والإلحاد ! ففي عصرنا الحالي يعتقد أغلبية المسلمين بأن المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن هو المسجد الموجود بفلسطين حاليا.. وهذا خطأ.. أما الحقيقة فهو مسجد الجعرانة الواقع في الوادي المقدس طوى. ويعتقد أغلبية المسلمين بأن بيت المقدس هو المسجد المسمى بالأقصى الواقع في فلسطين، بينما بيت المقدس هو الكعبة المشرفة ذاتها. ويعتقد الكثير من المسلمين بأن النبي الذي أسري به ليلاً هو النبي محمد بينما الحقيقة أن النبي الذي أسري به هو موسى (ع). ولم يكن الإسراء من البيت الحرام إلى فلسطين، بل من البيت الحرام بمكة إلى الوادي المقدس طوى. ولكن اليهود جعلوا صخرة نكرة في فلسطين، جعلوها بدلا عن بيت الله الحرام، وجعلوا الوادي المقدس طوى الذي تم إليه الإسراء، جعلوه هو بيت المقدس (الصخرة) أيضا ثم جعلوا جبل الطور الواقع على حافة وادي طوى، جعلوه في شبه جزيرة سيناء الجبتية، وجعلوا مصرايم فرعون في إيجبت، وغيروا الخريطة الجغرافية والدينية في جميع أرجاء المنطقة !

فاليهود دمجوا عدة كيانات في كيان واحد، فقالوا أن المسجد الأقصى وبيت المقدس هو القدس وهو أورشليم على جبل صيّون ـ صهيون .. بينما الحقيقة أن بيت المقدس هو الكعبة المشرفة، والقدس هو جبل سكنه اليهود باليمن، وأورشليم هي مدينة جبلية احتلها اليهود من عشيرة اليبوسيين باليمن وبها حصن فوق قمة الجبل،

[1] ـ مارك توين ـ كاتب أمريكي

وأما المسجد الأقصى فهو موطن لقاء الله بموسى في سفح جبل الطور بالوادي المقدس طوى.

من الفصام العقلي في العقل العربي أن يؤمن بأن المسجد المرواني الموجود في فلسطين حاليا هو المسجد الأقصى وفي الوقت ذاته ينكر أن يكون سليمان قد بنى هيكل في هذا المكان ! فقدسية المسجد في الإسلام نابعة مما قبله وليس من الإسلام، بل نابعة من قدسية المكان الذي بنا فيه سليمان هيكله وانتقل إليه نبي الإسلام في رحلة الإسراء!، فكيف نعترف بقدسية المكان وننكر الهيكل؟ فإذا أنكرنا وجود الهيكل فلا معنى للقدسية ولا وجود لها.

إن أصل الحكاية لم يبدأ من الإسراء باعتبارها معجزة ترتكز على انتقال النبي من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى على ظهر حصان مانيتون المجنح، بل إن أصل الأسطورة هو أسطورة المعراج التي نجدها في كل الحضارات القديمة الميثولوجيا القديمة، نجدها عند زرادشت أنه صعد إلى السماء السابعة وخاطب الإله، ونجدها عند الجبتيين القدماء كذلك في مدونة مانيتون، ونجدها عند اليهود كذلك، ونجدها عند البابليين أكثر قداسة وعراقة، ونجدها أيضا في التراث الإسلامي، لكن لم تنتقل بوصفها إسرائيليات يهودية أو بالطريق العادي، وإنما تم غرسها بعناية شديدة على سيقان وأعمدة حقيقية هي النص القرآني ذاته ! أسطورة أخرى هي أسطورة الإسراء من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى على ظهر براق ! (برغم أن الإسلام ليس فيه معجزات مادية إطلاقا) لكن اليهود نجحوا في إقناع العرب الجهلاء بأن نبيهم كان في حاجة إلى معجزة مادية كي تثبت قلبه، وأن الإسراء لم يكن معجزة لكل البشر بل كان خاص بالنبي محمد كي تبدأ بعد ذلك رحلة المعراج إلى السماء السابعة وهي الأسطورة الأوسع انتشارا في الميثولوجيا القديمة...

والفرق أن النبي (في كل حضارة) كان هو الوحيد المسموح له بتجاوز الشجرة إلى عرش الإله، لكن عند مانيتون كان الإله "رع" وكانت الشجرة (الجميزة) لأن شجر الجميز ينمو في إيجبت بكثافة، وهكذا تم تستيف البرديات بتوقيع وبصمة خاتم مانيتون وحكاية ظريفة على لسانه، بينما في التراث الإسلامي كان الإله هو " الله" وأما الشجرة فكانت شجرة "السدر" كونها تنمو في الجزيرة العربية بكثافة، ويبقى الحصان المجنح ذا الجنسية البابلية في كافة الأحوال، حيث جاء به إبراهيم (ع) من هناك ليركبه في كل مرة يزور ابنه إسماعيل عند الكعبة، واستمرت سلالة هذا الحصان في التناسل في المنطقة ... والغريب أن أغلبية فقهاء الإسلام لا يعترفون بأسطورة المعراج

كونها لم يرد بها ذكر في القرآن، فهل ورد ذكر عن الإسراء ؟! يقولون نعم ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾، ونقول لهم أين المسجد الأقصى ؟ يقولون بالشام كما قال كعب لأنه لا أحد من المسلمين شهد هذا الإسراء ! ثم إذا سألنا عن النبي الذي حدث له الإسراء يقولون كلمة (عبده) التي وردت في الآية !! وإذا سألنا عن تحديد هوية (عبده) يقولون لا شك أنه يقصد محمد، فكيف كان يقصد محمد وسياق الآيات بالكامل يتحدث عن موسى !![1].

ثم ماذا كانت فائدة هذا السفر الخرافي إلى صخرة اليهود هذه طالما ليس فيها معراج ؟! هل كانت فقط للسياحة عبر الأثير ؟! طالما أنه لم يكن هناك مسجد أقصى ولا هيكل ولا معراج ؟! وحتى ولو كان هناك هيكل سليمان، فلماذا يغادر النبي بيت الله الحرام إلى هيكل سليمان !! وسليمان هذا كان مجرد نبي أما محمد فهو نبي ورسول.. هذا غير أن المعجزات المادية لا تكون إلا للناس غير المؤمنين فهل كان محمد يجحد بعد أن بعثه الله ؟!

أما الغريب فهو أن الحصان المجنح (البراق) اعتاد أن ينقل الأنبياء فقط إلى السماء في رحلات رأسية مكوكية في كل الحضارات، لكن على وجه التفرد يتحول هذا الحصان عن خط سيره السماوي المعتاد ليعمل بين محطتين أرضيتين إحداهما في مكة والأخرى في إيلياء ! ولم يكن محمد ﷺ أول من يركب هذا الحصان، بل استعمله قبل ذلك سيدنا إبراهيم بين ذات المحطتين قبل ذلك، إذ أن اليهود يقولون أن إبراهيم كان موطنه بالشام، وأودع زوجته هاجر وطفلها إسماعيل في مكة بعيدا عنه، ونظرا لأن المسافة تتجاوز 1500 كلم ذهابا ومثلهم إيابا، وهو بحاجة لزيارات متكررة لأسرته الصغيرة في هذا الوادي المقفر، فكان يستقل البراق في كل مرة، كما يقول

[1] ــ للحقيقة لم أكن أول المعترضين على أسطورة الإسراء والمعراج ، وإن كنت منذ البداية أرفض الشق الثاني من الأسطورة الخاص برحلة المعراج كونه وارد في كل الميثولوجيا القديمة عند الذرادشتيين وعند الجبتيون القدماء وغيرهم، فهي خيالات وتصورات روحية تنقلت بين الحضارات الشرقية، وانتقلت على يد اليهود خلال فترة السبي البابلي إلى إيجبت ثم انتقلت إلى الإسلام في القرن السابع ميلادي... ولم أكن أول من أعاد نقل رحلة الإسراء من التراث النبوي المحمدي إلى الشخصية الحقيقية التي أسري بها ليلا وهو نبي الله موسى، إنما لفت نظري لها أحد المدونين الشباب في أحد المنتديات وقمت بتطويرها فقط ومناقشتها من جوانب عدة، بعدما وجدتها الأكثر إقناعا والأكثر انسجاما مع سياق النص القرآني، لأنني كنت مخدوعا بكلام الفقهاء، ودعمتها بالأدلة، خاصة وأن القرآن رفض المعجزات المادية، حتى حينما طلبها العرب من النبي أن تكون لهم آية (معجزة) لكنه رفض صراحة أن يكون الإيمان بالله قائما على معجزة مادية، فالإسلام هو قمة التطور والارتقاء في الفكر الديني وما كان له أن يقوم على خوارق مادية كدعامة له.

اليهود، أي أن وسيلة المواصلات هذه قديمة وكانت مستعملة على عهد إبراهيم (ع)، فاليهود هم الأكثر خبرة في التعامل معها وصيانتها وإدارة محطاتها بعناية، والمشكلة أنه لم يرد بشأن هذا البراق السحري أي ذكر في الإسلام، وعندما تسأل من أين جاء المسلمين باسمه ؟! يقولون استعمله إبراهيم قبل ذلك في سفريات بين مكة والشام !

فمعجزة الإسراء لم تكن معجزة مادية، ولم تكن خاصة بالنبي محمد، وإنما كانت معنوية خاصة ببعثة النبي موسى إذ ألهمه الله بالمسير ليلا إلى البقعة المباركة من الشجرة حيث تجلى له الله وكلفه بالمهمة النبوية، ومعجزة الإسراء هذه هي تلك التي طمسها اليهود وقالوا أنه كان يرعى الغنم وانحرف إلى ما وراء البرية بالصدفة فلفت نظره اشتعال الشجرة وهي لا تحترق.. بينما الله تعالى يقول: " وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا " أي أن الميقات كان معلوم ومحدد..



النهاية

نظرا لأن العرب والعقلية العربية أدبية وليست علمية وليست موضوعية، فيسهل خداعهم وانقيادها لغيرها بسهولة برغم أنهم جبلوا على التمرد.. يسهل خداعهم وإيقاعهم في شر أعمالهم، لأنهم ليست أمة رائدة بالفكر.. ولا يقتصر الأمر على تمكن اليهود من العبث في عقولهم وثقافتهم وقيادتهم فكريا وجعلهم يقدسون مقدسات اليهود من خلال دس الإسرائيليات التاريخية والدينية دون وعي منهم فيساعدون اليهود بذلك على احتلال عقولهم وتسييرها .. وأقرب مثال هو لورنس العرب (كعب الأحبار الثاني عشر) واسمه توماس إدوارد لورنس.

وهو ضابط بريطاني نال شهرة كبيرة وخلد اسمه في التاريخ العربي بسبب مساعدته للقوات العربية خلال الثورة العربية الكبرى عام 1916 ضد الإمبراطورية العثمانية، لأنه أدرك أنها الخطوة الأولى التي ستمكن بلاده من إحكام قبضتها على الدول العربية، وقيام دولة لليهود بفلسطين، وقد صور عن حياته فيلم شهير حمل اسم "لورنس العرب" أنتج عام 1962م من بطولة النجم العالمي عمر الشريف والممثل الإيرلندي بيتر أوتول ..

"لورنس العرب".. أعظم أعمال السينما في القرن العشرين



" بمناسبة مرور قرن كامل على دخول العرب بمساعدة الملازم الإنجليزي لورانس إلى العاصمة السورية دمشق، كما صورها فيلم "لورنس العرب" الذي يروي الأحداث التي دارت في تلك الحقبة الزمنية. ونال الفيلم جائزة أوسكار للتصوير، والذي صورت مشاهده في منطقة الطبيق في الأردن باختيار من المخرج."

بدا لورنس مولعًا بحضارة الشرق منذ البداية حتى أنه اقترح على أستاذه العالم الأثري المعروف "هوغارت" أن يقوم بزيارة لمنطقة الشرق لأنها مشهورة بحضاراتها وحفرياتها، وقام لورنس بالإعداد لرحلته بتعلم بعض قواعد اللغة العربية التي تساعده على التواصل مع العرب، وتقدم لمدير الكلية الياسوعية بجامعة أكسفورد بطلب للاتصال بالسلطات التركية بهدف تزويده بكتاب تاريخي وأثري يُسهل مهمته ..

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى راحت كل من الدول الكبرى: فرنسا وبريطانيا وروسيا وألمانيا تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة والتي منها: توسيع رقعة نفوذها والسيطرة على الأماكن الإستراتيجية وعلى منابع النفط العربي، لذلك أخذت بريطانيا ترسل عملاءها إلى بلاد العرب، فاستدعت القيادة الإنجليزية أصحاب الخبرة في البلاد العربية ومنهم "لورانس" الذي التحق بسلك المخابرات العسكرية، وعندما دخلت تركيا الحرب ضد الإنجليز في أواخر عام 1913 عيّن لورنس مشرفا على شبكة للتجسس كان هو يختار أعضاءها بنفسه، ولكي يقوم بوظيفته تلك على أكمل وجه تمّ إعداده، فنظمت مطالعاته لاسيما فيما يتعلق بالتاريخ الحربي حتى يقال إنه قرأ كل ما له علاقة بالفروسية و بحروب القرون الوسطى، و قرأ حوالي 25 مجلدا خاصا بنابليون بونابرت ..وفي المجمل تم إطعامه بثقافة العرب وتاريخهم كي يتمكن من الاندماج بينهم وقيادتهم في حرب ضد أنفسهم فيما بعد كتكملة لحلقة جديدة من سلسلة كعوب الأحبار التي عنت بقيادة العقل العربي وتغذيته وتسمينه منذ نشأته.

دخل لورنس العرب الجزيرة العربية وبالطبع كان الهدف الأساسي أمامه طرد الأتراك من الجزيرة العربية أولا وهيمنة القوات البريطانية والتمهيد لمشروع الدولة اليهودية الذي صاغه ثيودور هرتزل و وعد به آرثر جيمس بلفور وزير خارجية إنجلترا في سنة 1917 فيما يعرف بوعد بلفور ..وكان منوطا بلورانس قيادة العرب لتنفيذ هذا الوعد !

و بمبادرة من الشريف حسين أمير مكة (بإيعاز من القنصل الإنجليزي) للتحالف مع الأمير فيصل و نوري السعيد بدأت الشرارة الأولى للثورة العربية الكبرى في الحجاز والتي كان من الأحرى تسميتها بالخديعة الكبرى مثل خدعة الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى، أما هذه الخدعة فكانت ثورة مسلحة بدماء العرب أنفسهم! يقوم بها العرب ضد الخلافة العثمانية، وذلك قبل فجر اليوم الثاني من

يونيو 1916م وامتدت الثورة ضد العثمانيين بعد إخراجهم من الحجاز حتى وصلت سوريا العثمانية، و تم إسقاط الخلافة فيها، و في العراق..

اتفق لورنس مع الأمير فيصل على تنفيذ خطة معده مسبقا، تقوم على تنفيذ هجوم من بلدة أريحا في الخامس من مايو 1918 واحتلال مدينة السلط وبلدة معان وتدمير خط السكك الحديدة جنوب عمان، وقد أعد لورنس مع "نوري السعيد" القوات المتأهبة للحرب .. وشهدت هذه الحرب الكثير من المذابح التي يندى لها الجبين والتي راح ضحيتها الكثير من الأطفال والنساء دون أدنى احترام للعهود والمواثيق ..بيد العرب أنفسهم ودون أن يسألوا عمن يقودهم في هذه الحرب! ظنوه متطوعا حبا فيهم كما كان سلفه كعب الأول.

وهكذا نجح لورنس في مهمته التي جاء من أجلها وهي تحريض القبائل العربية و زعمائها ضد الدولة العثمانية لإسقاط سيطرة العثمانيين على فلسطين وإخلاء الساحة لليهود، لأن الدولة العثمانية كانت لا تسمح لليهود بدخول فلسطين إلا بتأشيرات زيارة مؤقتة ومحددة المدة، وكان بعض اليهود يأخذونها ليدخلوا فلسطين ثم يهربوا في الحقول والمزارع، وبالفعل نجحت الثورة وانتهت بإزاحة الستار لليهود وإعطائهم الضوء الأخضر..

عاد لورنس إلى إنجلترا بعد أن أدى مهمته وتمت مكافأته والتحق بعد ذلك تحت اسم مستعار بسلاح الجو الملكي، والواقع أنه عانى كثيرا من الضغط العصبي جراء الحياة الصعبة التي عاشها وخصوصا بعد أن أصبح مطلوبا من العرب بعد انكشاف أنه عميل للمخابرات البريطانية وجاسوس قادهم مثل القطيع لتحقيق وعد بلفور الذي قطعه رئيس حكومته لليهود ..

وصدر له عام 1922 كتاب "أعمدة الحكمة السبعة" (بالإنجليزية Seven Pillars of Wisdom)، وضع فيه لورنس خلاصة تجربته السياسة في إدارة العرب وإشعال الثورة العربية وسقوط الدولة العثمانية، ويدور في مجمله حول تاريخه في الجزيرة العربية ..قدم فيه خبرة كافة لزملاءه في سلاح المخابرات الإنجليزية.

وقضي لورنس بقية حياته في منزله شمال "بوفينجتون"، وفي عام 1935 توفي عن ستة وأربعين عاما بعد سقوطه من دراجته النارية التي كان يقودها بسرعة كبيرة في محيط مدينة أكسفورد

وهو عائد إلى منزله بحادث قيل وقتها أنه كان مُدبرا.. دفن لورانس في مقبرة موريتون بعد تشييعه في جنازة مهيبة حضرها شخصيات سياسية وعسكرية مهمة ورموز للمجتمع البريطاني الأرستقراطي مثل ونستون شرشل، لورد لويد، ليدي آستور، الجنرال وفل، أغسطس جون وغيرهم .. وتم تشييد تمثال نصفي له أمام كاتدرائية القديس بول في لندن ..لكن لم يحضر أحد من العرب جنازته.. فقط شاهدوا الفيلم "لورانس العرب" !



الفهرس

المصادر

(1) كتاب نداء السراة؛ اختطاف جغرافيا الأنبياء... قسم الدراسات والبحوث – جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية ـ الطبعة الأولى 2009 – دار كيون للطباعة والنشر.

(2) ـ الزبيدي، تاج العروس، ج٣

(3)ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

(4) ـ تاريخ الإسلام للذهبي " الطبقة الثانية والأربعون "

(5)ـ د. أحمد داوود في كتابه : العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود ـ

(6)ـكتاب التوراة جاءت من جزيرة العرب – د.كمال الصليبي.

(7) ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ أبو الفرج،

(8) ـ قصص الأنبياء، الحافظ ابن كثير، ج١

(9) ـ ياقوت الحموي في معجم البلدان ج٢

(10) ـ ياقوت الحموي في معجم البلدان ج٣

(11)ـالحموي، معجم البلدان، ج٤

(12) ـ جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج٤

(13) ـ البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، ج١

(14) ـ كتاب أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة؛ مبحث ألفاظ من القرآن والسنة النبوية ـ د. أحمد القشاش. منشور بمجلة الجامعة العربية الإسلامية – العدد 183

(15) ـ دائرة المعارف الكتابية وقاموس الكتاب المقدس وأطلس الكتاب المقدس

(16) ـ كتاب: الذات الجريحة – سليم مطر – المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الطبعة العربية الأولى 1997

(17) ـ معجم معالم الحجاز ـ د.عاتق بن غيث البلادي ـ دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط2ـ 1982 المكتبة العربية الإلكترونية مجانية على شبكة الإنترنت

(18) ـ معجم قبائل العرب

(19) ـ كتاب " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " المؤرخ جواد علي ـ نشر دار العلم للملايين ببيروت طبعة ١٩٧٦م

(20) ـ ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج١

(21) ـ بحث بعنوان " أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة ". الباحث السعودي دكتور أحمد القشاش بالاشتراك مع النادي الأدبي بمنطقة الباحة = الناشر؛ دار الانتشار العربي 2018م

(22)ـ كتاب د. زياد منى " جغرافية التوراة ـــ مصر وبنو إسرائيل في عسير " الناشر: رياض الريس للكتب والنشر

(23) ـ لسان العرب – ابن منظور دار صادر لبنان

(24) ـ الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى – فضل عبد الله الجصام (اليافعي) – منشورات دار علاء الدين

(25)الروض الأنف – السهيلي ـ شرح: الإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي ـتحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمن الوكيل. دار الكتب الإسلامية سنة الطبع: 1967م

(26)ـ الإمام القرافي في كتابه " الأجوبة الفاخرة " الناشر: شركة سعيد رأفت للطباعة 1987

(27)ـ" الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " ابن تيمية في كتابه الناشر: دار العاصمة

(28) ـ كتاب " قصة الحضارة " ويل ديورانت "، الناشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع

(29)ـكتاب " محمد في الأسفار العالمية " عبد الحق فديارتي.

(30) ـ كتاب "مروج الذهب" للمسعودي ـ الجزء الثاني – تحقيق كمال حسن مرعي – المكتبة العصرية

(31) ـ الثعلبي ـ كتاب"عرائس المجالس"

(32) ـ أوروسيوس ـ كتاب تاريخ العالم – تحقيق د عبد الرحمن بدوي

(33) ـ د. أحمد داوود – كتاب العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود

(34) ـ كمال الصليبي، البحث عن يسوع، قراءة جديدة في الأناجيل

(35) ـ حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام ـ دار الزهراء للإعلام العربي

(36) ـ كتاب "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة " ج1 جلال الدين السيوطي ـ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط. الحلبي)

(37) ـ كتاب " ملوك حمير وأقيال اليمن" لمؤلفه نشوان بن سعيد الحميرى اليمني

(38) ـ البيان في لسان زهران ـ المؤلف: على بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني

(39)ـ معجم الحضارات السامية – تأليف هنري س. عبّودي

(40)ـ خالد عكاشة – كتاب " سيناء أرض المقدس والمحرم" .

(41)ـ سامح مقار ناروز ـ كتاب " اللهجة العامية وجذورها الجبتية . على الرابط التالي:

(42) ـ موقع تفسير القرآن:

http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary-qortobi-katheer-baghawy-saadi/sura28-aya30.html

(43)ـ خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل – د. كمال سليمان الصليبي

(44) انظر كتاب الأصنام ، لابن هشام الكلبي ، المحقق: أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية 1995

(45) ـ الترجمات العربية للعهد القديم في موقع الموسوعة العربية المسيحية :

(46) ـ كتاب "جغرافية التوراة ـــ مصر وبنو إسرائيل في عسير " د. زياد منى ـ رياض الريس

(47) ـ موقع تفسير القرآن : تفسير الطبري

(48)ـ عبد الوهاب الكيالي :المطامع الصهيونية التوسعية – منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث – بيروت 1966

(49)ـ القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية

(50)ـ مذكرات الكولونيل (منير تزهاجن) بعنوان (مفكرة الشرق الأوسط 1917ـ1956م) ،

(51)ـ كتاب" العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها: الجزء الثالث" الدكتور أحمد إبراهيم الزغيبي ـ العبيكان للنشر

(52) ـ كتاب "النبات في جبال السراة والحجاز" د. أحمد سعيد القشاش الناشر: السروات

(53) ـ بحث الدكتور أحمد سعيد القشاش بعنوان: "ألفاظ جغرافية من القرآن والسنة النبوية – دراسة في الدلالة الجغرافية والتاريخية" منشور بمجلة الجامعة الإسلامية (الجزء التاسع)

وهذا المبحث هو حلقة من خمسة أبحاث قدمها الدكتور قشاش في كتابه الرائع بعنوان: (أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة).. الكتاب منشور على موقع جمالون

(54) ـ كتاب «سبل الهدى والرشاد» الصالحي : (ط. المجلس الأعلى 1997)

(55) ـ الفخر الرازي في تفسيره ، ط. دار إحياء التراث العربي .

(56) ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع 896 /2

(58) ـ المهذب فيما وقع في"القرآن من المعربـ جلال الدين السيوطي – تحقيق د. التهامي الراجي الهاشمي

(59) ـ انظر تفسير ابن أبي حاتم

(60) ـ الأعلام الأعجمية في القرآن الكريم

(61)ـ ومعجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ـ المؤلف: عاتق بن غيث البلادي دار مكة للنشر والتوزيع

(62) ـ صحيح البخاري، وصحيح مسلم

(64)ـ شرح صحيح البخاري لابن بطال المحقق: ياسر بن إبراهيم ـ إبراهيم الصبيحي

(65)ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (الأزرقي) المؤلف: محمد بن عبد الله الأزرقي ـ المحقق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ـ مكتبة الأسدي 2004

(66) ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع – الأندلسي

(67) ـ انظر أخبار مكة للفاكهي

(68) ـ فقه السيرة –د. محمد سعيد رمضان البوطي ـدار الفكر

(69) ـ الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي، الطبرستاني المولد

(70) ـالمعجم الكبير للطبراني

(71)ـ كتاب : "قراءة عصرية جديدة لأشراط الساعة وأهوال القيامة بالقرآن والكتب السماوية" الباحث هشام كمال عبد الحميد

(72)ـ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢

(73)ـ ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ـ المحقق: عثمان جمعة ضميرية

(74) ـ الهمداني، صفة جزيرة العرب،

(75)ـ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ـ المحقق: إحسان عباس

(76)ـ كتاب: أسرار اللغة العربية ونشأة الحضارة ـ محمد رشيد ناصر ذوق – غير مطبوع

(77)ـ المسالك والممالك لابن خرداذبة

(78) ـ التيجان في ملوك حمير ـ المؤلف: وهب بن منبه

(79) ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – الشريف الإدريسي

(80) ـ صفة جزيرة العرب ـ ياقوت الحموي

(81) ـ المخلاف السليماني في عهد مملكة النبي سليمان (ع)

(82) ـ كتاب: "القدس ليست أورشليم": جبل الهيكل.. حصن روماني) للدكتور فاضل الربيعي

(83) ـ الباحث الفلسطيني أحمد الدبش ، مقال بعنوان : "المثقف «المثقوب»... يوسف زيدان نموذجا ". بتاريخ 7/1/2018 م على موقع صحيفة الموقف

(84) ـ الموسوعة الحرة للمعرفة ،

(85) ـ تاريخ الطبري المجلد الأول

(86) ـ الدكتور فاضل الربيعي في مؤلفه" فلسطين المتخيلة" أرض التوراة في اليمن القديم دار الفكرـ دمشق 2008؛ الصادر في مجلدين وستة أجزاء ضمن 1200 صفحة

(87) ـ فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة أرض التوراة في اليمن القديم ـ المجلد الثاني ـ

(88) – فاضل الربيعي فلسطين المتخيلة أرض التوراة في اليمن القديم : ج1

(89)اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية

(90) ـ تفسير القرآن الكريم – تفسير ابن كثير

(91) ـ تفسير القرآن الكريم – تفسير الطبري

(92)ـ نفس الموقع "تفسير القرآن الكريم"

(93) ـ سليم مطر – الذات الجريحة ـ إشكاليات الهوية في العراق والعالم العربي .

(94) ـ موقع تفسير القرآن – تفسير الطبري

(95) ـ تفسير القرطبي – موقع تفسير القرآن

(96) ـ كتاب: «الجبتانا.. أسفار التكوين الجبتية» ـ المحقق الأستاذ علي الألفي.

المقالات الصحفية

(1)ـ **مقال بعنوان:" باحث سعودي:** 85 **بالمائة من لغة القرآن أصلها سرياني" الباحث السعودي، لؤي الشريف، منشور في موقع مجلة "سبوتنيك عربي"**
بتاريخ 26/1/2017

(2)ـ **حلقات الدكتور فاضل الربيعي بتاريخ** 2/12/2018م

(3) ـ **مقال للأستاذ أحمد سعد؛ رئيس تحرير موقع مجلة " العربي اليوم" بعنوان: التوراة عند أحمد قشاش وكمال الصليبي** (8) **راجع المقال على الرابط التالي:** http://elarabielyoum.com/show246365

(4) ـ **موقع صحيفة المدينة، مقال كتبه (عبد الرحمن أبو رياح) بتاريخ الأربعاء** 08 / 08 / 2018 ، **بعنوان : قشاش: "لهجات "السراة" قبل** 50 **سنة لا تختلف عن لغة التوراة "**

(5)ـ **أ.د. عبد الله بن أحمد الفيفي مقال بعنوان: " البوق التاريخي ! " منشور على موقع ديوان العربي بتاريخ الخميس** ١١ **شباط (فبراير)** ٢٠١٦،

(6) ـ **مقال بعنوان تاريخ وجغرافيا بني إسرائيل في القرآن – بتاريخ** 15/11/2012 **منشور على موقع طريق الإسلام رابط المادة:** http://iswy.co/euo5l

(7) ـ **د. يوسف القرضاوي- مقال بعنوان" المعجزات النبوية بين الغلاة والمقصرين" – منشور على موقع القرضاوي بتاريخ** 3/4/2006م

(8) ـ **من مقال للكاتب: خالد أباظة بعنوان " حقيقة معجزات الرسول" ، قمنا بتلخيصه ونقل مضمونه، وهو منشور بتاريخ** 23 **فبراير** 2018 **م على موقع ساسة بوست.**

(9) ـ **هذا التقرير نقلناه مع قناعتنا بما ورد به من مقال للأستاذ " رضا البطاوى في الثلاثاء** 29 **ديسمبر** 2015 " **منشور على موقع " أهل القرآن "**

(10) ـ **أحمد الدبش ، بتاريخ** 7 /1/ 2018**م مقال**

(11) ـ **مقال بحثي للأستاذ الباحث العراقي " علاء اللامي " بعنوان :" يوسف زيدان وخرافة "المسجد الأقصى في الجعرانة"! منشور على موقع المثقف.**

(12) ـ **الباحث أشرف عزت في مقال له بعنوان " مخيال أسطوري وتزييـــف توراتي" منشور بتاريخ** 25 **يناير** 2018 **على موقع مجلة الاتحاد بالملحق الثقافي**



رقم الإيداع: 35812/2022
الترقيم الدولي 978ـ977ـ6925ـ88ـ5

من أبسط الأمور التي صارت أكثر ثباتاً ورسوخاً في العقل المسلم هي خدعة المسجد الأقصى وخدعة الإسراء والمعراج في القدس فلسطين، وحكايات موسى وفرعون وبني إسرائيل في مصر. فقد تم غرس هذه الخدع الفكرية في التراث الإسلامي من باب الإسرائيليات، ولا تقول أن عقلك يخبرك بأن مصر هي مصر القرآن، لأن عقلك هذا ببساطة لم يكن موجودا وقت أن أطلق اليهود على بلادنا اسم "مصر" بعد نزول القرآن.

ولم يكن الأمر محصورا على أرض وشعب وادي النيل الذين تعرضوا لهذه النصباية اليهودية العربية، إنما كل شعوب المنطقة تعرضت للغش والخداع والنصب على مدار ألفي عام وأكثر، وما زالوا يعانون من ويلات هذا الغش والخداع، وما زالت عملية التشخيص في طورها الأول... ونتيجة لذلك تحولت مقدسات اليهود إلى مقدسات عربية ثم مقدسات دينية إسلامية استخدمها اليهود ضد المسلمين.

ويدور هذا الكتاب في عدة محاور أهمها ما يلي:

١- مقام النبي إبراهيم لم يكن بالعراق أو فلسطين أو بلادنا وادي النيل، بل تمت قصته كاملة في الأراضي الحجازية.

٢- السيدة هاجر التي اشتراها إبراهيم (ع) جارية له، لم تكن قبطية، إنما كانت مصرية من مصرايم العربية

٣- النبي يوسف (ع) لم يدخل إيجبت، وإنما دخل مصرايم العربية.

٤- اليم الذي ورد في القرآن ليس هو نهر النيل، ولا هو البحر الأحمر، بل هو منخفض مائي في وادي بيشة في جبال السراة.

٥- فلسطين الحالية ليست هي فلسطين الواردة في التوراة، ولم تشهد أي حدث من الأحداث التوارتية.

٦- المسجد الأقصى الحالي ليس هو المسجد الأقصى المذكور في القرآن ولم يكن في الحقيقة سوى مقلب للنفايات، وإنما المسجد الأقصى الحقيقي يقع في الوادي المقدس طوى بمكة المكرمة

٧- النبي محمد ليس هو نبي الإسراء، ولم يتحرك على ظهر البراق من البيت الحرام إلى مسجد أقصى في فلسطين، وإنما موسى عليه السلام هو الذي أسري به ليلا مشياً على قدميه من المسجد الحرام إلى الوادي المقدس طوى

٨- معجزة الإسراء والمعراج النبوي ما هي إلا خدعة يهودية للسيطرة على أرض فلسطين، وهي إساءة مباشرة للنبي محمد وإنكار وجحود مباشر للقرآن.

٩- الملك داوود والملك سليمان ومعجزاتهم وكذلك حروب داوود وطالوت وجالوت المذكورة في القرآن الكريم لم يكن ميدانها فلسطين بل كانت في جنوب غرب الجزيرة العربية ومكة "الأرض المقدسة".



المؤلف : محمد مبروك أبو زيد